المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدِّين، إيّاك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمتَ عليهم، غيرِ المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

﴿الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظُّلُمات والنور، ثم الذين كفروا بربهم يَعْدِلون﴾.

﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عِوَجاً، قيِّماً لينذر بأساً شديداً

من لَدُنْه ويُبَشِّرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً، وينذرَ الذِّين قالوا اتخذ الله ولداً، ما لهم به من علم ولا لآبائهم، كبُرت كلمةً تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذِباً﴾.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدِّين كلِّه إلى جميع الثقلين الجن والإنس، عَرَبهم وعَجَمهم، أُمِّيّهم وكِتَابيّهم، ونزّل عليه ﴿أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقْشَعِرُّ منه جلودُ الذِّين يَخْشون ربهم ثم تلين جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكر الله. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد﴾.

أنزل عليه ذلك الكتاب مُصَدِّقاً لِمَا بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه؛ فصدّق ما بين يديه من كُتُبِ السّماء، وَأمَر بالإيمان بجميع الأنبياء، فقال: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أُوتي النّبِيّون من ربهم لا نُفَرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

فَصَلَى الله وسلم على هذا النبي المختار، الذي لا يسمع به يهودي ولا نصراني ثمّ لا يُؤْمِن به إلا كان مأواه النار، وعلى آله وصحبه البرَرَةُ الأطهار، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإنّ مِمّا لا شك فيه، أن النصارى وأذيالهم يحملون ضدّ الإسلام والمسلمين عَداءاً سافراً وحِقْداً دفيناً في مَكامِن أضغانهم منذ القرون الأولى، يُعَبّرون عنه بألسنتهم، ويُسَطِرُونه بأقلامهم، ويسعون فيه بِخَيلهم ورَجِلهم وإن كان يَقْوَى تارةً ويَضْعُف أُخْرى، بحسب

معرفة المسلمين بدينهم وجهلهم به، وتمَسك ً بهم بعقيدتهم الصحيحة وتبْذِهم لها وَرَاءَهُم ظِهْرِياً.

كان للنصارى في ذلك وسيلتان:

الوسيلة الأولى: استخدام أسلحةٍ حقيقيّةٍ سَعْياً في القضَاء على الإ سلام والمسلمين.

الوسيلة الثانية: استخدام أسلحةٍ معنويةٍ مصنوعةٍ من شبهاتٍ فاسدةٍ، وعقائدَ باطلةٍ، لتشكيك المسلمين في عقيدتهم، وترويج عقيدتهم الصّلِيبِيّة، لكنْ أنّى يستقيم الظِّلُّ والعود أعْوَج! فإنّ الحق أبْلَج، والباطلَ لَجْلَج، وإنْ كان المسلمون قد يُؤتون مِنْ قِبَلِ أنفسهم.

كان مما كان من الوسيلة الثانية أنِ انْتَدَبُوا علماء المسلمين لمناظرتهم. وكتَبُوا كُتُباً ورسائلَ شَحنُوها طعوناً على الإسلام من كلّ جانب، ونصرةً لعقيدة الصليب من جميع الجوانب. فتَصَدّى لهم مَنْ لا قِبَلَ لهم بهم من علماء المسلمين حتّى أشْفَقُوا على أنفسهم، وَرَأَوْا أنّهم قد غُلبوا وفُضِحُوا، وأنْ سوف لا تقومُ لهم بعد ذلك قائمة.

فَيَا لَيتَهُم ما كتبوها! بل يَا لَيتَهُم ما حدّثَتْهم أنفُسُهم بكتابتها!! لكن إذا أراد الله شيئا يسّر أسبابه فإن "من أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين، ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين"[1]

"وذلك أن الحق إذا جحد وعورض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة"[2]

"فالحق كالذهب الخالص، كلما امتحن ازداد جودة، والباطل كالمغشوش المضيء إذا امتحن ظهر فساده"[3]

لكنْ لما دبّ الضعف، وعمّ الجهل، وفشى الفساد العقدي والخلقي والإعراض عن الهدي القرآني والنبوي في أوساط الأمة الإسلامية أعاد النصارى الكرّة مرةً أخرى فهاجموا العالم الإسلامي من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته؛ يَبْذِلون جُهُوداً خياليةً لا يكاد يُصدّق بها إلا مَنْ يبلغ عين اليقين من أمرها، كلُّ ذلك؛

---

(1) "الجواب الصحيح" : (1 / 84).
(2) "المصدر السابق" : (1 / 85 - 86).
(3) "المصدر السابق" : (1 / 88).

لِيُشَكِّكُوا المسلمين في أمور دينهم، وليُدْخلوا مَن استطاعوا منهم ومن غيرهم في عقيدتهم؛ يَنْقلونهم من عبادة الرحمن إلى عبادة الشيطان، أو من عبادة الأوثان إلى وَثنِيّة الصلُبان، واستعانوا في ذلك بذيولهم من أولئك الأ َخْلاط الذين تخرجُوا على أيديهم، بعد أن لوّثوا أدْمِغَتَهُم ، وسَقَوهم من صَدِيد أفكارهم، يُريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا ّ أن يُتِم نوره ولو كره الكافرون. هو الذي أرسل رسوله بِالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَه على الدِّين كله ولو كره المشركون!

فكان لِزَاما على المستطيعين من المسلمين أنْ يقوموا بالذّبِّ عن دينهم ، والذّوْد عن حِيَاض عقيدتهم وردِّ كيد كلّ جبّار عَنِيد كما فعل ألئك المتقدمون. وذلك بأن يقوموا بثلاثة أمور:

الأمر الأول:

الدعوة إلى دينهم الحق بتطبيقه، وتوضيح معالمه، وبيان نقاء عقيدته، وسماح شريعته، والتنبيه على محاسنه وميزاته.

الأمر الثاني:

بيان أنه: "لم يبق بأيدي النصارى إلا دين باطله أضعافُ أضعافِ حقه ، وحَقّه منسوخ بما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم"[4]

---

[4] ابن القيم في "هداية الحيارى " : (ص : 160).

الأمر الثالث:
دفع شبهاتهم وشبهات أذنابهم من المُسْتَشْرِقِين والمُسْتَغْرِبِين ضَدّ الإ سلام بأقلامهم وألسنتهم بأدلة علمية وعقلية رصينة فإنّ "كل مَنْ لم يُناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرةً تقطع دابِرَهم لم يكن أعطى ا لإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور، وطُمَأنينة النفوس، ولا أفاد كلامُه العلم واليقين"[5]
وأعَذَبُ مَعِينٍ لهم في ذلك وخيرُ مُعِينٍ كتابُ الله وسنةُ رسوله صلى الله عليه وسلم، ثمّ جُهود أولئك العلماء الأفذاذ التي قاموا بها ضدّ النصارى من مناظراتٍ ورسائلَ وكُتُبٍ قَيِّمة مِمّا ينْدُر وجودُ مثلها في مثلها؛ حيث أتوا فيها على أصول شبهات النصارى وفنّدُوها ـ عقليةً أو نقليةً ـ عقلا ً ونقلا ً.
وهنا حقيقة مهمة ليس مِن نافلة القول ذكرُها، وهي أنّ هذه الكتب جُلَّها، إنّما بَنَى الرُدودَ التي فيها أصحابُها على قواعدَ معينةٍ، يستخدمونها في تحطيم كلّ شبهة ماكرة، أو عقيدة صليبيّة كافرة.
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:
"وهذه الجملة مُفَصّلة مشروحة في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا التنبيه على مجامع جوا بهم"[6] أي النصارى.
ويقول سليمان بن عبد القوي الطوفي رحمه الله:[7]
"وقدّ مْت على ذلك مقدماتٍ كليةً تتضمن مباحثَ جليلةً، عليها ينبني معظمُ
الجواب، وبها يتيسّر ظُهورُ الصّواب، وعلى الله توكلي وإليه المآب. وتلك المقدمات ثلاث" إلخ[8]
ويقول الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله:
"المقدمة في بيان اثني عشر أمرا تُفيد النّاظِر بصيرةً في الفصول"[9]
وكانت هذه القواعد مُتناثرةً في ثنايا كتبهم، وإنْ كان بعضُهم

---

[5] ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل " : (1 / 357).
[6] "الجواب الصحيح " : (1 / 181).
[7] هو سليمان بن عبد القوي الطوفي من مشاهير علماء الأصول له مؤلفات في الرد على النصارى منها: "الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية" توفي: [سنة: 716]. انظر ترجمته في : "ذيل طبقات الحنابلة " : (2 / 366).
[8] "الاتصارارت الإسلامية " : (1 / 229).
[9] "إظهار الحق " : (3 / 682).

يَنُصُّون على طرف منها في المقدمة، أو في فواتح الفصول والأ بواب.
وعليه، فإنّ من الأهمية بمكان تتَبُّعَ هذه القواعد وجمعَها لِيَسْهُلَ مِن خلال ذلك حصرُ وضبطُ أصول تلك العقائد والشبهات، وكيفيةُ الرّد عليها وعلى ما توَلّد منها إجمالا وتفصيلا؛ "**لأنّ ضبط الأمور المنتشرَة المتعدّدة في القوانين المُتّحِدة هو أوْعَى لحفظها، وأدْعَى لضبطها،** وهو إحدى حِكم العدد التي وُضِع لأجلها. **والحكيم إذا أراد التعليم لا بُدّ له مِنْ أنْ يجمع بَين بيانَين؛ إجمالي تتَشَوّف إليه النفوس، وتفصيلي تسْكُن إليه**"[10]
ولأنّ عَرْض الرّدِّ على النصارى في صِيْغَة القواعد بعد إعانته على الإ حاطة بِرُكامٍ هائلٍ مِن عقائدهم وشبهاتهم، وكيفيّة الرّدِّ عليها إجمالا ً، وإنارة الطريق للرّدِّ عليها تفصيلا، يُعِين في الرّدِّ على الشبهات المُسْتَجِدّة، وذلك بالنظر إلى القاعدة العامّة التي تشمل نظائر وأشْبَاه تلك الشبهة فَيُقْضَى عليها فوراً.
هذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ الذّين تصدّوا للرّدِّ على النّصارى قديماً، وتتَلَمَذ على كتبهم كثير من المتصدّين لهم حديثاً، لم يكونوا كلّهم على عقيدة واحدة، بل منهم مَنْ هو مِنْ أهل السُّنّة والجماعة[11] **مثل ابن تيمية وابن القيم وابن معمر**[12]. ومنهم مَنْ هو مِنْ الأشاعرة **مثل الرازي والقرطبي**[13] **والقرافي**[14].

---

[10] بدر الدين الزركشي في "المنثور في القواعد " : (1 / 5 6).
[11] قال ابن حزم رحمه الله في تعريف أهل السنة: "وأهل السنة والجماعة الذين نذكرهم ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلا فجيلا إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم" اهـ "الفصل" (271/2). لكن يحسن التنبيه إلى أن هذا اللفظ له إطلاقان. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة. وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في يوم الآخرة، ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة"اهـ "منهاج السنة " : (2 / 1 2 2) والمقصود في هذا البحث الإطلاق الثاني.
[12] هو عبد العزيز بن الشيخ القاضي حمد بن ناصر بن معمر العنقري من علماء نجد له في الرد على النصارى "منحة القريب المجيب" توفي: [سنة: 1244]. انظر ترجمته في كتاب: "علماء نجد خلال ثمانية قرون " لعبد الله البسام : (3 / 6 3 3).
[13] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المفسر المشهور له في الرد على النصارى " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" توفي: [سنة: 684] انظر ترجمته في "شذرات

ومنهم من وافق الأشاعرة في بعض أصولهم مثل الطوفي. ومنهم مَنْ هو مِنَ المتصوِّفَة مثل البوصيري[15] ويوسف النبهاني[16]. ومنهم مَنْ هو مِنَ المعتزلة[17] مثل الجاحِظ[18] والقاضي عبد الجبّار[19] ومنهم غير ذلك مثل ابن حزم[20] وكلٌ يبني ردودَه على ما يوافق منهجه وعقيدته فانظر على سبيل المثال ما يقوله الغزالي[21] في "الرد الجميل":

"وقبل الشروع في ذكرها- أي الفصول التي يرد بها على مدّعِي إلهية عيسى عليه السلام- فلا بدّ من تقديم أصلين متفق عليهما بين أهل العلم، أحدهما: أن النصوص إذا وَرَدت فإنْ وافقت المعقول تُركت ظواهرها، وإنْ خالفت صَرِيح المعقول وجب

الذهب " : (5 / 5 3 2).

(14) هو شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي من كبار علماء المالكية من أشهر كتبه "الفروق" وألف في الرد على النصارى "الأجوبة الفاخرة" و"أدلة الوحدانية" توفي: [سنة : 6 8 4] . انظر ترجمته في "شجرة النّور الزكية " : (1 / 8 8 1).

(15) هو محمد بن سعيد من حمّاد الصنهاجي البوصيري ، صاحب القصيدة المشهورة المعروفة بـ"البردة" صوفي بارع في النظم له في الرد على النصارى نظم مليح بعنوان: "المخرج والمردود في الرد على النصارى واليهود" توفي سنة: [695] انظر: "كتاب المقفى الكبير " لتقي الدين المقريزي (5 / 1 6 6).

(16) هو يوسف بن إسماعيل النبهاني الشافعي أديب شاعر صوفي من القضاة له عدة تصانيف منها "الرائية الكبرى" في الرد على النصارى والمنصرين. توفي سنة: [1350] انظر : "معجم المؤلفين " لعمر رضا كحالة (4 / 5 4 1).

(17) "المعتزلة" اسم يطلق على فرقة ظهرت في الإسلام في أوائل القرن الثاني الهجري، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية" انظر: "دراسات في الفرق و العقائد الإسلامية " للدكتور عرفات عبد الحميد (ص : 3 8).

(18) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة كان علا ّمة في اللغة والأدب، له تصانيف كثيرة جداً منها: "المختار في الرد على النصارى" توفي: سنة [250] وقيل [255] انظر: "سير أعلام النبلاء": (1 1 / 6 2 5).

(19) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني العلامة المتكلم شيخ المعتزلة صاحب التصانيف من كبار فقهاء الشافعية، من تصانيفه "تثبيت دلائل النبوة" رد فيه على النصارى. توفي سنة: [415] انظر: "سير أعلام النبلاء": (17/244-245).

(20) هو أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأدلسي من أكبر علماء المسلمين، ويعد مدرسة مستقلة في مقارنة الأديان اقتبس منها معظم من جاء بعده. توفي [سنة: 456]. انظر ترجمته في "سير أعلام النبلاء " (8 1 / 4 8 1).

(21) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الطوسي يلقب بحجة الإسلام من أئمة الأشاعرة. ألف في الرد على النصارى "الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل". انظر ترجمته في : "طبقات الشافعية " للسبكي (6 / 1 9 1).

تأويلها، واعتقاد أن حقائقها ليست مَرادة، فيجب ردُها إذْ ذاك إلى المجاز[22]

وقريب منه عند الألوسي حيث يقول:

"الفصل الثالث في التأويل"

"وإذْ قد علمتَ بالبراهين العقلية القطعية والنقلية أن التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله سبحانه، فلو وُجد قول من الأقوال المسيحية دالاً بحسب الظاهر على التثليث يجب تأويله؛ لأنه لا يخلو إمّا أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة القول، وإمّا أنْ نتركها، وإمّا أنْ نُرَجّح النقل على العقل، وإما أن نُرَجّح العقل على النقل".

"والأول باطل قطعاً وإلا لَزم كون الشيء الواحد ممتنعا وغير ممتنع في نفس الأمر، والثاني أيضا مُحال وإلا يلزم ارتفاع النقيضين، و الثالث أيضا لا يجوز؛ لأنّ العقل أصل النقل، فإنّ ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مُرْسِلاً للرسل وثبوتها بالدلائل العقلية، فالقدح في العقل قدح في (العقل) والنقل معا، فلَمْ يبقَ إلا أنْ نقطع بصحة العقل، ونشتغل بتأويل النقل".

"ولقد أحسن ((أبو الفضائل المالكي)) في قوله:

إذَا مَا النّقلُ خَالَفَ حُكْمَ عَقلٍ * تأوّلهُ فَتُكْسِبَهُ رُجُوعًا

لأنّ العَقلَ أصْلُ النّقلِ مَهْمَا * يُخَالِفْ أصْلَهُ سَقطَا جَمِيعًا"[23]

وانظر أيضا إلى ما يقوله الطوفي في "الانتصارات الإسلامية":

"المقدمة الثالثة: "إن الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية "

إلى أن قال: "فائدتها أن يُسنَد إليها في أنّ كل ما أورده علينا ـ أي النصراني ـ من الأخبار التي حقها أنْ لا تَثْبَتَ بمثلها الأصول لا ترد علينا ولا تلزمنا؛ لأنّ تلك أخبار تُوجِب العمل دون العلم لكونها مظنونة الثبوت وإنْ كانت في البخاري ومسلم، لاحتمال وقوع علة قادحة في طريقها، فلا تقوى على إثبات أصل، ولا على أن يقدح بها في أصل؛ خُصوصا وقد دخلها تصرف الرواة في المعنى"

إلى أن قال:

"فنقول في مثل تلك الأحاديث : هذه لا تُثبِت بها أصلا، ولا ترد

---

(22) "الرد الجميل " : (ص : 23).

(23) "الجواب الفسيح " : (1 / 201).

علينا نقصا، وإنما المُعْتَمَد على ما يَثْبت به ذلك"[24]

فكان من النصح للأمة بيانُ القواعد الصحيحة والباطلة في الرد على النصارى لِتُسْتَعْمَل الأولى، وتُجْتَنَبَ الأ ُخرى؛ لبطلان أساسها، ولما لها من آثار سيئة، ولما لتلك من ثمرات طيبة، بعد ابْتِنَائِهَا على أساس متين.

ومما تقدم ذكره تتضِحُ أهميةُ هذا الموضوع "قواعدُ الرد على النّصارى" ولذلك اخترتُ أن يكونَ موضوع دراستي لنيل "الشهادةِ العالميةِ الماجستير" في العقيدة، أضفْ إلى ذلك كونَـهُ متعلقا بدراسة الأديان، وفيها من الأهمية ما لا يخفى، ومن الفوائد ما يستحق الاعتناء منها:

- نصرة الله ورسوله،
- إثبات أن الدِّين الحق هو الإسلام لا غير،
- إبراز محاسن الإسلام وميزاته،
- معرفة عظم نعمة الله على المسلمين بهذا الدين الحنيف
- الوقوف على سخافة تلك الأديان المنحرفة وهذا لا شك يزيد في الإيمان وفي زيادة التمسك بهذا الدين العظيم.

والنقول التالية تؤكد هذه الحقائق:

قال ابن القيم رحمه الله في أواخر كتابه هداية الحيارى "فوازن بين هذا وبين ما جاء به خاتم الرسل والأنبياء تعلم علما يضارع المحسوسات أو يزيد عليها أن الدين عند الله الإسلام"[25]

وقال القرافي رحمه الله : "وأنا استغفر الله العظيم من نقل كفرهم ، وسوء أدبهم ، وما الباعث على هذا إلا ليعلم الناظر في هذا الكتاب من المسلمين ما أنعم الله عليه من نعمة الإسلام، وأنّه هو الدين المتعين للحق الجاري على لسان التوحيد والصدق كما قال الشاعر:

وَبِضِدِّهَا تتَبَيّنُ الأ َشْيَاءُ

وقال غيره

وَالضِدّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِدّ

وليفهم معنى قوله عليه السلام : "جئتكم بها بيضاء نقية" أي لا يشوبها ما يتوهم أنّه نقص ، ولا ما يناقضها جامعة لمكارم الأخلاق ناهية عن

---

(24) الطوفي في الانتصارات الإسلامية 1 / 243 .

(25) "هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " : (ص : 575).

لئامها قد استبدلت عن هذه الركاكات في العبارة بالفصاحة الفائقة ، وعن هذه القبائح بالمنائح الرائقة ، فهذا بياضها الناصع، ونقاؤها الجامع وامتثالا ً لقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنّ اللَّه ُ مَنْ يَنْصُرهُ﴾[26] ﴿وَلا َ تهنُوا وَلا َتحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأ َعْلَونَ﴾[27] ومن لا يقف من المسلمين على سخافة هذه الأديان يعتقد أن شبهاتهم ربما تكون قوية، فإذا وقف على هذه القبائح علم أنّهم في أعظم ظلم الضلالات يهيمون، وأنّهم في دركات النار مرتهنون فزاد في ذلك قلبه الإيمان ، وعظم الله تعالى عليه ا لامتنان ، والله يجعلنا من حزبه المهديين ، وخاصته المرضيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[28] اهـ.

وقال **الجعفري** ومنها-أي ومن الفوئد التي اشتمل عليه كتابه التخجيل- "الوقوف على سر قول نبينا عليه السلام وقد رأى في يد بعض أصحابه صحيفة من كتبهم فغضب عليه السلام وقال " (ألقها فو الله لقد جئتكم بها بيضاء نقية) وأنت رحمك الله إن شاهدت ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية عرفت سر قوله عليه السلام "لقد جئتكم بها بيضاء نقية" إلى غير ذلك كما يوضحه الكشف"[29]

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع أيضا:

1. عدم وجود مؤلف في النصارى حسب علمي القاصر يُعنى بما يُعنى به هذا البحث من حيث تأصيل الرد عليهم، وبيان أسسه وقواعده المنهجية والعلمية مع التطبيقات مع شدة الحاجة إلى ذلك.
2. رغبتي الملحة في دراسة الأديان ، وبالأخص النصرانية بشيء من التعمق.
3. حرصي الشديد على أن يكون بحثي حيا أستفيد منه وأفيد.
4. الحاجة إلى تمييز صحيح القواعد من سقيمها في الرد على النصارى.
5. معرفة حقيقة دين النصارى وبطلانه، يعين على معرفة ما يشبه أقوالهم من أقوال أهل الإلحاد والبدع كما قال شيخ الإسلام ابن

---

(26) "سورة الحجر" : (آية : 40) .
(27) "سورة آل عمران" : (آية : 139) .
(28) "الأجوبه الفاخرة" : (ص : 162) .
(29) "التخجيل" : (104/1).

تيمية رحمه الله.

6. لا شك أن العالم في الحالة الراهنة يموج بالتنصير وبالأخص القارة الإفريقية التي أنا واحد من أبنائها ، وبلدي نيجيريا على وجه الخصوص ، فانظر- على سبيل المثال -إلى تصريح البابا بأن خليفته الكاردينال(30) من نيجيريا، وعليه، فإن مثل هذه البحوث مما يسلح الدعاة ، بل وعموم المسلمين للرد على النصارى والدفاع عن دينهم بأيسر الطرق وأمثل الأساليب .
7. إن بحثا على هذا المنوال ، لمن أسهل المسالك لدعوة النصارى إلى الدين الحق أو إقامة الحجة عليهم .
8. إن فائدة هذه القواعد لا تنحصر في الرد على النصارى فحسب ، بل من حذقها استطاع أن يرد بها على الملحدين ، وعلى أهل البدع والاتحاد ، والحلول ، ومن جانب الصواب في باب الصفات من المسلمين ؛ حيث إن " معظم أصول عقائد هؤلاء وشبهاتهم ، مأخوذة من أصول عقائد أولئك وشبهاتهم.
9. وجود قواعد أخرى في الرد على النصارى غير التي نص عليها في الخطة التي ستأتي (وستورد ـإن شاء الله ـ بعد تحريرها بالبحث والتقصي على نفس المخطط)،
10. إظهار أفضلية منهج السلف في العقيدة من كل جانب ، وأنه الوحيد الثابت أمام كل التحديات ، بكافة أشكالها وأنواعها ، وفي كل زمان ومكان حيث إنه المنهج الوحيد الذي استطاع أن يصمد أمام شبهات النصارى وإيراداتهم دون اضطراب أو تناقض.

هذا، وإن مجرد تصور هذا الموضوع حق تصوره ليغني عن كل ما يقال ويكتب في أهميته و أسباب اختياره، وإن عرض الرد على المخالف من خلال قواعد معينة أو أصول محصورة لمنهج سلفي سليم، كما هو واضح في بعض كتب السلف وأتباعهم، كتدمرية ابن تيمية، ورسالة السجزي من قبلها بقرابة أربعمائة عام.

***

(30) الكاردينال "عضو أعلى هيئة تساعد البابا في إدارة الكنيسة الكاثوليكية والمجلس الا ستشاري، يلي البابا في مرتبته مباشرة، والكرادله وهم الذين يختار البابا من بينهم". "الموسوعة الميسرة": (1136/2).

خطة البحث

وتشتمل على مقدمة وبابين وخاتمة.
أما المقدمة، فتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره. وقد سبقت

الباب الأول :
التعريف بالنصارى وأحكام الرد عليهم

وتحته فصلان:

الفصل الأول:
التعريف بالنصارى
وفيه سبعة مباحث:
المبحث الأول: لفظ "النصارى " والمراد به.
المبحث الثاني : نبذة عن تاريخ النصرانية .
المبحث الثالث : مصادر النصرانية .
المبحث الرابع : عقيدة النصارى .
المبحث الخامس : أبرز العبادات والشعائر النصرانية .
المبحث السادس : أسباب وعوامل انحراف النصارى .
المبحث السابع : أهم فرق النصارى .

الفصل الثاني :
أحكام الرد على النصارى
وفيه ثمانية مباحث:
المبحث الأول : معنى الرد .
المبحث الثاني : مشروعية الرد على النصارى ومراتبه .
المبحث الثالث : شروطه .
المبحث الرابع : آدابه .
المبحث الخامس : أهدافه .
المبحث السادس : أساليبه .
المبحث السابع : طرقه.
المبحث الثامن : أشهر الكتب المؤلفة في الرد على النصارى .

الباب الثاني :

قواعد الرد على النصارى[31]

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول:

تمهيد: في تعريف القواعد ومصادر قواعد الرد على النصارى وأقسامها وأهميتها وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول : تعريف " القواعد " والفرق بينها وبين الضوابط .

المبحث الثاني : أهمية القواعد والضوابط وفائدتهما في الرد على النصارى .

المبحث الثالث : مصادر قواعد الرد على النصارى .

المبحث الرابع : أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الشمول .

المبحث الخامس : أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث العرض .

المبحث السادس : أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الصحة والفساد .

الفصل الأول :

القواعد الواردة في تصوير عقائد النصارى المردود عليها .

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : قاعدة " دين النصارى غلو في المخلوق وتنقص للخالق "

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .

المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .

المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .

المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

المبحث الثاني : قاعدة "دين النصارى مبني على غير المنقول ومعاندة المعقول"

---

[31] قواعدُ الردّ على النصارى الواردةُ في هذا البحث خمسون قاعدةً ونيف، لكن التي تم تمت دراستُها والتطبيقاتُ الموسّعَةُ عليها فتسعَ عشْرَةَ قاعدةً لعامل الخُطةِ المرسومةِ أولَ مرّةٍ.

وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة .
المطلب الثاني : مصادرها
المطلب الثالث: شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل : المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة
المبحث الثالي: "قاعدة "ما سب الله أحد ما سب النصارى رب العالمين"
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة .
المطلب الثاني : مصادرها
المطلب الثالث: شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل : المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة

الفصل الثاني :

القواعد الواردة في مناقشة عقائد النصارى وإبطالها .
وفيه ثمانية مباحث
المبحث الأول : قاعدة " إن مثل عيسى كمثل آدم "
وتحته أربعة مطالب .
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها وفيه ثلاث مسائل :
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية :المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه

القاعدة .
المبحث الثاني: قاعدة : " ما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر"
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث الثالث : قاعدة : " كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا "
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها
،
وفيه ثلاث مسائل .
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث الرابع : قاعدة " المثلان اللذان يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب عليه ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، ويجوز عليه ما يجوز عليه"
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ،
وفيه ثلاث مسائل : المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .

المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث الخامس : قاعدة " حكم أحد الشيئين حكم مثله "
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة .
المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل :
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث السادس : قاعدة " تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور يخالفه "
وتحته أربعة مطالب .
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها.
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ،
وفيه ثلاث مسائل:
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث السابع : قاعدة " لو لم يكن محمد (ص) صادقا لكان المسيح كاذبا (ص) " وحاشاهما.
وتحته أربعة مطالب .
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث الثامن : قاعدة " إذا كان محمد صادقا كان دين النصارى باطلا "
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة .
المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل :
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

الفصل الثالث :
القواعد الواردة في الأصول المعتمدة في الرد على النصارى
وفيه ستة مباحث .
المبحث الأول : قاعدة " لا يصدق النصارى ولا يكذبون فيما يحتمل الصدق و الكذب "
وتحته أربع مطالب :
المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها ،
وفيه ثلاث مسائل : المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .
المبحث الثاني : قاعدة " لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن ما داموا نصارى "
وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول : صياغة القاعدة .   المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها .   المطلب الرابع : تطبيقاتها ،
وفيه ثلاث مسائل
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

المبحث الثالث : قاعدة " القرآن يؤخذ كله "
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة .   المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها .   المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل : المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

المبحث الرابع : قاعدة " الكتب السابقة على ما هي عليه الآن مما لا تقوم به حجة على المسلمين "
وتحته أربعة مطالب
المطلب الأول : صياغة القاعدة .   المطلب الثاني : مصادرها .
المطلب الثالث : شرحها .   المطلب الرابع : تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل :
المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .
المسألة الثاني : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .
المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

المبحث الخامس : قاعدة "ما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول "

وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .

المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع تطبيقاتها ، وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .

المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد .

المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

المبحث السادس : قاعدة " يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأ صل "

وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول : صياغة القاعدة . المطلب الثاني : مصادرها .

المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : تطبيقاتها وفيه ثلاث مسائل : المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة .

المسألة الثانية : المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد.

المسألة الثالثة : نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة .

الفصل الرابع :

القواعد الفاسدة في الرد على النصارى

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : قاعدة "إن النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت ظواهرها، وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها ، واعتقاد أ، حقائقها ليست مرادة ؛ فيجب ردها إذ ذاك إلى المجاز "

وتحت أربعة مطالب

المطلب الأول : صياغة القاعدة .

المطلب الثاني : مصادرها .

المطلب الثالث : شرحها . المطلب الرابع : فسادها وإفسادها .

المبحث الثاني: قاعدة " إن الأحكام العقلية على وزان الأحكام

الحسية "

وتحته أربعة مطالب

المطلب الأول : صياغة القاعدة .   المطلب الثاني : مصادرها .

المطلب الثالث: شرحها .   المطلب الرابع : فسادها وإفسادها.

الخاتمة

وتشمل على الآثار الطيبة و السيئة للقواعد الصحيحة والقواعد الفاسدة في الرد على النصارى ، وعلى نتائج وتوصيات ، ثم فهارس علمية كالآتي :

فهرس الآيات ـ فهرس الأحاديث والآثار ـ فهرس الفرق ـ فهرس المصطلحات ـ فهرس الأعلام ـ فهرس الأماكن ـ فهرس البلدان ـ فهرس القواعد ـ قائمة المصادر والمراجع ـ فهرس الموضوعات.

منهج البحث

- **أولا:** اعتمدت في إبراز القواعد واستنباطها على نصوص الكتاب والسنة، وعلى كتب ورسائل ومناظرات الأئمة للنصارى أو لغيرهم ـ كاليهود ـ مما يصلح أو يستنتج منه قواعد تصلح في الرد على النصارى، موليا أهمية بالغة لكتب المتقدمين حيث إن ردود المعاصرين لا تكاد تخرج عن قواعد أولئك.
- **ثانيا:** أصوغ القاعدة بعبارتي الخاصة إذا كانت مستنبطة، أما إذا كانت منصوصا عليها فأحرص على لفظها دون تصرف إلا إذا احتيج إلى ذلك، كأن تكون طويلة جدا، أو متشعبة، أو غير سلسة، فأتصرف في صياغتها قدر الحاجة، وأبين ذلك
- **ثالثا:** إذا كانت القاعدة مذكورة بلفظها أو قريب منه نسبتها إلى من ذكرها حسب الوفيات، وإذا كانت مستنبطة غير منصوص عليها أشرت إلى ذلك، وإذا نص عليها بعضهم، وأشار إليها البعض ا لآخر قدمت ـ في الذكر ـ من نص عليها ثم من أشار.
- **رابعا:** المعتبر في تصنيف عبارة ٍ ما كقاعدة، أن تكون "قضية كلية مشتملة على جميع جزئياتها"ـ وهو تعريف القاعدة من حيث الاصطلاح ُ ـ وعليه، فكل عبارة انطبق عليها هذا التعريف سميتها بهذا الاسم [القاعدة] وإن لم يسمها به أصحابها.

- **خامساً**: المعتبر في تصنيف قاعدة ما كقاعدة فاسدة، أن تكون مبنية على أساس فاسد،
- **سادساً**: أدرس كل قاعدة تحت "مبحث" ويكون تحت المبحث أربعة مطالب: الأول: في صياغة القاعدة، الثاني: في مصادرها، الـ ثالث: في شرحها، الرابع في تطبيقاتها وفيه ثلاث مسائل: المسألة الأولى: في صورة تطبيق القاعدة. الثانية: في المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد. الثالثة: في نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على القاعدة. هذا إذا كانت القاعدة صحيحة، أما إذا كانت فاسدة فالمطلب الرابع يكون في بيان فسادها وإفسادها.
- **سابعاً**: قد أذكر في التطبيق العقيدة أو الشبهة الواحدة أكثر من مرة لبيان صلاحية أكثر من قاعدة في الرد عليها.
- **ثامناً**: أذكر وجه استعمال القاعدة في بعض التطبيقات دون أن ألتزم بذلك في كل البحث.
- **تاسعا**: كتابة ترجمة بعض الكلمات أو الألفاظ أو الأسماء التي أصلها بغير العربية باللغة الإنجليزية
- **تاسعاً**: التفريق بين المسلمين من الأعلام وغير المسلمين في الفهرسة
- **عاشرا**: التفريق بين الكتب المؤلفة في الأديان وبين غيرها من الكتب الأخرى في الفهرسة.

منهج كتابة البحث

- **أولا**: عزو الآيات وتخريج الأحاديث في الهامش.
- **ثانيا**: شرح المصطلحات والكلمات الغريبة.
- **ثالثا**: التعريف بالأعلام والأماكن والبلدان غير المشهورة.
- **رابعاً**: التعريف بالفرق.

***

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد،

أشكر الله سبحانه وتعالى أولا وآخراً أن ْ خلقني ورزقني من غير حول مني ولا قوة، وأعظم عليّ َ الن ِّع َم بالإسلام والانتساب إلى طلبة العلم الشرعي في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلى ما وفّق ويسّر من كتابة هذا البحث فله الحمد ُ والم ِن ّة ُ وحده لا شريك له.

وأشكر – ثانيا- والد َي ّ الكريمين اللذين هما السبب بعد الله عز وجل في سلوك هذا الد ّر ْب ِ المبارك وتح َم ّلا كثيراً من المشاق في سبيل ذلك، فأسأل الله أن يبارك في أعمارهما، ويجزيهما عني خير ما جازى والداً عن ولده، ويجعلهما من أهل الفردوس الأعلى.

وأشكر- ثالثا- الجامعة الإسلامية تلك الجامعة ُ التي أ ُس ِّس َت على تقوى من الله ورضوان، -ابتداء من مديرها فضيلة ُ الشيخ الدكتور صالح ُ بن ُ عبد ِ الله الع ُب ُود يحفظه الله إلى آخر موظف فيها- على إ ِت َاحة هذه الفرصة ِ الذهبية ِ لي للدراسة في هذه الجامعة العريقة وت َح َم ُل مشاق تدريسي دين َ الله وشرع َه وخدمتي بالمج ّان في أقسامها وع َماداتها وكلّياتها المختلفة، ف َل َها مني جزيل ُ الشكر ِ والتقدير ِ والامتنان ِ، وأسأل الله َ تعالى أن ي َج ْز ِي القائمين عليها عني خي َر الجزاء، وأودعها لهم ذخراً يوم الحساب والجزاء، وأن يحفظها للإسلام و المسلمين من كلّ سُوء ومكروه إنه جَوادٌ كريم.

وأخص بالشكر -رابعاً- شيخي وأستاذي فضيلة ُ الشيخ الدكتور محمد ُ بن ُ عبد ِ الرحمن أبو سيف ٍ الش ّظ َيف ِي الجهني حفظه الله المشرف على الرسالة، فإليه يرجع الفضل ُ بعد َ الله سبحانه في خروج هذه الرسالة بهذا الشكل، فقد شملني بتوجيهاته وإرشاداته، وغ َم َر َني بن ُص ْح ِه ود َم َاث َة أخلاقه، وأفادني من علمه الغزير، وفهمه الثاقب، وملحوظاته الدقيقة، وصبر عليّ كثيراً، وعلّمني معنى الحزم والجد ّية َ في العمل.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه َ عني خير َ ما جازى شيخاً عن تلميذه، وأن يزيد َه ُ من العلم النافع والعمل الصالح والتوفيق في الدنيا والآخرة، وأن يبارك َ له في ع َق ِب ِه وذ ُر ّي َته، ويلحق َه ُم ب ِه في جن ّات النعيم.

وأشكر-خامساً- أهلي أم ّ ابن تيمية شكراً خاصا كذلك، فإنها نعمت ِ

المرأة الصالحة؛ صبرت كثيرا على انشغالي بالبحث، وأعانتني إعانة منقطعة النذير في سبيل إنجازه، فلها مني جزيل الشكر والامتنان والتقدير، وأسأل الله أن يبارك لي فيما رزقني منها من الذرية، وأن يزيدَنا من توفيقِه وبركتِه وسعادتِه، وأن يجمعنا في جنته ودار كرامته.

وأخيراً:
أشكر كل من أعانني في سبيل إنجاز هذا البحث ولو بكلمة طيبة من زملائي وأساتذتي، وأخص بالذكر من المشائخ فضيلة الأستاذ الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف؛ على إعارته السخية لكثير من كتب ومراجع مهمة في البحث، وكذلك فضيلة الدكتور محمود بن عبد الرحمن قدح على إعارة بعض المراجع المهمة،
وأشكرهما مرة ثانية على عدم تململهما من الأسئلة الكثيرة المتعلقة بالبحث التي أطرحها عليهما دائما.
وأشكرهما مرةً أخرى على قبول مناقشة هذه الرسالة والصبرِ على قراءتها وتصحيحها وتقويمها فجزاهما الله عني خير الجزاء، وزادهما علما نافعا وعملا صالحا، ونفعني بملحوظاتهما وتصحيحاتهما، وجعل ذلك في ميزان حسناتهما.
وأخص بالذكر من الزملاء الإخوة الأفاضل أبا علي بشير بن آدم بن علي، وأبا عبد الوهاب أبو بكر محمد ثاني، وأبا عبد الله محمد مسلم إبراهيم على متابعتهم وتشجيعهم ومراجعة أجزاء من البحث، وتسخيرهم أجهزتهم لطباعة البحث وإخراجه رَدْحاً من الزمان، فأسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء، وأن يبارك فيهم وفي عقبهم، وأن يسلك بهم سبيل العلماء العاملين، و الدُعاةِ الناصحين، ويتقبل منا ومنهم أجمعين، ويجعلنا من ورثة جنة النعيم.
كما أشكر الإخوةَ الحضورَ لتبرعِهم بوقتهم الثمينِ جداً لشهود هذه المناقشة، والاستماع إليها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .
سبحانك اللّهم، وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك، وأتوب إليك.
***

الباب الأول:
التعريف بالنصارى وأحكام الرد عليهم

وتحته فصلان:

الفصل الأول:
التعريف بالنصارى:

الفصل الثاني:
أحكام الرد على النصارى



الفصل الأول:
التعريف بالنصارى

وتحته سبعة مباحث:

المبحث الأول:
لفظ النصارى والمراد به

المبحث الثاني:
نبذة عن تاريخ النصرانية

المبحث الثالث:
مصادر النصرانية

المبحث الرابع:
عقيدة النصارى

المبحث الخامس:
أبرز العبادات والشعائر النصرانية

المبحث السادس:
أسباب وعوامل انحراف النصارى

المبحث السابع:
أهم فرق النصارى

المبحث الأول :

لفظ النصارى والمراد به

المراد بلفظ النصارى لغة :

ورد لفظ "النّصارى" معرّفا ومنكّراً أربع عشر مرّة في القرآن الكريم[32]

وهو جـ ـمـ ـع واحده من حيث الأصلُ "نَصْرَانُ" للمذكر ، و للمؤنّث "نَصْرَانَةٌ" كقولك في المفرد المذكر من "نَدَامَى" "ندمان" وللمؤنث منه "نَدْمَانَةٌ"[33]

قال الشاعر:

تَرَاهُ إِذَا زَارَ العَشِيُّ مُحَنِّفًا * وَيُضْحِي لَدَيْهِ وَهْوَ نَصْرَانُ شَامِسُ[34]

وقال آخر:

فَكِلْتَاهُمَا خَرّتْ وَأسْجَدَ رَأسُهَا * كمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تحَنّفِ[35]

"ويجوز أن يكون واحده "نصْرِيٌّ" مثل بعير مَهْرِي ، وإبل مَهَارَى"[36]

أمّا من حيث الاستعمال، فالمستفيض من كلام العرب في واحد "النّصارى" "نصْرانِي" للمذكّر ، و "نصْرَانيّة" للمؤنّث[37]

أمّا بالنسبة للمعنى اللغوي للكلمة فله ارتباط مباشر بالأصل الذي أُخذت منه وفي ذلك اتجاهان:

---

[32] وهي في سورة البقرة آية : (62) ، (111) ، (113) في موضعين ، (120) ، (135) ، (140) . وفي سورة المائدة آية (14) ، (18) ، (51) ، (69) ، (82) . وفي سورة التوبة آية (30) . وفي سورة الحج آية: (17).

[33] انظر : "الكتاب" لسيبويه : (255/3) ؛ "تفسير **الطبري**" لابن جرير **الطبري** : (143-144/2) ؛ "مختار الصحاح" للرازي : (ص : 162) ؛ "القاموس المحيط" للفيروزآبادي : (ص : 621-622) ؛ "لسان العرب" لابن منظور : (161-162/14).

[34] أنشده ابن الأنباري في "كتاب الأضداد" : (ص :181) ، و**الطبري** في "التفسير" : (2 /143) ولم ينسباه.

[35] البيت لأبي الأخرز الجِمّاني . أنشده سيبوية في "الكتاب" : (3/ 255 – 256) ، و**الطبري** في "التفسير": (144/2) ، وأورده ابن منظور في "اللسان" : (161-162/14) . والبيت في وصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الإعياء ، فشبّه رأس الناقة من تطأطئها برأس النصرانية إذا طأطأته في صلاتها . و الإسجاد : مطأطأة الرأس . والتحنّف : اعتناق الحنيفيّة ؛ أي الإسلام . انظر : "لسان العرب" : (161-162/14).

[36] "تهذيب اللغة" للأزهري: (161/12).

[37] انظر : "لسان العرب" : (161-162/14) ؛ "تفسير **الطبري**" : (144/2).

الاتجاه الأول: أنها من النّصر[38] إمّا لقوله تعالى :{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}.[39] وإمّا لتناصرهم وتعاضدهم[40]

الاتجاه الثاني: أنها نسبة[41] إلى قرية تسمّى "نَصْرَانَة"[42] فعلى الأول يكون وصفاً، وعلى الثاني يكون نسبة ، ومهما يكن من أمر فقد انقلب علماً على أناس معيّنين

المراد بلفظ النصارى اصطلاحا:

يقصد بلفظ " النصارى" اصطلاحًا: "أمّة عيسى بن مريم عليه السلام "[43]– إلا ّ أنّه قد يطلق ويراد به نصارى الشرق فحسب[44] .

فكل من انتحل "النصرانية"[45] دينا فهو نصراني"، وهي "نصرانية" وهم "نصارى" سواء كان ذلك قبل التحريف أم بعده ، وسواء كانوا هم من المحرّفين أم لا.

---

[38] "مفردات القرآن" للأصبهاني : (ص : 809).

[39] "سورة الصف": (آية: 14).

[40] "تفسير **الطبري**": (145/2). وإليه مال ابن جرير رحمه الله.

[41] "تفسير **الطبري**": (145/2)؛ "تهذيب اللغة" للأزهري: (161/12)؛ "القاموس المحيط" :(ص: 622)؛ "لسان العرب" (162/14).

[42] وتسمى كذلك "نصرى" بفتح الصاد وسكونه و تشديده و "نَصُورِيّة"وأشهر أسمائها "النّاصِرَة " مدينة شمالي فلسطين المحتلة تبعد ستة وثمانين ميلا إلى الشمال من القدس فيها نشأ المسيح وترعرع وصرف جزءا كبيرا من حياته حتى لقب بالناصري وتلاميذه بِالناصرين. انظر "قاموس الكتاب المقدّس"تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين :(ص : 946 – 947) ؛ "معجم البلدان" لياقوت الحموي : (251/5) ؛ "الموسوعة العربية العالمية (35/5) ؛ "الموسوعة العربية الميسرة" (ص : 709) ، "المنجد للأعلام" (ص : 569).

[43] "الملل والنحل" للشهرستاني: (ص: 244) ؛ "الموسوعة العربية الميسرة": (ص: 1835).

[44] جاء في "الموسوعة العربية الميسرة" ما نصه : "نصارى قوم عيسى ، يراد بهم خاصة نصارى الشرق في حين أن مسيحي القسطنطينية يسمّون الروم ، ومسيحي أوربّا يسمّون الفرنجة " اهـ (ص : 1835).

[45] في "دائرة معارف القرن العشرين" لمحمد فريد وجدي : "تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى الناصري ابن مريم عليهما السلام إلى بني إسرائيل"إلخ (196/10). لكن هذا التعريف متعقب؛ لأن الله تعالى لم ينزل دينا اسمه "النصرانية " فلا تطلق "النصرانية " على دين المسيح عليه السلام. وانظر تعريفات أخرى للنصرانية في : "القاموس المحيط" : (ص : 621-622) ؛ "الموسوعة العربية العالمية" (362/25) ؛ "المعجم الوسيط" : (925/2) "معجم لغة الفقهاء" : (ص : 451) ؛ "المنجد في اللغة والأعلام" : (ص : 812).

وأمّا القول بأنّ لفظ "النصارى" خاص بالمؤمنين الصادقين منهم دون المثلِّثين الذين افتروا على الله كذبا، وأنكروا نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[46] فليس بصحيح؛ فإن استعمالات القرآن الكريم لهذه الكلمة لا تدل عليه ، بل تدل على خلافه ، مما يبيّن وَهاء القول وفسادَه.

جاءت استعمالات القرآن لهذا اللفظ "نصارى" بعد الاستقراء و التتبع على خمسة أوجه هي:

الوجه الأول:

استعماله له في معرض البيان دون أن يتطرّق فيه إلى مدح أو ذم . وذلك في ثلاث آيات؛ في قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[47] وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[48] وقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى و المجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بيهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد﴾[49]

الوجه الثاني:

استعماله له في حق المؤمنين منهم وذلك في آية واحدة فقط. وهي قوله تعالى:

﴿لَتَجِدَنّ أشَدّ النّاسِ عَدَاوَةً لِلّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالّذِينَ أشْرَكُوا وَلَتَجِدَنّ أقْرَبَهُمْ مَوَدّةً لِلّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ قَالُوا إنّا نَصَارَى﴾[50]

الوجه الثالث:

استعماله له في حق الكافرين منهم وذلك في آية واحدة أيضا، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النّصَارَى المَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ

---

(46) انظر : "الحوار الإسلامي المسيحي" لبسّام داود عجك (ص : 28) ؛ "النصرانية والتنصير" (ص : 13-14) وقد أنكر صاحب الكتاب الأخير هذا المفهوم الخاطئ (نفس المصدر).

(47) "سورة البقرة" : (آية: 62).

(48) "سورة المائدة" : (آية : 69).

(49) "سورة الحج" : (آية : 17).

(50) "سورة المائدة" : (آية : 82).

اللهُ أنى يُؤْفَكُونَ}.[51]

الوجه الرابع:

استعماله له في معرض الذم لهم، وذلك في خمس آيات؛ ثلاث آيات منها في سورة البقرة وهي قوله تعالى: {وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين}.[52] وقوله {وقالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون}.[53] وقوله: {أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون}[54] وآيتان في سورة المائدة هما قوله تعالى {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون}[55]: وقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِير}.[56]

الوجه الخامس:

استعماله له في معرض تحذير المسلمين منهم. وذلك في ثلاث آيات ؛ آيتان من البقرة هما قوله تعالى: {ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير}.[57] وقوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي

---

[51] "سورة التوبة" (آية : 30) .

[52] "سورة البقرة" (آية : 111) .

[53] "سورة البقرة": (آية :113) .

[54] "سورة البقرة": (آية :140) .

[55] "سورة المائدة": (آية : 14).

[56] "سورة المائدة": (آية : 18).

[57] "سورة البقرة": (آية : 120).

القوم الظالمين}[58].
والوجه الرابع ملحق بالثالث؛ ذلك لأن الله ذمّهم فيه بما يدل على فساد عقيدتهم . وكذلك الوجه الخامس ملحق به أيضا لأن فيه تحذيرَ المؤمنين منهم ، ومن المعلوم أن الله تعالى لا يحذِّر المؤمنين من المؤمنين أمثالهم .
كما أنّه لا يوجد في السنة ما يساند ذلك المفهوم الخاطيء أيضا. وبهذا تعلم أن لا دليل شرعي يجب الرجوع إليه على هذا الزعم (تخصيص لفظ "النصارى" بالمؤمنين فقط) بل الدليل الشرعي كما هو واضح يدل على خلافه .
ولا يستقيم الاستدلال لهذا القول اعتمادا على الاتجاه الأول في مَردِّ الكلمة وأصلها أيضا، -وهو أنّها من "النصر"- بقول الحواريين فيما حكاه الله تعالى عنهم : {نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّه} وعليه فلا يتصور أن يكون"النصارى" غير الموحدين المتبعين لعيسى عليه السلام فيما جاء به من وحي إلهي لأمور منها:
أولا: أن الآية وردت في حق الحواريين خاصة ولا خلاف عندنا نحن المسلمين في إيمانهم وتوحيدهم وكونهم على الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام وأمّا غيرهم ممن يدعي الانتساب إليهم وخالفهم في عقيدتهم فهو من أنصار الشيطان لا من أنصار الله وعليه فلا تشمله الآية لا من قريب ولا من بعيد.
ثانيا: أنّه استدلال بمحل النزاع – وهو أن أصل الكلمة من "النصر"- ولا يصح؛
ثالثا: على فرض أنها من"النصر" قولا واحدا فإنه لا تلازم بين النصرة وصحة العقيدة.
رابعا: أن النصارى هم الذين سمّوا أنفسهم بهذا الاسم "نصارى" كما يفهم من ظاهر قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[59].
ومن قوله سبحانه: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا

---

[58] "سورة المائدة": (آية : 51).
[59] "سورة المائدة": (آية : 14).

تصَارَى}.[60] حيث نسب الله جل ثناؤه هذه التسمية إليهم ، وإن كانت هناك آيات أخرى ليست بهذه الصيغة لكن في هاتين الآيتين زيادة علم لا توجد هناك فيؤخذ بها .

ويؤيد هذا ما جاء عن قتادة رحمه الله أنه قال: "إنما سموا نصارى لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة، ينزلها عيسى بن مريم، **فهو اسم تسمّوا به، ولم يؤمروا به**"[61] اهـ.

وقال **ابن كثير**[62] رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ}.[63] "أي ومن الذين ادعوا لأنفسهم أنهم نصارى"[64]

وإذا كان الأمر كذلك فلا تلازم بين مجرد التسمية من غير معصوم وصحة الاعتقاد كما هو واضح .

خامسا: ما انطوى عليه هذا القول من مفسدة؛ فإن من مقاصده عند بعضهم استبدال لفظ النصارى بـ"المسيحيين" في حق النصارى اليوم[65] وهذه المسألة ستناقش في آخر هذا المبحث .

وخلاصة القول، أن لفظ "النصارى" يطلق على المؤمنين منهم كما يطلق على الكافرين.

قال **ابن الأنباري**[66] رحمه الله: "ويقال قوم نصارى للكفّار الذين يجعلون لله ولدًا ، ويكفرون به . ويقال قوم نصارى للذين نصروا عيسى عليه السلام ، وكانوا على منهاج الحق ، يعترفون بأن عيسى من عبيد الله عز وجل ، ويشهدون لمحمد صلى الله عليه وسلم بـ التصديق"[67] إلخ.

أسماء أخرى للنصارى:

---

(60) "سورة التوبة" (آية : 82).

(61) "تفسير **الطبري**" (145/5).

(62) هو الحافظ المحدث المفسر المؤرخ له مؤلفات كثيرة من أشهرها "تفسير القرآن العظيم" توفي [سنة : 774] . انظر : "شذرات الذهب" لابن العماد" : (322/6).

(63) "سورة المائدة": (آية : 14).

(64) "تفسير القرآن العظيم" لـ**ابن كثير** : (33/2).

(65) ممن دعا إلى ذلك صاحب كتاب "الحوار الإسلامي المسيحي" بسام داود (ص : 28) من الكتاب المذكور .

(66) هو أبوبكر محمد بن القاسم الأنباري من أشهر أئمة النحو واللغة توفي: [سنة 327]. انظر: "إنباه الرواة" للقطفي (203/3).

(67) "كتاب الأضداد" لابن الأنباري (ص : 341) ..

هناك أسماء أخرى تطلق ويراد بها النصارى منها:

أولا: أهل الإنجيل The People of the Gospel

جاءت تسميتهم بذلك مرّة واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾.[68]

ثانيا: أهل الكتاب The People of the Scripture

جاءت تسميتهم بهذا الإسم في آيات متعددة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾.[69]

وقوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ الآية.[70] وهذه التسمية مشتركة بينهم وبين اليهود ، و السياق هو الذي يحدد المقصود.

ثالثا: الصليبيون Crusaders

هذه التسمية نسبة إلى أبرز شعار للنصارى وهو "الصليب" أطلقت هذه التسمية لأول مرّة على جنود الحملات التي أنفذت من أُوربا للحروب التي تسمى بـ "الحروب الصليبية"[71]

سمّوا بذلك لاتخاذهم الصليب لهم شعارا ورسمه على ملابسهم وراياتهم في تلك الحرب الحاقدة ، ثم أصبحت تطلق على عموم النصارى خاصة في مقام التنفير وفي ظروف الحرب المشابهة لتلك .

أمّا تسميتهم بـ"**الأمّة الصليبية**"[72] و"**أهل الصليب**"[73] و "**عبّاد الصليب**"[74] فهي نسبة مجرّدة إلى الصليب تتضمن التهكم و

---

(68) "سورة المائدة " (آية : 47).

(69) "سورة النساء " (آية : 159).

(70) "سورة النساء " (آية : 171).

(71) الحروب الصليبية هي الحروب التي أثارها الإفرنج (نصارى أوربا) في القرن الخامس والسادس والسابع الهجري (الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر الميلادي) ضد المسلمين لدوافع دينية وسياسية. أنظر : "دائرة معارف القرن العشرين" : (13/11) ؛ "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب" لمحمد العمروسي المطوي : (ص :29) ؛ "الغزو الفكري والعالم الإسلامي " للدكتور على عبد الحليم محمود : (ص : 19).

(72) ممن سمّاهم بذلك **ابن القيم** في "إغاثة اللّهفان " (2 / 405).

(73) ممن سمّاهم بذلك **ابن القيم** في "تحفة المودود " (ص : 308).

(74) دأب **ابن القيم** على تسميتهم بهذا الاسم في كثير من كتبه . انظر على سبيل المثال : "هداية الحيارى"

(ص : 8 ، 15 ، 20 ، 32، 34 ، 35 ، 86، 110، 111، 115، 139، 145، 148، 155، 156، 159، 161، 162، 166)

التبكيت لهم ولا تمُتّ إلى تلك الحملات أو المشابهة لها بصلة.

رابعا/ الناصريّون[75] Nazarenes

هذه التسمية نسبة إلى مدينة "الناصرة" بفلسطين ينسب إليها عيسى عليه السلام وأتباعه فسمي بـ"الناصري"، وهم بـ"الناصريين"[76] وهو أشهر وصف أطلق على عيسى وأتباعه في العهد الجديد، أطلقوه على أنفسهم، كما أطلقه عليهم غيرهم من الموافقين لهم والمخالفين[77]

ولا يُدرى تحديدا متى أُطلقت عليهم هذه التسمية ؛ لأن الأناجيل التي جاء فيها ذكرها لم تكتب إلا بعد فترة طويلة من محاولة صلب المسيح عليه السلام ، وعليه فإن تلك النصوص من العهد الجديد إنما تدل على وجود التسمية وقِدمها ، لا على مبدئها ومصدرها الأ ول[78]

خامسا:المسيحيون Christians

هذه التسمية كما هو واضح نسبة إلى المسيح عيسى عليه السلام وهي التسمية التي اشتهر بها النصارى فيما بعد وهي التسمية المفضّلة بالنسبة لهم عندهم بل هي التي يرتضونها، ويرفضون التسمّي بغيرها؛ لارتباط ها بعقائدهم الفاسدة في المسيح عليه السلام كما سيأتي. وإن كان قد روي بأنها تعني شتما لهم وتحقيرا في أول الأمر[79]

وقد بذل النصارى جهدا كبيراً منذ القدم حتى أصبحت هذه التسمية هي التسمية السائدة لهم في جميع اللغات خاصة اللغة الإنجليزية ،

؛ "إغاثة اللهفان" (291/2 ، 292 ، 298، 320) ؛ "الصواعق المرسلة" (328/1) ؛ "تحفة المودود" (ص : 168، 169، 186، 187) ؛ "إعلام الموقعين" (331/3) ؛ "مدارج السالكين" (228/3) ؛ "الجواب الكافي " (134/1) ؛ "الروح " (ص : 266).

[75] سبق معنا في التعريف اللغوي لكلمة "النصارى" أنها نسبة إلى مدينة "الناصرة" على أحد القولين ، ولعل لفظة "الناصريين" هذه هي التي انقلبت فيما بعد إلى "النصارى" لكن متى وكيف؟؟ الله أعلم.

[76] انظر :" Good News Bible" (Index, pg : 347) ؛ "النصرانية والتنصير" (ص :14).

[77] للإطلاع على الإطلاقات المختلفة لهذا اللقب في العهد الجديد اقرأ في "إنجيل متّى" (2:23) ، (2: 71). و "إنجيل لوقا" (4:34) ، (18: 38) ، (24 : 19) و "إنجيل مرقص" (14 : 67) و "إنجيل يوحنا " (18 : 5، 7) و "سفر أعمال الرسل " (24 : 5).

[78] للتوسع في هذه الجزئية وفي الجزئيات التي قبلها وفي إمكانية كون "النصارى" أصلها "الناصريون " انظر : "كتاب النصرانية والتنصير " (ص : 11 - 20).

[79] انظر : "قاموس الكتاب المقدس" : (ص : 889) ؛ "الكنز الجليل" (156/4).

حتى لا تجد مقابل"النصرانية فيها" إلا "المسيحية" فقط Christianity واسترسال الشفاه والأقلام بها لم يقتصر على النصارى فقط ، بل أغلب من يكتب من المعاصرين المسلمين تأثر بذلك أيضا فيسمي و يكتب لفظ "المسيحية" بدلا من "النصرانية" والمسيحيين" بدلا من "النصارى" بقصد وبغير قصد[80]

جاءت تسمية النصارى بهذا الاسم في الكتاب المقدس، وأطلق عليهم لأول مرة في "أنطاكية"[81] Antioch كما جاء في سفر أعمال الرسل "ثم خرج برنابا[82] إلى طرسوس[83] ليطلب شاؤول[84]، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية ، فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعا غفيرا ، ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أو لا"[85]

قال صاحب الكنز الجليل في التعليق على النص المذكور : "هذا هو الأمر الثالث وهو أن في ذلك الزمان وذلك المكان لقِب أتباع يسوع بلقب جديد"[86]

وأمّا عن تاريخ تلقيبهم به فزعم كتبة "قاموس الكتاب المقدس" أنّه

---

(80) قلت بقصد وبغير قصد لأن من الباحثين من يدعو إلى تسميتهم "بالمسيحيين" بدلا من "النصارى" مثل بسّام في كتابه "الحوار الإسلامي المسيحي" (ص : 28). بشبهة أنّ لفظ "النصارى" إنما يطلق على المؤمنين الصادقين منهم فقط ، وقد تم بيان مجانبة هذا القول للصواب في المتن. ومنهم من أنكرها لكن بسبب التعود زل بها قلمه في عدة أماكن من نفس الكتاب الذي أنكر فيه إطلاقها عليهم. مثل أحمد محمد زايد في كتابه : "حقيقة العلا قة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي " : (ص : 57).

(81) بالفتح ثم السكون والياء مخففة. مدينة جنوب تركيا حاليا على نهر العاصي عند سفح جبل سيلبيوس. انظر: "معجم البلدان" (266/1)؛ "الموسوعة العربية الميسرة و الموسعة " (1 / 726).

(82) اسم آرامي معناه "ابن الواعظ" اسمه الأصلي "يوسف" وسمي برنابا لنشاطه واجتهاده في نشر النصرانية وهو من النصارى الأوئل ينسب إليه إنجيل باسمه "إنجيل برنابا" لكن غير معترف به عند جميع الكنائس. انظر: "قاموس الكتاب المقدس: (ص: 271).

(83) بفتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة بوزن قرموس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر: "معجم البلدان" (28/4)؛ "الموسوعة العربية الميسرة والموسعة " (5 / 2334).

(84) هو بولس شاؤول اليهودي أكبر مؤثر في الديانة النصرانية وأول من بذر بذرة تأليه المسيح. تنسب إليه (14) رسالة في العهد الجديد، واشتهر بلقب الرسولية أكثر من غيره . انظر : "قاموس الكتاب المقدس " (ص : 195-199).

(85) "سفر أعمال الرسل " (25 : 11-26).

(86) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل " : (4 / 156).

حوالي سنة (42)م[87]

وادعى صاحب الكنز الجليل أن ذلك كان "في نحو السنة العاشرة للصلب"[88] لكن هذا كله غير مسلم خاصة إذا عرفت أن أول صدور لتسميتهم بهذا الاسم كان في "سفر أعمال الرسل" كما سبق. وتاريخ تأليف هذا السفر يعود إلى العام (80)م ، أو قبله أو بعده بعشرة أعوام[89] لكن الأمر الذي يمكن الجزم به هو أنّ هذه التسمية أطلقت عليهم بعد تأثر النصرانية وأتباعها بأفكار بولس وتحريفاته خاصة فيما يتعلق بالمسيح عليه السلام.

وأمّا عن مصدر هذا اللقب ففيه ثلاثة أقوال:

الأول : أن مصدره الوحي

الثاني : أن مصدره الرومان

الثالث : أن مصدره بولس شاؤول اليهودي[90]

قال صاحب الكنز الجليل وهو الذي أورد القول الأول والثاني : "ولم يذكر الكتاب من لقبهم به لكن المقام يقتضي أن غيرهم دعاهم به لأ تهم هم كانوا يدعون بعضهم بعضا اخوة وتلاميذ، ويبعد عن الظن أن اليهود سموهم بذلك لأنه فيه تسليما بأن يسوع الناصري هو المسيح".

"وذهب بعضهم إلى أنهم لقبوا به بالوحي بدليل أن الكلمة التي ترجمت هنا بلفظة "دُعي" في الأصل اليوناني عين الكلمة التي ترجمت بلفظة "أوحي" في مت 2: 12".

"وذهب آخرون إلى أن المسمين رومانيون بدليل أن صيغة الكلمة

---

(87) "قاموس الكتاب المقدس" (ص : 889).

(88) "الكنز الجليل في تفسير الإنجيل" (4 / 157).

(89) انظر : "المعتقدات الدينية لدى الغرب" للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن : (ص : 282).

(90) هذا القول الأخير وذهب إليه د/ محمد عثمان صالح في كتابه "النصرانية والتنصير" معتمدا في ذلك على النص السابق الوارد في "سفر أعمال الرسل" إلا ّ أن في النص الذي أورده كلمة (دعا) مبنية للمعلوم بدلا من صيغة (دُعي) المبنية للمجهول واستند إلى ذلك بأن مصدر هذه التسمية هو بولس وقوّى ذلك بأن هذه التسمية موافقة لأفكاره وعقائده الفاسدة وبدعه المحدثة التي أدخلها في النصرانية . إلا أنني راجعت هذا النص في أكثر من عشر نسخ من نسخ الكتاب المقدس ووجدت هذه العبارة في جميعها مبنية للمجهول (دُعي) فلعله حصل على نسخة فيها لفظ (دعا) مبنيا للمعلوم بدلا من تلك ، أو تصحّفت عليه العبارة . والله أعلم.

xplotlavol (أي مسيحيين) رومانية الأصل أي لاتينية"[91]
والراجح والله أعلم أن أول من دعاهم بذلك بولس بلسان الحال ، و الرومان بلسان المقال. ذلك لأنهم يقصدون بهذه النسبة أنهم عبّاد المسيح وأتباعه[92] وأول من دعا النصارى إلى عبادة المسيح والغلو فيه هو بولس لذلك كان بعض نصارى الشرق المخالفين لتعاليمه احتفظوا باسمهم القديم "الناصريون" حتى القرن الرابع الميلادي[93] ثم لما لاحظ الرومان ما عليه النصارى من عبادة المسيح وتقديسه نادوهم بهذا الاسم.
ويشم هذا من كلام صاحب الكنز الجليل أيضا حيث يقول: "ولعل علة تلقيب الرومانيين لأتباع المسيح بالمسيحيين كثرة ذكرهم للمسيح الذي هو موضع تبشيرهم وكان ينادون به نبيا وكاهنا وملكا واتكلوا على موته لنوال التبرير، وعلى اسمه لقبول صلواتهم، وكان هو محور تسبيحهم في أغانيهم الروحية ، واتخذوا كلامه شريعة لهم، وسيرته مثالا لحياتهم، وانتظروا مجيئه إلى الأرض ديانا للعالم، وحفظوا يوم قيامته، وقدّسوه، ودعوه يوم الرب واعتمدوا باسمه، وذكروا موته بسر العشاء الرباني"[94] اهـ.
وهذا الكلام على ما فيه من الادعاءات والتمويهات كثير منه يدل على ما ذكرنا.
ثم إن ثقافة منطقة اليونان والرومان الوثنية التي بذل بولس جهداً غير قليل في التكريز فيها تقبل أن تنسب عظائم الأمور إلى الأبطال الذين يقومون بأعمال خارقة أو يقدمون تضحيات جسيمة ، فكان طبيعيا أن يجد هذا اللقب رواجا هناك لما فيه من شرف الانتماء إلى المسيح "البطل" بدل النسبة إلى قرية صغيرة هي الناصرة، أو حواريين معدودين "قالوا إنا نصارى"[95]
أمّا القول بأن مصدره الوحي فقول لا ينهض لذلك حتى المؤلف الذي حكاه ضرب عنه صفحا فإن المسألة أكبر من أن تثبت بمثل

---

(91) "الكنز الجليل" : (4/157).
(92) انظر : "موسوعة السياسة" (182/6) ؛ "الموسوعة الفلسفية العربية" : (1230/2، 1248، 1272) . نقلا من "الحوار الإسلامي المسيحي" (ص : 28). وانظر أيضا : "الموسوعة الميسرة" (1156/2) ؛ "دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية" للدكتور سعود الخلف . (ص : 121).
(93) انظر : "النصرانية والتنصير" : (ص : 26).
(94) "الكنز الجليل" : (4/157).
(95) انظر : "النصرانية والتنصير" : (ص : 26)

تلك الاحتمالات الساذجة ، ثم نحن المسلمين لا نسلم بالوحي إلى أحد إلا الأنبياء وهذا الوحي الذي يدعيه لا شك أنّه على فرض نزوله فرضا ممتنعا فإن الوحي بما يؤيد الكفر والشرك والوثنية واقتلاع رسالة المسيح عليه السلام من جذورها لا يمكن أن ينزل من الله سبحانه، اللهم إلا ّ إذا كان الوحي من الشيطان ولا أخال هذا الوحي – إن ثبت إلا منه – نسأل الله السلامة والعافية.

هل تنبغي تسمية النصارى بالمسيحيين؟

بعد هذا العرض الموجز عن مصطلح "المسيحية" أو "المسيحيين" ينبغي أن نتساءل هل تنبغي تسمية النصارى بـ"المسيحيين"؟

الجواب ببساطة شديدة هو أنه لا تنبغي تسمية "النصارى" بـ"المسيحيين" ولا ديانتهم بـ "المسيحية" - بل قد لا تجوز أحيانا - لعدة أمور منها :

1. أن هناك فرقا كبيرا جذريا بين اللفظتين من ناحية الأصل و المعنى والغرض بل لا يلتقيان بهذا الاعتبار بوجه من الوجوه أمّا ناحية الإطلاق فهذا شيء آخر[96]
2. الأصل العام الذي يأمر بمخالفة اليهود والنصارى المستفاد من نصوص الشرع[97] ولا شك أن في تسميتهم بذلك مواءمة لهم لا مخالفة فيكون قد ضيّع مقصد من مقاصد الشرع بهذا الاعتبار.
3. أن ّ الأصل في الإطلاق استخدام الألفاظ الشرعية التي وردت في الكتاب والسنة، وهذه التسمية لم ترد في الكتاب ولا في السنة بل ولا في دواوين علماء المسلمين ومؤلفاتهم "ويستطيع الباحث أن يقول من غير تردد إن مفردات المؤلفين المسلمين كانت حتى مطلع العصر الحديث لا تعرف كلمة "مسيحية" ولا كلمة "مسيحيين" سواء أ كان ذلك في كتب التاريخ أم العقائد أو كتب الملل والنحل أو الفرق أو الأديان أو غير ذلك من العلوم وإنما غلب النصارى المسلمين في العصر الحديث ، وبالتحديد بعد الخضوع للاستعمار في تثبيت مصطلح "مسيحية" في أذهان المسلمين بدلا من نصرانية ، وفي تثبيت مصطلح "مسيحيين" بد لا من نصارى"[98] اهـ بقصد إيقاعهم في القول بعقائدهم الفاسدة في المسيح عليه السلام[99]
4. أن في تسميتهم بذلك مساعدة لهم على تمويههم وتدليسهم على الناس وإعانتهم على كذبهم وافترائهم على المسيح عليه السلام؛ حيث يدعون أن النصرانية الحالية مستقاة من دعوته

---

(96) انظر : "المصدر السابق"

(97) انظر: "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام ابن تيمية: (1 / 83 - 80).

(98) "النصرانية والتنصير" : (ص : 24). وانظر أيضا : "معجم المناهي اللفظية" للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص : 93).

(99) "المصدر السابق".

وتعليماته[100]

5. أن في ذلك تكذيبا للواقع، وإقرارا لهم على كفرهم وشركهم إن كانوا يقصدون أنهم عبّاد المسيح عليه السلام أو عِبَاده، ومدحهم بما ليس فيهم إن كانوا يقصدون أنهم أتباعه .

ولهذه المحظورات وغيرها نبّه كثير من العلماء والباحثين على أنه لا ينبغي استعمال "المسيحية" مكان "النصرانية" ولا "المسيحيين" مكان "النصارى"[101]

يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله [102]:

"معنى مسيحي نسبة إلى المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وهم يزعمون أنهم ينتسبون إليه وهو بريء منهم، وقد كذبوا ، فإنه لم يقل لهم إنه ابن الله ولكن قال عبد الله ورسوله ، فالأولى أن يقال لهم نصارى كما سمّاهم الله سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ الآية[103]

ولذلك ينبغي أن يقتصر في تسميتهم على ما ورد فيقال لهم "نصارى" . وكذلك يقال لهم "أهل الكتاب" أو "أهل الإنجيل" خاصة في مقام دعوتهم إلى الإسلام.

ولا بأس أن يُسمّوا بـ"الصليبيين" وخاصة في مقام التنفير وبيان سوء قصدهم تجاه الإسلام والمسلمين، و بـ"الأمّة الصليبية" و "عبّاد الصليب" و "أهل الصليب" و "المثَلّثة" و "أمّة الضلال" في

---

[100] انظر على سبيل المثال تعريف "المسيحية" في "Catholic Encyclopedia – New advent" و في "World Book Encyclopedia" مادة : "Christianity"

[101] منهم:

1. سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله كما في المتن ،
2. فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين "الموسوعة الميسرة" : (1157/2)
3. فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين "فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام" (ص :41-42) .
4. الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود "معجم المناهي اللفظية" (ص : 93) .
5. الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد "المصدر السابق"
6. الدكتور محمد عثمان صالح "النصرانية والتنصير" : (ص : 56).
7. الدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف "دراسات في الأديان" (ص : 121)
8. أحمد محمد زايد "حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى" (ص :57)

"الموسوعة الميسرة" (1156/2) .

[102] "مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (5/ 416) .

[103] "سورة البقرة" (آية : 113) ."مجموع فتاوى ومقالات متنوعة" (5/ 416) .

مقام رد عدوانهم واعتداءاتهم وجراءاتهم تجاه الإسلام والمسلمين؛ لأن هذه التسميات منفرِّة لهم عند المسلمين على الأقل.
أمّا "الناصريون" فلا يُسمّون به الآن بل لا تكاد تجده إلا في الكتاب المقدس والمعاجم، والكتب العتيقة والبحوث المتخصصة؛ فلو أطلق عليهم الآن لعله لا يتبين المقصود مباشرة لذلك الاعراض عنه أولى.
وأمّا "المسيحيون" فينبغي ألا يستعمل إلا عند الحاجة كالذي يكتب باللغة الإنجليزية فإنه لا يجد كلمة أخرى تقوم مقامها ويفهم الناس مقصوده منها إلا هي فيستعملها ولا حرج. والله أعلم.
***ـــــــــــــــــــــــــــــــــ

المبحث الثاني:

نبذة عن تاريخ النصرانية

النصرانية واحدة من إحدى الأديان الكبرى في العالم بل إنها أكبر الأ ديان أتباعاً على الإطلاق وهي في الأصل ديانة سماوية أرسل بها الله نبيه عيسى عليه السلام رسولا إلى بني إسرائيل خاصة، ثم بدأت بالإنحراف شيئا فشيئا إلى الشرك والوثنية.
الدائنون بالنصرانية يسمون النصارى، وكتابهم الإنجيل.
وفي الأسطر التالية نبذة يسيرة عن هذه الديانة على ضوء ما جاء في القرآن الكريم
فلنبدأ بنبيها ومن جاء بها ألا وهو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.
كانت مريم ابنة عمران رضي الله عنها هي أم عيسى عليه السلام، وكانت مريم امرأة صالحة فاضلة تقية من بيت صلاح وتقوى، فقد كانت من آل عمران تلك الأسرة المصطفاة بنص القرآن الكريم.
توفي أبو مريم عليها السلام وهي لا تزال في بطن أمها حملا، وكانت أمها تظن أن في حملها ذكرا فنذرته لخدمة بيت الله فقالت ·{رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم}·.
·{فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى. وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفّلها زكريا}·.
·{كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا. قال يا مريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب}·.
وهكذا نشأت مريم عليها السلام عابدة زاهدة خادمة لبيت الله متقلبة في كلأ الله ورعايته، وبينما هي كذلك إذ جائتها الملائكة وقالت لها: ·{يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين}·.
ثم في يوم من الأيام أرسل الله إليها روحه ·{فتمثل لها بشراً سوياً}·.
·{قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا}·.
·{قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا}·.
·{قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا}·.
·{قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا

وكان أمراً مقضيا}.
{فحملته فانتبذت به مكاناً قصيا}.
{فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا}.
ظفناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا}.
{وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً}.
{فكلي واشربي وقرّي عينا}.
{فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلِم اليوم إنسياً}.
{فأتت به قومها تحمله}.
{قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا}.
{يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا}.
{فأشارت إليه}.
{قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا}؟
{قال إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا، وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا، وبرًا بوالدتي ولم يجعلني جبّارا شقيا، والسلام علي ّ يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيا}.
{ذلك عيسى ابن مريم} الذي بعثه الله سبحانه وتعالى إلى بني إسرائيل رسولا نبيا، وأيّده بآيات باهرات دالات على صدق رسالته، وصحة نبوته، فقال لهم إني {قد جئتكم بآية من ربكم. أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وأبرأ ا لأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون، إن الله ربي وربكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم}.
هكذا مكث عيسى عليه السلام في بني إسرائيل يدعوهم إلى الله وتظهر على يديه آيات صدقه وبراهين نبوته وبقي على هذه الحال ما شاء الله، ولكن قومه اليهود عتوا وبغوا ورموه بالعظائم.
{فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله}.
{قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين}.

هكذا لم يؤمن بعيسى عليه السلام إلا القليل، وأما الكثرة الكاثرة فكفروا بل وخبّئوا له شراً، وخططوا للتخلص منه، وقد كانوا من قبل مجرمين فسقة، كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبروا ففريقا كذّبوا وفريقا يقتلون.
وهكذا أرادوا قتل نبي الله عيسى عليه السلام، ومكروا ومكر الله و الله خير الماكرين.
فأوحى الله إلى عيسى أني ·{متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة }·.
فلما جاء الجنود للقبض عليه وقتله شُبّه لهم فأخذوا الشبيه وقتلوه وصلبوه ظانين أنه المسيح عليه السلام. فقالوا إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم الذي يدعي أنه رسول الله. ·{وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وما قتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما}·.
وما إن رفع المسيح عليه السلام حتى بدأ الانحراف يدب إلى النصرانية، فدخل فيه بولس شاؤول اليهودي-الذي كان في أول الأ مر يضطهد النصارى اضطهاداً عظيما- وقد لعب دوراً هاماً في الا نحراف بهذه الديانة، وكتب في ذلك عدة كتب ورسائل كانت فيما بعد جزءاً لا يتجزء من العهد الجديد، وقد اتبعه كثير من النصارى على ذلك.
وهكذا بدأوا يتبعون ·{أهواء قوم قد ضلوا من قبل، وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل}·.
فغلوا في المسيح عليه السلام حتى قال فيه بعضهم إنه الله، وقال بعضهم بل هو ابن الله، وقال آخرون بل هو ثالث ثلاثة.
كما غلوا في كبرائهم وعظمائهم حتى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله.
أصبح النصارى في تلك المعمعة من الضلال، لكن مع ذلك بقيت فئة قليلة على الدين الحق الذي جاء به عيسى عليه السلام[104].
ويفهم من محاولة الجنود لقتل عيسى عليه السلام أنه هو وقومه كانوا مضطهدين. وهو كذلك.

---

[104] إلى هنا انتهى ما أردت الاستضاء به من القرآن الكريم في تاريخ النصارى.

فقد أذيق النصارى من قبل أعدائهم من اليهود والرومان صنوفا من العذاب تقشعر الجلود من ذكرها، وتفننوا في قتلهم وإبادتهم حتى كانوا يصنعون منهم مشاعل بشرية وهم أحياء.
وقد راح ضحية تلك المجازر كثير من أكابر النصارى بل حتى تلاميذ المسيح قيل ذبح وصلب منهم الكثير.
وفي تلك الظروف الصعبة فُقد إنجيل عيسى عليه السلام، وتم تأليف عدة أناجيل منها الأناجيل الأربعة الموجودة الآن.
وبقي النصارى على تلك الحال إلى أن جاء قسطنطين، فأشفق عليهم ، وقال إنه دائن بديانتهم، ثم دعى بمجمع مسكوني لمناقشة عقائد النصارى وفرض ما يقرره المجمع.
فقرروا عقيدة تأليه المسيح والعياذ بالله. ومن تلك الفترة أصبح تأليه المسيح هو العقيدة الرسمية للنصرانية وإلى يومنا هذا[105].
وهكذا بمرور الأيام والليالي استحكم الانحراف في النصرانية، ثم أخذ في التوسع والاشتعال حتى عم الديانة برمتها لعوامل كثيرة يأتي ذكرها فيما بعد.
وفي الآونة الأخيرة تحالف النصارى مع قوات "الاستعمار" فنشروا النصرانية في كل مكان في أنحاء العالم وخاصة في آسيا وإفريقيا.
كما تحالفوا مرة أخرى مع قوى الشر من الصهاينة والملاحدة والكفرة بأنواعهم وأشكالهم للقضاء على الإسلام والمسلمين، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.
هذه نبذة يسيرة وصورة مجملة عن النصرانية. وفي خلال المباحث الآتية يتم تناول أجزاء منها بشيء من التفصيل.

***

---

[105] انظر: "محاضرات في النصرانية": (ص: 28)؛ "المسيحية" لأحمد شلبي: (ص: 81-86).

المبحث الثالث:

مصادر النصرانية

المقصود بـ"مصادر النصرانية" تلك المراجع المباشرة التي يستقي منها النصارى تعليماتهم ويستمدون منها عقائدهم وتشريعاتهم وهذه المصادر أربعة هي :

العهد القديم Old Testment والعهد الجديد New Testment والمجامع النصرانية Chiristian Councils والبابوات Popes (وهذا الأخير خاص بـ النصارى الكاثوليك) ويسمى العهد القديم مع العهد الجديد (بالكتاب المقدّس) The Holy Bible لذلك بعض الباحثين يقول مصادر النصارى ثلا ثة أولها الكتاب المقدس إلخ.

وفي خلال الأسطر التالية أُعرّف بهذه المصادر بشيء من الإجمال

أولا: العهد القديم Old Testment

المراد بكلمة "العهد" في هذه التسمية ما يرادف معنى الميثاق[106] والعهد القديم تسمية علمية أ ُطلقت على مجموعة من اختيارات من المؤلفات والأسفار التي تقدسها اليهود والنصارى[107]وهو الجزء ا لأوّل من جزئي كتاب النصارى المقدس كما سبق ، ويمثل ثلاثة أرباع الكتاب تقريبا.

يتألف العهد القديم من تسعة وثلاثين سفرا[108] مقدّسا عند الكنيسة البروتستننتية Protestent وتزيد الكنيسة الكاثوليكية Romon Cacholic churchسبعة أسفار هي: طوبيا Tobit ، ويهوديت Judith ، والحكمة The Wisdom ويشوع بن سيراخ Jesus the son of Sirach ، وباروك Baruch ، و المكابين الأول First Maccabees ، والمكابين الثاني Second Maccabees لتصبح الأسفار المقدسة عندهم ستة وأربعين سفراً ، لكن البروتستانت يرون أن هذه الأسفار غير مقدسة، بل هي دخيلة على العهد القديم لذلك يسمونها "أبوكريفا" Apocrypha أي الأسفار المنحولة أو المكذوبة أو المحذوفة

---

(106) انظر "قاموس الكتاب المقدس" (ص : 643) ؛ "الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإ سلام" (ص :3 ، 13)

(107) انظر : "المعتقدات الدينية لدى الغرب" (ص : 103 ، 240) ؛ "اليهودية" لأحمد شلبي : (ص : 283)؛ "المسيحية" لأحمد شلبي (ص : 204).

(108) "انظر "قاموس الكتاب المقدّس" : (ص : 644) ؛ "اليهودية": (ص : 238) ؛ "الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام" لعبد الواحد وافي : (ص : 13) ؛ "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" للواء الركن أحمد عبد الوهاب : (ص : 13).

وأهم أسفار العهد القديم على الإطلاق خمسة هي : سفر التكوين Genesis، وسفر الخروج Exodus ، وسفر اللاويين Leviticus ، وسفر العدد Numbers، وسفر التثنية Deuteronomy وهذه الأسفار الخمسة هي التي تسمّى عند اليهود بـ"التورة"[109] ويسمونها أيضا بـ"الناموس ، وبـ"أسفار موسى الخمسة"[110]

"وينظر اليهود - ومعهم النصارى – إلى العهد القديم لا على أنّه كتاب فيه كلام عن اللّه، بل على أنّه كلام اللّه ، وأن اللّه هو المؤلف الحقيقي الذي إمّا:

1. خطّه بنفسه كما في حالات الكلمات العشر
2. أو خطه الأنبياء بدءا من موسى وانتهاء بـ : حجاي وزكريا وملاخي بوحي النبوة كما في حالة (التوراة وكتب الأنبياء).
3. أو خطه أناس ملهمون كانوا كأحجار شطرنج في يد الروح القدس. كما في حالة (بقية الأسفار).

إلا أنه – وذلك هو الأهم – كتاب غير قابل للمساس ؛ إذ حتى

---

(109) إلا أن لفظ "التوراة" قد يطلق ويراد به جميع أسفار العهد القديم ، بل وعلى ما هو أعم من ذلك وكذلك ألفاظ "الإنجيل" و "والقرآن" و"الزبور" قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه : "ولفظ التوراة والإنجيل والقرآن والزبور قد يراد به الكتب المعينة ، ويراد به الجنس" واستشهد على ذلك بالحديث والأثر وبعض نصوص الكتاب المقدس. انظر "الجواب الصحيح" : (156/5) وعند **ابن القيم** رحمه اللّه مثله "هداية الحيارى" : (ص : 369). وانظر أيضا : "تفسير **ابن كثير**" و"اليهودية" (ص : 238).

والقول بأن التوراة تطلق أحيانا ويراد بها جنس الكتاب مفيد جدا في الرد على النصارى ، فإن اللّه تعالى بين في القرآن الكريم أن نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم مبشر به في التوراة والإنجيل كما في قوله تعالى:﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل﴾ "سورة الأعراف"(آية157) وجاء مثل ذلك أيضا في حديث عبد اللّه بن عمرو رضى اللّه عنه لما قيل له : أخبرنا ببعض صفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في التوراة؟ فقال : "إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن" الحديث. رواه البخاري في عدة مواضع منها "كتاب التفسير" "باب تفسير قوله تعالى: ﴿إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ "سورة الفتح": (آية: 8). فعلى القول بأن التوراة تطلق ويراد بها اسم جنس يكون النبي صلى اللّه عليه وسلم مبشرا به في تلك الكتب كلها ، **وهذا يدل على أمرين** : **الأمر الأول**: كثرة تلك البشارات ووجودها في جميع تلك الكتب ، **والأمر الثاني** الحث على السعي في التنقيب على تلك البشارات في تلك الكتب ، وهذا مما يكثّر من أدلة نبوته ، وصدق رسالته صلى اللّه عليه وسلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب ، فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعت أمته في تلك الكتب" إلخ "الجواب الصحيح" : (241/5).

(110) انظر : "السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم" للقس وليم بارش" ؛ "قاموس الكتاب المقدس" : (ص : 978). "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" (ص : 14) ؛ "اليهودية" : (ص : 238).

حروفه ونقاطه وعلامات ترقيمه ، وحي وإلهام"[111] "وهو لدى مفكري اليهود – الذين نشأوا في حضن العلوم الإسلامية – دليل على الوحي والنبوة ، يقول سعديا الفيومي :- "إن كتابنا المقدس بما يتضمنه من : حقائق وبراهين عقلية) ومصادر للمعرفة ، لهو دليل على الوحي النبوي. ذلك المؤيد ليس فقط بالأدلة العقلية ، بل بأدلة من المعجزات المرئية)" [112]

ثانيا/العهد الجديد New Testment

مرّ بنا آنفا أن المقصود "بالعهد" الميثاق . والجديد ضد القديم . و العهد الجديد تسمية علمية لـ"الأسفار المسيحية التي قبلتها الكنائس المختلفة بدرجات متفاوتة على مدى قرون عديدة من الجدل والاختلاف"[113]

ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين سفرا مقسّمة إلى ثلاثة أقسام :

---

[111] نقلا من "المعتقدات الدينية لدى الغرب" (ص :105). وانظر المصدر الأصل هناك.

[112] "المصدر السابق"

[113] "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" : (ص : 14).

القسم الأول : الأسفار التاريخية وهي خمسة أسفار : الأناجيل[114] الأربعة؛

إنجيل متىّ Gospel according to Matthew

و"إنجيل مرقس" Gospel according to Mark

و"إنجيل لوقا" Gospel according to Luke

و"إنجيل يوحنا" Gospel according to John

و"سفر أعمال الرسل"[115] Acts of the Apostels

وهذه الأناجيل نسبت إلى أناس يُزعم أنهم كاتبوها، ويدعى أن اثنين منهم – متى ويوحنا – من تلاميذ المسيح عليه السلام Disciples

أما سفر أعمال الرسل فينسب إلى لوقا صاحب الإنجيل الرابع الذي

---

[114] الأناجيل : جمع إنجيل وقد اختلف في عربية الكلمة وعجميتها لكن الأكثر على أنها أعجمية يونانية (Evangelion) ومعناها في هذه اللغة : الحلوان ؛ وهو ما تعطيه من أتاك ببشرى ثمّ أريد بالكلمة البشرى عينها . أمّا المسيح عليه السلام فقد استعملها حسب الكتب التي بأيديهم بمعنى (بشرى الخلاص) التي حملها إلى البشر ، واستعملها من يقال إنهم تلاميذه بالمعنى نفسه وربما استعملوها أيضا بمعنى ملخص تعليم المسيح لأن فيه الخلاص ، أو سيرة حياته وموته كما يزعمون لأن في هذه السيرة معنى الخلاص أيضا وما لبثت هذه الكلمة أن استعملت بمعنى الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى ، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم. انظر : "يسوع المسيح" للأب بولس إلياس (ص : 14) نقلا عن "المسيحية"لأحمد شلبي (201ـ 202).

[115] المقصود بالرسل هنا تلاميذ المسيح الإثنا عشر – وهم المقصودون غالبا إذا أطلق – وهم : كما قال متى

(2-4/10) وانظر أيضا "قاموس الكتاب المقدس : "403).

1. سِمعان Simon الذي يقال له بطرس Peter
2. أندراوس Andrew
3. يعقوب بن زبدي James son of Zebede
4. يوحنا بن زبدي John son of Zebede
5. فيلبس Philip
6. برثولماوس Bartholomew
7. توما Thomas
8. متّى العشار Matthew the tax collector
9. يعقوب بن حلفي James son of Alphaeus
10. لبّاوس Lebbaeus الملقب تداوس Thaddaeus ويسمى أيضا يهوذا بن حلفي Judas of son Alphaeus
11. سمعان القانوي Simon the Patriot
12. يهوذا الإسخريوطي Judas the Iscariot

ثمّ انضم إليهم بعدُ الرسولُ بولس ، واشتهر بلقب الرسولية أكثر من غيره ، حتى إنهم إذا أطلقوا كلمة "الرسول" أول من تنصرف إليه هو .

لم يكن من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ تلاميذه.
سُمِّيت هذه الأسفار الخمسة بالأسفار التاريخية لأنها تحوي قصصا تاريخية؛ فالأناجيل -وهي أهم أسفار العهد الجديد على الإطلاق- تحوي قصة حياة عيسى عليه السلام وتاريخه وعظاته ومعجزاته، و بعض أخباره من وقت الحمل به إلى حين رفعه. فهي بهذا تشتمل على أهم عقائد النصارى التي تأوي إليها ديانتهم[116] إلا أن الأناجيل الثلاثة الأولى متشابهة ومتقاربة إلى درجة كبيرة، حتى سميت بالأ ناجيل السينوبتية Synoptic Bibles أي الأناجيل المتشابهة أما الإنجيل الرابع فيخالفها في أمور جوهرية من أهمها التصريح بدعوى ألوهية المسيح عليه السلام ؛ فإن إنجيل يوحنا يعتبر الإنجيل الوحيد الذي صرّح بهذه العقيدة الفاسدة.
أما سفر أعمال الرسل فيحوي قصة معلمي النصرانية من الحواريين وغيرهم وبخاصة بولس؛ فقد عُني فيه مؤلفه بوجه خاص بتاريخ هذا الرجل الذي لعب دورا هاما في التحريف بـ النصرانية، وسعيه في سبيل نشرها، وما يُدعى ظهوره على يديه من معجزات حتى إن بعضهم ليسميه سفر أعمال بولس. وفي ثنايا ذلك العرض التاريخي يتحدث عن كثير من العقائد والشرائع التي كان ينشرها أولئك "الرسل" بين الناس"[117]

(116) انظر : "محاضرات في النصرانية" : (ص : 37) ؛ "الأسفار المقدسة" : (ص : 86).
(117) انظر : "المسيحية" : (ص : 205) ؛ "مصادر النصرانية" : (ص :) ؛ "الأسفار المقدسة" : (ص : 86). وإن أردت التوسع فاقرأ في السفر نفسه.

القسم الثاني : الأسفار التعليمية
وتسمّى أيضا بـ"رسائل الرسل" Epistles of the Apostles وهو: "اسم أطلق على واحد وعشرين سفرا في العهد الجديد ، كتبها الرسل إلى كنائس معينة أو أشخاص معينين، أوالمسيحيين بصفة عامة"[118] وسمِّيت بالرسائل التعليمية لأنها المصدر الناطق بالتعاليم النصرانية ؛ تصويرا للأفكار ، وتحديدا للواجبات والشعائر ، والطقوس . فهي في الحقيقة تشرح النصرانية الحاضرة أكثر من الأناجيل[119] وهذه الرسائل على مجموعتين:
المجموعة الأولى : الرسائل المنسوبة إلى بولس Paul
وعددها أربع عشرة رسالة. أرسل عشرا منها إلى بعض البلاد و الشعوب، والأربع الباقية إلى بعض تلاميذه[120]
وتعرض هذه الرسائل صورة مفصلة لكثير من عقائد النصرانية، وشرائعها، وعبادتها، وأخلاقها، وتوجه قسطا كبيرا من عنايتها إلى توضيح العقيدة النصرانية المحرّفة وتقرير ألوهية المسيح ، وبنوته لله ومبدأ التثليث والعياذ بالله.
المجموعة الثانية : الرسائل الكاثوليكية
وهي الرسائل السبعة الباقية نسبت إلى بعض من يقال إنهم من تلا ميذ المسيح وهم يعقوب James[121] نسبت إليه رسالة واحدة ، وبطرس Peter [122]نسبت إليه رسالتان، ويوحنا John[123](صاحب الإ نجيل) نسبت إليه ثلاث رسائل ويهوذا Judas [124] نسبت إليه رسالة واحدة.
وسمِّيت هذه الرسائل بالكاثوليكية أي العامة أو الجامعة لأنها لم توجّه - كرسائل بولس - إلى جهة معينة ، بل وُجّهت إلى جميع الطوائف النصرانية ، أو إلى مجموعة كبيرة من الكنائس[125] وتتفق

([118]) "قاموس الكتاب المقدس" (ص : 404)
([119]) انظر : "أضواء على المسيحية" لمتولى شلبي : (ص :81- 82)
[120] اقرأ هذه الرسائل في أي نسخة من نسخ الكتاب المقدس .
[121] هو أحد الإثنا عشر يقولون له "أخ الرب" انظر "قاموس الكتاب المقدس" (ص : 1076).
[122] هو سمعان بن يونا رئيس الإثني عشر وأكبرهم . انظر : "قاموس الكتاب المقدس" : (ص : 172-178)
[123] هو يوحنا بن زبدي ، أخو يعقوب بن زبدي وكلاهما من ضمن الإثني عشر . انظر : "قاموس الكتاب المقدس" : (ص : 1108-1113).
([124]) لعله أحد من يسمونهم "إخوة الرب" : "قاموس الكتاب المقدس" (ص : 1091-1092).
([125]) انظر : "المسيح في مصادر العقائد المسيحية" (ص : 17).

هذه الرسائل مع رسائل بولس في الإطار العام إلا رسالة يهوذا فهي مختلفة عنها؛ لأنها تقرر أن الإيمان لا يكفي للنجاة بخلاف رسائل بولس[126]

القسم الثالث : سفر الرؤيا

ويسمّى أيضا "رؤيا يوحنا" The Revelation to John وهي رؤيا منامية رآها يوحنا – صاحب الإنجيل الرابع- أوحي إليه فيها بكثير من من حقائق الديانة النصرانية وأهم ما يشتمل عليه هذا السفر : تقرير ألوهية المسيح ، وبيان أعمال الملائكة في السماء ، وخضوعهم له ، وأنّه مشرف في عليائه على شؤون الكنيسة ومطّلع على جميع أحوالها وأحوال القائمين عليها ، وأنّ الناس مبعوثون يوم القيامة فيعرضون عليه ليحاسبهم ، ويجازيهم بأعمالهم كما تطرّق إلى طائفة من الأحداث التي ستحصل في العالم الإنساني عموما وفي العالم النصراني خصوصا والسفر بإسره مسرود في صورة رمزية مبهمة[127]

ثالثا: المجامع النصرانية The Chiristian Councils

قالوا في تعريفها أنها :"هيئات شورية في الكنيسة تبحث في الأ مور المتعلقة بالديانة النصرانية وأحوال الكنائس"[128]

ويحدثنا كتاب مجموعة الشرع الكنسي عن عمل هذه المجامع ومدى سلطتها ومن الذين وضعوا اللبنة الأولى لها في زعم النصارى مدعيا أن المسيح عليه السلام هو الذي أسس الكنيسة فيقول: "على ان الكنيسة المسيحية شعرت بعد ان اسسها المسيح الفادي الكريم ابن الله الحي على صخرة الإيمان وأثناء جهادها الشاق في القرون ا لأولى بالحاجة الماسة إلى تنظيم وظيفة السلطة الدينية للقضاء في كل خلاف. فاجتمع المجمع الرسولي الاول على اثر مشادة بين فريقين من الرسل والمؤمنين في هل يجب التقيد بفرائض الناموس الموسوي كالختان والامتناع عن أكل بعض انواع من اللحوم وما

---

[126] انظر : "الأسفار المقدسة" : (ص : 118).

[127] انظر : المقدمة عن هذا السفر في "Good News Bible Today's English Version" pg : 306 "الأسفار المقدسة" : (ص : 104) ؛ "محاضرات في النصرانية" : ((ص : 63- 64) ؛ "المسيحية" لأ حمد شلبي (ص : 203) وإذا أردت التوسع فاقرأ في السفر نفسه.

[128] ذكره صاحب كتاب "يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء" (ص : 203) نقلا عن "تاريخ ا لأقباط" لزكي شنودة ، وكتاب "الكنيسة المصرية" لميشيل جرجس كما ذكر د/ سعود الخلف في كتابه "دراسات في الأديان" : (ص : 178).

اشبه او لا يجب؟ فاعلن المجمع الرسولي في اورشليم سلطته وكانت له الكلمة الفاصلة في الحكم كما سجل سفر أعمال الرسل (الفصل15) وعلى هذا المثال جرت الكنيسة واخذت، كلما دعت الحاجة، تعقد المجامع من مكانية ومسكونية. وفي هذه المجامع ثبتت نهائيا عقائد الإيمان القويم ووضعت قوانين عديدة لحفظ النظام في الإدارة الكنسية ولتنظيم العلاقات بين الإبرشيات المتعددة او بين فروع الكنيسة الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية وبين اعضائها من اكليريكيين وعوام"[129] اهـ.

أقسام هذه المجامع:

"وهذه المجامع تنقسم بالنظر إلى عدد أربابها ودرجاتهم وشوكتهم إلى ثلاثة أقسام وهي مجامع عامّة مسكونية[130] ومجامع مليّة أي خاصة بطائفة دون غيرها ، ومجامع إقليمية ، أي خاصة بإقليم مخصوص"[131]

---

(129) "مجموعة الشرع الكنسي" (ص : 1)

(130) قال صاحب كتاب : "مجموعة الشرع الكنسي" (ص : 10). "ان المجمع المسكوني يمكن تحديده هكذا : "انه مجمع حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة كلها" اهـ. ولكن هذا التعريف لا يستقيم إلا قبل انفصال الكنيسة الشرقية . والمقصود بالمسكونة : الأرض.

(131)"كتاب سوسنة سليمان" نقلا من "النصرانية" لأبي زهرة : "ص : 111).

وأهم هذه المجامع (المسكونية) وأخطرها تلك المجامع التي قررت العقيدة النصرانية الحاضرة وهي أربعة مجامع على النحو التالي:
مجمع نيقية عام [325]م.
المجمع القسطنطيني الأول عام [381]م.
مجمع أفسس الأول عام [431]م.
مجمع خليكدونية عام [451]م.
"فأولها قرر ألوهية المسيح، وثانيها قرر ألوهية الروح القدس، وثالثها قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله، لا الإنسان فقط، وأن مريم ولدت الاثنين، ورابعها قرر أن المسيح ذو طبيعتين منفصلتين، لا طبيعة واحدة متحدة، والمجامع الثلاثة الأولى اتفقوا على أنها مجامع عامة تلزم بأحكامها المسيحيين أجمعين، أما المجمع الرابع فهو ليس مجمعا عاماً في نظر المصريين ، والكنائس التي تنهج نهج كنيستهم"[132] [133]

رابعا/ البابوات Popes
البابوات جمع "بابا"[134] وهو لقب كنسي اختص به مؤخ ّر ًا كبير القساوسة الرومانية أي رئيس الكنيسة الكاثوليكية العالمي وخليفة بطرس كبير تلاميذ المسيح وأول من أسس تلك الكنيسة في روما حسب زعمهم[135].
تعتقد النصارى الكاثوليك أن "البابا" معصوم فيما يتعلق بشؤون الدين ، ولكنه غير معصوم فيما يتعلق بشؤون الكنيسة الإدارية .
قررت هذه العصمة المزعومة بشكل رسمي في المجمع الفاتيكاني ا لأول المنعقد فيما بين عامي (1869م) و (1870) وبذلك انتقل حق التشريع إليهم.
والعصمة المدعاة لـ"بابا" جزء من العصمة العامة التي تدعيها كنيسة روما الكاثوليكية لنفسها [136]
ولـ"للبابا" على النصارى الكاثوليك سلطة دينية واسعة تتعلق بـ

---

(132) "النصرانية" لأبي زهرة : "ص : 131).

(133) مثل كنيسة الحبشة ، الأرمينية ، والسريانية الأرثوذكس ؛ فإنهم يعتقدون أن المسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت . المصدر السابق (ص : 127).

(134) لفظة يونانية معناها : الأب "دائرة المعارف القرن العشرين" : (5/5)."النصرانية" لأبي زهرة : "ص : 131).

(135) انظر : "الموسوعة العربية العالمية" (6/4) ؛ "دائرة المعارف القرن العشرين" (5/5).

(136)"المسيحية" لأحمد شلبي ص233).

العقيدة والأخلاق ، والممارسات الدينية وحكومة الكنيسة الإدارية ، وسلطة دنيوية تُعنى بالإدارة المدنية لمدينة "الفاتيكان"[137] بوصفها دولة مستقلة.
وهناك عدة أمور عقدية وتعبدية بدنية ومالية شرعتها وأضافتها البابوات إلى النصرانية[138]

***

[137] الفاتيكان مدينة تقع في تل الفاتيكان شمال غربي روما عاصمة إيطاليا . وهي أصغر دولة مستقلة في العالم إذ لا تتجاوز مساحتها 44,1 هكتار ولا يتجاوز عدد سكانها ألف نسمة ، ويرجع تاريخ استقلالها إلى 1929 بموجب معاهدة بين الكنيسة والحكومة الإ يطالية. انظر : "الموسوعة العربية العالمية" : (7/4).

[138] منها صكوك الغفران وجعل روما ـ مقر البابوية ـ مدينة مقدسة ومن ثم دعوة الناس إلى قصدها بالزيارة أو الحج ، وفرض الضرائب المالية المختلفة ، والاعتراف والحل ، ونظام التّحِلّة. انظر : "مصادر النصرانية" لعبد الرزاق ألارو (ص : 474- 556).لفظة يونانية معناها : الأب "دائرة المعارف القرن العشرين" : (5/5)."النصرانية" لأبي زهرة : "ص : 131).

المبحث الرابع:

عقيدة النصارى

إن عقيدة أي دين من الأديان هي أساسه وقطب رحاه ، وهو دائن لها قوة وضعفا، صحة وفسادا وقبل الخوض في الكلام على عقائد النصارى لابد من شد الانتباهه إلى أن ّ العقيدة التي يدين بها النصارى في هذه الأحقاب مباينة تماما للعقيدة التي جاء بها رائد الديانة ونبيها-ألا وهو عيسى ابن مريم عليه السلام-ولعقيدة النصارى الأولين، وذلك للتحريف الذي وقع، وعليه فلا بد من تسليط الضوء على رسالة المسيح النقية التي جاء بها المسيح عليه السلام والإشارة إلى ما يعتقده النواة الأولى واللبنة الأساس من أهل هذه الديانة منذ انبلاج فجرها فإن ذلك من أكبر ما يعيننا على سبر غور التحريف الذي انطوت عليه النصرانية المعاصرة، وبعد المسافة الذي بينها وبين النصرانية العيسوية الحقة.

وحيث إننا لا نجد مصدرا أوثق ولا أصدق في هذه المسألة وفي كل مسألة من القرآن العظيم، ولأنه أوردها كما يورد غيرها في دقة متناهية محوطة بالشمولية في سبك معجز وجيز فإني سأعتمد عليه في الدرجة الأولى في بيان عقيدة النصارى قبل التحريف وبعده.

والكلام في عقيدة النصارى سيكون من خلال المحورين الآتيين:

المحور الأول: عقيدة النصارى قبل التحريف

المحور الثاني: عقيدة النصارى بعد التحريف

المحور الأول:

عقيدة النصارى قبل التحريف

أولا: عقيدة النصارى في المسيح عليه السلام قبل التحريف

دلت آيات كثيرة من القرآن الكريم على عقيدة النصارى الصحيحة في المسيح عليه السلام قبل التحريف بأنه ليس هو اللّه ولا ابن اللّه ولا ثالث ثلاثة وليس له من الألوهية شيء، بل هو بشر مربوب رسول إلى بني إسرائيل.

وقد تنوعت دلالات آيات القرآن الكريم على هذه المسألة لكن يمكن تصنيفها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى : الآيات الدالة على بشريته عليه السلام .

المجموعة الثانية : الآيات المبطلة لدعوى بنوته لله سبحانه وتعالى.
أما المجموعة الأولى وهي الآيات الدالة على بشريته عليه السلام فعلى قسمين:
القسم الأول : الآيات في ولادته ونسبته إلى مريم عليهما السلام.
القسم الثاني: الآيات في بيان وجوه بشريته.
القسم الأول من المجموعة الأولى:

الآيات في ولادته ونسبته إلى مريم عليهما السلام

أولا: الآيات في ولادته ودلالتها على بشريته:

جاء في بيان الحمل بالمسيح وكيفية ولادته بما لا مزيد عليه في سورة مريم عليها السلام حيث يقول الباري جل ذكره:
{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً.فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً. وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً. فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً. فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِياً فَأَشَارَتْ إِلَيهِ قَالُوا كَيفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا}.[139]
ودلالة هذه الآيات على بشرية عيسى عليه السلام واضحة جدا حيث إن أمه ولدته ولادة الأمهات أبناءهن، وذلك من صفة البشر لا من صفة خالق البشر.

ثانيا: الآيات في نسبته إلى مريم عليهما السلام ودلالتها على بشريته

هناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تنسب المسيح عليه السلام إلى أمه مريم تصرح باسمه وبأنه ابنها أحيانا، وتارة تنسبه إليها دون ذكر اسمه للعلم به، وأخرى تذكر أنها أمه.
هذه ثلاثة أنواع وكل نوع منها يدل على المقصود وهو إثبات

(139) "سورة مريم" : (16 - 29).

بشرية المسيح عليه السلام.
أما النوع الأول: وهي الآيات التي صرحت باسمه، وبأنه ابنها فكثيرة جدا بل جاء ذكر عيسى عليه السلام في القرآن بلفظه (عيسى بن مريم) أو بلقبه (المسيح) دون الضمائر العائدة إليه في خمسة وثلاثين موضعا، ينسب في كلها إليها إلا في اثني عشر موضعا.
كما ورد لفظ مريم عليها السلام فيه بنفس العدد كل مرة يصرح بأنه ابنها وينسب إليها، أو بأنها أمه أو والدته إلا في أحد عشر موضعا[140]
ومن آيات هذا النوع قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية[141] وقوله: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ الآية.[142] وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ الآية.[143]
ومن آيات النوع الثاني: قوله تعالى :﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[144]
ومن آيات النوع الثالث قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ الآية[145]
وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾ الآية[146]
القسم الثاني من المجموعة الأولى:

الآيات في بيان وجوه بشريته عليه السلام .

تنوعت دلالات القرآن الكريم أيضا على بشرية المسيح عليه السلام وبالإمكان حصرها في أربعة أنواع:

---

(140) ويلاحظ أن أغلب الآيات التي وردت بنسبته إلى مريم عليهما السلام كانت في معرض الرد، وأن أغلب الآيات التي لم تنسبه إليها جاءت في معرض في معرض التقرير والإخبار، وأن الآيات التي أهملت ذكر أمومتها له، أو بنوته لها سبع منها قبل الحمل به أو ولادته، والأربع الباقية في معرض الإخبار.
(141) "سورة مريم" : (آية : 34).
(142) "سورة المائدة" : (آية : 17).
(143) "سورة النساء" : (آية : 171).
(144) "سورة الأنبياء" : (آية : 91).
(145) "سورة المائدة" : (آية : 75).
(146) "سورة المائدة" : (آية : 110).

النوع الأول: بيان من هو أعلم أو أولى به من غيره بأنه بشر أو أنه عبد لا معبود.

أولا: بيان الباري جلت قدرته وتقدست أسماؤه بأن المسيح بشر[147] وهو أعلم بالمسيح من نفسه. قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[148] والعبد لا يكون إلا بشرا.

ثانيا: بيان الملائكة بأن المسيح عليه السلام بشر وقد علمته قبل أن يعلم نفسه عليه السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً﴾[149][150] والغلام لا يكون إلا بشرا.

ثالثا:بيان مريم عليها السلام أمه بأنه بشر. قال تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً﴾[151] فسمته غلاماً وهو واضح.

رابعا: بيانه عليه السلام بنفسه بأنه بشر وهو أعلم بنفسه. قال تعالى فيما حكى عنه: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾[152] ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾[153]

ودلالة هذه الآية على المقصود من وجهين:

الوجه الأول: تصريحه بأنه عبد الله والعبد لا يكون إلا بشراً

الوجه الثاني: تصريحه بأنه مولود من والدة والمولود لا يكون إلا بشراً

خامسا: بيان حواريه عليه السلام بأنه بشر. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَينَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[154]

ودلالة هذه الآية على المقصود من وجهين أيضا:

الوجه الأول: نسبتهم له إلى مريم.

الوجه الثاني: اعترافهم بأن له ربا.

سادسا: بيان النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر

---

(147) و جميع الآيات التي تدل على بشرية عيسى عليه السلام تصلح شاهدا لهذا فإن الله تعالى هو الذي أنزلها .

(148) "سورة الزخرف" : (آية : 59).

(149) "سورة مريم" : (آية : 19).

(150) واقرأ أيضا "سورة آل عمران" : (آية : 45).

(151) "سورة آل عمران" : (آية : 47).

(152) "سورة مريم" : (آية : 30).

(153) "سورة مريم" : (آية : 32).

(154) "سورة المائدة" : (آية : 112).

قال عليه الصلاة والسلام: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّه وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ" الحديث.

وهذا بيان من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو أولى الناس بـ المسيح عليه السلام. كما قال صلى الله عليه وسلم : " أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِلا أَنَّهُ لَيسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِي"

النوع الثاني : تقرير المسيح عليه السلام للألوهية والربوبية لله رب العالمين وعدم ادعائه شيئا من ذلك لنفسه.

ومن الآيات الدالة على هذا النوع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[155] فقررهما واستدل بالأولى (الربوبية) على الثانية (الألوهية).

النوع الثالث: وصفه بالرسالة وتشبيهه بالرسل قبله

وهذا النوع يشتمل على ثلاثة أوجه:

أولا: وصفه عليه السلام بالرسالة:

إن مجرد وصف المسيح عليه السلام بالرسالة يحكم ببشريته تلقائيا ذلك أن الله تعالى لم يبعث رسولا إلا من الملائكة ومن الناس كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[156].

وفي الجن خلاف بناءاً على اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾[157] ومهما يكن من أمر فإنه لم يدّعِ أحد أن المسيح عليه السلام من الجن أو من الملائكة، وقد انتصبت الأدلة على إبطال دعوى ألوهيته وربوبيته أو بنوته لله سبحانه ،فثبت أنه بشر.

ثانيا: تشبيهه عليه السلام بعموم الرسل.

وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[158] "أي هذا غايته ومنتهى أمره أنه من عباد الله المرسلين الذين ليس لهم من الأمر ولا من التشريع إلا ما أرسلهم به الله ، وهو من جنس الرسل قبله لا مزية له عليهم تخرجه من البشرية إلى مرتبة الربوبية"[159]

---

(155) "سورة آل عمران" : (آية 51).
(156) "سورة الحج" : (آية 75).
(157) "سورة الأنعام" : (آية 130).
(158) "سورة المائدة" : (آية 75).
(159) "تفسير السعدي" : (ص 240).

ثالثا: تشبيهه بآدم عليه السلام.

وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.(160)

فآدم والمسيح عليهما السلام تشابها من وجوه متعددة منها كون كل واحد منهما مخلوقا بالكلمة، وفي الخلق العجيب والمخلوق لا يكون ربا ولا إلها.

النوع الرابع: ما يعتريه عليه السلام من العوارض البشرية:

إن ما يعتري عيسى ابن مريم عليه السلام من العوارض البشرية لمن أكبر ما يدل على إنسانيته وإبطال ادعاء ربوبيته أو بنوته لله سبحانه.

وقد تعددت دلالات القرآن العظيم على هذه المسألة أيضا على النحو التالي:

أولا: الآيات الدالة على أنه روح من الله مخلوق بكلمة " كن "

من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾.(161)

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.(162)

فبين أنه مخلوق بهذه الكلمة وأن روحه منه كما هو الحال في بقية الناس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.(163)

وقال أيضا: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسان مِنْ طِينٍ﴾.(164)

إلى أن قال ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾.(165)

---

(160) "سورة آل عمران" : (آية : 59).
(161) "سورة النساء" : (آية : 171).
(162) "سورة آل عمران" : (آية : 47).
(163) "سورة النحل" : (آية : 40).
(164) "سورة السجدة" : (آية : 32).
(165) "سورة السجدة" : (آية : 32).

ثانيا: الآيات الدالة على مروره عليه السلام بمراحل العمر

فقد كان عليه السلام حملا في بطن أمه، ثم ولدته غلاما، ثم كان في المهد صبيا، ثم كان كهلا كما أنه سيموت ولا شك. وكثير من الآيات التي مرت تدل على ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَالسَّلا مُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ وَيَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبْ عَثُ حَيًّا﴾.(166)

فلا حاجة إلى إعادتها هنا بالإضافة إلى أنها سيتكرر ذكرها في المباحث القادمة.

ثالثا: الآيات الدالة على ما يعتريه من العجز والنقص

من أبرز ما يدل على بشريته عليه السلام كونه محتاجا إلى ما يحتاج إليه بنو البشر من الطعام والشراب، وأنه لا يملك لغيره ولا لنفسه نفعا و لا ضرا. قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانَ يَأْكُلا نِ الطَّعَامَ﴾.(167)

فقوله ﴿كانا يأكلان الطعام﴾"خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمِّه أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذُوهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم، فإنّ من كان كذلك فغير كائن إلها لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربا"(168)

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.(169)

فهذه الآية صريحة في أنه عليه السلام لا يملك للناس شيئا، وهذا من أبرز آيات العجز وعلاماتها، وهو كذلك من أوضح الأدلة على بشرية الموصوف بذلك.

---

(166) "سورة مريم" : (آية : 33).

(167) "سورة المائدة" : (آية : 75).

(168) "تفسير الطبري" (10 / 485).

(169) "سورة المائدة" : (آية : 76).

وقال أيضا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جميعاً ولله ملك السموات والأرض و ما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾[170]

قال الطبري رحمه الله: ففي ذلك معتبر إن اعتبرتم وحجة عليكم إن عقلتم في أن المسيح بشر كسائر بني آدم، وأن الله عز وجل هو الذي لا يغلب ولا يقهر ولا يرد له أمر، بل هو الحي الدائم القيوم الذي يحي ويميت وينشيء ويفني وهو حي لا يموت" إلى أن قال: "كيف يكون إلها يُعبد من كان عاجزاً عن دفع ما أراد به غيره من السوء، وغير قادر على صرف ما نزل به من الهلاك، بل الإله المعبود الذي له ملك كل شيء وبيده تصرف كل من في السماء والأرض وما بينهما"[171] اهـ.

كما أن قدرته عليه السلام ناقصة وعلمه مسبوق بعدم، ولا يحيط بكل شيء، لذلك جاء التقييد في قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[172]

وحكى الله تعالى أيضا عن المسيح قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[173]

ثالثا: الآيات الدالة على أنه سيموت

ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾[174]

أي قبل موت عيسى على أرجح الأقوال[175]

---

(170) "سورة المائدة": (آية: 17).

(171) "تفسير الطبري": (10/148).

(172) "سورة المائدة": (آية: 110).

(173) "سورة المائدة": (آية: 116-117).

(174) "سورة النساء": (آية: 159).

(175) انظر: "تفسير الطبري": (4/21-23)؛ "زاد المسير" لابن الجوزي (2/247-249)؛ "تفسير القرطبي" (6/14)؛ "تفسير ابن كثير": (2/455-452)؛ "مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية": (4/322-323),

وقال أيضا: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَومَ وُلِدتُ وَيَومَ أَمُوتُ وَيَومَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.[176]

فهذا " إثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يُحْيَاويموتويبعث كسائر الخلائق لكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه"[177]

بل كل دليل يدل على حياته فإنه كذلك يدل على موته بطريق اللزوم؛ لأنه كما قال تعالى:﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ﴾.[178]

عقيدة النصارى قبل التحريف في رسالة المسيح عليه السلام

إن عيسى ابن مريم عليه السلام من أعظم أنبياء الله ورسله بل إنه من أولي العزم[179] الذين أُمِرَ النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في صبرهم في قوله تعالى: فَاصْبِرْ ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.[180]

والكلام على رسالة المسيح عليه السلام قبل التحريف على ضوء القرآن الكريم يشمل عدة أمور منها:

الأمر الأول: **مضمون رسالته عليه السلام**:

لم تخرج رسالة المسيح العامة عن الأصول الكبار التي اتفق جميع الأنبياء للدعوة إليها كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾.[181]

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[182]

وقال عليه الصلاة والسلام: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة والأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم

---

(176) "سورة مريم": (آية: 33).

(177) "تفسير ابن كثير": (5/ 230).

(178) "سورة آل عمران": (آية: 185).

(179) اختلف العلماء في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها: أنهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين. انظر: "تفسير ابن كثير": (6/ 305).

(180) "سورة الأحقاف": (آية: 35).

(181) "سورة الشورى": (آية: 13).

(182) "سورة آل عمران": (آية: 85).

شَتّى"(183)

وأول ما دعى إليه جميع هؤلاء الأنبياء هو أعظم ما دعى إليه الداعي وأحق ما سعى إلى تحقيقه الساعي توحيد الله جل وعلا. قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.(184)

وقال أيضا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.(185)

هاتان الآيتان وأمثالهما من الآيات العامة التي تنص على هذا الأصل العظيم ولكن بما أننا في معرض التعرف على دعوة هذا النبي الكريم بشيء من التفصيل فينبغي أن نلقي نظرة إلى آحاد الآيات الدالة على مشمولات رسالته، لتدلنا على مفردات دعوته، وقبل ذكر الجزئيات المفردة لدعوته عليه السلام لا بد من التنبيه على مسألة مهمة ألا وهي:

كل ما جاء في التوراة ولم يأت المسيح بنسخه فإنه من شريعته، ويدل على ذلك أمران:

---

(183) رواه البخاري، "كتاب أحاديث الأنبياء": (باب 48) رقم: [3443] (4033/7) مع الفتح. والعلات بفتح المهملة: الضرائر، وأولاد العلات الإخوة من الأب وأمهاتم شتى. ومعنى الحديث أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع. وقيل المراد أن أزمنتهم مختلفة اهـ ملخصاً "فتح الباري": (7/ 4047).

(184) "سورة الأنبياء": (آية: 25).

(185) "سورة النحل": (آية: 36).

الأمر الأول:
كونه عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام، **وكل نبي لبني إسرائيل جاء بعد موسى فإنه حاكم بالتوراة وإن كان له كتابه الخاص.** والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ﴾.[186]
أي إن الأنبياء من لدن موسى إلى عيسى صلوات اللّه وسلامه عليهم أجمعين كانوا يعملون بالتوراة لا يخرجون عن حكمها ولا يبدلونها ولا يحرفونها بما استودعوا من كتاب اللّه الذي أمروا أن يظهروه ويعملوا به[187]
وقوله : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾.[188]
قال **ابن كثير**[189] أي وأرسل الرسل والنبيين من بعده الذين يحكمون بشريعته كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوراةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ﴾.[190] الآية.
الثاني: دليل خاص يدل على ذلك وهو طائفة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثارِهِمْ بعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.[191]
أي أتبعنا على آثار أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم عليه السلام وأعطيناه الإنجيل وكان مؤمنا بالتوراة حاكما بما فيها ، متبعا لها غير مخالف لها إلا في القليل مما بين لبني إسرائيل بعض ما كانوا

---

(186) "سورة المائدة" : (آية : 44),
(187) "انظر : "تفسير القرطبي": (185/8)؛ "تفسير ابن كثير": (117/3)؛ "زاد المسير": (363/2)؛ "المحرر الوجيز" : (5/110).
(188) "سورة البقرة" : (آية : 87).
(189) "تفسير ابن كثير" (321/1) ثم ذكر بعد كلام طويل قوله : " فكانت بنوا إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوء المعاملة ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأمور المخالفة لأهوائهم و آرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها " إلخ (نفس الموضع والصفحة)
(190) "سورة المائدة" : (آية : 44).
(191) "سورة المائدة" : (آية : 46).

فيه يختلفون[192]

قال ابن جرير رحمه الله : "مع أن عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة، لم يخالف شيئا من أحكامها إلا ما خفف الله عن أهلها في الإنجيل مما كان مشددا عليهم فيها[193]

ولننتقل إلى بعض جزئيات دعوته مع الأدلة الخاصة عليها:

أولا: الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك

ورد في دعوته واهتمامه بهذا الأصل العظيم آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[194]

وقوله: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾[195]

فحقق التوحيد بنوعيه بفعله بعد أن دعى إليه بقيله ، وحذر من ضده الشرك أيما تحذير.

ثانيا : البشارة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن

لقد كانت البشرى بالنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم من أصول دعوة المسيح عليه السلام، ومهام رسالته، ويدل على ذلك نوعان من ا لأدلة عامة وخاصة.

أما الدليل العام فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[196]

فأخبر تعالى أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لمهما آتى الله أحدهم من كتاب وحكمة ، وبلغ أي مبلغ ، ثم جاءه رسول من بعده ليؤمنن به ولينصرنه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته[197].

---

(192) انظر تفسير ابن كثير (126/3)، "تفسير الطبري" (280/3)؛ "تفسير السعدي" (ص:196) .

(193) "تفسير الطبري" : (280/3).

(194) "سورة المائدة" : (آية : 72).

(195) سورة المائدة" : (آية : 114).

(196) "سورة آل عمران" : (آية : 81).

(197) انظر : "تفسير ابن كثير" (67/2)؛ "تفسير الطبري" (333/3 ـ 332).

قال طاووس والحسن البصري وقتادة: "أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا[198].

وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه:

"لم يبعث الله عز وجل نبيا آدم فما بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[199] وعن ابن عباس والسدي مثله[200].

وأمّا الدليل الخاص على أن بشارة عيسى عليه السلام بنبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أصول دعوته فقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِين﴾[201]

وأحمد من أسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث الصحيح مرفوعا، "إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أنا مُحَمَّدٌ أنا أَحْمَدُ" الحديث[202].

وقال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُون. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنجيل يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

---

(198) انظر "تفسير ابن أبي حاتم" (693/2) [رقم 3757] و"تفسير الطبري" (331/4 ، 332)، و"زاد المسير" (415/3) "الدر المنثور" للسيوطي (84/2).

(199) "سورة آل عمران" : (آية : 81).

(200) انظر: "تفسير ابن أبي حاتم" (694/2) [رقم 3761] و"تفسير الطبري " (332/4)؛، و"زاد المسير" (1/ 414). قال ابن كثير: "ولاتضاد بين القول الأول (قول طاووس، والحسن البصري، وقتادة رحمهم الله) والثاني (قول علي وابن عباس و السدي رضي الله عنه). بل الأول يستلزم الثاني ويقتضيه" انظر "تفسير ابن كثير" (68/2).

(201) "سورة الصف" : (آية : 6).

(202) رواه البخاري في صحيحه برقم (3405) ومسلم برقم (1062) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه .

أَنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[203]

وفي حديث النجاشي الطويل: "أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُول اللَّه ، وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الإِ نْجِيل، وَأَنَّهُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ"[204] الحديث.

أما بالنسبة لما يتعلق ببشارته بالقرآن فمن ذلك قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ}[205] أي "وإن ذكر القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه كما أخذ عليهم الميثاق بذلك[206] " إلخ.

ثالثا:

نسخ بعض الأحكام في التوراة والفصل في بعض المسائل الخلافية بين بني إسرائيل وتشريع بعض العبادات والأحكام كما دل على ذلك آيات من القرآن الكريم. وذلك في مثل قوله تعالى {ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم}[207] الآية

الأمر الثاني:

أن دعوته عليه السلام خاصة ببني إسرائيل

دلت آيات كثيرة من القرآن الكريم على أن عيسى عليه السلام لم يكن رسولا إلى جميع الخلق بل إلى بني إسرائيل خاصة، ومن ذلك قوله تعالى: {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيل}[208].

وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّه إِلَيكُم}[209].

بل إن مجرد كون ابن مريم عليه السلام جاء قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بعدم عالمية رسالته وبحصورها على قومه. حيث يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ

---

(203) "سورة الأعراف " : (آية : 156 - 157).

(204) رواه أحمد في المسند (1/ 461) وانظر سيرة ابن هشام .

(205) "سورة الشعراء " : (آية : 196).

(206) "تفسير ابن كثير" (6/ 163) ، "تفسير الطبري" (19 / 113) ، وقد قيل إن " الهاء " في " إنه " عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم أي وإن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لفي كتب الأنبياء الأولين ، انظر "زاد المسير" (6/ 144) ، و"تفسير القرطبي" (13/ 148) .

(207) "سورة آل عمران " : (آية : 50).

(208) "سورة آل عمران " : (آية : 49).

(209) "سورة الصف " : (آية : 6).

أحَدٌ مِنَ الأ َنْبِيَاءِ قَبْلِي" وذكر منها :"وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّة، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"[210]

فقد دل هذا الحديث على أن كل رسالة غير رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إنما هي رسالة خاصة إلى قوم معينين.

الأمر الثالث: كتابه الذي آتاه الله

نص القرآن الكريم على أنّ الكتاب الذي آتاه الله هو الإنجيل - إنجيل واحد لا أربعة أناجيل. قال تعالى: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ}.[211] وقوله: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ فِيهِ}.[212]

---

(210) رواه البخاري : (1/168) رقم : [427]، ومسلم : (1/370) رقم : [521].

(211) "سورة الحديد" : (آية : 27).

(212) "سورة المائدة" : (آية : 46).

عقيدة النصارى بعد التحريف والتبديل

رأينا فيما سبق كيف كانت رسالة المسيح الحقيقية التي جاء بها المسيح عليه السلام من خلال القرآن الكريم ، وكفى به صادقا وخبيرا.

لكن لم تستمر هذه النصرانية على نقائها وصفائها ، بل لم تمض على رفع المسيح فترة تذكر حتى اختلف النصارى في دينهم وأول ما اختلفوا فيه نبيهم فكانت تلك بداية الانحراف، فبدأت الفلسفات القديمة بطرق أبوابها، والعقائد الوثنية تدبّ إليها، حتى انطمست فيها معالم التوحيد الذي كان بالأمس روحها وأساسها.

وهذه عقائد النصارى بعد تحريفها كما عرضها القرآن الكريم:

أولا: ادعاء بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[213]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.[214]

أي أتباع ابني الله؛ عزير والمسيح[215] تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

---

(213) "سورة المائدة" : (آية : 46).

(214) "سورة المائدة" : (آية : 18).

(215) "الكشاف" للزمخشري (2/ 219) ، "تفسير ابن كثير" (3/ 68 ـ 69) وفي الآية معنى آخر انظر القرطبي (6/ 12) لكن الذي ذكر هو الذي رجحه الطبري ، وابن كثير ، واقتصر عليه الزمخشري ، قال الطبري رحمه الله: "والعرب قد تخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة وإن كان مافتخرت به فعلَ واحد منهم فتقول: نحن الأجواد الكرام " وإنما الجواد فيهم واحد منهم المتكلمُ الفاعلُ ذلك كما قال جرير :

تدَسْنَا أَبَا مَنْدُوسَةَ القينَ بِالقَنَا وَمَارَ دَمٌ مِنْ جَارِ بَيْبَةَ نَاقِعُ.

قال الطبري : فقال "ندسنا " وإنما النادسُ رجل من قوم جرير غيره فأخرج الخبر مخرج الخبرعن جماعة هو أحدهم، فكذا أخبر الله عز وجل ذكره عن النصارى أنها قالت ذلك على هذا الوجه إن شاء الله (6/ 164 ـ 165) وانظر الكشاف للزمخشري أيضا (2/ 219).

ثانيا: تأليه المسيح وأمه عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.(216)

ثالثاً: دعوى أن الله هو المسيح ابن مريم

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾.(217)

رابعاً: دعوى أن الله ثالث ثلاثة (التثليث)

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.(218)

خامساً: ادعاء صلب المسيح عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾.(219)

واليهود هم الذين ادعوا صلبه أول مرة، وصدّقهم النصارى في ذلك.

سادساً: اتخاذ أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله

قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.(220)

وأما عقيدة النصارى المحرفة تجاه الإسلام فتتلخص في قضية واحدة وهي إنكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد دفعهم ذلك إلى جرائر عظام من أفظعها الطعن فيه عليه الصلاة والسلام

---

(216) "سورة المائدة": (آية: 116).

(217) "سورة المائدة": (آية: 116).

(218) "سورة المائدة": (آية: 73).

(219) "سورة النساء": (آية: 157).

(220) "سورة التوبة": (آية: 31).

وعدم الاعتراف بالإسلام كدين سماوي ومحاولة اكتساح الإسلام بكل الوسائل الممكنة وغير الممكنة والجراءة الشديدة ضد الإسلام ككل.

***

المبحث الخامس:

أبرز العبادات والشعائر النصرانية

العنصر الأول

أبرز العبادات النصرانية

إن عبادات النصارى من حيث الجملة يمكن تقسيمها إلى نوعين:

النوع الأول:

العبادات الجسدية العملية

للنصارى بخصوص هذا القسم عبادتان هما: الصلاة و الصوم.

أما الصلاة عندهم فركن من أركان الدين[221] وهي في زعمهم تقربهم إلى اللّه عن طريق المسيح، ولها عندهم شرطان أساسيان لا توجد بدونهما:

الشرط الأول: أن تقدم باسم المسيح.

الشرط الثاني: أن يسبق الصلاة الإيمانُ الكامل بما عندهم.

وليس للصلاة عندهم عبارات خاصة معلومة يجب أن يتلوها المصلي، بل ترك لهم أن يتلو العبارات التي يختارونها بشرط ألا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم المسيح إياها لكي يصلوا على منوالها، وهي المسمى بالصلاة الربانية[222]

ولهم أمثلة كثيرة للصلوات يختارون منها ما يسهل عليهم وأشهر الأ سفار المشتملة على نماذج للأدعية والصلوات سفر المزامير.

وليس عليهم عدد معين من الصلوات كل يوم، كما أنه ليس لها مواقيت معلومة، بل كل ذلك وُكِل إلى نشاط المصلين ورغبتهم في العبادة، لكن تلزم الصلاة مرتين في اليوم؛ إحداهما في الصباح، والأ خرى في المساء، كما أن المستحسن الإكثار منها خلافاً لليهود الذين يزعمون أن الإكثار من الصلاة يجعل اللّه يمل!([223]) عياذاً باللّه.

أما الصوم فهو عندهم الامتناع عن الطعام الدسم وما فيه شيء من الحيوان أو مشتقاته مقتصرين على أكل البقول، وهذا الصوم اختياري لا إجباري، بل بعضهم لا يرى الصيام وتختلف مدة هذا

---

(221) انظر الصلاة عند النصارى: "محاضرات في النصرانية" (ص: 102-104)؛ "الموسوعة الميسرة" (2/ 586).

(222) وهي التي جاءت في صدر الإصحاح الحادي عشر من "إنجيل يوحنا"

(223) انظر مزيدا من التفصيل في "صلاة النصارى" و "وصيامهم" ونقولات عن علماء النصارى في ذلك في "محاضرات في النصرانية " (ص : 102 - 105).

الصيام وكيفيته من فرقة إلى أخرى [224].

النوع الثاني:

العبادات الروحية الرياضية

أمّا العبادات الروحية الرياضية فتمتثل في الرهبانية . والرهبانية حياة جماعية تقضى في أديرة خاصة لغرض ديني ، أساسها نذر مثلث " الطاعة ، والفقر والتبتل " وتشمل النساء والرجال ، والذي يمارس هذه العبادة يسمى راهباً جمعه رهبان، ويزعمون أن مؤسس الرهبنة هو المسيح عليه السلام .

وتقتصر الرهبانية على الأرثوذكسية والكاثوليكية في الوقت الذي تحاربها البروتستانتية والرهبنة عند النصارى منزلة لا تمنح لكل أحد ولهم في ذلك شروط وتفاصيل تختلف باختلاف الكنائس [225] .

العنصر الأول

أبرز الشعائر النصرانية

"للمسيحية شعائر يجب القيام بها عندهم لا يصح التخلي عنها، ويقولون فيها إنها فرائض مقدسة وضعها المسيح ، وهي أعمال جليلة تشير إلى بركات روحية غير منظورة عندهم" [226].

ومن أبرز الشعائر التي يتعين اعتقادها، ويتحتم العمل بها في الديانة النصرانية ما يأتي:

التـعـمـيـد، والـعشـاء الربـانـي، وحـمـل الصليب.

أولا: التعميد Baptism

التعميد كما عرف به صاحب كتاب الأصول والفروع "فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب، والابن، والروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع[227] المسيح" [228].

ومما يرادف التعميد عندهم "الاعتماد " و" الإصطباع " و" المعمودية"[229] والتعميد قد كان موجودا قبل النصرانية فهو من

---

(224) انظر "الموسوعة الميسرة" (2/ 586)؛ "محاضرات في النصرانية" (ص: 102).

(225) انظر: "الموسوعة الميسرة": (مادة: راهب) (1069/2 ـ 1070).

(226) انظر : "محاضرات في النصرانية": (ص: 105).

(227) "يسوع" هي الصيغة العربية للاسم العبري "يشوع" ومعناه "يهوه مخلص" "قاموس الكتاب المقدس" (ص: 1065).

(228) "كتاب الأصول والفروع": (ص: نقلا من "محاضرات في النصرانية" (ص: 106).

(229) "الموسوعة الميسرة": (2/ 1023).

العقائد التي أخذوها من غيرهم[230].

والتعميد هو مفتاح الدخول في النصرانية فلا يكون من لم يعمد نصرانيا عندهم ولو كان نصراني الأبوين [231].

"ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهارا أمام كنيسة الله " [232] كما يقولون

والتعميد لا يكون إلا في الكنيسة، ويقوم به الكاهن لزامًا، إلا عند الضرورة، وكيفيته أن يرش الماء على الجبهة ، أو يغمس أي جزء من الجسم في الماء أو يغمس الشخص كله فيه "[233].

وأمّا عن وقت التعميد، فمنهم من يعمِّد الإنسان طفلا حتى ينشأ كما يقولون-طاهرا مبرءا من الذنوب-ومنهم من يعمده في أي وقت من حياته، ومنهم من يعمده على فراش الموت بحجة أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب فيحسن أن يتم حيث لن تحصل ذنوب بعده. لكن الأول هو الغالب[234] .

ويقول النصارى إن المعمودية تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب، والابن، والروح القدس كإلههم ومعبودهم الوحيد، كما أنها تمحو الخطيئة الأصلية في النفس وتلدها ثانية [235].

ثانيا:العشاء الرباني Sacrament

ويقال له أيضا: "مائدة الرب" أو "شركة جسد الرب ودمه" [236] و التناول أيضا[237]

وهو أيضا عادة أخذت عن الأديان السابقة للنصرانية[238]

وهي الشعيرة الثانية من الشعائر النصرانية المهمة، ويبينها صاحب

---

(230) فقد كان موجودا عند الصابئة "الموسوعة الميسرة" (2/ 1082) وعند اليهود كذلك فقد جاء في إنجيل متّى أن (النبي يحى) عمّد المسيح عليهما السلام في نهر الأردن وكثيرا من الناس قبله حتى سمي (يوحنا المعمدان). "إنجيل متّى" (3/ 1- 17).

(231) انظر: "دراسات في الأديان" للدكتور سعود الخلف (ص270).

(232) "كتاب الأصول والفروع" نقلا من "محاضرات في النصرانية" (ص106).

(233) المسيحية لأحمد شلبي ص 168ـ 169 ، ودراسات في الأديان للدكتور سعود الخلف ص270 .

(234) انظر: "المسيحية" (ص: 168)؛ "دراسات في الأديان": (ص: 270).

(235) "كتاب الأصول والفروع" نقلا من"محاضرات في النصرانية" (ص106)؛ "يسوع المسيح" للأب بولس إلياس (ص210) نقلا من "المسيحية" لأحمد شلبي (ص: 173).

(236) "الموسوعة الميسرة" (2/ 1103).

(237) "المسيحية" (ص: 173).

(238) انظر : "العقائد" لعمر عنايت (ص: 105) نقلا من أحمد شلبي (ص: 173).

كتاب الأصول والفروع بأنها:
"فريضة مقدسة رسمها المسيح في الليلة التي أسلم فيها الجسد، ويستعمل في هذه الفريضة قليل من الخبز والخمر، فيأخذ كل من المؤمنين لقمة من الخبز وقليلا من الخمر على المثال الذي رسمه المسيح تذكارا لموته، فالخبز يشير إلى جسده المكسور، والخمر إلى دمه المسفوك" [239] إلخ

وثبت العشاء الرباني عند النصارى بعدة نصوص من كتابهم المقدس ، منها ما جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس قوله : "إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزا وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، ضعوا هذا لذكري، كذلك الكأس أيضا بعد ما تعشوا قائلا هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجئ" [240]

ثالثا:حمل الصليب وتقديسه:

لئن كان التثليث هو العمود الفقري ل ـلديانة النصرانية، فإن الصليب هو الذي كشف الغطاء عن هذا السر اللاهوتي العجيب كما يقولون، ومن هنا كان الصليب أبرز شعائرهم وأثقلها في ميزان التقديس والا حترام.

يوضح الأستاذ **عبد الأحد داود** أهمية الصليب وقداسته في النصرانية فيقول

"فإن الصليب في نظر النصارى ومن حيث تمثيله التثليث هو أساس قواعد الدين أي أن النصرانية قائمة على الصليب، فالصليب عندهم مذبح عليه ذبح المعصوم، والصليب في زعمهم أكبر واقعة فجيعة في الكائنات، والصليب أساس الكنيسة تماما، والصليب عماد الإنجيل، كما أن الصليب في اعتقادهم علامة يوم الحشر، فالذي يؤمن به لا يهلك أبدا، بل تكون له الحياة الأبدية"

إلى أن قال: "وإن كان أحد العيسويين لا يرسم الصليب على وجهه أو لا يقبل الصليب المصنوع من الخشب أو المعدن لا تتقبل عبادته، ويعد رافضا، ومرتدا لدى كل الكنائس "[241] إلخ.

---

(239) نقلا من "محاضرات في النصرانية" (ص: 106).

(240) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 11/ 23ـ27) ، واقرأ أيضا العشاء الرباني في متي (26/ 26ـ 29)، مرقس (41 / 22ـ 25) لوقا (22/ 14 ـ23) ، يوحنا (11/ 23)، (6/ 41 ـ 60) .

(241) "الإنجيل والصليب" للأب عبد الأحد داود (ص8 -9).

وقد قويت فكرة حمل الصليب بعد صلب عيسى عليه السلام-على زعمهم- حتى صارا بعد ذلك مقدسا عند كثير منهم ، لكن فرق بين حمل الصليب عند النصارى وحمله عند اليهود واليونان فإن من علق خشبة عند اليهود، وكذلك من قتل عليها ملعون [242].

وأما حمله عند اليونان فدليل على صدور الحكم بالإعدام صلبا على حامله ولا بد أن يحمله كل يوم [243]

أما حمل الصليب عند النصارى كما يقولون فإشعار بإنكار النفس، واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار، والسير وراء مخلصهم وفاديهم[244]

***

(242) سفر التثنية (21/ 22)؛ "المسيحية" (ص170)؛ "شرح بشارة لوقا" للقس إبراهيم سعيد نقلا من "محاضرات في النصرانية": (ص:101).

(243) "المصدر السابقة" (الأخير).

(244) "محاضرات في النصرانية" (ص 101 ـ 102).

المبحث السادس:

أسباب وعوامل انحراف انصارى

هناك أسباب وعوامل كثيرة أدت إلى انحراف النصارى وهي على قسمين:

القسم الأول: أسباب وعوامل انحراف النصارى في دينهم.

القسم الثاني: أسباب وعوامل انحراف النصارى عن دين الإسلام.

القسم الأول:

أسباب وعوامل انحراف النصارى في دينهم

قد رأينا فيما سبق أن النصرانية من حيث أصلها دين سماوي، تدعو إلى وحدانية الله عز وجل ولكننا اليوم نراها ديانة وثنية قُحّة، ولا شك أن هذا التحول الجذري لم يأت عن فراغ؛ بل هناك عوامل وأسباب تمخضت عنها هذه الانحرافات الشاملة للديانة النصرانية عقيدة وشريعة. من أهمها :

العامل الأول:

الاضطهادات:

لقد ذاق النصارى نوعين من الاضطهادات كان لهما أثر بليغ في الا نحراف بالنصرانية التوحيدية إلى النصرانية الوثنية.

أما الاضطهاد الأول فتعذيب أعدائهم لهم وكان ذلك منذ انبلاج فجر الديانة والتي أدت إلى محاكمة المسيح وصلبه على ما يزعم النصارى أو رفعه على العقيدة الصحيحة، ولاقى أتباعه من بعده من التعذيب المريع ، والتقتيل الذريع ما الله به عليم[245].

ولعل مما يستأنس بالاستشهاد به في هذا المقام قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[246].

وما روى خباب بن الأرت رضي الله عنه قال : " شَكَونا إلىَ رَسُولِ الله ِ صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا ألا َ تستَنْصِرُ لنَا؟ ألا َ تدْعُو الله َ لنَا؟ فَقَالَ: " قد كانَ من قَبْلَكُمْ يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بِالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، وَيُمْشَطُ بِأمْشَاطِ الحَدِيدِ

(245) "المسيحية" لأحمد شلبي ص/ 70 ، تاريخ الكنيسة (1/ 89 ـ 126) .

(246) "سورة البقرة" : (آية : 214).

من دون لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ فما يصده عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيَتُمَنَّ هَذَا الأَمْرُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوتَ لا يَخَافُ إِلا اللَّهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ"[247]

وفي تلك الظروف الصعبة فقد إنجيل عيسى عليه السلام وكتبت هذه الأناجيل التي ادعي نسبة أكثرها إلى تلاميذ المسيح.

وقد تركت هذه الاضطهادات آثاراً بالغة في جميع جوانب حياتهم دينا ودنيا واستمر هذا التنكيل والقتل الجماعي لهم مدة ثلاثة قرون [248] إلى أن جاء الملك قسطنطين الذي تعاطف مع النصارى فرفع الاضطهاد عنهم ثم في آخر أمره قال إنّه تنصر[249].

فكان هذا السماح القسطنطيني هو اللبنة الأخيرة في اضطهاد النصارى من قبل أعدائهم واللبنة الأولى في اضطهاد بعضهم بعضا، فاضطهد أهلُ التثليث أهلَ التوحيد أولاً حتى طمسوا معالمه وألجموا الأصوات الناطقة به، ثم انتقل الاضطهاد فيما بين أهل التثليث أنفسهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.[250]

قال ابن الجوزي[251] رحمه الله: "معنى أغرينا بينهم العداوة و البغضاء : أنهم صاروا فِرَقًا يكفّر بعضهم بعضا"[252]

وقال ابن كثير رحمه الله: "أي فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضا ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، ولذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفر بعضهم بعضا ويلعن بعضهم بعضا، فكل فرقة تُحَرّم الأخرى ولا

---

(247) رواه البخاري "كتاب الإكراه": "باب من اختار الضر والقتل والهوان على الكفر": رقم: [6941] (326/14). لكن هذا في مجرد الاستشهاد بأن الاضطهاد حدث بغض النظر عن شيء آخر.

(248) تاريخ الكنيسة (1/89 ـ 126) .

(249) "دراسات في الأديان" للدكتور سعود الخلف (ص: 230).

(250) "سورة المائدة" : (آية : 14).

(251) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي. من العلماء الذين اشتهروا بالوعظ و الرقائق. له في التفسير كتاب: "زاد المسير" توفي: [سنة: 597]. انظر ترجمته في "ذيل طبقات الحنابلة" : (1/ 399).

(252) "زاد المسير" : (2/ 14).

تدعها تلج معبدها"[253] إلخ والواقع خير شاهد على ذلك.

العامل الثاني:

الغلو

إنّ الغلو في الدين من أكبر ما ساق النصارى إلى الإنحراف في دينهم فقد غلوا في عيسى وأمه عليهما السلام حتى اتخذوهما إلهين من دون اللّه، وغلوا في عظمائهم حتى جعلوهم معصومين وبروح القدس ممتلئين، وقد علمت أن كتبهم لو نطقت لشهدت واعترفت بأنها محرفة مفتعلة لكن مع ذلك لشدة غلوهم فيها أنها ادعوا نفس كلام اللّه، بل حتى علامات الترقيم التي فيها موحى بها[254]

بل لم ترد كلمة الغلو في القرآن الكريم إلا مرتين كلتاهما في حق النصارى مما يدلك على شدة توغلهم في هذا المستنقع العكر الممقوت وذلك في قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[255]

وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[256]

قال ابن كثير رحمه اللّه في تفسير الآية: "ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه اللّه إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون اللّه، يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا، ولهذا قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا

---

(253) "تفسير القرآن العظيم" : (32/2).

(254) انظر: "المعتقدات الدينية لدى الغرب" للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن (ص: 105).

(255) "سورة النساء" : (آية: 171).

(256) "سورة المائدة" : (آية: 77).

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا ّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا ّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}.[257]

وقال عليه السلام : "لا َ تطْرُونِي كمَا أطرَتِ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنمَا أنا عَبْدُ الله ِ وَرَسُولُهُ"[258]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[259] : "والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ}.[260]

---

(257) "سورة التوبة" : (آية : 31).
(258) رواه البخاري " : ((3 / 1271) رقم : [3261].
(259) "اقتضاء الصراط المستقيم" : (1 / 265).
(260) "سورة النساء" : (آية : 171).

العامل الثالث :
الأئمة المضلون:
لقد لعب الأئمة المضلون من النصارى ومن اليهود والوثنيين دورا منقطع النظير في الانحراف بالنصرانية عقيدة وشريعة. وقد دل القرآن العظيم على هذا العامل الخطير تصريحا لا تلميحا. حيث قال جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[261].
قال ابن كثير: "أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون، بل هم دعاة إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون"[262]
وقال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[263].
وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: "أَتيتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ! وسمعته يقرأ في سورة براءة ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾[264]
قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيئاً اسْتَحَلُّوهُ وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ"[265]
فهذا الأثر في غاية الصراحة في دور الرهبان في الانحراف بهذه الديانة.
أبرز الأئمة المضلين الذين انحرفوا بالنصرانية
أول وأبرز هؤلاء المجرمين هو بولس شاوؤل وقد كان رجلا يهوديا

---

(261) "سورة التوبة": (آية: 34).
(262) "تفسير ابن كثير": (3/ 335).
(263) "سورة التوبة": (آية: 31).
(264) "سورة التوبة": (آية: 31).
(265) رواه الترمذي "كتاب التفسير": "باب ومن سورة التوبة": رقم :[3095] وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان: (ص: 64) والألباني في "صحيح الترمذي": (3/ 248) رقم: [3095].

شديد الاضطهاد للنصارى ثم انخرط في سلكهم[266] ليسهل عليه هدم دينهم من الداخل.

وشدة تأثير بولس وإضافاته في النصرانية مما اتفق عليه الباحثون من نصارى وغيرهم بل اعتبره بعض علمائهم وكتابهم المؤسس الأ ول للنصرانية.

يقول بيري Berry عن بولس "وكان عيسى يهوديا وقد ظل كذلك أبداً ولكن شاءول كوّن المسيحية على حساب عيسى. **فشاءول هو في الحقيقة مؤسس المسيحية**"[267] إلخ

ويقول عنه ويلزWells "**إن كثيراً من الثقات العصريين يعدونه المؤسس الحقيقي للمسيحية**"[268]

والطائفة الثانية من الأئمة المضلين الذين انحرفوا بهذه الديانة هم ملوك الروم الوثنيين الذين ادعوا التنصر فيما بعد وإن كان الأمر كما يقول القاضي عبد الجبّار "**فلا نجد إلا النصارى ترَوّمتْ ولم تتَنَصّر الروم**"[269]

وعلى رأس هؤلاء الملوك بالتأكيد **الملك قسطنطين** الذي حشد مجمع نيقية عام [325] بعد الميلاد لتقرير ألوهية المسيح. وقد تم له ذلك ثم أمر بحرق الأناجيل التي تعارض هذه الفكرة، كما أمر بمصادرة كل من يخالفها، وبموجب ذلك اضطهد الموحدين من النصارى بل وكل من يحاول إنكارها أو نشر عقيدة أخرى غيرها[270].

الطائفة الثالثة: **أعضاء قرارات المجامع** ولا أدل على ذلك من كون أصول العقائد التي أجمع عليها جميع الكنائس في العالم النصراني الراهن من انتاج أربع مجامع كما سبق[271]

من تلك الغفلات ما قد حكى المسيحي في تاريخه وغيره، وأن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما " :قال **القرافي** رحمه الله ،يعتقدونه في دينهم عشر مرات بالقسطنطينية والإسكندرية ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مدة **فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفتهم، لا لرسالات** ،وكفروا من يعتقده وأثبتوا غيره **ربهم**"[272]

البابا" فقد انتقل إليه حق التشريع عند الكاثوليك، وأضاف عدة أمور في النصرانية ولا " ومن أعظم الأئمة المضلين أيضا !يزال بصفته خليفة للمسيح والناطق الرسمي عنه[273]

---

(266) انظر: "غلاطية": (1/13).

(267) "Religions of the wold" (P: 70) نقلا من "المسيحية" لأحمد شلبي (ص: 116).

(268) "Outline of History" (Vol: 3 P:695) نقلا من "المسيحية" لأحمد شلبي (ص :111)

(269) "تثبيت دلائل النبوة" : 173/1).

(270) انظر: "محاصرات في النصرانية": (ص: 117).

(271) انظر: "مبحث مصادر النصرانية" (ص: 47).

(272) "الأجوبة الفاخرة": (ص: 5).

(273) "انظر: "مبحث مصادر النصرانية" (ص: 47).

العامل الرابع:

تحريف الأصول وضياعها

مما يشير إلى هذا العامل في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ حَتّى تُقِيمُوا التّوْرَاةَ والإنجيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.[274] لأنّ المقصود بالتوراة والإنجيل في الآية المنزلين ولا وجود لهما الآن وهذا حكم عليهم بأنهم ليسوا على شيء من دين الله تعالى وهذا قاض عليه با لانحراف والغواية.

أمّا القول بأن التوراة والإنجيل المنزلين لا وجود لها فلدلالة الواقع على ذلك ولأن الله تعالى لم يتعهد بحفظهما كما تعهد بحفظ القرآن الكريم كما تشير الآية الكريمة:

﴿وَمِنَ الّذِينَ قَالُوا إِنّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.[275] أي علما وعملا [276].

لذلك لم يجد النصارى مندوحة من الاعتراف بهذه الحقيقة (ضياع ا لأصل).

يقول نارتن في كتابٍ له :" قال أكهارن في كتابه: إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال هي الإنجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب وما كانت أحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب"[277].

أما الأناجيل الأربعة وبقية أسفار الكتاب المقدس فستعلم حالها من حيث انقطاع أسانيدها، وتناقض متونها، والشك المريب في صحة نسبتها إلى من تنسب إليهم. فهل يستقيم الظل والعود أعوج!.

العامل الخامس:

الفلسفات البالية والوثنية القديمة والأهواء المضلة

قال جل ثناؤه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ

---

(274) "سورة المائدة" : (آية : 68) .

(275) "سورة المائدة" : (آية : 14).

(276) انظر: "تفسير السعدي" : (ص : 226).

(277) نقلا من "محاضرات في النصرانية" لأبي زهرة (ص : 52).

قاتلهمُ اللهُ أنى يُؤْفَكُونَ}[278].
أي (يشابهون) أهل الأوثان على أحد الأقوال المروية في الآية[279] .
وقال تعالى مخاطبا للنصارى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[280] أي اليهود [281].
خلاصة القول أنك لا تكاد تجد عقيدة من عقائد النصارى إلا وأصلها من تلك الفلسفات أو الوثنيات القديمة إلا قليلا [282].

العامل السادس:

تعطيل العقل والتقليد الأعمى

إن النصرانية دين غير معقول، ولا يسمح لمتبعه أن يباحث فيه أويحاول أن يقف على كيفية عقائده وأسرار شعائره إنما هو مأمور بالتقليد الأعمى.
فكان هذا من أعظم ما دفع النصارى إلى الانحراف حيث انجروا وراء التقليد الأعمى لكبرائهم وأئمتهم المضلين، ويقبلون كل مستحيل دون استفسار.
وإن تعجب فعجب قول قسيس من قساوستهم وهو القس وهيب عطا الله: "إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل، والمنطق، و الحس، والمادة، والمصطلحات الفلسفية. ولكننا نصدق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولولم يكن معقولا"! [283]

العامل السابع:

معاداة اليهود ومضاداتهم

.إن عداوة النصارى لليهود ومضاداتهم لهم من أكبر الأسباب التي أدّت بالنصارى إلى تحريف دينهم
فقد كان اليهود أول من اضطهد المسيح وقومه كما سبقت الإشارة إليه؛ فعادوه "وعادوا أتباعه عداوة شديدة، وبالغوا في أذاهم وإذلالهم، وطلب قتلهم ونفيهم، فصار في قلوبهم من بغض اليهود، وطلب الانتقام منهم مالا يوصف، فلما صار لهم ومناقضتهم "فأحلوا ما يحرمه اليهود [284]"دولة وملك، مثل ما صار لهم في دولة قسطنطين، صاروا يريدون مقابلة اليهود ."كالخنزير وغيره، وصاروا يمتحنون من دخل في دينهم بأكل الخنزير، فإن أكله وإلا لم يجعلوه نصرانيا

---

(278) "سورة التوبة" : (آية 30).
(279) انظر:"تفسير الطبري" (206/14) و "تفسير ابن كثير" (134/4) عند تفسير هذه الآية.
(280) "سورة المائدة" : (آية 77).
(281) "تفسير الطبري": (488/10)؛ "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم (1181/4).
(282) انظر كتاب "العقائد الوثية في الديانة النصرانية" لمحمد طاهر التنير. و "المسيحية" لأحمد شلبي (ص :177-188). فقد عقدا مقارنة بين العقائد النصرانية و العقائد الوثنية واتضح من خلالها ذلك جليا.
(283) "طبيعة السيد المسيح": (ص: 18) نقلا من "المسيحية" لأحمد شلبي: (ص:139).
(284) "الجواب الصحيح" : (1/175).

"وتركوا الختان، وقالوا: إن المعمودية عوض عنه، وصلوا إلى قبلة غير قبلة اليهود"
"وكان اليهود قد أسرفوا في ذم المسيح عليه السلام، وزعموا أنه ولد زنا، وأنه كذاب ساحر، فغلوا هؤلاء في تعظيم المسيح، وقالوا: إنه الله وابن الله وأمثال ذلك، وصار من يطلب أن يقول فيه القول العدل مثل كثير من علمائهم وعبادهم، يجمعون له مجمعا ويلعنونه فيه على وجه التعصب واتباع الهوى،والغلو فيمن يعظمونه"[285]

العامل الثامن والتاسع والعاشر
ألفاظ متشابهة، وأحوال شيطانية، وأخبار مكذوبة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"**ومما ينبغي أن يعلم أن سبب ضلال النصارى** وأمثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم **ثلاثة أشياء**:
أحدها: ألفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الأنبياء، وعدلوا عن الألفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها، وهم كلما سمعوا لفظا لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وإن لم يكن دليلا على ذلك. والألفاظ الصريحة المخالفة لذلك إما أن يفوضوها، وإما أن يتأولوها كما يصنع أهل الضلال، يتبعون المتشابه من الأدلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين.

والثاني: خوارق ظنوها آيات، وهي من أحوال الشياطين، وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين في الأصنام وتكليمها للناس، ومثل إخبار الشياطين للكهان بأمور غائبة، ولا بد لهم مع ذلك من كذب، ومثل تصرفات تقع من الشياطين.

والثالث: أخبار منقولة إليهم ظنوها صدقا وهي كذب"[286]

---

[285] "المصدر السابق": (3/176-178) وانظر أيضا: "إغاثة اللهفان": (2/401).

[286] "الجواب الصحيح": (2/315). وانظر أيضا- بخصوص الأخذ بالمتشابه: "الجواب الصحيح": (1/105)، (2/161)، (4/116)، (4/71) (4/77)، "إظهار الحق": (3/ 8 0 7).

القسم الثاني:
أسباب وعوامل انحراف النصارى عن دين الإسلام
هناك أسباب وعوامل كثيرة أدّت إلى إعراض النصارى عن دين الإسلام ورفضهم له وإيذاء أصحابه ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم وإنكار نبوته، وهي في الجملة العوامل السابقة في القسم الأول، والأسباب المانعة من قبول الحق وهي كثيرة جداً "فمنها الجهل به، وهذا هو السبب الغالب على أكثر النفوس؛ فإن من جهل شيئا عاداه، وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده فكان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف إلى ذلك توهمه أن الحق الذي دعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزّه وشهواته وأغراضه قوي المانع من القبول جداً، فإن انضاف إلى ذلك (خوفه) من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد النبي صلى الله عله وسلم ، ازداد المانع من قبول الحق قوة"
"ومن أعظم هذه الأسباب (الحسد) فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، وهل منع إبليسَ من السجود لآدم إلا الحسد، فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه، غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة"([287])
ومن الموانع كذلك حب المأكلة، والتقليد، والهوى، وإلفه "للدين الذي نشأ عليه فجبن بطبعه فصار انتقاله عنه كمفارقة الإنسان ما طبع عليه، وأنت ترى هذا السبب كيف هو الغالب المستولي على أكثر بني آدم في إيثارهم ما اعتادوه من المطاعم والمشارب والملابس و المساكن و الديانات على ما هو خير منه وأوفق بكثير"([288]).
إذا تأملنا النقل السابق نرى أنه تضمن أحد عشر عاملا من عوامل انحراف النصارى عن دين الإسلام هي:
المأكلة، والرئاسة، والحسد، وبغض من أمره بالحق، والكبر، والهوى ، ومحبة الآباء والأسلاف وحسن الظن بهم، وإلف الدين الذي نشأ عليه، والتقليد، والجهل، والخوف من فوات محبوب أو حصول

([287]) "هداية الحيارى" : (ص : 244 - 245).
([288]) "هداية الحيارى" : (ص : 437-438)، وانظر أيضا : (ص : 257).

مرهوب.
هذا،

- وإن أعم وأغلب هذه الأسباب حدوثا الجهل وإلف الدين السابق
- والتقليد أخص أسباب منع عوام النصارى من الدخول في الإ سلام
- وحب الرياسة والدنيا أخص الأسباب التي تمنع خواص النصارى من الدخول في الإسلام(289).

ومن شواهد هذا الأخير ما روى البخاري رحمه الله في صحيحه من قصة هرقل عظيم الروم أنه بعد أن أتته رسالة النبي صلى الله أذن "لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ لَهُ بِحِمْصَ، ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَافَغُلِّقَتْ ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الفَلا حِ وَالرُّشْدِ، وَأَن يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذَا النَّبِي، فَحَاصُوا حَيصَةَ حُمُرِ الوَحْشِ إِلَى الأ بْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الإ يْمَانِ قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيّ، وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفاً أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ"(290)

وههنا قِصة يحسن إيرادها تأكيداً على هذا العامل وهي تتضمن حواراً لعبد الله الترجمان(291) مؤلف كتاب "تحفة الأريب" أيام كان نصرانيا مع شيخ له قسيس كبير السن رفيع القدر عند النصارى وكان مما جاء فيها قول عبد الله رحمه الله:
"قلت له يا سيدي وما تقول في دين هؤلاء النصارى"؟
"فقال لي: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله؛ لأنّ عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله، ولكن بَدّلوا وكفروا"

---

(289) انظر: "المصدر السابق".

(290) جزء من حديث رواه البخاري": "كتاب بدء الوحي" باب رقم: [6] (1/61) مع الفتح. و "الدسكرة" بسكون السين المهملة القصر الذي حوله. ومعنى "فحاصوا" بمهملتين أي نفروا وشبههم بالوحوش لأن نفرتهم أشد من نفرة البهائم الإنسية. وشبههم بالحمر دون غيرها من الوحوش لمناسبة الجهل وعدم الفطنة بل هم أضل. انظر في ما سبق "فتح الباري" (1/60).

(291) هو عبدالله بن عبدالله الترجمان الميورقي من النصارى الذين أسلموا وكتب في الرد على النصارى "تحفة الأريب" واسمه قبل اسلامه (انسلم تورميدا): توفي: [سنة: 832]. انظر ترجمته في "كشف الظنون": (3/362). وانظر مقدمة تحقيق كتابه المذكور.

"فقلت له: يا سيدي (وكيف الخلاص) من هذا الأمر"؟
"فقال: يا ولدي بالدخول في دين الإسلام".
"فقلت له: وهل ينجو الداخل منه"؟
"فقال لي: نعم؛ ينجو في الدنيا والآخرة"
"فقلت له يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم، فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك منه"؟
"فقال لي: يا ولدي إن الله لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به من فضل الإسلام وشرف نبي أهل الإسلام إلا بعد كبر سني، ووهن جسمي (ولا عذر لنا فيه بل هو حجة علينا قائمة) ولو هداني الله لذلك وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز و الترف وكثرة عرض الدنيا، ولو أنّي ظهر علي شيء من الميل إلى دين ا لإسلام لقتلتني العامة في أسرع وقت، وهب أني نجوت منهم وخلصت إلى المسلمين فأقول لهم: إني جئتكم مسلما، فيقولون لي قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في دين الحق فلا تمنّ علينا بدخولك في دين خلّصْت به نفسك من عذاب الله، فأبقى بينهم شيخا كبيرا فقيرا ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقي فأموت بينهم جوعا[292] وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به يعلم الله ذلك مني"[293] إلخ.
وقال ابن القيم رحمه الله:
"وأما المتخلِفون فكثير منهم صرح بغرضه لخاصته وعامته وقال: إن هؤلاء (القوم قد) عظمونا ورأسونا وملكونا فلو اتبعناه لنزعوا ذلك كله منا، وهذا قد رأيناه نحن في زماننا وشاهدناه عيانا، ولقد ناظرنا بعض علماء النصارى معظم يوم فلما تبين له الحق بهت فقلت له -وأنا وهو خاليان-: ما يمنعك الآن من اتباع الحق"؟
فقال لي: (إذا) قدمت على هؤلاء الحمير -هكذا لفظه- فرشوا (الشقاق) تحت حوافر دابتي، وحكّموني في أموالهم ونسائهم ولم يعصوني؛ فيما آمرهم به. وأنا لا أعرف صنعة، ولا أحفظ قرآنا، ولا نحوا ولا فقها فلو أسلمت لدُرت في الأسواق أتكفف الناس، فمن الذي يطيب نفسا بهذا"؟

---

(292) هكذا زعم . وهو كذب محض أو وهم قحٌ.
(293) "تحفة الأريب" : (ص: 171).

"فقلت له: هذا لا يكون. وكيف تظن بـالله أنك لو (أسلمت) وآثرت رضاه على هواك يُحزنك ويُذِلك ويُحَوِّجك"؟!
"ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق والنجاة من النار و من سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك".
"فقال: حتى يأذن الله"
"فقلت: والقدر لا يحتج به. ولو كان القدر حجة لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح، وحجة للمشركين على تكذيب الرسل، ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به"؟
"فقال : دعنا الآن من ذلك وأمسَك"[294]
-فهذه العوامل الأحد عشر مع العوامل العشرة السابقة تكوِّن واحداً وعشرين عاملا.
وأختم بهذه العوامل الثلاثة لأهمية التنبيه عليها:

العامل الثاني والعشرون

ضئالة الجهود المبذولة في دعوتهم إلى الإسلام

إن كثيراً من النصارى وخاصة في إفريقيا لا يحظون بالدعوة إلى الإسلام فكثيراً ما يقولون لمن جاءهم يدعوهم إلى الإسلام هناك أنت أول من دعانا إلى الإسلام!-وقد يوجد من بينهم من سنه تسعون سنة- بل قد يقولون وهل المسلمون يدعون إلى دينهم أيضا! لندرة أو عدم من يأتيهم ليدعوهم.
فكيف لا ينحرف عن دينٍ من لا يعرفه وما دعاه إليه أحد؟
على أنّ الجهود المبذولة في دعوة النصارى إلى الإسلام في أنحاء العالم من قبل الأفراد والجماعات والمزاكز والمؤسسات الدعوية جهود مشكورة ولا شك، إلا ّ أنها لا تكفي ولا تفي بالغرض المطلوب.

العامل الثالث والعشرون:

تشويه سمعة الإسلام من قبل الأعداء

لا شك أن الحرب الشرسة والسيوف السامّة التي سلتها الدول النصرانية الكافرة ضد الإسلام والمسلمين والعمل الدؤوب في تشويه سمعته عقيدة وشريعة وأتباعا وإلصاق أنواع وأشكال من التهم به له أثر بالغ في صرف من يريد الدخول في الإسلام من النصارى وغيرهم؛ حيث اقتنع كثير من الناس بما يقوله أُلئك

---

(294) "هداية الحيارى" : (439 - 440).

الحاقدون فامتنع عن الدخول فيه بل لم يسمح لنفسه ببضع ساعات ليتعرف على حقيقته، فأنّى يعترف به دينا سماويا سمحاً يستحق أن يكون دين العالم أجمع.

العامل الرابع والعشرون:
ما عليه بعض المسلمين من الانحرافات العقدية والشرعية والسلوكية و المنهجية

من المؤسف المبكي أنك في بعض الأوقات والأماكن والأزمان لا تكاد تميز- حتى في بعض البلدان الإسلامية- بين المسلمين و النصارى وهذا من أكبر ما يصد النصارى عن دين الإسلام ويصرفهم عنه.

وقد سيأتي في مبحث "أدلة مشروعية الرد على النصارى من النظر الصحيح" كيف أن كثيراً من المسلمين تأثروا بهم واستقوا ضلالاتهم منهم.

قال ابن القيم رحمه الله مقرراً أثر هذا العامل في منع كثير من النصارى من الدخول في الإسلام:

"ولما علمت الرهبان والمطارنة والأساقفة أن مثل هذا الدين تنفر عنه العقول أعظم نفرة شدّوه بالحيل والصور في الحيطان" إلى أن قال:

وما عليه كثير من المسلمين من الظلم و،"وساعدهم على ذلك ما عليه اليهود من القسوة والغلظة والمكر والكذب والبهت الفواحش والفجور والبدعة والغلو في المخلوق، حتى يتخذه إلها من دون الله واعتقاد كثير من الجهال أن هؤلاء من خواص المسلمين وصالحيهم، فتركب من هذا وأمثاله تمسك القوم بما هم فيه، ورؤيتهم أنه خير (من) كثير مما عليه المنتسبون إلى الإسلام من البدع والفجور والشرك والفواحش.
ولهذا لما رأى النصارى الصحابةَ وما هم عليه آمن أكثرهم اختيارا وطوعا وقالوا: ما الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء.

ولقد دعونا نحن وغيرُنا كثيراً من أهل الكتاب إلى الإسلام، فأخبروا أن المانع لهم
ما يرون عليه المنتسبين إلى الإسلام، ممن يعظِّمهم الجهّال من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال، ونسبة ذلك إلى الشرع ولمن جاء به. فساء ظنهم بالشرع وبمن جاء به. فالله طليب قطاع طريق الله وحسيبُهم"[295]

هذه من أهم عوامل وأسباب انحراف النصارى في دينهم وعن دين الإسلام وعلى الدعاة إلى الله أن يدرسوا ما ذكر ههنا وما لم يذكر لإيجاد حلول مناسبة له.

---

(295) "إغاثة اللهفان": (2/415-416).

***


Modifier avec WPS Office

المبحث السابع:

أهم فرق النصارى

كان حواريو عيسى عليه السلام على دين واحد وعقيدة واحدة هي عقيدة التوحيد التي جاء بها نبي اللّٰه عيسى عليه السلام دون أي اختلاف بينهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.[296]

وكما قال في سورة أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾.[297]

لكن بعد رفع المسيح عليه السلام بدأ الاختلاف يدب إلى النصارى في أصول دينهم وصميم عقيدتهم وهكذا على مرور الأيام حتى تفاقم الخلاف فيما بينهم وأصبحوا فرقا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون[298]

وقد ذكر اللّٰه لنا بعض تلك الفرق الهالكة في كتابه العزيز في قوله:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.[299]

وفي قوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[300]

وفي قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.[301]

---

(296) "سورة المائدة": (آية: 111).

(297) "سورة الصف": (آية: 14).

(298) انظر عن تاريخ فرق النصارى ونشأتهم "اليهودية والمسيحية": (ص: 396)؛ "المسيحية" لأحمد شلبي (ص: 238)؛ "ألأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام" لعبد الواحد وافي (ص: 131-137)؛ "محاضرات في النصرانية" لأبي زهرة: (ص: 148).

(299) "سورة المائدة": (آية: 72).

(300) "سورة المائدة": (آية: 73).

(301) "سورة المائدة": (آية: 116).

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الافتراق الذي حصل بين النصارى في قوله: "افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ،وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة" الحديث [302]
ومنذ انفتح باب الافتراق على مصراعيه في النصرانية بدأت تتدفق منها الفرق والطوائف بل لا تزال في ازدياد وتكاثر حتى الآن حتى صارت الفرق المنتسبة إلى النصرانية أكثر من الفرق المنتسبة إلى أي دين آخر في العالم [303]

أهم فرق النصارى:

أهم فرق النصارى الآن ثلاث فرق الكاثوليك، والأرثوذكس، و البروتساتنت ولكن قبل التعريف بهذه الفرق ينبغي التنبيه إلى أن هذه الفرق كلها اتفقت على أمور هي:

التثليث والصلب والفداء والدينونة والمحاسبة واعتبار الكتاب المقدس بعهديه من حيث الجملة [304]

غير أنهم مع إجماعهم على هذه العقائد الفاسدة قد اختلفوا في أمور أخرى أهمها طبيعة المسيح ومشيئته ومُنبثق الروح القدس.
وقد تفرع عن هذا الخلاف العقدي خلافات في بعض الشعائر والأحكام

أولا: الكاثوليك (الملكانية):

المقصود بالكنيسة الكاثوليكية الكنيسة العامة أو العالمية، وهي أكبر الكنائس النصرانية وترى نفسها أنها أم الكنائس ويترأسها "البابا" في روما وتسمى بالكنيسة الغربية أو اللاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب ال لاتيني، وتسمى أيضا الكنيسة البطرسية نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين لأنها تدعي أنه مؤسسها.

أهم عقائد الكاثوليك زيادة على ما سبق:

1. أن للمسيح طبيعتين؛ لاهوتية وناسوتية
2. المساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن .

---

(302) رواه أبو داود "كتاب السنة" "باب شرح السنة" رقم [4596] (ص: 503). والترمذي (367/3)، وابن ماجه "باب افتراق الأمم" رقم: [3992] (ص: 429). وغيرهم وقال الترمذي: حديث حسن صحيح وقال شيخ الإسلام: "حديث صحيح مشهور" "مجموع الفتاوى" (345/3)، وانظر أيضا "منهاج السنة" (5/48-49). وكذلك صححه الألباني في الصحيحة رقم: [203، 204] (1/404-414). ومن العلماء من يضعف الحديث انظر ذلك مفصلا في الصحيحة (1 / 404 - 414).

(303) انظر: "اليهودية والمسيحية" لمحمد ضياء الرحمن الأعظمي (ص: 398).

(304) انظر: "دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية" للدكتور سعود الخلف: (ص: 275).

3. أن روح القدس انبثق من الأب والإبن معا
4. الاعتقاد بوجود جحيم صغير بمكان في قلب الأرض تحترق فيه الأ نفس التي ارتكبت في حياتها خطيئة حتى تنقى من أوزارها وتصبح أهلا للدخول في الفردوس السماوي. وهذه العقيدة ليس مصدرها الإ نجيل بل هو البابا غريغوريوس الكبير في عام :593م.
5. إن صلوات كهنة الكنيسة ترفع العذاب عن النفوس المتألمة ومن هنا نشأت عقيدة الغفران وهي أن ممثلي الكنيسة قادرون على تخليص ا لأرواح الهالكة في العذاب بالدعاء لها والصلاة عليها.
6. الاعتراف-وهو أن يبوح الإنسان للقسيس بما فعل من مآثم- ثم يظهر له الندم ويؤكد له عدم العودة إليه فيقبل القسيس منه ذلك ويدعو له بخير ويصدر له صك الغفران. وهذه العقيدة لم تكن معروفة في أوائل النصرانية ثم جعلت إجباريا في المجمع الثاني عشر سنة 1215م وتقرّر فيه أن الكنيسة البابوية تملك الغفران وتمنحه لمن تشاء.
7. تحرم الطلاق تحريما باتا ولا تبيح فسخ الزواج لأي سبب مهما عظم شأنه حتى الزنا لا يعد مبررا للطلاق [305]

ثانيا: الأرثوذكس (اليعقوبية)

ومعنى الأرثوذكس الحق أو الاستقامة، فمعنى الكنيسة الأرثوذكسية الكنسية المستقيمة سمت نفسها بذلك لأنها تدعي أنها صاحبة العقيدة الصحيحة المستقيمة، وتسمى كذلك بالكنيسة الشرقية [306].

أهم عقائد الأرثوذكس زيادة على ما سبق:

1. أن روح القدس انبثق من الأب وحده
2. عدم جواز إيقاع الطلاق إلا في حالة الزنا
3. لا يجتمعون تحت لواء رئيس واحد، بل كنيسة مستقلة بنفسها.

ثالثا: البروتستانت:

معنى اسم البروتستانت: الاحتجاج أو الاعتراض، وهذه الفرقة هي في

---

(305) انظر عن هذه الطائفة: "اليهودية والمسيحية" : (ص: 398)؛ "المعجم الموسوعي للديانات والعقائد" تعريب وتصنيف وتقديم الدكتور سهيل زكار (690/2)؛ "المسيحية لأحمد شلبي": (238)؛ "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة": (610/2)؛ "الأسفار المقدسة " لعبد الواحد وافي : (ص : 131 - 137).

(306) انظر عن هذه الطائفة: "الموسوعة الميسرة"(593/2)؛ "دراسات في الأديان": (ص: 277)؛ (593/2)؛ "اليهودية والمسيحية": (ص: 406)؛ "المسيحية" لأحمد شلبي: (ص: 239)؛ "الأ سفار المقدسة " لبعد الواحد وافي : (ص : 131 - 137).

الحقيقة منشقة عن الكاثوليك انفصلت عنها في أوائل القرن السادس عشر، وقد دعى إلى ظهور هذه النحلة أمور كثيرة يرجع أهمها إلى مظاهر الفساد التي بدت في كثير من شئون الكنيسة الكاثوليكية ومناهجها وطقوسها، وما أحدثته من بدع، ومسلك قسيسيها و القوامين عليها، وإلى تحكمها في تفسير كل شيء، ومحاولة فرض آرائها على جميع أتباعها حتى الآراء التي لا علاقة لها بالدين عندهم كالآ راء المتعلقة بظواهر الفلك والطبيعة وشؤون السياسة ونظم الحكم وما إلى ذلك، فظهر دعاة للإصلاح الديني وتخليص النصرانية من هذه ا لأدران والتي تكون منها المذهب. وكان على رأس هؤلاء المصلحين **مار تن لوثر**[307] **الألماني، وزونجلي السويسري**[308] **وكلفن الفرنسي**[309].

ما تميزت به البروتستانت:

تختلف البروتستانت عن غيرها بوجه عام وعن الكاثوليكية بوجه خاص في أمور فرعية من أهمها:

1. مصدر التلقي ، فإنها لا تعترف بغير الكتاب المقدس .
2. عدم الاعتراف بالبابوية أو الرياسة العامة في شؤون الدين .
3. ليس فيهم نظام الرهبنة كما لا تحرم الزواج على رجال الدين .
4. لا يملك حق الغفران إلا الله .
5. إنكار تحول الخبز والخمر إلى جسد المسيح في العشاء الرباني .
6. إنكار جميع ما تقدمه الكنائس الأخرى لمريم عليها السلام من طقوس وعبادات وأعياد.
7. تحريم ما تسير عليه الكنائس الأخرى من وضع الصور والتماثيل في أماكن العبادة، واتجاه المصلين بالسجود.

---

[307] ولد مارتن لوثر سنة 1483م في ألمانيا، وعين قسيسا لرعاية كنيسة كنتبرج بألمانيا، ثار ضد الفساد الكنسي، وكتب في معارضته وثيقته الشهيرة التي تتضمن خمسة وتسعين مبدأ في معارضة الكنسية وعلقها على باب كنيسة القلعة. توفي في بلدة وتنبرج عام [1546] مخلفا مجموعة من الكتب ولمؤلفات التي تؤصل قواعد مذهبه . انظر : "الموسوعة الميسرة " : (2 / 6 2 6).

[308] هو الروخ هولدريخ زونجلي، ولد سنة [1484] ونشأ في سويسرا وأصبح قسيسا وأحد دعاة حركة الإنسانية التي بدأت مع عصر النهضة الأوربية. دعا إلى نفس المبادئ التي دعا إليها مارتن لوثر ، وقد التقيا وتناقشا حول إصلاح الكنيسة لكن اختلفا في بعض القضايا "الموسوعة الميسرة " : (2 / 6 2 6).

[309] هو جوف كالفن ولد سنة [1509] في فرنسا وبها نشأ تأثر بآراء مارتن لوثر دون أن يقابله بواسطة بعض أقاربه وبعض أساتذته لكن بينهما اختلاف في بعض الأمور "الموسوعة الميسرة " : (2 / 7 2 6).

8. تحريم إقامة الصلاة بلغة غير مفهومة للمتعبد كما تفعل الكنائس الأ
خرى[310]

الفصل الثاني:
أحكام الرد على النصارى

وتحته ثمانية مباحث:

المبحث الأول:
معنى الرد

المبحث الثاني:
مشروعية الرد على النصارى ومراتبه

المبحث الثالث:
شروطه

المبحث الرابع:
آدابه

المبحث الخامس:
أهدافه

المبحث السادس:
أساليبه

المبحث السابع:
طرقه

المبحث الثامن:
أشهر الكتب المؤلفة في الرد على النصارى

---

[310] انظر عن هذه الفرقة: "المعجم الموسوعي للديانات": (179/1)؛ "اليهودية والمسيحية": (ص: 407)؛ "الموسوعة الميسرة": (625/2)؛ "محاضرات في النصرانية": (ص: 153)؛ "الأسفار المقدسة" لعبد الواحد وافي: (ص: 140-146).

المبحث الأول :

معنى الرد

الراء والدال أصل واحد مطّرد منقاس وهو رجع الشيء وصرفه .
تقول : رددت الشيء إلى الشيء أردّه ردا[311] وردّ عليه الشيء ، لم يقبله أو خطأه[312]
فمعنى الرد على النصارى إذاً : تخطئتهم ، ودفع شبهاتهم بطريقة من طرق الرد الآتي ذكرها إن شاء الله[313]

***

(311) انظر: "معجم مقاييس اللغة" (386/2) ؛ "القاموس المحيط" (ص : 360) ؛ "لسان العرب" (184/5).

(312) "الكليات" (ص : 476-477) .

(313) انظر : "مبحث طرق الرد على النصارى" (ص: 239).



المبحث الثاني :

مشروعية الرد على النصارى ومراتبه

العنصر الأول:

مشروعية الرد على النصارى

يستقي الرد على النصارى مشروعيته من الكتاب والسنة والنظر الصحيح ؛ فإنّ كل آية تأمر بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهي تدل دلالة عامة على مشروعية الرد على النصارى وكل حديث كذلك وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيرِ ويَأْمُرُونَ بِالمَعْروفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكرِ وَأولئك هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.[314]

وقوله صلى اله علية وسلم : "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِه ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِ يِمَانِ"[315]

فهذه الآية والحديث وأضرابهما يدلان على مشروعية الرد على النصارى من حيث العموم "فَإِنّ كُلّ دَعْوَةٍ إِلَى الحَقّ تَسْتَلْزِمُ الدّعْوَةَ إِلَى نَبْذِ ضِدِّهِ مِنَ البَاطِلِ؛ "لأ نّ الأ مْرَ بِالشّيء نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ"[316]

ومن المعلوم أن الدعوة إلى المعروف لا بد فيها من تحسينه وتبيينه ، وا لاستدلال له ، والرد على شبهات من اعترض عليه أو طعن فيه ، كما أن إنكار المنكر لا بد فيه من تهجينه ، والاستدلال على فساده ، والرد على شبهات من يحسنه أو يدعو إليه . وأي حق وأي معروف أحسن من الدعوة إلى الإيمان والتوحيد ، وأي باطل وأي منكر أشنع من ترك الدعوة إليهما وغض الطرف عن الشرك والتنديد

أمّا الدلالة العامة من النظر الصحيح على مشروعية الرد على النصارى فلأنه لا مصلحة أحسن من التوحيد ، ولا مفسدة أقبح من الشرك وفي الرد على النصارى دعوة إلى تلك المصلحة وصيانتها ، ودفع لتلك المفسدة وإبطالها فيكون مشروعا.

وبجانب هذه الأدلة العامة على مشروعية الرد على النصارى أدلة خاصة تدل عليها وهي على النحو التالي :

---

(314) "سورة آل عمران" : (آية : 104).

(315) رواه مسلم في "كتاب الإيمان" باب "بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان" (211/1) ، رقم : [175].

(316) "روضة الناظر" لابن قدامة : (68/3).

أولا:
أدلة مشروعية الرد على النصارى من القرآن الكريم

تعددت أوجه دلالات القرآن الكريم على مشروعية الرد على النصارى من أهمّها ما يأتي:

الوجه الأول:
قيامه جلّ شأنه بالرد عليهم بنفسه

لا شك أنّ تولي الله سبحانه وتعالى الرد على النصارى ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة بنفسه لمن أعظم ما يدل على مشروعية الرد عليهم من جهة، وعلى شدّة كفرهم وعظم فساد عقائدهم من جهة أخرى.

ومن تلك الآيات التي ردّ الله تعالى فيها على النصارى ما جاء في قوله جلّ شأنه:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[317].

وقوله جل ذكره: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ، قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[318].

وقوله تعالى :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾[319].

وقوله تعالى :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[320].

و قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا

---

[317] "سورة آل عمران" : (آية : 59) .
[318] "سورة المائدة" : (آية : 76) .
[319] "سورة النساء" : (آية : 171) .
[320] "سورة التوبة" (آية : 30) .

لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}[321]

ففي هذه الآيات وأضرابها ناقش اللّه تبارك وتعالى النصارى في أهم مفردات دينهم وأصول عقائدهم ألا وهي ادعاء ربوبية المسيح وألوهيته هو وأمه وبنوته لله سبحانه وتعالى وأنه صلب كما يزعمون ، فهتك أستارهم وأزاح النقاب عن شبها تهم وكشف ضلا لتهم بل وبين مردها من حيث المصدرية بأنها من تفاهات الذين من قبلهم لا تمت إلى دين الأنبياء بأدنى صلة متبعا في ذلك طرقا متعددة ، وأساليب متنوعة يأتي ذكر مجموعة منها إن شاء اللّه فيما بعد[322]

أمره سبحانه وتعالى بمحاججتهم وبيان بطلان عقائدهم والردعليهم

قال تعالى :

{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[323]

دلت هذه الآية على مشروعية الرد على النصارى من ثلاثة أوجه :

1. أمره تعالى بمجادلة الذين لم يظلموا من النصارى ولا شك أن مجادلتهم تستلزم الرد عليهم في عقائدهم الباطلة والجواب على أسئلتهم وإيراداتهم على الإسلام وهذا ردٌّ آخر عليهم يتعلق باعتراضاتهم على الإسلام.
2. أمره تعالى أن يقال لهم {آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} ففي هذا تعريض ورد على الكتب التي بأيديهم حيث إنها ليست هي التي أنزل اللّه تعالى على التحقيق
3. أمره تعالى أن يقال لهم {وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ} ففي هذا أمر بالرد عليهم في قولهم بالتثليث.

وقال أيضا :

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

---

[321] "سورة النساء" : (آية : 158) .

[322] انظر : "مبحث أساليب الرد على النصارى" (ص: 217).

[323] "سورة العنكبوت" : (آية : 46) .

طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[324]
دلت هذه الآية على مشروعية الرد على النصارى من عدة أوجه منها:

1. أمره تعالى بأن يقال لهم: ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ و الإنجيل﴾ لأنّ التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله محرفان الآن فهذا حكم عليهم بأنهم ليسوا على شيء مطلقا
2. أمره تعالى أن يقال لهم ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي القرآن العظيم[325] وهم لم يؤمنوا به فهذا أمر بالرد عليهم فيما يتعلق بالإ سلام ونبوة نبينا محمد صلى الله عليهم وسلم والقرآن العظيم.
3. قوله : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فيه الحكم عليهم بالكفر ، وهذا يتضمن الرد عليهم والأمر بذلك نحوهم.

الوجه الثاني :
أمره سبحانه وتعالى بمحاجتهم وبيان بطلان عقائدهم والردعليهم
قال تعالى :
﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[326]
دلت هذه الآية على مشروعية الرد على النصارى من ثلاثة أوجه :

4. أمره تعالى بمجادلة الذين لم يظلموا من النصارى ولا شك أن مجادلتهم تستلزم الرد عليهم في عقائدهم الباطلة والجواب على أسئلتهم وإيراداتهم على الإسلام وهذا ردّ آخر عليهم يتعلق باعتراضاتهم على الإسلام.
5. أمره تعالى أن يقال لهم ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ ففي هذا تعريض ورد على الكتب التي بأيديهم حيث إنها ليست هي التي أنزل الله تعالى على التحقيق
6. أمره تعالى أن يقال لهم ﴿وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾ ففي هذا أمر بالرد عليهم في قولهم بالتثليث.

وقال أيضا :

---

[324] "سورة المائدة" : (آية : 68) .
[325] قاله مجاهد . انظر "تفسير ابن كثير" (2 / 76) .
[326] "سورة العنكبوت" : (آية : 46) .

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيل وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} (327)

دلت هذه الآية على مشروعية الرد على النصارى من عدة أوجه منها:

4. أمره تعالى بأن يقال لهم: {لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ و الإنجيل} لأنّ التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله محرفان الآن فهذا حكم عليهم بأنهم ليسوا على شيء مطلقا
5. أمره تعالى أن يقال لهم {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} أي القرآن العظيم (328) وهم لم يؤمنوا به فهذا أمر بالرد عليهم فيما يتعلق بالإ سلام ونبوة نبينا محمد صلى الله عليهم وسلم والقرآن العظيم.
6. قوله : {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} فيه الحكم عليهم بالكفر ، وهذا يتضمن الرد عليهم والأمر بذلك نحوهم.

الوجه الثالث:

أمره سبحانه وتعالى نبيه عليه السلام بمباهلتهم

قال الله عز وجل {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ} (329) والمباهلة أسلوب من أساليب الرد على النصارى كما سيأتي

ثانيا:

أدلة مشروعية الرد على النصارى من السنة

دلت السنة النبوية على مشروعية الرد على النصارى من عدّة أوجه من أهمها ما يأتي:

الوجه الأول:

أمره صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم

قال عليه الصلاة والسلام :

"جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ" (330)

---

(327) "سورة المائدة" : (آية : 68) .

(328) قاله مجاهد . انظر "تفسير ابن كثير" (2 / 76).

(329) "سورة آل عمران" : (آية : 61) .

(330) رواه الإمام أحمد في "المسند" (272/19) رقم : [12246] وبرقم : [12555] وبرقم : [13638] ؛

قال ابن حزم رحمه الله : " وهذا حديث في غاية الصحة وفيه الأ مر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله"[331]
وقال الصنعاني رحمه الله : "الحديث دليل على وجوب الجهاد بـ النفس " إلى أن قال: " والجهاد باللسان بإقامة الحجة عليهم ودعائهم إلى الله"[332] إلخ .
وقال السعدي رحمه الله : :وأجمع المسلمون على أنّ الجهاد ماض مع البر والفاجر وأن من الفروض المستمرة الجهاد القولي والفعلي"
ولا شك أن النصارى على رأس قائمة المشركين قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[333]

الوجه الثاني:
قيامه صلى الله عليه وسلم بنفسه بالرد عليهم
ومن أصرح ما يدل على هذا الوجه قصة وفد نصارى نجران وحاصلها : أن النبي صلى الله عليه وسلم راسل أسقف نجران يدعوه هو وقومه إلى الإسلام ونبذ النصرانية فاستشار الأسقف قومه فأشاروا إليه أن يرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفدا يأتونه بخبره عليه السلام ، فجاء الوفد ، ودارت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم مساءلة ، إلى أن سألوه: "ما تقول في عيسى فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى فيسرنا إن كنت نبيا أن نعلم ما تقول فيه" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما عندي فيه شيء يومي هذا فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى عليه السلام فأصبح الغد وقد أنزل الله عز وجل ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[334]
فأبوا أن يقروا بذلك ، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة كما أمره ربّه عز وجل في قوله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ

وأبو داود في "كتاب الجهاد" باب "كراهية ترك الغزو" (22/3) رقم : [2504] ؛ والنسائي في السنن "كتاب الجهاد" باب "من خان غازيا في أهله" (358/6) رقم [3192] . وإسناده صحيح على شرط مسلم . انظر تخريجه موسعا في "الموسوعة الحديثية- المسند" (272/19) وفي "صحيح سنن أبي داود" للألباني (265/7) رقم : [2262].

[331] ذكر ذلك في مقدمة كتابه : "الإحكام في أصول الأحكام" (26/1).

[332] ذكر ذلك في كتابه "سبل السلام" (7/ 238). عند شرحه لهذا الحديث ورقمه عنده : [1178/2] من "كتاب الجهاد"

[333] "سورة المائدة" : (آية : 73).

[334] "سورة آل عمران" : (آية : 59).

مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[335] فلم يستجيبوا له إلى ذلك لأنهم يعرفون أنه على الحق ، ونزلوا على حكمه[336]

ومن ذلك أيضا ما رُوي من ردّه صلى الله عليه وسلم على هِرَقْل عَظيم الروم في قوله:

"تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فَأَيْنَ النَّارُ ؟" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟"[337].

ويدخل تحت قيامه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم أيضا:

بعوثه ورسائله إلى الملوك والبلدان

مما يدل على مشروعية الرد على النصارى في السنة النبوية بعوثه ورسائله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والبلدان فإن الرسائل و البعوث وإن كانت صورتها صورة الدعوة إلا أنها من جنس رد الباطل وإنكاره فهي إذاً أصل من الأصول المعتمدة في الرد على النصارى وإبطال دعاواهم.

وقد جاء ذكر جملة من بعوثه ورسائله صلى الله عليه وسلم في كتب السنة.

فعن **المغيرة بن شعبة** رضي الله عنه قال "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَجْرَانَ فَقَالُوا أَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَ ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾[338] وَقَدْ كَانَ بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى مَا كَانَ ؟ فَلَمْ أَدْرِ مَا أُجِيبُهُمْ ، فَرَجَعْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ : أَلَا أَخْبَرْتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا

---

[335] "سورة آل عمران" : (آية : 61).

[336] انظر القصة بتمامها وتفاصيلها في : "السيرة النبوية" لابن هشام : (2/195-205) ؛ "الطبقات الكبرى" لابن سعد : (1/357-358) ؛ "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة" للبيهقي : (5/382-393) ؛ "البداية والنهاية" لـ**ابن كثير** : (7/272-262) ؛ "زاد المعاد" لـ**ابن القيم** : (3/646-629) . وأصلها في الصحيحين . انظر "صحيح البخاري" "كتاب المغازي" باب "قصة وفد نصارى نجران" (8/427) رقم : [4380] مع الفتح ؛ و"صحيح مسلم" "كتاب الفضائل" باب "فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (16/186) رقم : [6204] مع المنهاج .

(337) أخرجه أحمد في "المسند" مطولاً : (24/416-419) ، رقم : [15655] وقال **ابن كثير** في "البداية والنهاية" : (5/16) "هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرّد به أحمد" اهـ . (5/16) وحكم عليه الذين قاموا بتخريج هذا الجزء من المسند- وهم: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، وإبراهيم الزيبق بالضعف : (24/417).

[338] "سورة مريم" : (آية : 28).

يُسمُّونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ"[339]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذا قال بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِلَى اليَمَنِ) فَقَالَ إنك تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَومٍ وَلَيلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فَإِنه لَيسَ بَيْنَهَا وَبَينَ اللَّهِ حِجَابٌ"[340]

فالمغيرة ومعاذ رضي الله عنهما كرسولين من رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى البلدان يجب عليهما توضيح حقيقية الإسلام وتبيانها ، ودحض مفتريات النصارى[341] وإبطالها ولا بد أن يصحب ذلك ردودٌ عليهم ، فهو إذاً مما يدل على مشروعية الرد على النصارى.

وكذلك راسل النبي صلى الله عليه وسلم، عديدا من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ونبذ ما هم عليه من الديانات الباطلة ومنها النصرانية فعن أنس رضي الله عنه "أنّ النّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى ، وَإِلَى قَيصَرَ ، وَإِلَى النَّجَاشِي ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلَيسَ بِالنَّجَاشِي الَّذِي صَلَّى عَلَيهِ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ" [342].

ولا شك أنّ ملوك النصارى وعظماءهم في مقدّمة من كاتبهم النبي صلى الله عليه وسلم فقد راسل عليه السلام قيصر ـ عظيم الروم ، و المُقَوقِس - عظيم القِبْط، والنجاشي - عظيم الحبشة ، ومُرَيْحَتّهْ بن رُوبَه وسَرْوَات - أُسْقُفَا أَيْلَة - و ضَغَاطِر أُسْقُف الروم في القُسْطَنْطِينِيّة ، و

---

[339] رواه مسلم ، "كتاب الآداب" باب "النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من ا لأسماء" (342/14) رقم : [5563]، والترمذي ـ واللفظ له ـ في "كتاب التفسير" باب "من سورة مريم"

(ص : 501) رقم : [3155] ، من تفسير سورة مريم ، (5164).

[340] رواه البخاري في "كتاب الزكاة" (3/4) رقم : [1395] مع الفتح ، ومسلم في "كتاب الإ يمان" باب "الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام" (146/1-147) ، رقم : [121] .

[341] فقد صرّح النبي صلى الله عليه وسلم ، في حديث معاذ بأنه يأتي قوما من أهل الكتاب ، وقد سبق أن النصارى ممن تصدق عليهم هذه التسمية ، أمّا أهل نجران فكان فيهم نصارى كما هو معلوم.

[342] رواه مسلم في "كتاب الجهاد" باب "كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل" (329/12) رقم : [4585] .

الحارث بن أبي شَمّر وجَبَلَة بن الأ يْهَم الغَسّانِيين ـ عامِلا قيصر في غسّان ـ وأساقفة نجران [343]

وهذه نماذج من رسائله صلى الله عليه وسلم إلى بعض ملوك النصارى يدعوهم فيها إلى الإسلام والتوحيد، ونبذ التثليث والتنديد.

أولا : رسالته عليه السلام إلى هِرَقل عظيم الروم

ونصها :

"مِنْ مُحَمّدٍ عَبْدِ اللّه ِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقلَ عَظِيمِ الرُّومِ ، سَلا مٌ عَلَى مَنِ اتبَعَ الهُدَى. أمّا بَعْدُ فَإِنّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِ سْلا مِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللّه ُ أَجْرَكَ مَرّتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و{قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تعَالَوْا إِلَى كلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إلا ّ تَعْبُدَ ألا ّ اللّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنّا مُسْلِمُونَ}. [344]

---

[343] انظر فهرس كتاب : "مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة" لمحمد حميد. والإحالات هناك.

[344] الآية من "سورة آل عمران" : (آية : 64) . والحديث رواه البخاري في "كتاب بدأ الوحي": رقم: [7] (49/1) مع الفتح ؛ ومسلم "كتاب الجهاد" باب "كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام": [4583] (322/12) مع المنهاج.

ثانيا: رسالته عليه السلام إلى النجاشي عظيم الحبشة

ونصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة ، أسلِمْ أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته وأن تتبعني ، وتوقن بالذي جاءني ، فإني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصيحتي ،

والسلام على من اتبع الهدى"(345) .

ثالثا : رسالته عليه السلام إلى عظماء النصارى في اليمن

ونصها :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى الحارث ومسروح، ونُعيم بن عبد كُلال، سِلْم أنتم؟

ما آمنتم بالله ورسوله، وإن الله وحده لا شريك له بعث موسى بآياته وخلق عيسى بكلماته، قالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارى الله ث الث ثلاثة ،عيسى ابن الله"(346).

فهذه الرسائل فيها من مشروعية الرد على النصارى ما لايخفى؛ لأنّه كما سبق مرارا وكما سيأتي أن من أنواع الرد على النصارى دعوتهم إلى الإس لام؛ لأن الدعوة إلى الحق دائما تتضمن الدعوة إلى ترك الباطل وردّه.

---

(345) انظر : "زاد المعاد" : (1/ 601 -602).

(346) "طبقات ابن سعد" : (1/ 282 - 283).

ومما يدخل تحت قيامه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم أيضا غزواته صلى الله عليه وسلم ضد دول النصارى

إن مما يدل على مشروعية الرد على النصارى قتال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض دول النصارى كما في غزوة تبوك ، وغزوة مؤتة ، ودلالة هذا الوجه على مشروعية الرد على النصارى من وجهين :

الأول : أنّ من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، في الغزوات أن يدعو من يريد غزوهم إلى الإسلام أوّلا [347] ، وقد تقرر أن مجرّد الدعوة إلى الإسلام تستلزم الدعوة إلى نبذ غيره من الأديان ، والرد عليها ردا ضمنيا .

الثاني : أنّه إذا كان الرد عليهم بالسيف والسنان مشروعا ، فلأن يكون بالحجة واللسان من باب أولى [348]

الوجه الثالث:

هجاء المشركين

إنّ مشروعية هجاء المشركين تدل على مشروعية الرد على النصارى من باب أولى.

قال **شيخ الإسلام بن تيمية** رحمه الله: "وكان ـ النبي صلى الله عليه وسلم -ينصب لحسّان منبراً في مسجده يجاهد فيه المشركين بلسانه جهادَ هَجْوٍ، وهذا كان بعد نزول آيات القتال ، وأين منفعة الهجو من منفعة إقامة الدلائل والبراهين على صحة الإسلام ، وإبطال حجج الكفار من المشركين وأهل الكتاب؟"[349]

وعلى ما دل عليه الكتاب والسنة من مشروعية الرد على النصارى سار السلف والأئمة عليهم رحمة الله فقاموا بالرد عليهم بجميع أنواعه وصوره؛ فجادلوهم وناظروهم ، وكتبوا في الرد عليهم كتبا كثيرة وسيأتي الكلام عليها في مبحث مستقل ، وأمّا ما قاموا به من مناظرات وحوارات وردود شفهية فهاك جزءا منها:

---

[347] انظر : "زاد المعاد" : (100/3).

[348] انظر : "الجواب الصحيح" (238/1).

[349] "الجواب الصحيح" : (238/1).

أولا: بين حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه والمقوقس عظيم القبط
أرسل النبي صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه إلى المقوقس عظيم القبط فمضى حاطب بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انتهى إلى الإسكندرية وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر، فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين إصبعيه، فلما رآه أمر بـ الكتاب فقبض، وأمر به فأوصل إليه فلمّا قرأ الكتاب قال ما منعه إن كان نبيا أن يدعو عليّ فَيُسَلّط عليّ ؟
فقال له حاطب: ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل ويفعل؟ فوجم ساعة ثم استعادها فأعادها عليه حاطب، فسكت[350]
أكرم المقوقس رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزله في منزله، فقام حاطب عنده ليالي، ثم بعث إليه وقد جمع بطارقته فقال: إني سأكلمك بكلام وأحب أن تفهمه عني،
قال قلت هلم.
قال: أخبرني عن صاحبك أليس هو بنبي؟
قال قلت: بلى! هو رسول الله.
قال: فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها ؟ قال فقلت له: فعيسى بن مريم تشهد أنه رسول الله فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه في السماء الدنيا؟!
فقال أنت حكيم جاء من عند حكيم[351]
وسأله عن الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومه فأخبره أنها بينهم سجال فقال المقوقس أنبي الله يغلب؟
فقال ابن أبي بلتعة أ ولد الله يصلب؟!"[352]
ثانيا: بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين يهودي
قال يهودي لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه " ما نفضتم أيديكم من تراب دفن نبيكم حتى قلتم " منّا أمير ومنكم أمير " فقال له : "

---

(350) "فتوح مصر وأخبارها" لابن عبد الحكم : (ص/41).
(351) "فتوح مصر وأخبارها" : (ص : 43) ؛ "دلائل النبوة" للبيهقي : (4/ 395 - 396)؛ "الاستيعاب" لابن عبد البر : (313/1) ؛ "أسد الغابة" لابن الأثير : (433/1) ؛ "السيرة النبوية": (3/ 514).
(352) "عيون المناظرات" لأبي علي عمر السكوني : (ص : 185).

ما جفّت أقدامكم من فلق البحر حتى قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة"[353].

ثالثا : بين ابن وافد وطبيب الرشيد النصراني

رُوي أن هارون الرشيد كان له علج طبيب له فطنة وأدب ، فودّ الرشيد أن لو أسلم فقال له يوما : "ما يمنعك عن الإسلام ؟ " فقال : "آية في كتابكم حجة على ما أنتحله " فقال: "وما هي ؟ "قال قوله تعالى عن المسيح عيسى عليه السلام ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ وهو الذي نحن عليه.

فَعَظُم ذلك على الرشيد وجمع له العلماء فلم يحضرهم جواب ذلك حتى ورد قوم من خراسان فيهم علي بن وافد من أهل علم القرآن فأخبره الرشيد بالمسألة فاستعجم عليه الجواب ، ثم خلا بنفسه وقال : "ما أجد المطلوب إلا في كتاب الله " ، فابتدأ القرآن من أوله وقرأ حتى بلغ سورة الجاثية إلى قوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[354] فخرج إلى الرشيد وأحضر العلج فقرأها عليه وقال له: "إن كان {روح منه} يوجب أن يكون عيسى بعضا منه تعالى وجب ذلك في السماوات والأرض" فانقطع النصراني ولم يجد جوابا ، فأسلم النصراني وسرّ الرشيد بذلك ، وأجزل صلة ابن وافد ، فلما رجع ابن وافد إلى بلده صنف كتاب النظائر في القرآن[355].

---

(353) "عيون المناظرات" للسكوني (ص : 167) ، ثم قال - أي السكوني "فانقطع اليهودي ولم يجد جوابا؛ لأن منا أمير ومنكم أمير " ليس فيه ما يهدم الدين ، وإنما الطامّة العظمى ما أتى به اليهود من الكفر ، ثم عبدوا العجل بإثر ذلك" [نفس الصفحة].

(354) "سورة الجاثية " : (آية 13).

(355) "عيون المناظرات": (ص : 208).

ثالثا:

أدلة مشروعية الرد على النصارى من النظر الصحيح

لا شك أن النظر الصحيح - وهو ما حكم به العقل الصريح- يقضي ومن وجوه متعددة بمشروعية الرد على النصارى ويؤكدها. وهذه عشرون وجها من تلك الوجوه الكثيرة:

الوجه الأول :

عظم جنايتهم على الله سبحانه وتعالى

فقد سب الله َ النصارى مسبة ما سبّه إياها أحد من البشر فادّعوا له الصاحبة والولد وجعلوا معه آلهة أخرى ، ونسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد من العالمين[356]

فهم من أولى الناس بالرد حينئذ فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ردّ على من طعن في ناقته القصواء[357] فما بالك بالرد على من طعن في رب الأرض والسماء؟

الوجه الثاني :

تحريفهم لدين منزل من عندالله بأكمله

فجعلوا النبي الذي جاء به إلها ، وغلوا في أتباعه فجعلوهم رسلا ، وحرّفوا كتاب الله وافتروا على الله كذبا فلا بد من الرد عليهم وبيان باطلهم كما نرد على من فعل مثل ذلك أو أقل منه من المسلمين وإلا كان في ذلك تفريق بين رسل الله وتأييد للغلو في أنبيائه وأوليائه وتحريف كتبه.

الوجه الثالث :

اجتهادهم وتفانيهم في الدعوة إلى دينهم المحرف وتنوع أساليبهم في ذلك

لا شك إن الجهود المبذولة من قبل النصارى في نشر دينهم وتقرير

---

(356) انظر قاعدة : "**ما سب الله أحد ما سب النصارى رب العالمين**" : (ص : 364).

(357) وذلك في الحديث الذي أخرجه البخاري في "صلح الحديبية" (241/5، 245) وفيه : "وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيهِمْ مِنْهَا بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ ، فَقَالَ النَّاسُ : حَلْ حَلْ ، فَأَلَحَّتْ فَقَالُوا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ ، خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم : "مَا خَلَأَتِ الْقَصْوَاءُ ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ" إلخ . وذكر **ابن القيم** رحمه الله من فقه هذه القصة قوله: "ومنها رد الكلام الباطل ولو نسب إلى غير مكلف ، فإنهم قالوا : خلأت القصواء ، يعني حَرَنت وألحّت ، فَلَمْ تسِر ، فلما نسبوا إلى الناقة ما ليس من خُلُقها وطبعها ردّه عليهم ، وقال "ما خلأت وما ذاك لها بخلق" اهـ ملخّصًا. انظر : "زاد المعاد" : (302/3).

عقيدتهم الباطلة ، وبث الشبهات عن الإسلام والطعن فيه تكاد تكون في سلك القصص الأسطورية التي يصعب تصديقها لولا أنها حقيقة واقعية يمتنع تكذيبها.
فالكتاب المقدس لوحده تمت ترجمته إلى أكثر من ثلث لغات العالم حيث جاء في تقرير "اتحاد منظمات الكتاب المقدس" أن الكتاب المقدس تمت ترجمته - كله أو جزء منه - إلى ألفين ومائتين وثلاث وثلا ثين لغة من مجموع ست آلاف وخمسمائة لغة في العالم بالإضافة إلى ستمائة وخمس وثمانين ترجمة على الطريق (358) ، كل ذلك مقابل ترجمة القرآن الكريم -كله أو جزء منه- إلى مائة وخمسين لغة في العالم (359)
بل حسب خطتهم الجديدة الموسومة بـ"فرصة القرن الحادي و العشرين"
"21st Oppotunity" وهي امتداد لخطة عام ألفين لتنصير إفريقيا . فبموجب الخطة المذكورة ، كانت الجهود المعززة في تنصير إفريقيا ، وبالأخص نيجيريا تتمثل في أمور خطيرة منها:
-ترجمة الكتاب المقدس إلى لغة كل قبيلة يبلغ أفرادها خمسمائة ألف شخص والعهد الجديد إلى لغة كل قبيلة يبلغ أفرادها مائتين وخمسين ألف شخص . وجزء من الكتاب المقدس إلى لغة كل قبيلة يبلغ عدد أفرادها مائة ألف شخص.
-ومنها وتسجيل الكتاب المقدس في أشرطة الكاسيت باللغات المختلفة حتى يصل إلى العامي ورجل الشارع بسهولة ، ويتم تسجيله في جهاز لا يحتاج في تشغيله إلى كهرباء أو بطّارية كل هذا سعيا في جعل الكتاب المقدس في متناول كل أحد وبلغته التي يفهمها بحلول عام (2010) (360)
أما ما يتعلق بغير الكتاب المقدس من معاول هدم الإسلام وتشييد التنصير فتقول التقارير يزيد عدد الكتب المؤلفة لأغراض التنصير عن (22100) (مائة واثنين وعشرين ألفا) كتاب في لغات ولهجات متعددة، ويبلغ عدد النشرات والمجلات الدورية المنتظمة ألفين ومائتين وسبعين

---

(358) ورد ذلك في مقالة بعنوان : The Bible in various languages أي " الكتاب المقدس في اللغات المختلفة" انظر : "موقع اتحاد منظمات الكتاب المقدس" United Bible Societies على شبكة الأنترنت.

(359) انظر : "موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف" على شبكة الإنترنت.

(360) انظر كلاما مفصلا عن خطة "فرصة القرن الحادي والعشرين" ***"21st Oppotunity"*** في الموقع الذي خصصوه لها على شبكة الأنترنت.

(2270) نشرة ومجلة وتوزّع منها ملايين النسخ بلغات مختلفة ، ويزيد عدد محطات الإذاعات التنصيرية على ألف وتسعمائة (1900) إذاعة ، تبث إلى أكثر من (100) دولة وبلغاتها[361]
أما عدد المنظمات التنصيرية في العالم فيبلغ عددها أربعة وعشرين ألفا وخمسائة وثمانين (24580) منظمة ، وعدد المنظمات العاملة في مجا لات الخدمة يزيد عن عشرين ألفا وسبعمائة (20700) منظمة ، ويبلغ عدد المنظمات التي تبعث منصرين متخصصين في مجالات التنصير والإ غاثة ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانين (3880) منظمة ويزيد عدد المعاهد التنصيرية على ثمانية وتسعين ألفا وسبعمائة وعشرين (98720) معهدا تنصيريا ، ويبلغ عدد المنصرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصراني أكثر من مائتين وثلاثة وسبعين ألفا وسبعمائة وسبعين (273770) منصّرا[362]
أمّا عن ميزانيات منظمات التنصير فقد عاد الأمر لا يكاد ينضبط فميزانية منظمة واحدة تنصيرية في أمريكا فقط فاقت ميزانيات جميع الجميعيات الدعوية والخيرية في المملكة العربية السعودية مجتمعة[363]
أمّا المساعدات الإنسانية من مستشفيات ، ومدارس ، وما أشبه ذلك فحدّث ولا حرج فكثير من المنظمات الإنسانية في الأمم المتحدة من أكبر أهدافها نشر الديانة النصرانية ، بل صدر قرار أواخرَ القرن الماضي بتحويل كافة المنظمات التي تعمل تحت الأمم التمحدة إلى منظمات تنصيرية[364]
فهذا السعي الجاد من قبل النصارى في نشر النصرانية والتبشير بها ، في أنحاء العالم ، وبثهم الشبهات تجاه الإسلام وأحكامه وإخراج المسلمين من إسلامهم إلى اعتقاد عقائدهم والتدين بديانتهم وبذلهم في ذلك الأموال والأنفس ، وسلوكهم كل طريق موصلة إلى ذلك ماديا

---

(361) "نشرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي عن التنصير" وانظر : "التنصير في الأدبيات العربية" للدكتور علي بن إبراهيم النملة : (ص : 15-16).
(362) "المصدر السابق"
(363) سمعته من "الدكتور الوهيبي" الأمين العام "للندوة العالمية للشباب الإسلامي" في ندوة "تحصين شباب الجامعات ضد الغزو الفكري التي أقامتها الجامعة الإسلامية عام (1423)
(364) أفادني بذلك "الدكتور حقار محمد أحمد" أحد الرجالات المقاومين للتنصير وخاصة في إفريقيا في مقابلة أجريتها معه عن التنصير في إفريقيا في رمضان عام (1422) بمكة المكرمة.

واجتماعيا وصحيا ونفسيا ، كل ذلك ونظيره منهم قاض بوجوب الرد عليهم لبيان باطلهم والتحصين من مصائدهم وحفظ دين الله من شبههم.

الوجه الرابع:

شدة تمويههم وكثرة تدليسهم وعظيم كذبهم في ترويج دينهم المحرّف

فتارة يحتكرون الهداية فيما بينهم كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِين﴾[365]

وتارة بادعاء أن إبراهيم عليه السلام أبا الحنفاء كان نصرانيا كما أشار الله تبارك وتعالى إلى ذلك في رده عليهم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[366]

وتارة بادعاء أنه لا يدخل الجنة إلا من كان على ملتهم كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين﴾.[367]

وتارة بادعائهم فضيلة ينفردون بها عن سائر الخلق كما حكى الله عنهم في قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.[368]

وتارة بادعاء أن القرآن صوبهم ومدح ملتهم ويستدلون على ذلك بآيات منها قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.[369] على أنّ لهم الغلبة على غيرهم لأنّهم أتباع المسيح كما يزعمون وبقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإنجيل وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.[370] على أنّ الله صوّبهم ومدح

---

(365) "سورة البقرة" : (آية : 135) .

(366) "سورة آل عمران" : (آية : 67) .

(367) "سورة البقرة" : (آية : 111) .

(368) "سورة المائدة" : (18) .

(369) "سورة آل عمران" : (55) .

(370) "سورة الحديد" : (آية : 27).

رهبانيتهم.

الوجه الخامس:

كثرتهم من حيث العدد والعُدّة

إن الدّول النصرانية أو الموالية لها مثل- أمريكا وبريطانيا وفرنسا - أكثرها في سلك الدول الكبرى كما يقولون، وبما أن النصرانية أكثر ديانات العالم أتباعا حيث إن عددهم كما يقال أكثر من عدد المسلمين بكثير وهذا مما دعا بعض الحمقى أو الذين لا يعلمون إلى تصويب طريقهم بل الدعوة إلى الاقتداء بهم فلا بد من الرد عليهم إذاً وبيان "أنّ **الكَثْرَةَ لا تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ النِّحْلَةِ وَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّتِهَا الحُجَّةُ وَإِنْ قَلَّ عَدَدُ السَّالِكِين**"[371] بل قد قال تعالى : {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}[372]

الوجه السادس:

كونهم من حملة لواء عقيدة "وحدة الأديان" الشرّيرة في هذا الزمن ، وهي دعوة إبليسية ماكرة من أهم أهدافها إذابة المسلمين في النصرانية أو سلخهم من الإسلام على الأقل، وقد اغتر بهذه الدعوة كثير من أبناء المسلمين ، وبالرد على النصارى ينكشف كثير من الغطاء الذي لفت به هذه الدعوة الشيطانية[373]

الوجه السابع:

أنّ في الكف عن الرد عليهم تمريرا لباطلهم ، وتمكينا له من الانتشار

الوجه الثامن:

كون دينهم المحرف هو السبب الرئيس في إساءة ظن الملاحدة بدين الأنبياء

قال ابن القيم رحمه الله :"وهؤلاء الذين أوجبوا لأعداء الرسل -من الفلاسفة والملاحدة- أن يتمسكوا بما هم عليه ؛ فإنهم شرحوا لهم دينهم الذي جاء به المسيح على هذا الوجه ، ولا ريب أن هذا دين لا يقبله عاقل ، فتواصى أولئك بينهم أن يتمسكوا بما هم عليه ، وساءت ظنونهم بالرسل والكتب ، ورأوا أنّ ما هم عليه من الآراء أقرب إلى المعقول من هذا الدين ، وقال لهم هؤلاء الحيارى الضُّلال إنّ هذا هو الحق الذي جاء

---

[371] "تثبيت دلائل النبوّة" للقاضي عبد الجبار : (211/1). وانظر أيضا : "(173/1-174).

[372] "سورة الأنعام" : (آية : 116) .

[373] انظر : "دعوة التقريب بين الأديان" للدكتور أحمد القاضي : (768/2) .

به المسيح ، فتركّب من هذين الظنين الفاسدين إساءة الظن بالرسل وإحسان الظن بما هم عليه" [374] اهـ.
نعم وهو كذلك لأنه حتى في العصر الحاضر كانت النصرانية المحرفة هي السّماد الفعّال للإلحاد المنتشر في الغرب حاليا إن لم تكن هي البذرة الأساسية له ، لأنهم لما رأوا أن الكنيسة وقفت أمام كل الا كتشافات العلمية المتعارضة مع تعليماتها المحرفة ، وعطّلت الطاقات العقلية البشرية حتى عن مجرد التفكير البنّاء نادوا بفصل الدين عن الدولة ونبذوها وراءهم ظهريا ، واستبدلوا بها فلسفة وإلحادا ، فلمّا تحققت بغيتهم ورأوا أنهم أحرزوا تقدما راقيا ، ورُقيا متقدما ، ظنوا أن دين الرسل هو الذي كان حجر عثرة في سبيل رقيهم وتقدمهم فساء ظنهم به ، وأحسنوا الظن بما هم عليه كما قال **ابن القيم** رحمه الله .
ومن آثار تلك الدعوة ونتائجها قيام كثير من رموز الجهل والنفاق من المسلمين الذين أُبِّرَتْ أفكارهم من صديد الغرب الكافر بنفس تلك الدعوة - الطلب بفصل الدين عن الدولة- في بلدان المسلمين تقليدا لهم ظنًّا أنّ الإسلام مثل تلك النصرانية فأثبتوا بذلك- وإن كانوا من ذوي شهادات عالية - أُمية عقولهم وجاهلية أفكارهم وشدة جهلهم بحقيقة ا لإسلام وبحقيقة تلك النصرانية المحرفة أيضا. وفي الرد على النصارى وتبيان الفرق بينها وبين الإسلام يستبين السبيل ويتبين الدين الحق من الدين العليل.

الوجه التاسع:

عظم جنايتهم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
لم يترك النصارى مطعنا إلا وصوّبوه في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نحوه فقد طعنوا في نبوته ورسالته وكتابه، وشخصه، وأصحابه ودينه الذي جاء به، ولو أنّ النصارى وجهوا عُشْر معشار طعونهم في نبينا صلى الله عليه وسلم إلى آباء أحد منا لاشتط غضباً، وأقام الدنيا ولم يقعدها، فكيف نحتسي الصمت الرهيب إذا سُب وشُتم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وطعن فيه وفي رسالته وقد قال تعالى: .{ النّبِيّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمّهَاتُهُمْ}.[375] وقال عليه السـ لام: "لا َ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيهِ من وَلَدهِ وَوَالِدِهِ وَالنّاسُ

---

[374] "إغاثة اللّهفان" : (396/2) .
[375] "سورة الأحزاب" (آية : 6) .

أَجْمَعِينَ"[376]

فـ"من استكمل الإيمان علم أن حق النبي صلى الله عليه وسلم آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين لأنّ به صلى الله عليه وسلم استُنْقِذنا من النار وهُدينا من الضلال"[377]

قال الشيخ محمد الصالح العثيمين رحمه الله في كتابه "حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة" ما ملخصه: الحق الثاني حق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهذا الحق هو أعظم حقوق المخلوقين فلا حق أعظم من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك يجب تقديم محبة النبي صلى الله عليه وسلم على محبة جميع الناس حتى على النفس والولد والوالد".

"ومن حقوق النبي صلى الله عليه وسلم الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان من قوة بحسب ما تتطلبه الحال من السلاح، فإذا كان العدو يهاجم بالحجج والشبه فمدافعته بالعلم ودحض حججه وشبهه وبيان فساده وإن كان يهاجم بالسلاح والمدافع فمدافعته بمثل ذلك"

"ولا يمكن لأي مؤمن أن يسمع من يهاجم شريعة النبي صلى الله عليه وسلم أو شخصه الكريم ويسكت على ذلك مع قدرته على الدفاع"[378]

الوجه العاشر :

سوء مقصدهم وما يحملونه من الحقد الدفين والكيد الأحمر تجاه الإسلام والمسلمين

وهذا لا يحتاج إلى تعليق فكل عائش على هذه الرقعة الأرضية عرف مدى شراسة الحرب التي تشنها الدول النصرانية الكافرة على الإسلام و المسلمين وإن كان بعض المسلمين لا يزالون يغترون بهم أو يعملون لهم بمقابل.

ويتلخص سوء قصدهم تجاه الإسلام والمسلمين في الماضي و الحاضر في مقالة النصراني الذي ردّ عليه الرازي لما قال له : "أسألك عن ما تعتقده من دينك بعد أن لم تقبل ديني ، ألا أخبرتني عن قاعدة أساس دينك ، ومعتمد علمك وإيمانك ويقينك بعد الذي تقدم ذكره.

---

[376] رواه البخاري "كتاب الإيمان": "باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإ يمان" رقم : [15] (84/1) مع الفتح. ومسلم "كتاب الإيمان": "باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة" رقم: [167] (206/2) مع المنهاج.

[377] قاله ابن بطّال رحمه الله . "المنهاج شرح مسلم ابن حجاج" : (2/205).

[378] انظر : "حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة" : (ص : 6 - 7).

فقال النصراني : قاعدة ديننا مبنية على تكذيب محمد والعمل على عداوته حتى لو وجد في عصرنا لقتلناه أنجس قتلة ، ولو أظفرنا الله بملوك أمته وعلمائهم وأيمتهم لتقربنا إلى الله تعالى بذبحهم وسلخ جلودهم وجلود عبادهم وزهادهم وسائر صلحائهم . ولو وقع بأيدينا كل كتاب لهم من الكتب التي يَسِمونها بالعلم و الحكمة والمعرفة ، وكتب التفسير والحديث ، وصحف القرآن لمزقنا الجميع وألقيناها في سنادس البول والغايط . ونحن فمتى لم نعتقد أن فعل ذلك من أعظم العبادات وأفضل القربات لم يصح لنا دين النصرانية ، ولا نتحقق بشيء منه ، كل ذلك لتغالينا في ديننا ، ولا عتقادنا صحته وسقم غيره ، ولهذا نعمل صورة محمد على هيئة بدوي راع ، ونعلم الأطفال من صغرهم عداوته والفرار منه ، ونأمرهم بسبه وشتمه والتبصق في وجهه ، وليس لنا شغل عقيب كل قربى يتقرب بها إلا الدعاء على المسلمين بالخذلان وتسليط العذاب العاجل والآجل عليهم ، وسلب المملكة والسلطة منهم ، وسلب القهر والقدرة والحكم والخلافة وسلب العز والجاه والأمر و العظمة . ومتى غصبنا بالإسلام فلا يجوز لنا ذلك إلا بشرط أن نسعى في الباطن في هلاك المسلمين وسب دينهم ونبيهم"[379]

الوجه الحادي عشر:

تأثر كثير من الطوائف المنتسبة إلى الإسلام بهم

إنّ من أكبر ما يقضي بمشروعية الرد على النصارى من النظر الصحيح تشبّه كثير من المسلمين أفرادا وفرقا بالنصارى في عقائدهم وأعيادهم وفي كثير من خصائصهم، لذلك كان من منهج بعض من رد على النصارى أن يجمع بين النصارى وبين ما شابههم من طوائف المسلمين في الرد[380]

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك التشبه الممقوت بقوله : "لَتَتَبِعُنّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِراعًا بِذِراعٍ حَتّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ" قالُوا يَا رَسُولَ اللّه ِ اليَهُودُ وَالنّصَارَى؟ قَالَ "فَمَنْ؟"[381]

---

[379]مناظرة في الرد على النصارى (51-52).

[380] مثل ابن حزم وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله.

[381] رواه البخاري في "كتاب الاعتصام بالسنة" باب "قول النبي صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم" (151/8) .

ومن تلك الأمور التي كانت نصرانيةَ الأب والأم وتبنتها طوائف من المسلمين ما يأتي:

1. الإلحاد في أسماء الله وصفاته، وتشبيهه بمخلوقاته[382]
2. دعوى أن الله يتحد ببعض خلقة ويحل فيهم[383]
3. القول بالقدر[384]
4. الغلو فيمن يعتقد فيهم الصلاح[385]
5. اعتقاد الولاية فيمن ظهرت على يديه بعض الخوارق[386]
6. اعتقاد أن مقولةً ما من المقولات الفاسدة فوق العقل فيجب التسليم لها[387]
7. إعتقاد أن الكتب المنزلة لها ظاهر وباطن[388]
8. إحتكار فهم الكتب المنزلة على طائفة من الناس[389]
9. احترام أصحاب الزهد المبتدع[390]
10. الاحتفال بالمولد النبوي مضاهاة للاحتفال بعيد الميلاد[391]
11. ما يسمى بالحقيقة المحمّدية (أي أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أول المخلوقات، وأنّ الكون بإسره علويّه وسُفليّه مخلوق من النور المحمدي)[392]

---

[382] وممن أخذ عنهم ذلك بعض المحلدين في أسماء الله وصفاته. انظر : "الجواب الصحيح" : (95/1)

[383] وممن أخذ منهم ذلك الرافضة ، والحلولية والاتحادية من غلاة الصوفية انظر : "الجواب الصحيح" : (95/1) ؛ (302/4) .

[384] فإن أصل القول بالقدر من سوسن النصراني كما ذكر علماء الفرق.

[385] وممن أخذ منهم ذلك الرافضة والمتصوفة انظر : "الفصل في الملل والأهواء والنحل" لا بن حزم (38/2) ؛ "الجواب الصحيح" : (183/3) ، (405-402/2) ؛ (411/4) .

[386] وممن أخذ منهم ذلك الصوفية . انظر : "الجواب الصحيح" : (140/2) .

[387] وممن أخذ منهم ذلك أهل الوحدة من الصوفية . انظر : "الجواب الصحيح" : (183/3) .

[388] وهذا هو معتقد الكاثوليك من النصارى ، وممن أخذ منهم هذه العقيدة الفاسدة الباطنية ، والرافضة ، والصوفية.

[389] وهذا هو معتقد الرومان كاثوليك وممن أخذ منهم هذا الرافضة والصوفية .

[390] وممن أخذ منهم هذا الصوفية . انظر : "الجواب الصحيح" : (139-138/2) .

[391] أخذ منهم هذا كثير من المسلمين ابتداءً من الدولة العبيدية الرافضية الملحدة. انظر : "الأعياد وأثرها على المسلمين" للدكتور سليمان بن سالم السحيمي : (ص : 133)

[392] ممن أخذ منهم ذلك الصوفية . انظر نظرية الاتصال عند الصوفية" لسارة بنت عبد المحسن آل سعود (ص331).

12. الاحتفال بأعياد كثيرة نصرانية مثل عيد الميلاد[393]
13. جعل يوم الأحد من أيام الإجازة الأسبوعية وهو يوم يستريح فيه النصارى لأنّ إلههم المسيح قام من القبر بعد صلبه ورفع في ذلك اليوم كما يزعمون[394]
14. النداء بفصل الدين عن الدولة[395]
15. التشبه بهم في انحرافاتهم المذهبية مثل العلمانية والشيوعية و القومية وغيرها.
16. التشبه بهم في أمور أخرى كثيرة مثل اللباس والعادات في الزواج وأسلوب التعايش وما أشبه ذلك.

وعن طريق الرد عليهم يعرف من يتتلمذ على عقائدهم ويتطفل على عاداتهم وأعيادهم من المسلمين أن سلفه في ذلك النصارى فينصح دينه ، وينصف عقله فيمسك عن ذلك إن أراد الله به الهداية ، والنجاة من الغواية.

---

(393) كثير من المسلمين يحتفلون ويشاركونهم في أعيادهم.

(394) أكثر الدول الإسلامية يوم العطلة عندهم هو يوم السبت والأحد ، بل سرى هذا حتى إلى كثير من المدارس والمعاهد الإسلامية.

(395) ينادي بذلك الجاهليّون المعاصرون "العلمانييون"

الوجه الثاني عشر:
تأثر كتب الروايات الإسلامية برواياتهم الباطلة
فقد تسللت مئات إن لم تكن آلاف الروايات والقصص من كتبهم المحرفة وأساطيرهم المروية إلى كثير من كتب الروايات الإسلامية وخاصة كتب التفسير والحديث. وهذا ما يسمى بالإسرائيليات[396] فالرد عليهم وبيان زيغهم يخفف من اعتماد كثير من الناس عليها أو على الأقل فحصها والحذر منها.

الوجه الثالث عشر:
افتتان كثير من المسلمين بهم في دينهم
جهل كثير من المسلمين بأنّ "مَدَارَ النّصْرِ وَالظُّهُورِ مَعَ مُتَابَعَةِ الرّسُولِ وُجُوداً وَعَدَماً مِنْ غَيرِ سَبَبٍ يُزَاحِمُ ذَلِكَ"[397] جعلهم يفتتنون بقوة النصارى وجبروتهم وقهرهم وغلبتهم لكثير من بلدان المسلمين وهيمنتهم عليها في هذه الأزمان، كما انبهروا بثقافاتهم ، واختراعاتهم ، ومادياتهم حتى دخل إيمانهم بسبب ذلك في غيبوبة شديدة طريح غرفة العناية المركزة حيث بدأوا يتشككون في صحة دين الإسلام ، ويصوّبون طريق النصارى وينادون بسلوك سبيلهم في عدّة أمور مثل سياسة الملك ومنهج الحياة فالرد على النصارى من أفضل الطرق التي يداوى بها مثل هؤلاء المرضى ويُردون إلى صوابهم.

---

[396] الإسرائيليات في اصطلاح المفسرين والمحدثين كلمة يعبر بها عن كل ما تطرق إلى التفسير والحديث من أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما، بل توسع بعض المفسرين والمحدثين فعدوا من الإسرائيليات ما دسه أعداء الإسلام من اليهود وغيرهم على التفسير والحديث من أخبار لا أصل لها في مصدر قديم، وإنما هي أخبار من صنع أعداء الإسلام صنعوها بخبث نية، وسوء طوية، ثم دسوها على التفسير والحديث كقصة الغرانيق، وقصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم من زينب رضي الله عنها؛ ليفسدوا بها عقائد المسلمين. انظر: "الإسرائيليات في التفسير والحديث" للدكتور الذهبي (ص: 19-23).
[397] "الجواب الصحيح" : (415/6).

الوجه الرابع عشر:

عظم جهل كثير من المسلمين بدين النصارى ومخططاتهم الماكرة تجاه الإ سلام والمسلمين

فالرد عليهم يعرفهم بهم بعقائدهم وبسوء مقصدهم تجاه الإسلام و المسلمين ليأخذوا حذرهم منهم من جهة ، وليعرفوا كيف يدعونهم إلى الله من جهة أخرى.

الوجه الخامس عشر:

زيادة تعريف المسلمين بفضل دينهم من خلال تعريفهم بضده

قال **القرافي** رحمه الله : "وأنا استغفر الله العظيم من نقل كفرهم ، وسوء أدبهم ، وما الباعث على هذا إلا ليعلم الناظر في هذا الكتاب من المسلمين ما أنعم الله عليه من نعمة الإسلام ، وأنّه هو الدين المتعين للحق الجاري على لسان التوحيد والصدق كما قال الشاعر :

وَبِضِدِّهَا تتَبَيّنُ الأَشْيَاءُ

وقال غيره

وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

وليفهم معنى قوله عليه السلام : "جئتكم بها بيضاء نقية" أي لا يشوبها ما يتوهم أنّه نقص ، ولا ما يناقضها جامعة لمكارم الأخلاق ناهية عن لئامها قد استبدلت عن هذه الركاكات في العبارة بالفصاحة الفائقة ، وعن هذه القبائح بالمنائح الرائقة ، فهذا بياضها الناصع ، ونقاؤها الجامع وامتثالاً لقوله تعالى : {وَلَيَنْصُرَنّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُه}[398] {وَلَا تهِنُوا وَلَا تحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ}[399] ومن لا يقف من المسلمين على سخافة هذه الأديان يعتقد أن شبهاتهم ربما تكون قوية ، فإذا وقف على هذه القبائح علم أنهم في أعظم ظلم الضلالات يهيمون ، وأنّهم في دركات النار مرتهنون فزاد في ذلك قلبه الإيمان ، وعظم الله تعالى عليه الامتنان ، والله يجعلنا من حزبه المهديين ، وخاصته المرضيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"[400] اهـ.

وقال **الجعفري**[401]

---

[398] "سورة الحجر" : (آية : 40) .

[399] "سورة آل عمران" : (آية : 139).

[400] "الأجوبه الفاخرة" : (ص : 162).

[401] هو القاضي أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري ممن له باع طويل في الرد على اليهود والنصارى. ومن مؤلفاته في ذلك "تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل" توفي: [سنة: 668] . انظر ترجمته في "كشف الظنون " لحاجي خليفة : (1 / 379).

ومنها-أي ومن الفوئد التي اشتمل عليها كتابه التخجيل- "الوقوف على سر قول نبينا عليه السلام وقد رأى في يد بعض أصحابه صحيفة من كتبهم فغضب عليه السلام وقال " (ألقها فو الله لقد جئتكم بها بيضاء نقية) وأنت رحمك الله إن شاهدت ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار والتطويل واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية عرفت سر قوله عليه السلام "لقد جئتكم بها بيضاء نقية" إلى غير ذلك كما يوضحه الكشف"[402]

الوجه السادس عشر:

فيه ترسخ لإيمان المؤمنين وزيادة في إيمانهم

وفيه يقول **الجعفري** رحمه الله : "فاشتمل الكتاب على فوائد منها : رسوخ الإيمان للمسلم بموافقة ما في أيديهم للكتاب العزيز كما نبّه عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾[403] وقوله : ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[404] وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوراَةِ والإِنْجِيلِ﴾[405] ، **وَكَثْرَةُ الأَدِلَّةِ تُوجِبُ الطُّمَأْنِينَةَ وَتُثْلِجُ الصُّدُورَ**"[406]

---

[402] "التخجيل" : (104/1).
[403] "سورة الشعراء" : (آية : 196).
[404] "سورة الأعلى" : (آية : 18).
[405] "سورة الأعراف" : (آية : 157).
[406] "التخجيل" : (103/1).

الوجه السابع عشر :

فيه تثليج صدور المسلمين

إن الشبهات التي تثيرها النصارى في تصحيح دينهم أو الطعن في الإسلام تشوش على كثير من المسلمين وتقلق مضاجعهم وتشككهم في فساد النصرانية، وفي صحة الإسلام، وخاصة ذلك الذي لا يعرف كيف يرد عليهم ، ففي الرد عليهم شرح لصدور المؤمنين وتثليج لها .

الوجه الثامن عشر:

تعريف النصارى بحقيقة الإسلام وإظهار محاسنه لهم

حيث إن كثيرا من النصارى يجهلون الإسلام جهلا مطبقا ، ولا شك أن هذا الجهل من الأمور التي تعوقهم عن الدخول في الإسلام أو مناصفته على الأقل.

الوجه التاسع عشر:

تعريف النصارى بحقيقة النصرانية التي هم عليها

كثير من النصارى إنما توارثوا النصرانية ويتدينون بها دون التعرف على حقيقتها أو التفتيش في صحتها فالرد عليهم يعرّف كثيرا منهم بذلك ، أو يشد عزمهم إلى البحث عن ذلك فيكون تمهيدا لدخولهم في الإسلام أو الوقوف على أنهم ليسوا على شيء كما قال تعالى .

الوجه العشرون:

هداية كثير من النصارى بسبب هذه الردود

لقد أثبتت هذه الردود إيجابيتها وفاعليتها حيث أسلم الملايين من النصارى ومن غيرهم نتيجة ما أوقفتهم عليه تلك الردود من الأدلة القوية على صحة الإسلام وبطلان النصرانية، وعلى محاسنه ومساوئها فمن الحزم والعقل إذاً مواصلتها وتعزيزها

تكملة

الرد على من زعم عدم مشروعية مجادلة النصارى ومحاجحتهم الآن

إنّ المجادلة والمحاجة من أعظم وأهم طرق الرد على النصارى - كما سيأتي - بل يكاد يكون الرد عليهم الآن منحصرا في هذه الوسيلة، فكأنّ القائل بعدم مشروعيتهما أو نسخهما قائل بعدم مشروعية الرد على النصارى جملة وتفصيلا أو معطل لجزء كبير منه على الأقل ، وفي هذا من تعطيل هذه العبادة العظيمة ، والعملية الدفاعية الدعوية النبيلة ما لا يخفى ، لذلك أردت التنبيه على بطلان هذا القول والرد عليه باختصار.

والمدندن بهذا القول أحد رجلين ؛ إمّا رجل ناعق بـ"الدعوة إلى وحدة الأديان" أو "التقريب بينها" لأنّه يرى أن في مجادلة النصارى ومحاجتهم والرد على عقائدهم تشويشا على "الإبراهيمية" وتبديدا لـ"وحدة الأديان السماوية"[407] وتعكيرا لصفو "الصداقة وا لإخاء الديني"[408]

فإن كان هؤلاء المغالطون من النصارى قيل لهم: متى ساغ لكافر أن يتطفّل على دين الإسلام ويحكم فيه ويقضي، وإن كانوا ممن يدعي الإسلام طُولبوا بتصحيح دعواهم ثم لا يستطيعون؛ "لأَنّ البَاطِلَ لا يَقُومُ عَلَيهِ دَلِيلٌ صَحِيحٌ"[409] بالإضافة إلى أن بعض الأوجه التي تذكر في الرد على الرجل الثاني تشملهم، وتعود على كلامهم بالإبطال.

الرجل الثاني من يدعي أن آيات مجادلة أهل الكتاب ومحاجتهم منسوخة بآية السيف في حق أهل الكتاب[410] وهي قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الذّينَ لا يُؤْمِنُونَ باللّه وَلا باليَومِ الآخِرِ وَلا يُحَرّمُونَ مَا حَرّمَ اللّه وَرَسُولُه وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقّ مِنَ الذّين أُوتُوا الكِتَابَ حَتّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرونَ﴾.[411]

وهذا القول ترد عليه أدلة مشروعية الرد على النصارى السابقة من الكتاب والسنة وما يؤكد على ذلك من كلام السلف والأئمة وأفعالهم والنظر الصحيح بالإضافة إلى سبعة أوجه أخرى كل وجه منها

---

[407] دعوة ماسونية ماكرة تدعو إلى التوفيق بين الإسلام واليهودية والنصرانية بزعم أن هناك قواسم مشتركة بينها، فكلها أديان سماوية كما يقولون ومن أهم أهداف هذه الدعوة الخبيثة السعي إلى القضاء على الإسلام، وتتستر هذه الدعوة تحت أسماء جذابة مثل "الإبراهيمية" نسبة إلى إبراهيم عليه السلام و "الإخاء الديني" وهكذا. وكانت في أول أمرها تدعوى بـ"التقريب بين الأديان" "الحوار بين الأديان" إلخ انظر: "الموسوعة الميسرة": (1175/2). وقد كتب عدد من العلماء في الرد على هذه الدعوى الباطلة. وكتب فيها الدكتور أحمد بن عثمان القاضي رسالة ممتازة لنيل درجة الدكتوراة. وهي مطبوعة متداولة.

[408] هذا مقتضى قول هؤلاء الدعاة إلى التقريب، بل إذا وجدوا فرصة التصريح به بادروا إلى ذلك ولا شك.

[409] "الجواب الصحيح" : (42/2).

[410] انظر : عن هذا القول وأصحابه في "تفسير **الطبري**" : (420/18) ؛ "زاد المسير" لابن الجوزي : (283/6) ؛ "تفسير القرطبي" : (363/14) ؛ "تفسير **ابن كثير**" : (283/6) ؛ "الجواب الصحيح" : (216/1) .

[411] "سورة التوبة" (آية : 29).

يكفي في رد هذا القول وإبطاله[412] وهي:

1. كون مناظرة النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران ومحاجته لهم وطلبه لمباهلتهم بعد آية السيف فلم يقل لهم ليس لكم عندي إلا ّ السيف ، ولا قال لهم قد نقضتم العهد فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يحاج الكفار بعد نزول الأمر بالقتال وقد أمره الله تعالى أن يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتّى يَسْمَعَ كلا مَ اللّه ِ ثُمّ أَبْلِغْه مَأْمَنَهُ﴾[413] والمراد بذلك تبليغ رسالات الله وإقامة الحجة عليه ، وذلك قد لا يتم إلا بتقسيره له التفسير الذي تقوم به الحجة، ويجاب به عن المعارض ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، عُلم بطلان قول من ظن أن الأمر بالجهاد ناسخ للأمر بالمجادلة مطلقا.
2. أن المجادلة والمحاجة من ملة إبراهيم عليه السلام فقد حاجّ قومه ، وناظر الملك الكافر وقد أمرنا الله تعالى باتباعه عليه السلام قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللّه ُ فَاتبِعُوا مِلّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفًا﴾[414] فمن نهى عن المناظرة والحجة فليعلم أنّه عاص لله عز وجلّ ومخالف لملة إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما[415]
3. أنّ الأساس الذي بنى عليه كلامَه أساس غير صحيح ؛ وهو اعتقاده أن الأمر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة فحكم بالنسخ وهذا غلط[416] ؛ فإن النسخ إنّما يكون إذا كان الحكم الناسخ مناقضا للحكم المنسوخ ، فأمّا مع إمكان الجمع بين الجدال المأمور به ، والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما وإذا لم يتنافيا بل أمكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ ، ومعلوم أن كلا ّ منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر ، وأنّ استعمالهما جميعا أبلغ في إظهار الهدى ودين الحق وعلى فرض التسليم بوقوع النسخ قيل المنسوخ هو ا لاقتصار على الجدال المأمور به في أول الأمر قبل أن تكون

---

[412] هذه الأوجه مأخوذة ملخصة من كتاب "الجواب الصحيح" : (246-216/1) باستثناء الوجه الثاني والسادس .

[413] "سورة التوبة" (آية : 6) .

[414] "سورة آل عمران" : (آية : 95).

[415] انظر : "الإحكام في أصول الأحكام" لابن حزم : (22-21/1).

[416] انظر أيضا "تفسير الطبري" : (420/18).

للمسلمين شوكة ولما أصبحت لهم عِدة وعُدّة كتب عليهم القتال فكان الذي رفع ونسخ ترك القتال وأمّا المجاهدة باللسان فما زالت مشروعة من أول الأمر إلى آخره.

4. أنّ من كان من أهل الذّمة والعهد والمستأمن منهم لا يجاهد بالقتال ، فهو داخل فيمن أمر الله بدعوته ومجادلته ، بالتي هي أحسن وليس هو داخلا في من أمر الله بقتاله. وكذلك المقهور بالسيف إذا أخذ يقرر عقيدته الفاسدة أو يطعن في الإسلام فإن جهاده بالعلم والبيان ، دون السيف والسنان .
5. من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة ، ولو أنّ الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج إلى القتال ، فبيان آيات الإسلام وبراهينه واجب مطلقا وجوبا أصليا وأمّا الجهاد فمشروع للضرورة ، فكيف يكون هذا مانعا من ذلك ، فإذا وجب علينا جهاد الكفّار بالسيف ابتداءاً ودفعاً فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداءاً ودفعاً لمن يطعن في الإسلام بطريق الأولى والأحرى ؛ فإن وجوب هذا قبل وجوب ذاك ، ومنفعته قبل منفعته.
6. "أنّ النكاية في العدو بالبرهان واللسان أوقع من نكاية السيف والسنان"[417] فإنه قد تهزم العساكر الكبار والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً ، فهي أدعى إلى الحق ، وأنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة ، لذلك كان المقصود بقوله تعالى :﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[418]: الحجة بلا شك ؛ لأنّ السيف مرّة لنا ، ومرّة علينا ، وليس كذلك البرهان ، بل هو لنا أبداً ودامغ لقول مخالفينا ، ومزاهق له أبداً ، ورب قوّة باليد قد دفعت بالباطل حقّا كثيراً فأزهقته ، مثل ما حدث في الحروب الصليبية ، ومثل جبروت أمريكا واليهود والهندوس والشيوعيين الروس واعتداءاتهم وإباداتهم والسعي الحثيث في القضاء الشامل للإسلام والمسلمين - جعل الله كيدهم في نحورهم وأشغلهم بأنفسهم وأذاق بعضهم بأس بعض - أمّا الحجة الصحيحة فلم تغلب أبداً وقد قتل أنبياء كثير ، وما غلبت حجتهم قطّ[419] فكيف يقال مع ذلك إنّ القوّة القوية مشروعة ، والقوة الأ

---

(417) "الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام" : (ص : 46).

(418) "سورة الأنبياء" : (آية : 18).

(419) انظر : "الإحكام في أصول الأحكام" : (25/1) .

أقوى منسوخة ؟ والقاعدة : أنه "إِذَا ثبتَتْ الحُجّةُ التِّي غَيرُهَا أقوَى مِنْهَا فَالقويّةُ بِالثبُوتِ أوْلَى"[420]

7. أنّ كثيرا من أهل الكتاب يزعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأمته إنما أقاموا دينهم بالسيف لا بالهدى والعلم والآيات ، فإذا طلبوا العلم والمناظرة ، فقيل لهم ليس لكم جواب إلا السيف كان هذا مما يقرر ظنهم الكاذب[421] وكان هذا من أعظم ما يحتجون به عند أنفسهم على فساد الإسلام ، وأنّه ليس دين رسول من عند الله ، وإنما هو دين ملك أقامه بالسيف.

وبهذا يتبين فساد هذا القول ووهائه، وجنايته على الإسلام وأهله ودعوته.

***

العنصر الثاني:

مراتب الرد على النصارى

إنّ الرد على النصارى من حيث هو من الفروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين . ومما يدل على ذلك قوله تعالى :{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}.[422] ، وقوله عليه الصلاة والسلام: "جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأمْوَالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ وَألْسِنَتِكُمْ " [423] .

وجه الدلالة من الآية والحديث أن فيهما أمرا بمجادلة أهل الكتاب

---

[420] "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية : (2/55-64)

[421] كان هذا هو سبب تأليف ابن القيم لكتابه "هداية الحيارى" قال رحمه الله في مقدمة كتابه المذكور : "وكان قد انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفّار الملحدين على بعض المسلمين ، فلم يصادف عنده ما يشفيه ، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه ، وظن المسلم أنّه بضربه يداويه ، فسطا به ضربا ، وقال هذا الجواب ، فقال الكافر : صدق أصحابنا في قولهم : إن دين الإسلام إنّما قام بالسيف لا بالكتاب ، فتفرّقا هذا ضارب وهذا مضروب ، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب، فشمّر المجيب ساعد العزم ، ونهض على ساق الجد ، وقام لله قيام مستعين به مفوض إليه متوكل في موافقة مرضاته عليه ، ولم يقل مقال العجزة الجهال إن الكفّار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال ، وهذا فرار من الزحف ، وإخلاد إلى العجز والضعف ، فمجادلة الكفّار بعد دعوتهم إقامة للحجة ، وإزالة للعذر :{ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حي عن بينة}. والسيف إنما جاء منقذا للحجة ، مقوّما للمعاند، وحداً للجاحد" إلخ "هداية الحيارى" (ص : 232)

[422] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

(423) سبق تخريجه (ص : 110)

ومحاججتهم، و لا شك أن المجادلة والمحاججة لا يستطيع القيام بهما على وجههما إلا من توفرت فيه شروطهما ؛ فلو ألزمنا الجاهل الصرف مثلا بالرد عليهم لكلفناه فوق طاقته ، وأمرناه أن يقول ما لا يعلم ، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾ الآية [424] ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [425] ومع ذلك قد يتغير هذا الأصل - أعني كونه واجبا كفائيا- باعتبار الأحوال والأشخاص ، وباعتبار حجم المخالفة والشبهات المُورَدَة.

يقول **ابن القيم** رحمه الله: "**ومنها** - أي ومن الفوائد التي اشتملت عليها مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران- " **جواز مجادلة أهل الكتاب ، ومناظرتهم،**

بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم"إلخ[426].

ويقول **ابن حجر** رحمه الله في سياق فوائد نفس القصة : "**وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب ، وقد تجب إذا تعينت مصلحته**" [427].

فعلى ضوء ما تقدّم نفهم أنّ الأصل في مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن الجواز، لكن قد تجب وقد تُستحب ، والأصلَ في مجادلتهم بغير التي هي أحسن الحرمة ، لكن قد تجوز ، بل قد تستحب ، بل قد تجب[428] ولنقف الآن على بعض هذه الحالات الا ستثنائية:

أولا:

من الحالات التي يكون فيها الرد على النصارى واجبا

يجب الرد على النصارى في حالات منها:

الحال الأولى من حالات وجوب الرد على النصارى

إذا أورد النصارى على المسلمين الشبه والمغالطات

ويدل على وجوب الرد على النصارى في هذه الحال أمور منها :

الأمر الأول : قول النبي صلى الله عليه وسلم:

---

[424] "سورة البقرة" : (آية : 286) .

[425] "سورة الإسراء" : (آية : 36) .

[426] "زاد المعاد في هدي خير العباد" ل**ابن القيم** : (639/3) .

[427] "فتح الباري" : (95/8) .

[428] انظر : "مبحث آداب الرد على النصارى"

"الدِّينُ النَّصِيحَةُ ثلا ـًثا " قُلْنا لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّه ِ ؟ قَالَ "   ِللهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأ   َئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" [429].
ومن النصيحة ما يكون واجبا كما قرّر العلماء رحمة الله علهيم ، ولا شكّ أنّ مِن أعظم ما يدخل تحت النصيحة الواجبة لله تعالى ردُّ مغالطات من يدّعى له صاحبة وولدا ، ويجادل بأنّه ثالث ثلاثة ، و المنافحة عن الكتاب الذي أنزله عن أن يقحم فيه ما ليس منه ، أو يحرّف منه بعض ما فيه كما أنّ مِن أعظم النصح الواجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم إثبات نبوته وردُّ شبهات كل من ينكرها ويجادل فيها ، وكذلك من أعظم ما يجب نصح المسلمين رعاة ورعية صون عقيدتهم ودفع كل مَن وما يشككهم فيها.
قال **ابن القيم** رحمه الله : "فصل : ومن بعض حقوق الله على عبده ردُّ الطاعنين على كتابه ورسوله ، ودينه ، ومجادلتهم بالحجة و البيان ، والسيف والسنان ، والقلب والجنان ، وليس وراء ذلك حبّة خردل من الإيمان"[430]
الأمر الثاني : أنه إذا سألوا ولم يجَابُوا، أو أوردوا شبهة ولم يُبَيّن لهم وللنّاس في وقته كان في ذلك هضم للحق وتقرير للباطل لذلك لايورد الكفار من أهل الكتاب والمشركين شبهة زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ّ ويأتي الرد عليها من الكتاب أو السنة أمّا من الكتاب فمثل ما سبق لنا في سبب نزول قوله تعالى ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّه ِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ولما نزل قوله تعالى
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّه ِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[431] قال ابن الزبعرى عبد الشمس والقمر والملائكة فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الحُسْنى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[432] ونزلت ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ -إلى قوله – خَصِمُونَ﴾[433]

---

[429] رواه مسلم "كتاب الإيمان": "باب بيان أن الدين النصيحة" رقم: [194] (225/2) مع المنهاج.
[430] "هداية الحيارى" : (ص : 232) .
[431] "سورة المؤمنون" : (آية : 98).
[432] "سورة المؤمنون" : (آية : 101).
[433] "سورة الزخرف" : (آية : 57-58).

وسبق أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ردّ على وفد نصارى نجران ، وعلى اعتراضهم على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وردّ عليّ ابن أبي طالب على اليهودي ، وحاطب بن أبي بلتعة على المقوقس عظيم القبط كل ذلك فور اعتراضاتهم وأسئلتهم إلا ّ في أحد أسئلة وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يعرف الجواب حتى نزل عليه القرآن من الغد[434]

وقد عقل علماء الأمة وجوب هذه المهمة الجهادية فكانوا يجردون سيوف أقلامهم ليغمدوها في نحور الشبهات التي يوردها أولئك المغالطون من النصارى على مر العصور فلو سألنا مقدمات كتبهم التي ألفوها للرد على النصارى لأخبرنا جُلّها بأنّ أصحابها صنّفتها ردًا على شبهات من النصارى أثاروها دحضا للحق ، أو دعما للباطل[435]

اقرأ على سبيل المثال كلام القرطبي[436]

رحمه الله في مقدمة كتابه الإعلام : "أما بعد فقد وقفت - وفقك الله - على كتاب كتب به بعض المنتحلين لدين الله النصرانية سماه كتاب (تثليث الوحدانية) متعرضا فيه لدين المسلمين نائلا فيه من عصابة الحق الموحدين فاستخرت الله تعالى في جوابه على تخليط معانيه ، وتثبيج خطابه"اهـ ملخصا [437] .

وقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وكان من نصر الدين وظهوره أنّ كتابا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديما وحديثا من الحجج السمعية والعقلية فاقتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب ، وبيان الخطأ من الصواب ، لينتفع بذلك أولو الألباب ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب"[438] .

الأمر الثالث : أنّ في السكوت عن شبهاتهم والإعراض عن إيراداتهم تخذيلا للإسلام والمسلمين مما قد يؤدي إلى تطاول النصارى على المسلمين بأنهم لم يغُضّوا عنها طرَفا ، ولم يضربوا عنها صفحاً إلا لأ

---

[434] سبق كل هذا . انظر: (ص: 112، 113، 117).

[435] اقرأ مبحث "أشهر الكتب المؤلفة في الرد على النصارى" (ص: 264).

[436] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد المفسر المشهور له في الرد على النصارى " الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" توفي: [سنة: 684] انظر ترجمته في "شذرات الذهب" : (5 / 5 3 2).

[437] "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام" (ص : 44 - 45).

[438] "الجواب الصحيح" (1/ 98).

أنّها حقّ أو أنّهم عاجزون عن دفعها وجوابها .
بل قد حدث هذا بالفعل يقول القرطبي رحمه الله : بعد ذكره جملة من جهالات النصراني الذي ردّ عليه "ولما تبين ذلك منك أعرض المسلمون عن جوابك ، ونزّهوا أنفسهم عن خطابك" إلى أن قال : "ولمّا أعرضوا عنك لجهالتك تبَجّحتَ بذلك عند عصابتك ، فظننتَ أن سكوتنا عنك إنما هو لرهبة منك ، حتّى لقد أبلغتنا عنك نُكراً ، وقلت في كتابك هذا فحشا وهجرا ، فنحن وإيّاك كما قال:

سَكتُّ عَنِ السّفِيهِ فَظَنّ أنّي * عَيَيْتُ عَنِ الجَوَابِ وَمَا عَيَيْتُ

فعظم هذا الأمر حين نمى خبره إليّ ، مع أنّه رغب إليّ في ذلك جماعة من الإخوان ، فصار ذلك عليّ كأنه من فروض الأعيان"إلخ [439]

وقال الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله فيما ملخصه: "واستدعيت ثانيا من القسيس أن يقع بيني وبينه المناظرة في المجلس العام ليتضح حق الاتضاح أن عدم توجه العلماء المسلمين ليس لعجزهم عن رد رسائل القسيس كما هو مزعوم بعض المسيحيين" إلخ [440] .

وخوفا من ذلك التخذيل المشين أسرع الألوسي رحمه الله أيضا في ردّه على عبد المسيح في كتابه الجواب الفسيح حيث يقول : "غير أن جهلة النصارى ربما يختلج في أذهانهم عجز المسلمين عن رد هذيانهم ، فأسرعت لرد الجواب واقتديت بمن قبلي من الأجلة الداخلين في هذا الباب" إلخ [441] .

الحال الثانية من حالات وجوب الرد على النصارى

إذا انخدع الناس بما يقولون أو يفعلون.

يقع في الناس الاندفاع وراء كل ناعق مهذار ، وينبهرون بالظواهر و الأشكال وعليه فقد يتأثر بعضهم بما يدعيه النصارى إذا لم يوجد من يدافع تلك الادعاءات وخاصة نحن اليوم في زمن كثرت فيها وسائل الإعلام وأغلبها إن لم تكن كلها يملكها أو يتحكّم فيها أولئك الكفرة ، ويوظِّفونها في نشر دعايات إلى النصرانية وادعاءات عن الإسلام بالأقوال والأفعال يرمزون أحيانا ويصرحون أخرى.

---

[439] "الإعلام" : (ص : 45).
[440] "إظهار الحق" للشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي : (6/1).
[441] "الجواب الفسيح لما لفقه عبد الفسيح" (34/1).

وعلى صعيد الواقع نرى أن الدول الكافرة من النصارى وغيرهم أكثر تقدما من دول الإسلام فهم يستغلون تلك فرصة لهم أيضا حتى يقولوا لو كان الإسلام حقا وما نحن عليه باطلا لا نعكست الحال، وكم من الجهال وضعاف الإيمان من المسلمين انساق معهم، وكم من الكفّار من النصارى ومن غيرهم تقاعسوا عن الدخول في الإسلا م انخداعا بما يقول أولئك أو يفعلون . فمن أوجب الواجبات إذاً كسر هذا الحاجز بين الناس والدعوة الحق ، واكتساح هذا الا نخداع والانهزامية المريعة أمام أعداء الله من بعض المسلمين.

إنّ السعي وراء تحقيق هذه الغاية هو الذي ساق بعض العلماء المسلمين إلى منازلة النصارى والرد عليهم.

يقول **الطوفي** رحمه الله: "وبعد ، فإنّي قد رأيت كتابا صنّفه بعض النصارى يطعن به في دين الإسلام ويقدح به في نبوة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فرأيت مناقضته إلى الله ورسوله قربانا ورجوت بها مغفرة من الله ورضوانا ، **حذرا من أن يستخف ذلك بعض ضعفاء المسلمين فيورثه شكّا في الدّين ، ولقد رأيت بعض ذلك عيانا، وأنست عليه دليلا وبرهانا**" إلخ [442].

وقال الشيخ **رحمت الله الهندي** رحمه الله "وكان عوام أهل الإسلام إلى مدة متنفرين عن استماع وعظهم ومطالعة رسائلهم - أي النصارى - فلم يلتفت أحد من علماء الهند إلى رد تلك الرسائل لكن تطرق الوهن بعد مدة في تنفر بعض العوام ، **وحصل خوف مزلّة أقدام بعض الجهال الذين هم كالأنعام ، فعند ذلك توجّه بعض علماء أهل الإسلام إلى ردّهم**"إلخ[443] .

وقال **مصطفى أحمد الرفاعي اللبّان** رحمه الله : "وبعد فقد أرسل إلينا الأخ المفضال السيد يوسف بن عيسى القناعي سيدي اطلعت منذ أسبوع على كتاب لهؤلاء المبشرين اسمه (الشهادة القرآنية إلى الكتب المسيحية) تأليف جِمْس مَنْرُو ولا بدّ أنّ حضرتك اطلعت عليه ، فنرجوك الردّ عليه في "صحيفة الفتح" **حيث إنّ بعض الإخوان انخدع به ورأى ما كتبه المؤلف حقا**"[444]

---

[442] "الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية" للطوفي: (1/ 227 - 228).

[443] "إظهار الحق" : (1/ 5).

[444] مقدمة كتاب "موقف الإسلام من كتب اليهود والنصارى" لمصطفى أحمد الرّفاعي اللبّان : (ص : 3).

الحال الثالثة من حالات وجوب الرد على النصارى

عند حكاية قول من أقوالهم الباطلة

من منهج القرآن الكريم أنّه كلما حكى قولا باطلا أو عقيدة فاسدة أو شبهة داحضة قرنها بردها ، وهذا ما درج عليه أيضا في حكاية أقوال النصارى فما من آية ذكر فيها عقيدة من عقائدهم الفاسدة إلا ويرد عليها مباشرة ، بل قد يذكر الرد ناجزاً قبل المخالفة اعتناءاً بهذا المنهج الحكيم المحكم.

وهذا الردّ أحيانا يكونُ مفصلا ، وأحيانا يكون مجملا حسبما يقتضيه المقام ومن الرد المجمل مجرد تكفيرهم بسبب مقالتهم ، أو الاستعاذة منها ، أو تنزيه الله عنها ، وما أشبه ذلك ؛ إذ لو كان لها في الحق نصيب لمَا كفر أصحابها ولمَا اسْتُعِيذَ منها ، ولما نزّه الله نفسه عنها وهكذا .

تأمل - تطبيقا لهذه القاعدة - الآية الكريمة وهي قوله تعالى :{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقّ إِنّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً }.(445)

(445) "سورة النساء" : (آية : 171).

الحال الرابعة من حالات وجوب الرد على النصارى
إذا ظهرت مصلحة الرد وتحُقّق منها
يقول ابن القيم رحمه الله : "ومنها - أي ومن الفوائد التي اشتملت عليها مجادلة النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران- "جواز مجادلة أهل الكتاب ، ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك ، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم ، وإقامة الحجة عليهم"إلخ[446].
الحال الخامسة من حالات وجوب الرد على النصارى
إذا استكمل الإنسان آلات الرد وشروطه ولا يوجد من يقوم به إلا هو
فمثل هذا يكون الردّ عليهم في حقه واجبا عينيا حيث لم يوجد من يقوم به إلا ّ هو.
قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : "فالمرصدون للعلم عليهم لـ لأمة حفظ الدين وتبليغه فإذا لم يبلغوهم علم الدين أو ضيعوا حفظه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[447] فإنّ ضرر كتمانهم تعدّى إلى البهائم ، وغيرها ، فلعنهم اللاعنون حتى البهائم"[448].

ويقول أبو البقاء الجعفري رحمه الله :
"وإذا كان النصارى إنما أتوا من قبل الألفاظ وعدم الحفّاظ فيتعيّن على من له دُربة بهذا الشأن حل إشكالهم ، وفكُّ الشبهات التي أعانت على ضلالهم"إلخ[449]
ولأنّ في إعراضه وعدم القيام به مفاسد كثيرة :
-منها تضييع هذه الفريضة ،
-ومنها تخذيل الإسلام والمسلمين ،
-ومنها إتاحة فرصتين خطيرتين الأولى للنّصارى في نشر باطلهم ، و الثانية لمن ليس أهلا للرد عليهم للقيام بذلك فيفسد أكثر مما يصلح ، وغير ذلك من المفاسد التي لا تكاد تخفى .

ثانيا:

---

[446] "زاد المعاد" : (639/3).
[447] "سورة البقرة" : (آية : 159).
[448] "مجموع الفتاوى": (28 / 187).
[449] "تخجيل من حرف التوراة والإنجيل" (1/ 92).

من الحالات التي يكون فيها الرد على النصارى مستحبا

ويكون الرد على النصارى مستحبا في حالات منها إذا اندفع الفرض العيني بأنْ قام به البعضُ الأكْفَاءُ فإنه يسقط الوجوب عن الباقين ويكون القيام به بالنسبة لهم من المستحبات لأنّ القاعدة : "أنّ فُرُوضَ الكِفَايَةِ مَنْدُوبَاتٌ عَلَى الأَعْيانِ"[450]

ثالثا:

من الحالات التي يكون فيها الرد على النصارى محرّما

يكون الرد على النصارى محرما في حالات منها:

الحال الأولى من حالات حرمة الرد على النصارى

إذا فقد القائم بالرد الشروط الأساسية للرد كالعلم وقوة الحجة [451]

ويدل على حرمة القيام بالرد على النصارى على من فقد الشروط الأساسية كالعلم والحجة عدّة أدلة منها :

الدليل الأول: قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلاّ بِالتِّي هِيَ أَحسَن﴾[452] فمنع الله تعالى من المناظرة إلاّ بالتي هي أحسن ولا شكّ أنّ من أحسنِّيتها أن تكون بالعلم الصحيح والحجة البالغة و البصيرة النافذة.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَمَا حَرّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[453] ولا شك أنّه سيقول على الله مالا يعلم "ويعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله ، وفي دينه وشرعه ، وهو أشد تحريما من الفواحش والإثم والبغي بغير الحق والشرك بالله مالم ينزل به سلطانا" كما قال ابن القيم رحمه الله

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلا تَقفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[454] ولا شك أنه سيقول ما لا يعلم.

الدليل الرابع: أن ذلك يؤدي إلى افتتان الإنسان في دينه لأنه كما

---

[450] "الموافقات في أصول الشريعة": للشاطبي : (1/ 252).

[451] انظر مبحث "شروط الرد على النصارى" (ص: 151).

[452] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

[453] "سورة الأعراف" : (آية : 33) .

[454] "سورة الإسراء" : (آية : 36) .

هو معلوم أن مجال الرد على النصارى الأصل فيه أنه مجال يتعامل بالشبهات فإذا لم يكن لدى الراد من العلم بدينه وبحقيقة دين آلئك ما يجعله واعيا لما يطرح من الشبهات، ربما تأثر في عقيدته وإيمانه بشيء من تلك الشبهات الزائفة[455]

ولا شك أنه مسؤول عن دينه وسلامة عقيدته أولا قبل أن يطالب بتصحيح عقيدة غيره ومحاولة إدخاله في دين الإسلام.

الدليل الخامس: أنه سيؤدي إلى ظهور الكفر على الإسلام في ذلك المقام الصعب فيكون محنة للذين آمنوا ، وفتنة للذين كفروا لأنه سيُظهر الإسلام في قالب الضعف والهوان، ويجعل النصارى يتمادون في كفرهم وضلالهم، ويرون أنّهم على الحق .

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه :{رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}.[456]

قال قتادة رحمه الله في معنى هذه الآية :"لا تظهرهم علينا فيفتنوا بذلك ؛ يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه"[457]

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : "وقد ينهون أي - السلف - عن المجادلة والمناظرة إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار، فإنّ ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"إلخ [458]

لاشك أنّ الإسلام هو الدين وكلّ ما سواه من الأديان فضلال مبين، حجتها داحضة، وأدلتها وساوس شيطان لا يمكن بحال أن تعارض بحجة الإسلام التي لا حجة بعدها لكن كما يقول الشاعر:

إنّ السُيُوفَ مَعَ الذِّينَ قُلُوبُهُمْ * كقلوبِهِنّ إذَا التَقَى الجَمْعَانِ
تلْقَى الحُسَامَ عَلَى جَرَاءَةِ حَدِّهِ * مِثْلَ الجَبَانِ بِكَفِّ كُلِّ جَبَانِ

الحال الثانية من حالات حرمة الرد على النصارى

---

(455) انظر "رد الأستاذ هاني محمود من فريق الاستشارات في موقع (إسلام أون لاين) على من استشاره في التفرغ لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام. والرد موجود في الموقع المذكور وعنوانه: http://www.islamonline.net/Daawa/Arabic/

(456) "سورة الممتحنة" : (آية : 5) .

(457) "تفسير الطبري" : (64 / 28) .

(458) "درء تعارض العقل والنقل" : (7 / 173 - 174).

إذا أدى الرد عليهم إلى مفسدة متحققة أعظم من المصلحة المتوقعة وذلك كمفسدة سب الله سبحانه وتعالى قال جل ثناؤه :﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[459]
قال ابن كثير رحمه الله : "يقول الله تعالى ناهيا لرسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين وهو الله لا إله إلا هو"[460]
وقال القرطبي رحمه الله : "قال العلماء : حكمها- أي هذه الآية - باق في هذه الأ ُمّة على كل حال ، فمتى كان الكافر في منَعَة ، وخِيفَ أن يسب الإسلام أو النبي عليه السلام أو الله عز وجل، فلا يحل لمسلم أن يسب صلبانهم، ولا دينهم ولا كنائسهم ولا يتعرض إلى ما يؤدي إلى ذلك ؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية" إلخ [461]
والسب في اللغة هو الشتم والشتم هو الكلام القبيح . لكن لينتبه أنّ محل الحرمة إذا أدّى الرد إلى سب الله أو النبي صلى الله عليه وسلم أو الإسلام أمّا إذا كان السبّ من قبل النصراني ابتداءاً فلا حرمة إذاً؛ لأن هذا ليس تسببا في السب إنما هو قيام بالرد بسبب السب.

الحال الثالثة من حالات حرمة الرد على النصارى

إذا كانت مجادلتهم بغير التي هي أحسن[462]

يحرم الرد على النصارى إذا كان بغير التي هي أحسن لصريح قوله تعالى: ﴿وَلا َ تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلا ّ بِالتِّي هِيَ أَحسَن﴾.[463] لكن قد تجوز مجادلتهم بغير التي هي أحسن في حالات كما سيأتي[464]

***

---

[459] "سورة الأنعام" : (آية : 108).
[460] "تفسير ابن كثير" : (2/ 156).
[461] "تفسير القرطبي" : (7 / 61).
[462] انظر : "الشرط الأول من شروط الرد على النصارى المتعلقة بالرد": (ص: 151).
[463] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).
[464] انظر: "الشرط الأول من شروط الرد على النصارى المتعلقة بالرد": (ص: 158).

المبحث الثالث :

شروط الرد على النصارى

اعلم وفّقني الله وإياك أنّ للرد على المخالف عموما، وعلى النصارى خصوصا شروطا إذا توفّرت أدّى إلى نتيجة طيبة، وبقدر نقصانها ينقص تأثير الرد ومفعوله، بل قد يكون تركه خيرا من القيام به عند فقدان بعض الشروط كما سيأتي إن شاء الله تعالى.
وشروط الرد على النصارى تنقسم باعتبار متعلقها إلى ثلاثة أقسام؛ شروط للرد نفسه، وشروط للرادّ وهو المسلم القائم به، وشروط للمرودود عليه وهو النصراني أو الشبهة أو العقيدة التي يراد بيان بطلانها وفسادها.
وتنقسم باعتبار وصفها إلى قسمين:
القسم الأول : شروط الصحة والمقصود بها الشروط الأساسية التي يجب توفرها، ويحرم القيام بالرد بدونها.
وضابطها أن يكون فقدانها يؤدي إلى الإخلال بمقصود الرد الأ ساس.
القسم الثاني: شروط الكمال، وهي الشروط التكميلية.
وضابطها: أن يكون فقدانها لا يؤثر في مقصود الرد، وإنما يؤثر في كماله وتمامه.
وهذه أهم الشروط في الرد على النصارى باعتبار نفس الرد، والراد و المردود عليه

أولا:

أهم الشروط المتعلقة بالرد

الشرط الأول:

أن يكون بالتي هي أحسن
ويدل على هذا الشرط صريح قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[465]
وصريح قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

---

[465] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.[466]
فيجب أن يكون الرد على النصارى ومناظرتهم ومجدالتهم بالتي هي أحسن كما قال تعالى فيكون بأحسن الأدلة من نقلية وعقلية وواقعية، وبالرفق واللين والملاطفة وعدم المُخاشَنَة أوالتعنيف أوالفظاظة أوالغِلظة أوالتأنيف[467] واستعمال فحش من القول أو الفعل كالاستهزاء والسُّخْرية والبَذاءة والمقاطعة في الكلام والسبّ والشتم واللعن والنبذ بالألقاب[468] وما أشبه ذلك من قبيح الكلام.ف.
"لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ"
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[469] فكل ذلك من التنفير الذي نهى عنه نبينا عليه السلام في قوله "بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا"[470]
ويؤكد مشروعية هذا الشرط وأهميته التزام الأنبياء والصالحين رحمة الله عليهم له في دعوتهم ومجادلاتهم وردودهم على من خالف الجادة واتبع غير سبيل المؤمنين.
تأمّل قول الله تعالى على لسان نبيّه شعيب عليه السلام: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ}.[471]
وما في قوله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}.[472] "من تلطف الخطاب وحسن الإرشاد، فإنك إذا قلت لغيرك أنت كافر فآمن! ربّما أدركته الأنفة فاشتد إعراضه عن الحق، فإذا قلت له: أحدنا كافر ينبغي أن يسعى في خلاص نفسه من عذاب الله تعالى فَهَلُمّ بنا نبحث عن

---

[466] "سورة النحل" : (ص :125) .
[467] انظر: "تفسير ابن كثير": (613/4). "تفسير السعدي": (ص: 404)؛ (ص: 582)، بل وأي كتاب من كتب التفسير عند الكلام على هاتين الآيتين.
[468] انظر : "آداب البحث والمناظرة " للشنقيطي : (ص : 91) .
[469] رواه الترمذي "باب ما جاء في اللعنة" رقم" [1977] (520/3)، وقال حديث حسن غريب. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم: [370] وانظر تخريجه موسعاً في "سلسلة الأحاديث الصحيحة" رقم: [320] (634/1)، من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.
[470] رواه مسلم "كتاب الجهاد" "باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير" من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه حديث رقم: [4500] (268/12).
[471] "سورة هود" : (آية : 84).
[472] "سورة سبأ" : (آية : 24).

الكافر منا فنخلِصه، فإنّ ذلك أوفر لداعيته إلى الرجوع إلى الحق و الفحص عن الصواب. فإذا نظر فوجد نفسه هو الكافر فرّ من الكفر من غير منافرة منك عنده، ويفرح بالسلامة، ويسرّ منك بالنصيحة، هكذا هذه الآية سهّلت الخطاب على الكفّار ليكون ذلك أقرب لهدايتهم"[473]

وتدبّر قول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون لفرعون وقومه: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾[474] وقوله ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾[475] فخصّهم "بالملك والظهور لتنبسط نفوسهم مع علمه بأنه وبال عليهم وسبب طغيانهم، ولم يجزم في ظاهر اللفظ بصدق موسى عليه السلام مع قطعه بصدقه، بل جعله معلقا على شرط لئلا ينفرهم فيحتجبوا عن الصواب"[476]

وقد أكّد العلماء عليهم رحمة الله على ضرورة هذا الشرط وأهميته في الدعوة إلى الله عموما، وفي الرد على المخالف خصوصا، وفي الرد على النصارى بوجه أخص.

قال ابن العربي رحمه الله في تفسير قوله تعالى:﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[477] "ومن امتنع بقي الجدال في حقه ، ولكن بما يحسن من الأدلة ويجمل من الكلام ؛ بأن يكون منك للخصم تمكين ، وفي خطابك له لين ، وأن تستعمل من الأدلة أظهرَها وأنورَها ، وإذا لم يفهم المجادل أعاد عليه الحجة وكررها كما فعل الخليل مع الكافر حين قال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾[478] فقال له الكافر: ﴿أنا أحي وأميت﴾. فحسّن الجدال ، ونقل إلى أبين منه بالاستدلال وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾[479] وهو انتقال من حق إلى حق أظهرَ منه ، ومن دليل إلى دليل أبين منه وأنور"[480].

---

[473] "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 32).
[474] "سورة غافر" : (آية : 28)
[475] "سورة غافر" : (آية : 29).
[476] "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 32).
[477] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).
[478] "سورة البقرة" : (آية : 258).
[479] "سورة البقرة" : (آية : 258).
[480] "أحكام القرآن" : لابن العربي : (3 / 1488) وانظر "مفتاح دار السعادة" ل ابن القيم : (174/1) و "فتح القدير" : للشوكاني : (287/3).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية معلِقا على معنى قوله تعالى :﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾الآية[481]

"فهو أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله ، وتقوم الحجة على المخالفين ، فإن هذا من الجدال بالتي هي أحسن ، وهو أن تقول كلاما حقا يلزمك ويلزم المنازع لك أن يقول فإن وافق وإلا ظهر عناده وظلمه"[482]

وقال السعدي رحمه الله : "المحاجّة هي المجادلة بين اثنين فأكثر تتعلق بالمسائل الخلافيه حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله وإبطال قول خصمه فكل واحد منهما يجتهد في إقامة الحجة على ذلك ، والمطلوب منها أن تكون بالتي هي أحسن بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق ، ويقيم الحجة على المعاند ويوضح الحق ويبين الباطل ، فإن خرجت عن هذه الأمور كانت مماراة ومخاصمة لا خير فيها ، وأحدثت من الشر ما أحدثت"[483]

وقال أيضا :"فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق ، أو كان داعية إلى الباطل فيجادل بالتي هي أحسن ، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا، ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها ؛ فإنه أقرب إلى حصول المقصود ، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أم مشاتمة تذهب بمقصودها ، ولا تحصل الفائدة منها ، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة"[484] اهـ.

وقال أيضا: "ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله ، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى الكفار؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[485] ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده ، أن يكون الإنسان نزيها ، في أقواله ، وأفعاله ، غير فاحش و لا بذيء ولا شاتم ، ولا مخاصم ، بل يكون حسن الخلق ، واسع العلم

---

[481] "سورة العنكبوت": (آية : 46).
[482] "الجواب الصحيح": (82/3).
[483] "تفسير السعدي" : (ص :69).
[484] "تفسير السعدي" : (ص : 452).
[485] "سورة العنكبوت": (آية : 46).

، مجاملا لكل أحد ، صبورا على ما يناله من أذى الخلق امتثالا لأمر الله ورجاء ثوابه"[486]

وقال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله[487]"من الأخلاق الفاضلة أن يدعو لهم بالهداية ويقول للمدعو هداك الله ، وفقك الله لقبول الحق أعانك الله بالهداية ، قال النبي صلى الله عليه وسلم" اللهُمّ اهْدِ دَوسًا وَأْتِ بِهِمْ" متفق عليه[488]. تدعو له بالهداية والتوفيق لقبول الحق ، وتصبر وتصابر في ذلك ولا تقنط ولا تيأس ولا تقل إلا خيرا ، ولا تعنف و لا تقل كلاماً سيئاً يُنَفّر من الحق ، ولكن من ظلم وتعدى له شأن آخر كما قال الله - جل وعلا- ·{وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا ّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا ّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}·[489]

وقد حقق كثير من علمائنا الذين ردوا على النصارى هذا الشرط العظيم ، وجسدوه في ألمع صوره وأبهى حلله . وعدوا بذلك وأوفوا[490]

ومن أمثلة وعدهم قول:

القاسم الرسي[491]: "ثم نجادلهم فيه على الحق بالتي هي أحسن ، وأبلغُ في الجدال، وندعوهم إلى سبيل ربنا وربهم بالحكمة والبينة ، ونعظهم إن شاء الله فيه بالمواعظ البليغة الحسنة"[492]

ومن أمثلة وفائهم :

قول أبي الوليد الباجي[493] رحمه الله: "فاعتبر- أيها الراهب- ضَعفَ

---

[486] ذكر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : [وقولوا للناس حسنا] [البقرة : 85] (ص: 57 ـ 58) .

[487] "غلاف كتاب كشف النقاب عن دين النصارى أهل الكتاب" تأليف : مرفت بنت كامل عبدالله.

[488] رواه البخاري: "كتاب المغازي": "باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي باب (75) حديث رقم: [4392] (5001/8)، ومسلم "كتاب الفضائل" باب "من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء" رقم: [6397] (294/16). وسياقه عنده "عن أبي هريرة قال قدم الطفيل وأصحابه فقالوا يا رسول الله! إن دوساً قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس! فقال: "اللّهم اهد دوساً وائت بهم" اهـ.

[489] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

[490] اقرأ في مقدمات كتب العلماء الذين ردوا على النصارى.

[491] هو القاسم بن إبراهيم الرسي الحسني العلوي فقيه شاعر من أئمة الزيدية. ومن أوائل من ألف في الرد على النصارى له في ذلك كتاب: "الرد على النصارى" توفي:[سنة: 6 4 2] . انظر ترجمته في : مقدمة تحقيق كتابه المذكور.

[492] "الرد على النصارى" للرسي : (ص : 32).

[493] هو القاضي أبو الوليد الباجي الأندلسي من علماء أندلس وحفاظها. رد على

ما أنت عليه، وفضلَ ما ندعوك إليه ، فعسى أن يوفقك اللّٰه ويهديك ، فتصير بعلم اللّٰه بكونك من جملتنا وفَيْئَتك إلى ملتنا! فقد بلغنا من إرادتك للخير ورغبتك فيه وحرصك عليه ما حرصنا به على إرشادك وهدايتك ، ورجونا سرعة انقيادك وإنابتك. ﴿وَمَاتوْفيقِي إلا بِاللّٰه ِ عَلَيهِ توَكَلْتُ﴾.[494]

النصارى في جوابه على رسالة راهب فرنسا. توفي: [سنة: 474]. انظر ترجمته في "الديباج المذهب في أعيان المذهب" لابن فرحون (ص: 120-122).

[494] "رسالة راهب فرنسا إلى المسلمين وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها" : (ص : 80).

وختم هذا الشرط ثلاثة أمور:

الأمر الأول

اعلم أن ردك على النصراني بالتي هي أحسن مما يدل على حسن نيتك وصحتها ونصحك وحبّك للخير لنفسك وللنصراني الذي تريد إنقاذه من الجحيم إلى النعيم المقيم لأنّ "**كُلّ مَنْ صَحّ قَصْدُهُ فِي هِدَايَةِ الخَلْقِ سَلَكَ مَعَهُمْ مَا هُو أقْرَبُ لِهَدَايَتِهِمْ**"[495]

الأمر الثاني:

اعلم أن الإساءة إلى المردود عليه بتنقيصه واستثارة حميته وأنَفَته ومحاولة غلبته وتجاهل أنّ المقصود دلالته على الحقّ لا حطّ منزلته وإسقاط اعتباره يؤدي إلى نتيجة عكسية للرد ومقصوده لأنّ "بالجدال بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح حتى[496] يطمئن إلى الداعي ويشعر أن ليس هدفه هو الغلبة في الجدل ، ولكن الإقناع في الوصول إلى الحق . فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها ، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بـ الرفق حتى لا تشعر بالهزيمة ، وسرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس ، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلا عن هيبتها واحترامها وكيانها ، والجدل بالحسنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحسّاسة ، ويشعر المجادَل أن ذاته مصونة ، وقيمته كريمة ، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها ، و الاهتداء إليها في سبيل الله ، لا في سبيل ذاته ، ونصرة رأيه ، وهزيمة الرأي الآخر"(497) .

---

[495] "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 32).

[496] لعل (حتّى) هذه مقحمة في النص خطأً مطبعيا لأن الكلام أقوم بدونها كما هو ظاهر.

[497] "في ظلال القرآن" لسيد قطب : (4/ 2202).

الأمر الثالث:
نبّه غير واحد من علماء التفسير[498] عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلا ّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾[499] أنّ من أفرط من أهل الكتاب في الاعتداء، و العناد ، أو إثبات الولد، أو أفحش في المقال، وأقذَع في الجدال، لا حرج في مقابلته بالعنف والمدافعة بما يليق بحاله لتَنَكّبِه عن جادّة اللطف، كما قال تعالى: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلا ّ مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾[500]

وهذه بعض التطبيقات العملية لهذه الحال الاستثنائية :

ادعى النصراني الذي رد عليه الخزرجي أن لمسيلمة الكذاب كتابا تحدى به لو رأته العرب لارتدت عن دينها اعجابا بنظمه ليتوصل بذلك إلى الطعن في القرآن وأنّه غير معجز[501]

فرد عليه **الخزرجي** رحمه الله بردود مقنعة قال في آخرها: "فهذه نُبذ من كلام مسيلمة كذاب اليمامة ، وأجدر بكم معشر النصارى ألا يقع استحسانكم إلا ّ على مثل هذا الكلام ، فمن كان قد ارتضى إلهه صليبا فهو خليق بأن يرضى بمسيلمة رسولا ، وبكلامه هذا فرقانا"[502]

قال **ابن القيم** رحمه الله رداً على بعض النصارى تنزيل بشارة في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، على النبي إلياس "قال بعض عباد الصليب : إنما بشر بإلياس النبي وهذا لا ينكر من جهل أمّة الضلال وعبّاد خشبة الصليب التي نحتتها أيدي اليهود فإن إلياس تقدّم إرساله على المسيح بدهور متطاولة"[503]

طعن النصراني الذي رد عليه **الطوفي** في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قائلا: "إنّ أهل الباطل والكذب متبعوه إلى جهنم يوم القيامة وأهل الحق القليلون بالنسبة إلى هؤلاء يتبعون سيدنا المسيح إلى الحياة الدائمة"

فرد عليه **الطوفي** رحمه الله برد مما جاء فيه : "**وبهم** -يعني

---

[498] انظر: "الكشاف" : للزمخشري : (4/ 553) ؛ "تفسير أبي السعود" : (7/ 42) ؛ "تفسير البيضاوي": (2/ 211) ؛ "روح المعاني" للألوسي : (21 / 2) ؛ "تفسير القاسمي" (10/ 177).

[499] "سورة العنكبوت" : (آية : 46) .

[500] "سورة النساء" : (آية : 148) .

[501] "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 191).

[502] "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 192).

[503] "هداية الحيارى" : (ص : 380- 381) ، وانظر أيضا : "ص : 497).

النصارى- وبيأجوج ومأجوج تمتليء جهنم إن شاء الله"[504]

الشرط الثاني:

أن يكون مبنيا على الأهداف التي سيأتي ذكرها[505]

وهي أهداف كثيرة لكنّ أساسها حفظُ الدِّين ، ومردُّها إلى هدفين :

الأول: دعوة النصارى إلى الإسلام من خلال تعريفهم به وبحقيقة النصرانية التي هم عليها.

الثاني : دفع شبهاتهم وتفنيد مفترياتهم عن الإسلام وتحذير المسلمين منهم.

الشرط الثالث:

أن يكون قويا

يجب أن يكون الرد من المتانة والقوّة بحيث لا تقف في وجهه دعوى فاجرة إلا دحَضَها ورضّها، ولا شبهة ماكرة إلا دكّها وحطّمَها، وهذا يتطلّب أدلة قاطعة، واستدلالات ساطعة ، وعقليّة فيّاضة.

وَلَيُحْذَر كلّ الحذر من أن تكون ردوده باردة ، وتقريراته ساذجة فيها من الغَثَاثة والهُزال مالا يقوى على إحقاق حق أو إبطال باطل بما يُثلج صدورَ المؤمنين ويقيم الحجة على القوم الكافرين .

فكم من رد على النصارى لا تلفي من أدلته إلا الميتة والمنخنقة و الموقوذة والمتردِّية والنّطِيحة!

لا شك أنّ صاحب هذه الردود المهزوزة ، والتقريرات المجذوذة جانٍ على نفسه، ومخَذِّلٌ للإسلام وأهله، ومؤذٍ لله ورسوله، ومِحنةٌ على المؤمنين، وفتنةٌ للقوم الظالمين. وبهذا يكون إفساده أكثرَ من إصلاحه إن كان في عمله هذا إصلاح.

إذن، فلتكن الردود على حد قوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ[506] فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}[507]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الإسلام حقه ، و لا وفّى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور ،

---

(504) "الانتصارات" : (2/582-584).

(505) انظر : "مبحث أهداف الرد على النصارى" (ص: 211).

(506) فيدمغه : يقول الطبري رحمه الله : " فيهلكه كما يَدْمَغُ الرّجل الرجلَ بأن يشُجّه على رأسه شَجّة تبلغ الدِّمَاغ ، وإذا بلغت الشّجّة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة" اهـ. "تفسير الطبري: (9/ 12).

(507) "سورة الأنبياء" : (آية : 18).

وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين"[508]اه..
فالرد إن لم يكن أقوى من الشبهة فلا أقل من أن يكون مساويا لها ، حتى يتحقق المقصود ، وينتفي المحظور ومن أهم ما يصبغ الردود بالقوة المرجوة كون القائم بها فقيها في الرد ماهرا فيه وهذا الذي سيتم تناوله في الشرط الآتي:

الشرط ارابع:

قرن الشبهة أو الدعوى بردها .

يجب ألا ّ تذكر شبهة إلا ّ ومعها جوابها، ولا دعوى فاسدة إلا أُردِفت ببيان بطلانها ولا يُؤَخّرنّ ذلك ولا يهملنّ بل لا بدّ من الردِّ عليها فور ذكرها أو إيرادها [509]

فلا يَدعي النصراني دعوى أو يذكر شبهة اتكأ عليها في باطله فيهملها الرادّ ولا يرد عليها أو يؤخره،

أو يذكر هو - الرادّ المسلم نفسه - من الدعاوى والشبه التي يعتمد عليها النصارى في ضلالهم فيتركها ولا يرد عليها أو يؤخره،

أو يثير شبهة يَحتَمل ورودُها، أو دعوى يمكن لمبطل أن يدّعيها ولم يتطرق إليها النصراني ثم لا يبطلها ولا يجيب عنها كأن يقول "وقد يدعي النصارى كذا أو يستدلون بكذا" [510] وهم لم يقولوا ولم يستدلوا.

تلك صُوَرٌ ثلاث ، وهو مطالبٌ في جميعها أن يذكر الرد عليها مباشرة كما سبق فلا تُسَاقنّ إليه شبهة أو دعوى، أو يسوقهما هو بنفسه ويُشَخِّصهما ثم يتقاعس عن ردهما، أو يُحيل على الجواب

---

(508) "درء تعارض العقل والنقل" لشيخ الإسلام ابن تيمية: (357/1).

(509) قرن الشبهة بردها أو الدعوى بإبطالها لا يعني أن يتكلف الإنسان أو يقول ما لا يعلم . بل إن علم أجاب ، وإن لم يعلم فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فقد سكت النبي صلى الله عليه وسلم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه لما سئلا عن مالا يعلما في شأن عيسى وأمه كما سبق. (ص: 111، 113).

(510) على أنه ليس من منهج القرآن ولا من منهج النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح عليهم رحمة الله من بعده إيراد الشبهة ثم الجواب عليها ، بل إذا أثيرت ، وتطايرت ، وبدأ الناس ينخدعون بها قاموا عليها وجعلوها هباءا منثورا ، وهذا المنهج هو الذي انتهجه أغلب من رد على النصارى من علماء المسلمين ، فأكثر مؤلفاتهم ما هي إلا ّ ردود على كتاب أو شخص بعينه فيما أثار من الشبهات ، أو ساق من المزاعم و المغالطات . وهذا المنهج الذي يجب أن ينتهجه كل من يريد أن يتقرّب إلى الله بالرد على النصارى ، ولئن حاد عن هذا المنهج القويم ، فراح يسرد شبهاتهم ويذكر دعاويهم ومزاعمهم ، فليعلم أنّ الحال ما ذكر ؛ لا يذكر الشبهة نقدا وردّها نسيئة بل لا بد من ذكر وهائها وبطلانها عاجلا لا آجلا.

عليهما، فإنّ هذا مسلكُ مترددٍ أبدا بين العجز والحَيْدَة، وفي كلٍّ منهما هضم للحق وإعطاء فسحة للباطل ، فالمعاملة هاءَ وهاءَ[511]
ويدل على اعتبار "قرن الشبهة بردّها" شرطاً في الرد على النصارى وعلى أنه المنهج الصحيح في ذكر أي مخالفة ، كونه هو المنهج الذي سار عليه القرآن العظيم في جميع حكاياته لدعاوى وشبه المبطلين النصارى وغيرهم وهو منهج النبي صلى الله عليه وسلم كذلك في ردوده ، وعليه درج السلف الصالح عليهم رحمة الله[512]
ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي[513] :

دعوى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ

ردّها المباشر : قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾[514]

دعوى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا ّ مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى

ردّها المباشر: تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[515]

دعوى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله

ردّها المباشر: ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[516]

دعوى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ

ردّها المباشر : وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلا ّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا

---

(511) انظر : "كتاب الردود" لبكر بن عبد الله أبو زيد .(ص: 65).

(512) تأمل في نصوص الآيات القرآنية والسنة النبوية والآثار السلفية تجد ذلك واضحا جليا.

(513) الأمثلة التي ذكرت في المتن تجد فيها ذكر الشبهة أو الدعوى أولا ثم ردها ، وهذا هو الغالب ، لكن أحيانا قد يأتي الرد أولا ثم ذكر الشبهة أو الدعوى ثم الرد عليها مرة أخرى . مثال ذلك قوله تعالى:﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾"سورة المائدة" : (آية :17) .

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا ّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾"سورة المائدة" : (آية : 73) فتكفيرهم بمقولتهم تلك ردّ مجمل ، ثمّ أتبعه برد آخر مَفصّل ابتداءاً من قوله تعالى:﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا ّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ "سورة المائدة" (آية : 72 - 77).

(514) "سورة المائدة" : (آية : 18) .

(515) "سورة البقرة" : (آية : 111).

(516) "سورة التوبة" : (آية : 30) .

قَتَلُوهُ يَقِيناً}.[517]

شبهة : قال المشركون لما نزل قوله تعالى: ·{إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}.[518]، قد عُبدت الشمس و القمر والملائكة وعُزَير وعيسى ابن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا

جوابها المباشر : فنزل قوله تعالى: ·{وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}.[519] ثمّ قوله تعالى: ·{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ}.[520] .

شبهة : قال هِرَقْل عَظيم الروم للنبي صلى الله عليه وسلم في جواب رسالته إليه

"تَدْعُونِي إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ فَأَيْنَ النَّارُ ؟".

جوابها المباشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَيْنَ اللَّيلُ إِذَا جَاءَ النَّهَارُ؟ "[521] .

شبهة : قال يهودي لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه "ما نفضتم أيديكم من تراب دفن نبيكم حتى قلتم" منّا أمير ومنكم أمير"

جوابهاالمباشر : فقال له علي رضي الله عنه : "ما جفّت أقدامكم من فلق البحر حتى قلتم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة"[522] .

شبهة : قال المُقَوقِس عظيم القِبْط لحاطب رضي الله عنه لما أخبره أن الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أعدائه سجال فقال المقوقس :"أنبِيٌّ الله يُغلب"؟

جوابها المباشر : فقال حاطب رضي الله عنه : "أولدُ الله يُصلب؟ "[523]

هذا ، ومن قرن الشبهة بردِّها مجرد تسبيح الله تعالى عند ذكر

---

(517) "سورة النساء" : (آية : 157).
(518) "سورة الأنبياء" : (آية : 101).
(519) "سورة الزخرف" : (آية : 58).
(520) "تفسير ابن كثير" : (5 /379). وانظر "موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور" للأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين : (397/3).
(521) أخرجه أحمد في "المسند" : (3/ 441 - 442) مطولاً وقال ابن كثير في البداية : (16/5) "هذا حديث غريب وإسناده لا بأس به تفرّد به أحمد" اهـ.
(522) سبق تخريجه (ص: 118).
(523) سبق هذا الأثر (ص:117).

عقائدهم الفاسدة فإن تسبيح الله عند حكاية أقوالهم يعتبر رداً مجملا عليهم وقد يكتفى به في حالات. وجاء هذا النوع من الرد المجمل في القرآن كثيراً وفي السنة كذلك، وذلك مثل قوله تعالى:
·{ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.[524]
·{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا ّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً}.[525] ·{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ}.[526]
وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لا َ أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لِي وَلَدٌ. فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً وَلا َ وَلَدًا"[527].
وكذلك حرص العلماء عليهم رحمة الله على هذا النوع من الرد فكثيرما يفتتحون أو يختتمون ردودهم المفصلة بهذا الرد المجمل كما قال الخزرجي بعد حكايته وتصويره لبعض عقائد النصارى الباطلة : "سبحان الله عما يصفون ، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوا كبيراً"[528]
وقال ابن القيم رحمه الله : "وفيها - أي في التوراة المحرّفة- أن الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً تصارع مع يعقوب فضرب به يعقوب الأرض"[529] .

(524) "سورة مريم" : (آية : 35).
(525) "سورة النساء" (آية : 171).
(526) "سورة البقرة" : (آية : 116).
(527) رواه البخاري "كتاب التفسير": "باب وقالوا اتخذ الله ولدا" رقم: [4482] (20/9) مع الفتح.
(528) "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 271). وانظر أيضا (ص : 152).
(529) "هداية الحيارى" : (ص : 418).

الشرط الخامس:

ألا يكون الرد التنظيري بين ظهراني المسلمين

على من يريد الرد على النصارى مناظرة ألا يفاتحهم أو يستجيب إلى مناظرتهم بين ظهراني المسلمين ؛ لأنهم قد يثيرون شبهات تلتصق بأذهان ضعاف العلم والإدراك من المسلمين إن لم يحكم ردها ودحضها الراد ، وحتى لو أحكم ذلك "فإن أحسن دواء الشبهة عدم سماعها" كما نقل عن بعض السلف.

وعليه ، فإمّا أن يذهب إليهم في مكانهم ، وإمّا أن يلتقي بهم في مكان معين وهذا من هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم فإنّه كان يرسل أصحابه إليهم ليدعوهم إلى الإسلام، ولا شك أنه ستحدث بينهم مناظرات بل حدثت بالفعل وقد سبق ذكر طرف منها[530]

ولأنه عليه الصلاة والسلام لمّا غَشِيَه وفد نصارى نجران لم يجمع المسلمين لمناظرتهم حسب الروايات المرصودة ، ولو جمعهم لنقل ؛ لأنّه مما تتوفر الدواعي لنقله.

وهذا من هدي السلف الصالح ومناظري علماء المسلمين كذلك في مناظراتهم مع أهل الباطل ، فإنّ عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد مناظرة الخوارج ناداهم إلى مكان خاص ، وكذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما أراد مناظرتهم ذهب إليهم في مكانهم[531]

وقال الرازي رحمه الله: "إنّه جاء نصراني من أكابر علماء دين النصرانية يدّعي التحقيق والتقرير لدينه فذهبت إليه وشرعنا في الكلام فقال لي" إلخ[532]

---

(530) انظر : (ص : 113، 117) من هذا البحث.

(531) انظر : "مسند الإمام أحمد" (2/ 66- 68) رقم [656] وصحح إسناده ابن كثير في "البداية والنهاية" (7/ 280 - 281) وأحمد شاكر في تحقيق المسند .

(532) "مناظرة في الرد على النصارى" للرازي : (ص : 21).

ثانيا:

أهم الشروط المتعلقة بالراد

الشرط الأول:

الإخلاص والمتابعة.

الرد على النصارى بوصفه عبادة لله عز وجل لا بدّ من إخلاص النية والقصد فيه بأن لا يقصد بعمله هذا شيئا من الدنيا منصبًا، أو مالا ً، أو جاهًا، أو شهرةً، وغير ذلك من الأشياء المنافية للإخلاص قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إلا ّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾.[533] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: "أنّ رَجُلا ً أعْرَابِيًا أتى النّبِيّ صَلَى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَم فَقَالَ يَا رَسُولَ اللّه ِ الرّجُلُ يُقَاتِلُ لِلمَغْنَم ، وَالرّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذّكْرِ ، وَالرّجُل يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللّه ِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّه ِ صَلَى اللّه ُ عَلَيهِ وَسَلَم: مَنْ قَاتل لِتَكُونَ كلِمَةُ اللّه ِ هِيَ العُلْيَا فَهوَ فِي سَبِيلِ اللّه ِ "[534]

وكذلك عليه أن يترسم سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في ردّه ما أمكن فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[535]

وقال عليه الصلاة والسلام : "مَنْ أحْدَثَ فِي أمْرِنا هَذَا مَا لَيسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌ"[536] وفي رواية "مَنْ عَمِلَ عَمَلا ً لَيسَ عَلَيهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌ"[537] .

هذان الشرطان هما شرطا قبول العمل ؛ فلا عملَ يُقبل من العبد - الردّ وغيره - إلا بتوفّرهما كما قال تعالى : ﴿الّذِي خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عَمَلا ً وَهُوَ العَزِيزُ الغَفُورُ﴾.[538]

قال الفضيل بن عياض رحمه الله في تفسير الآية : "أخلصه

---

[533] "سورة البيّنة" : (آية : 5).

(534) رواه البخاري "كتاب الجهاد والسير" باب" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا" رقم: [2810] (3480/6). ومسلم "كتاب الجهاد" باب" من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا في سبيل الله" رقم: [4896] (51/13).

[535] "سورة آل عمران" : (آية : 31).

(536) رواه البخاري "كتاب الصلح" باب"إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود" رقم: [2697] (3314/6)؛ ومسلم "كتاب الأقضية" باب" نقض الأحكام الباطلة ومحدثات الأمور" رقم:[4467] (242/12).

(537) رواه مسلم رقم: [4467] انظر: الهامش السابق.

[538] "سورة الملك" : (آية : 2).

وأصوبه. وقال إنّ العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . قال : والخالص إذا كان لله عز وجل ، والصواب إذا كان على السنة" [539] .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية : "وهذان ركنا العمل المتقبّل لا بد أن يكون خالصا لله صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم" [540]

لكن ليُعْلم أنّ كون الإخلاص من شروط الرادّ لا يعني أن من لم يجد ذلك في قلبه - نسأل الله السلامة والعافية - ألاّ يقوم به إذا كان أهلا لذلك؛ لأنّ الرد من ذي أهلية لا يخلو من الخير حتى لو لم يكن مخلصا؛ قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إلاّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيما﴾ [541]

فالرادّ على النصارى لا شك أنه من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر [542] وقد أثبت الله أن في عملهم خيرا [543] لأنّ هذه الأشياء المذكورة في الآية حيثما فعلت فهي خير كما دلّ على ذلك الا ستثناء، لكنّ كمال الأجر وتمامه بحسب النية والإخلاص [544]

قال ابن رجب رحمه الله : "وإنما جعل الأمر بالمعروف من الصدقة والإصلاحَ بين الناس وغيرهما خيرا وإن لم يُبْتَغَ به وجهُ الله لما يترتب على ذلك من النفع المتعدّي ، فيحصل به للناس إحسان وخير، وأمّا بالنسبة إلى الآمر فإنْ قصد به وجه الله وابتغاء مرضاته كان خيرا له وأثيب عليه ، وإن لم يقصد ذلك لم يكن خيرا له ، ولا

---

(539) تفسير البغوي (4/ 369) . قال ابن رجب رحمه الله: "وقد دل على هذا الذي قاله الفضيل قول الله عز وجل: ﴿قلْ إِنمَا أنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيّ أَنمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدا﴾ "سورة الكهف" : (آية : 110). "جامع العلوم والحكم" : (72/1).

(540) "تفسير ابن كثير" : (3/ 106). وانظر أيضا : "تفسير السعدي" : (ص : 488).

(541) "سورة النساء" : (آية : 114).

(542) الآية وإن لم تصرّح بالنهي عن المنكر لكنه يدخل في الأمر بالمعروف. لأنه : "إذا أطلق الأمر بالمعروف من غير أن يقترن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر" قاله السعدي رحمه الله في تفسيره : (ص : 202).

(543) "جامع العلوم والحكم" (1/ 67).

(544) انظر : "تفسير السعدي" : (ص :202).

ثواب له عليه"إلخ[545]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وأما المناظرة المذمومة من العالم بالحق فأن يكون قصده مجرد الظلم والعدوان لمن يناظره ، ومجرد إظهار علمه وبيانه لإرادة العلو في الأرض ، فإذا أراد عُلوًا في الأرض أو فسادًا كان مذموما، ثم قد يكون من الفجّار الذين يؤيد الله بهم الدّين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "إنّ اللّه َ يُؤَيّدُ هَذَا الدّينَ بِالرّجُلِ الفَاجِرِ"[546] ، فكما قد يجاهد الكفّارَ فاجرٌ فينتفع المسلمون بجهاده ، فقد يجادلهم فاجرٌ فينتفع المسلمون بجداله ، لكن هذا يضر نفسه بسوء قصده ، وربما أوقعه ذلك في أنواعٍ من الكذب والبدعة والظلم فيجرّه إلى أمور أخرى"إلخ[547]

فينبغي للرّادّ مجاهدة نفسه حتى يحصل على أجر الله ومرضاته ، و لأنه بقدر ما عنده من الإخلاص بقدر ما يؤثِّر كلامُه ؛ "فإنّ الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان"[548] .

الشرط الثاني:

الاستقامة:

الاستقامة هي: "سلوك الصراط المستقيم ، وهو الدّين القيّم من غير تعريج عنه يمنةً ولا يسرةً ، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة ، وترك المنهيات كلها كذلك"[549]

وأصلها استقامة القلب على التوحيد "[550]

وقد دلّ على اعتبار الاستقامة شرطا على من يريد أن يتقرب إلى الله بالقيام بالرد على النصارى نصوص من الكتاب والسنة منها :

قوله تعالى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ

---

(545) "جامع العلوم والحكم" (1/ 67).

(546) جزء من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري "كتاب القدر" باب" العمل بالخواتيم" رقم: [6606] (8025/13)، ومسلم "كتاب الإيمان" باب "لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة" رقم: [301] (304/2).

(547) " درء التعارض" (7/ 169).

(548) أثر عن زياد ابن أبي سفيان أورده ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله " : (1/ 702).

(549) "جامع العلوم والحكم" : (510/1).

(550) "المصدر السابق"

آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}.[551]

وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قُلْ لِيْ فِي الإِسْلَامِ قَوْلاً لا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ" قَال: "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ"[552].

فيجب أن يكون من يريد القيام بهذه العبادة العظيمة مستقيما في دينه عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا وسلوكاً.

وليَعْلَم أنّ فقدانه لهذا الشرط يُدبِّبُ الوهْن إلى ردوده ، و يُصرف القلوب عن أقواله ويمنع الثقة بكلامه، و تُفتح للخصم هضم الحق بواسطته[553] وبالأخص إذا كان انحرافه عقديا فإنّه لا يستطيع أبداً أن يرد على النصارى ردّا مقنعا إن لم يكن على عقيدة السلف أصلا ومنهجا.

ولأنهّ على الأقل سيدعو إلى هذه الأمور التي يخالفها فكيف يأمر بالمعروف من لا يأتيه وينهى عن المنكر من يأتيه وقد قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}.[554] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}.[555] وقال تعالى إخبارا عن شعيب عليه السلام: {قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}.[556]

وقال عليه الصلاة والسلام: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَا، فَيَجْتَمِعُ إِلَيهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولونَ يَا فُلانُ مَا لَكَ؛ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ المُنكرِ؟ فَيَقُولُ بَلَى! كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا

---

(551) "سورة الشورى" : (آية : 15).
(552) رواه مسلم "كتاب الإيمان" باب "جامع أوصاف الإسلام" رقم: [158] (199/2).
(553) انظر : "مجموع الفتاوى" : (187/28-188) ؛ "الردود" (ص : 59).
(554) "سورة البقرة" : (آية : 44).
(555) "سورة الصف" : (آية : 3).
(556) "سورة هود" : (آية : 88).

آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ"[557] .
يا تُرى ماذا يقول للنصارى في الرد عليهم من كان حُلوليا أو اتِّحاديا أو وَحْدَوِيًّا أو غَالٍ في دينه أو مُقدِّسا لشخص مثله مبتدعا، أو مَن في آيات ربه وأسمائه وصفاته ملحدا وقد تلقّى كثيرا من خرافته وانحرافاته منهم، وتوغل فيها حتى صار ضلاله أبعد غورا من ضلالهم ولوازم مذهبه أطم وأعظم[558]
أرأيت كيف يرد عليهم من يشاركهم في أعيادهم ومناسباتهم ومن كان ذهنه "متفتِّحا" حتى ولج فيه كل شيء فوقف مع النصارى صفّا واحدا لينبحوا جميعا وبصوت واحد بالعَلْمَنة والدعوة إلى وحدة الأديان أوالتقريب بينها ، وقد يكون عضوا في "جميعة الصداقة والإخاء الديني" فكيف يرد على "أصدقائه" ويهتك أستار "أحبابه وخِلاّنه" "ومن لعله يرجو أن يحشر معهم يوم المعاد إن كان يؤمن به ؛ ليتحقق الوفاء وتتم الصداقة الكاملة!
وأنّى يستطيع الرد عليهم من كان لهم شريكا في غياهب العصيان ؛ يزنون كما يزنون، ويأكلون الربا كما يأكلون، ويشربون الخمور كما يشربون، بل قد يرتكبون مالم يكونوا يرتكبون!
الشرط الثالث:
العدل الإنصاف:
يشترط في الرادّ أن يكون مُنْصِفا عدَلا في الرد على النصارى كما قال تعالى : {إِنّ اللّه يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى}[559] وهذا عام في حال الرد وغيرها ، والظلم محرّم مع كل أحد ، وفي كل حال كما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم فيما يرويه عن ربّه عزّ وجل "يَا عِبَادِي إِنّي حَرّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرّمًا فَلا تَظَالَمُوا"[560] الحديث.
ولا تمنعه نصرانيتهم من مناصفتهم وعدلهم فيظلمهم. قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاءَ بِالقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنّكُمْ

(557) رواه البخاري "كتاب بدء الخلق" باب" صفة النار وأنها مخلوقة" رقم: [3267] (3848/7). ومسلم "كتاب الزهد" باب" عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله" رقم: [7408] (318/18).
(558) يقول شيخ الإسلام رحمه الله : "وللنصارى في صفات اللّه سبحانه واتحاده بالمخلوقات ضلال شاركهم فيه كثير من هؤلاء ، بل من الملاحدة من هو أعظم ضلالا من النصارى" : "الجواب الصحيح": (95/1).
(559) "سورة النحل" : (آية : 90).
(560) رواه مسلم "كتاب البر والصلة" باب " تحريم الظلم" رقم: [6517] (348/16).

شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا ّ تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللّهَ إِنّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[561] فهذه الآية تدل على وجوب العدل حتى في الكافر وأنّه لا يجوز أن يُظلم بحال[562]
قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:
﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي يحملنّكم بُغض ﴿قَوْمٍ عَلَى أَلا ّ تَعْدِلوا﴾ كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط ، بل كما تشهدون لوليّكم ، فاشهدوا عليه ، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له ولو كان كافرا أو مبتدعا ، فإنه يجب العدل فيه وقبول ما يأتي به من الحق ، لأنه حق لا لأنه قاله ولا يرد الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظلم للحق"[563] اهـ.
وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في هذه المناسبة : "ولمّا كان أتباع الأنبياء هم أهل العلم والعدل ، كان كلام أهل الإسلام و السنة مع الكفّار وأهل البدع بالعلم والعدل، لا بالظن وما تهوى الأ نفس ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : "القُضَاةُ ثَلا َثَةٌ قَاضِيَانِ فِي النّارِ وَقَاضٍ فِي الجَنّةِ رَجُلٌ عَلِمَ الحَقّ وَقَضَى بِهِ فَهُوَ فِي الجَنّةِ ، وَرَجُلٌ عَلِمَ الحَقّ وَقَضَى بِخِلا َفِهِ فَهُوَ فِي النّارِ ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النّارِ"[564] فإن كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض إذا لم يكن عالماً عادلاً كان في النار ، فكيف بمن يحكم في الملل والأديان وأصول الإيمان ، و المعارف الإلهية والمعالم الكلية بلا علم ولا عدل"[565] اهـ.
وقال أيضا معلِقا على قوله تعالى: ﴿ولا تجادلوا﴾
فهو أمر للمؤمنين أن يقولوا الحق الذي أوجبه الله عليهم وعلى جميع الخلق ليرضوا به الله ، وتقوم الحجة على المخالفين ، فإن هذا من الجدال بالتي هي أحسن ، وهو أن تقول كلاما حقا يلزمك ويلزم المنازع لك أن يقول فإن وافق وإلا ظهر عناده وظلمه"[566]
وقد اهتم بهذا الشرط العلماء الذين ردوّا على النصارى حتى صرّح

---

[561] "سورة المائدة" : (آية : 8).
[562] انظر: "تفسير ابن كثير" : (2 / 29 - 30).
[563] "تفسير السعدي" : (ص: 224).
[564] رواه أبو داود في "السنن" : "كتاب الأقضية" "باب في القاضي يخطئ" (5/4) : رقم : [3573] والترمذي "كتاب الأحكام" باب "ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القاضي" (613/3).
[565] "الجواب الصحيح" : (107/1-108).
[566] "الجواب الصحيح" : (82/3).

بعضهم باشتراطه على أنفسهم.
قال القرطبي رحمه الله: "فصل: لتعلم يا هذا المنتسب لدين المسيح أني أجاوبك إن شاء الله تعالى بمنطق عربي فصيح ، أسلك فيه مسلك الإنصاف وأترك طريق التعصب والاعتساف"[567]
ولأنّه لا يتحقق المقصود من الرد إلا بالإنصاف ، لأنّه الحكم بعد الله عزّ وجل بين المختلفين ، وفي ذلك يقول القاسم الرسي رحمه الله :
"ولا بد لنا ولكم من الإنصاف فيما وقع بيننا وبينكم من الاختلاف ؛ فإن نحن تناصفنا أأتلفنا، وإن فارقنا التناصف اختلفنا ثم لم يعد أبداً الإئتلاف إلا بعودة منا إلى الإنصاف ، والتناصف هو الحكم العدل بعد الله بين المختلفين والسقاء الشافي الذي لا شفاء أبدا في غيره للمتناصفين"[568]
والإنصاف في النصارى عند الرد عليهم يعني أمورا من أهمها:
الأمر الأول :
الاعتراف بما قال النصراني من الحق بغض النظر عن هدفه وراء ذلك أ قصد به إحقاق حق أو أواتخاذه سُلما لتقرير باطل.
مثاله : أن يقول النصراني إنّ أكثر الاختراعات والاكتشافات التي يتمتع بها العالم اليوم - المسلمون وغيرهم - من دولهم النصرانية. أو من قبل المسلمين كأنْ يقول إن معظم الدول الإسلامية دول متخلفة أو في قائمة الدول "النائمة" وما أشبه ذلك فإنه في ذلك مصدق وقوله مقبول وهاتان المقدمتان السابقتان تبدوان وكأنهما سِيَاسيّتَان ، لكن النصارى بهذا يستخلصون منهما نتائج دينية عقدية، فيقولون لو كانت النصرانية باطلة كيف تكون دولهم غنية صانعة، ولو كان الإسلام هو الحق كيف تكون دوَلهم فقيرة متخلفة. لكن هذه موازين مادية بحتة ثم لو كان الفقر والضيق دليلا على كذب من ابْتِلِيَ به وعدم صحّة ما هو عليه لكان المسيح عليه السلا م كاذبا -وحاشاه أن يكذب- فقد عاش فقيرا ، حتى لم يكن له بيت يسكنه ، وكذلك حوارييّوه كلهم صيّادون مُعْدَمون يعجزون عن تسديد ما عليهم من الضرائب
تطبيقه في ردود أهل العلم :

---

[567] "الإعلام" : (ص : 45).
[568] "الرد على النصارى" : (ص : 42).

قال ابن القيم رحمه الله لما ادعى النصارى أن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام الصحابة "الثاني : أن قولكم إن المسلمين بنوا أساس دينهم على رواية عوام من الصحابة من أعظم البهت وأفحش الكذب ، فإنهم كانوا أميين قد بعث الله فيهم رسوله زكاهم وعلمهم الكتاب والحكمة، وفضلهم في العلم والهدى والمعارف الإلهية والعلوم النافعة المكملة للنفوس على جميع الأمم ، فلم تبق أمة من الأمم تدانيهم في فضلهم وعلومهم وأعمالهم ومعارفهم ، فلو قيس ما عند جميع الأمم من معرفة وعلم وهدى وبصيرة إلى ما عندهم لم يظهر له نسبة إليه بوجه ما ، وإن كان غيرهم من الأمم أعلم بالحساب والهندسة والكمّ المتصل والكمّ المنفصل ، والنبض و القارورة والبول ، والقسطة ، ووزن الأنهار ، ونقوش الحيطان ، ووضع الآلات العجيبة ، وصناعة الكيمياء ، وعلم الفلاحة ، وعلم الهيئة وتسيير الكواكب ، وعلم الموسيقى والألحان ، وغير ذلك من العلوم التي هي بين علم لا ينفع وبين ظنون كاذبة ، وبين علم نفعه في العاجلة وليس من زاد المعاد ، فإذا أردتم أن الصحابة كانوا عواماً في هذه العلوم فنعم إذاً وتلك شكاة ظاهر عنك عارها"[569]

وقال الطوفي رحمه الله معلِقا على كلام النصراني فيما يتعلق بـ النبوة: **"هذا كلام صحيح لا اعتراض لنا ولا لغيرنا عليه"**[570]

واعلم أن الاعتراف بالحق الذي يتفوّه به المخالف بغض النظر عن قصده وراء ذلك من منهج الأنبياء عليهم السلام أرأيت قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا ّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا ّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلا ّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[571] تأمّل كيف اعترف رسل الله عليهم السلام بالحق الذي تكلم به الكفّار برسالتهم (بَشَرِيّتهم) وإن كانوا يريدون من ورائه إثبات باطل وهو إنكار رسالتهم لكن مع ذلك قبلوا منهم قولهم لأنّه حق ثمّ بينوا لهم أن ذلك ليس من موانع الرسالة.

الأمر الثاني:

عدم التقوّل عليهم أو تحميل كلامهم مالا يحتمل

---

[569] "هداية الحيارى" : (ص : 442-443).

[570] "الانتصارات" : (252/1).

[571] "سورة إبراهيم "(آية : 10-11).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فصل : إذا عرف ذلك فهؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرسل إليهم، بل إلى أهل الجاهلية من العرب، فهذه الدعوى على وجهين":
"إما أن يقولوا إنه لم يدع أنه أرسل إليهم، ولكن أمته ادعوا له ذلك، وإما أن يقولوا: إنه ادعى أنه أرسل إليهم، وهو كاذب في هذه الدعوى، وكلامهم في صدر الكتاب يقتضي الوجه، وفي آخره قد يقال: أنهم أشاروا إلى الوجه الثاني، لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته إلى العرب، وإنما أنكروا رسالته إليهم، وأما رسالته إلى العرب فلم يصرحوا بتصديقه فيها ولا بتكذيبه، وإن كان لفظهم يقتضي الإقرار برسالته إلى العرب، بل صدقوا بما وافق قولهم، وكذبوا بما خالف قولهم"[572] اهـ.

الأمر الثالث:

الاعتراف بما فيهم من بعض الخير

قال ابن تيمية رحمه الله في وصف النصارى : "لكن اليهود وإن كانوا أعلم منهم فهم أعظم عنادا وكبراً وجحداً للحق ، والنصارى أجهل وأضل من اليهود ، لكن هم أعبد وأزهد وأحسن أخلاقا ، ولهذا كانوا أقرب مودّة للذين آمنوا من اليهود والمشركين"[573]

وقال القرافي رحمه الله : "وأما مدح النصارى بأنهم أقرب مودة وأنهم متواضعون فمُسَلّم ، لكن هذا لا يمنع أن يكونوا كفرة مخلدين في النار"إلخ[574]

الأمر الرابع:

عدم التعميم في الرد:

قال تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.[575]

وقال أيضا: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ، وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.[576]

وقال أيضا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَ حْبَارِ وَالرُّهْبَانِ

---

[572] "انظر : "الجواب الصحيح" : (130/1).

[573] "الجواب الصحيح" : (220/3).

[574] "الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة" للقرافي : (ص : 29).

[575] "سورة الأعراف" : (آية : 159).

[576] "سورة آل عمران" : (113-115).

لِيَأكُلُونَ أمْوَالَ النّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيْلِ اللّه ﴾.[577]
وقال أيضا: ﴿وَلَوْ أنّهُمْ أقَامُوا التّورَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَ مِنْ تحْتِ أرْجُلِهِمْ مِنْهم أمّةٌ مُقْتِصدَةٌ وكثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.[578]
ففي الآيات السابقة لم يعمم الله تعالى في ردّه على اليهود و النصارى بل بين في الأولى أنّ من اليهود صالحين ومؤمنين، وبين في الثانية أن من أهل الكتاب من هم في الدرجة العالية من الإيمان والصلاح، وبين في الثالثة أنّ أكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله ليس خلق كل الأحبار والرهبان، إنّما هو خلق بعض منهم ، وكذلك في الآية الرابعة حيث لم يقل فيها وكلهم ساء ما يعلمون بل قال وكثير إلخ
لا شك أن جميع طوائف النصارى في ضلال لكن مع هذا هم في ذلك دركات كما أنّ أهل الهدى درجات، فإنّه قد مر بنا أن بعض النصارى أشد غواية من البعض الآخر فالبروتستنت على سبيل المثال ليس عندهم نظام الرهبنة ، ولا تحرّم الزواج على رجال الدين وتعارض بشدّة أن يكون لهم حق غفران الذنوب ، وهذه الأمور كلها من أحشاء الطائفة الكاثوليكية فلا ينبغي للراد أن يعمم في مثل هذه القضايا وفي كل قضية للنصارى فيه خلاف مؤثر ولو بدرجة ضئيلة، ويقول كل النصارى يفعلون أو يقولون كذا وكذا.
قال الرسي رحمه الله عن شدة حب النصارى للمال والمأكل و المشرب "فرهبانهم كذلك إلا القليل"[579] إلخ

الأمر الخامس:

عدم الدفاع عن الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام وعدم تبرير أعمال المسلمين المخالفة للشرع

ليس من العدل والإنصاف تبرير الراد كل ما يفعله المسلمون من البدع والشركيات عند ما يعترض النصراني عليه بها إذا أنكر عليه مثلها وذلك مثل التعبد لله بالرقص والتصفيق كما عند الصوفية أو تقديس الأشخاص كما عندهم وعند الرافضة وأعظم من ذلك اعتراضه عليه بما عليه الحلوليون ، والاتحاديون ، والوحدويون وما إلى ذلك، فلا بد أن يكون موقفه حازما وبيانه صارما فيبين له بكل

---
[577] "سورة التوبة" : (آية : 34).
[578] "سورة المائدة" : (آية : 66).
[579] "الرد على النصارى" : للرسي : (ص : 43).

شجاعة وصراحة أن ذلك ليس من الإسلام في شيء وأن إنكاره عليه لا يقل عن إنكاره عليهم ، وأن الإسلام شيء ، وما يفعله بعض المسلمين شيء آخر. وهذا كما هو واضح يتطلب أن يكون الراد مستقيما على عقيدة السلف ومن أمثلة ذلك[580]

قول ابن حزم : "**وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القراءاتت فإن الروافض ليسوا من المسلمين** ، وإنما هي فرق حدث أولها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، وكان مبدؤها إجابة ممن خذله الله تعالى لدعوة من كاد الإسلام **وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر**"إلخ[581]

وقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** "فإن قيل ففي المسلمين من يقول إنّ كلام الله القديم الأزلي ، أو كلام الله الذي ليس بمخلوق ، هو حـ الّ في الصدور والمصاحف من غير مفارقة ، ومن هؤلاء من يقول إنّه يسمع من الإنسان الصوت القديم أو الصوت الذي ليس بمخلوق ، ومنهم من يقول إنّ الحرف القديم أو الذي ليس بمخلوق هو في القرطاس ، وحُكيَ أن بعضهم أنّه يقول ذلك في المداد، ومن هؤلاء من يقول إن القديم حلّ في المصحف ونحو ذلك **فتقول النصارى : نحن مثل هؤلاء**

قيل الجواب من وجوه :

أحدها : أنّ المقصود بيان الحق الذي بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، والرد على من خالف ذلك من النصارى وغيرهم ، ونحن لا ننكر أن في المنتسبين إلى الإسلام طوائف منهم منافقون ملحدون وزنادقة ، ومنهم جهّال ومبتدعة ، ومنهم من يقول مثل قول النصارى ، ومنهم من يقول شرًا منه ، فالرد على هؤلاء كلهم ، و العصمة ثابتة لكتاب الله وسنّة رسوله ، وما اجتمع عليه عباده المؤمنون فهذا لا يكون إلا ّ حقًا ، وما تنازع فيه المسلمون ، ففيه حق وباطل.

الوجه الثاني : أن يقال هؤلاء الذين قالوا في القرآن ما قالوه ليس قولهم مثل قول النصارى"إلخ[582]

---

[580] انظر نماذج أخرى لهذه الصورة من الإنصاف بالإضافة إلى ما أورد في المتن في "مناظرة الرازي" : (ص :46) ؛ "الجواب الصحيح" : (135/2) ؛ "إظهار الحق" : (925/3).

[581] "الفصل" : (78/2).

[582] "الجواب الصحيح" : (332/4-333).

وقوله أيضا : "ونحن لا نشهد بالعصمة إلا ّ لمجموع الأمة ، وأمّا كثير من طوائف الأمة ففيهم بدع مخالفة للرسول ، وبعضها من جنس بدع اليهود والنصارى فيهم فجور ومعاصي ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريئ من ذلك كله"[583] اهـ

[583] "الجواب الصحيح" : (362/1).

الشرط الرابع:

ألا يكون في حال الذهول العقلي والتشويش الفكري

ليَكُن الراد في حال هادئة ، ونفس مطمئنة أثناء الرد ليقوم بواجبه على أكمل وجه وأحسنه . فلا يناظر أو يرد في حال الغضب ، لقوله عليه الصلاة والسلام:

"لا َ يَقْضِي القاضِي بَينَ اثْنَينِ وَهُوَ غَضْبَانٌ" [584]. وهذا الحديث وإن كان صريحا في القاضي لكن من المعلوم بداهة أنه إذا كان من يحكم بين الناس في الأموال وما أشبه ذلك منهيا عن أن يحكم في هذه الحال، فالذي يحكم في الأديان من باب أولى وأحرى[585]

وقد جاء ذكر الغضب في هذا الحديث لِيُنَبِّه على ما في معناه ، وهو كل ما شَغَل الفِكر من الجوع المُفْرط والعطش الشديد ، والوجع المُزْعِج ، ومدافعة أحد الأخبثين وشدة النُعاس، والهم، والغم، و الحزن، والفرح الشديد؛ لأنّ هذه الأشياء تمنع حضور القلب ، واستيفاء الفكر الذي يتوصل به إلى إصابة الحق في الغالب ، فهذه ا لأشياء لاشك أنها في معنى الغضب المنصوص عليه فتجري مجراه [586].

وكذلك لا يناظر من الأشخاص من هو من أهل المهابة العظيمة والإ حترام العظيم إذا كان ذلك يؤثر عليه كي لا تدهشه وتذهله جلالة خصمه عن القيام بحجته كما ينبغي[587].

وكذلك ليتجنب الرد والمناظرة في مجالس الخوف والهيبة، والتي لا انصاف فيها فإنه عند ذلك في حراسة الروح عن شغل من حراسة المذهب ، ونصرة الدين[588].

الشرط الخامس:

العلم العميق والفهم التام والبصيرة النافذة والقوة البيانية

يجب أن تكون للقائم بالرد على النصارى قدم راسخة في العلم بـ

---

[584] رواه البخاري "كتاب الأحكام" "باب هل يقضي الحاكم أو يفتي وهو غضبان" (82/9) مع الفتح؛ ومسلم "كتاب الأقضية": "باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان"(3/ 1342) مع المنهاج .

[585] انظر : "الجواب الصحيح" : (108/1).

[586] انظر : "المغني" لابن قدامة : (15/ 25) ؛ "المنهاج في ترتيب الحجاج" : للباجي (ص: 10).

[587] انظر : "أداب البحث والمناظرة" للشنقيطي : (ص : 91).

[588] انظر: "شرح الكوكب المنير" لابن عقيل : (ص : 378) ؛ "الكافية في الجدل" للجويني : (ص : 53) ؛ "التقريب لحد المنطق" : لابن حزم : (ص : 187).

الحق الذي يدعو إليه، والفهم التام لأدلته، والبصيرة النافذة في توضيحه وتقريره وإيصاله، وبالباطل الذي يدحضه؛ تصوُرا لحقيقته، وتعمُقا في فهم أدلته، والقوة البيانية التي تُمكِّنه من إبطاله والقضاء عليه.

وقد دلت على اعتبار العلم شرطا في القائم بالرد على النصارى نصوص من الكتاب والسنة منها قوله تعالى:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.[589]

فالآية دلت بمفهومها على أن الإنسان ليس له أن يتصدّى للرد على النصارى ومحاجتهم إلا بعد العلم بحقيقة ما جاء به إليهم رسولهم ، وبحقيقة ما هم عليه الآن من العقائد الباطلة، **"فالعلم الذي أشير إليه بالمجيء هو ما تضمنته هذه الآيات المتقدمة من أمر عيسى"**[590] وليس المقصود به علما سطحيا ليس فيه عمق ولا تحقيق فإن مجّرد العلم بأن النصارى يقولون إن المسيح هو الله ، أو هو ابن الله ، أو هو ثالث ثلاثة تعالى الله عمّا يقولون علوا كبيرا لا يكاد يجهله أحد وأما ما تضمنته هذه الآيات من أمره ابتداء من الحمل بأُمّه إلى حمل أمه به وتفصيل الكلام في رسالته وآيات نبوته ، وموقف قومه من ذلك كله ، مرورا بمحاولة قتله ، ثم ما تبع ذلك من إنجائه ورفعه ، وانتهاءًا بفساد عقيدة أتباعه فيه، وما يوردون في ذلك من الشبه لا يعلمه كل أحد. ومن لا يعلم الشيء لا يجوز له أن يحاج فيه كما قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[591]

قال القرطبي رحمه الله: **"في الآية دليل على المنع من الجدال لمن لا علم له والحظر على من لا تحقيق عنده"**

وقال ابن كثير رحمه الله : **"هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به"**

وقال السعدي رحمه الله : **"وفي الآية دليل على أنه لا يحل للأ نسان أن يقول أو يجادل فيما لا علم له به"**

---

(589) "سورة آل عمران" : (آية : 61).
(590) "المحرر الوجيز" لابن عطية : (3 / 115).
(591) "سورة آل عمران" : (آية : 66).

وقال في موضع آخر "وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم ، وأنّ من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يُمكن منه ولا يسمح له فيه"[592]

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله : "وقد ينهون - يعني السلف - عن المجادلة والمناظرة إذا كان ضعيف العلم بالحجة ، وجواب الشبهة فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار ، فإنّ ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة"[593] .

وكتب عبد الله بن فروخ رحمه الله على جلالته وصلاحه وعلمه إلى مالك بن أنس رحمه الله: "إن بلدنا كثير البدع وأنه ألف كتابا في الرد عليهم ، فكتب إليه مالك يقول له: "إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل فتهلك ، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم ، لا يقدرون أن يعرجوا عليه ، فهذا لا بأس به ، وأما غير ذلك فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه ، أو يظفروا منه بشيء ، فيطغوا ، ويزدادوا تماديا على ذلك"[594] اهـ.

فهذا الأثر عن الإمام مالك والنقولات السابقة عن العلماء رحمة الله عليهم تؤكد اعتبار هذا الشرط في الرد على عموم المخالف ومن أشدهم النصارى ، وأنّ من ليس عنده أهلية الرد على المخالف لا يقوم به.

ومن نواقض شرط الأهلية التّشَهّي والتّحَكّم بالدليل والحُكْم ، وهو أن يقول هذا صحيح أو هذا باطل قولا مجردا بلا دليل سوى أن ذلك وافق ما يدعو إليه وذاك خالفه[595] قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾[596]

ومن أهم ما يجب عليه معرفته في هذا الصدد من الناحية الاستدلا

---

[592] "تفسير السعدي" : (ص : 134). ويقصد بالآيات من أول قوله تعالى : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإِ نجِيلُ إِلا مِنْ بَعْدِهِ﴾ إلى آخر قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ "سورة البقرة" : (آية : 65-68).

[593] "درء التعارض" (7/ 173) .

[594] أوردها أبو العرب في "طبقات علماء إفريقية والأندلس" : (ص: 107).

[595] انظر : "بدائع الفوائد" لابن القيم : (144/4).

[596] "سورة البقرة" : (آية : 87).

الية أن يعلم:

1. أنّ كل متناظرين لا تثبت دعوى أحدهما إلا ّ بمقدِّمات مشتركة بينهما يتفقون عليها تكون بينهما كالحكم فلمن وافقت تلك المقدمات تثبت دعواه.
2. أن يعلم أنه ليس بيننا - نحن المسلمين - وبين النصارى مقدمات مشتركة إلا ّ العقليات وما تركب منها وغيرها لأن كل واحد من أهل الكتاب والمسلمين يقدح في كتاب الآخر الذي بيده فلا تقوم عليه الحجة به[597] ، وإن كان قدحنا في كتابهم بحق ، وقدحهم في كتابنا بباطل. لكن هذا لا يمنع أن يكون منطلقه من الكتاب والسنة لأن فيهما من الأدلة العقلية ما لا يوجد في غيرهما.

ويحسن أن يعلم هذا قبل ردّه عليه لأن :"**العِلمَ بِمَا يَلْزَمُ الخَصْمَ وَمَا لا َ يَلْزَمُهُ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ مُقدّماً عَلَى مُنَاظَرَتِهِ**"[598]

---

[597] انظر : "الانتصارات الإسلامية" : (745/2).

[598] "الانتصارات الإسلامية" : (233/1).

الشرط السادس:

مراعاة الأحكام الإسلامية العامة في التعامل مع أهل الكتاب

من المعلوم أن هناك أحكامًا شرعية كثيرة تتعلق بأهل الكتاب في الإسلام ، وهذه الأحكام تأتي في أبواب كثيرة، لكن التي تهمنا أكثر في هذا المجال تلك التي تتعلق بالعقيدة مباشرة وفي مقدمتها عقيدة : "الولاء والبراء".

إن مما يؤسف له أن هذا الأصل يختفي بل يُفقد كثيرا من بعض الرادين على النصارى في العصر الحاضر فيلهجون على النصارى بالثناء، وتمتلىء أفواههم، وتتدفق أقلامهم بعبارة الود والإخاء، فَتَطْرُق سمعَك وتقذي بصرَك كلماتٌ تغطي هذه العقيدة وتطمسها وتسدل عليها من الغطاء كثيفا.

تأمل قول بعضهم "إخواننا"[599] "أحبابنا" " السادات الأعزاء" وما أشبه ذلك.

وقد يتعانقون ويفعلون أشياء أخرى كثيرة أغلبها يبوح بالمحبة ، والولاية ، والمسالمة لهم كأنهم لم يسمعوا ولو بآية واحدة من تلك الآيات الكثيرة التي تحذر من ذلك وهذه الأشياء كلها متعارضة لذلك الأصل العظيم (الولاء والبراء) وعليه فيجب التنبه لهذه المخالفات الخطيرة ، والانتهاء عنها إن كان المقصود هو المناظرة بالحسنى على حقيقتها وإلا فما تلك إلا محاباة سافرة ، وانسياق وراء التيارات الجارفة التي تهدف إلى "هيكلة" الشخصية الإسلامية، أو

---

[599] ولا يقول قائل " كيف بمثل قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ "سورة النمل" : (آية : 45) ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ "سورة الأعراف" : (آية : 85) ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾ "سورة هود" (آية : 50) ، لأنه:

أولا : لم يقل أحد من الأنبياء هذا وإنما جاء ذلك في وصف الله تبارك وتعالى لهم "تنبيها على إشفاق هؤلاء الأنبياء على أقوامهم شفقة الأخ على أخيه". انظر "مفردات القرآن" للأصبهاني : (ص : 68).

ثانيا : أن معنى تلك الآيات ونظيراتها : أنَا أرسلنا إليهم بشرا مثلهم ، أو واحداً من بني جلدتهم ؛ لذلك يقول كل واحد منهم بعد ذلك : ﴿يَا قَوم﴾ لا "يا إخوتي" أو "يا إخواني"

قال ابن منظور رحمه الله وقوله عز وجل : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾ "سورة الأعراف" : (آية : 65) ونحوه ، قال الزجاج : "قيل في الأنبياء أخوهم وإن كانوا كفرة ؛ لأنه إنما يعني أنه أتاهم بشر مثلهم من ولد أبيهم آدم عليه السلام وهو أحَجُ . وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم فيكون أفهم لهم بأن يأخذه عن رجل منهم" اهـ "لسان العرب (1/ 9).

وقال الزمخشري عفا الله عنه " قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودَا﴾ أي واحداً منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم" إلخ "الكشاف " : (457/2).

إذابتها في مستنقعات "وحدة الأديان". و "الديمقراطية المزيفة"
الشرط السابع:
أن يكون له الفقه في الرد والمهارة فيه
وهذا من أكبر ما يصبغ الرد بالقوّة والإحكام ، والإقناع التام .
ولفقه الرد والمهارة فيه علامات من أبرزها ما يأتي :
1. أن يكون منطلقه من الكتاب والسنة
2. أن يكون مبنيا على قواعد[600]
3. التنويع في الأدلة والأساليب والمنهج[601]
4. عدم الاستهانة بالشبهة
5. عدم احتقار الخصم من الناحية العلمية أو الجدلية لأنّه كما يقول الشاعر :

لا تَحْقِرَنّ صَغِيرًا فِي مُخَاصَمَةٍ * إِنّ البَعُوضَةَ تُدْمِي مُقْلَةَ الأَسَدِ.

ويقول آخر:

لا يَسْتَخِفّنّ الفَتَى بِعَدُوِّه * أَبَدًا وَإِنْ كانَ العَدُوُّ ضَئِيلا
إِنّ القَذَا يُؤْذِي العُيُونَ قَلِيلُهُ * وَلَرُبّمَا جَرَحَ البَعُوضُ الفِيلا

6. أن يعتني بمناقشة الأهم فالأهم من المسائل
7. أن يكون معتنيا بمناقشة الأصول . وضابطه أن يكون ردّه موجها إلى أصول عقائد النصارى مثل الصلب والفداء ، و إلى أصول شبهاتهم وأدلتهم مثل العصمة والعهد الجديد ، والأمانة الكبرى[602]. وقد اعتنى العلماء بهذا الجانب فجاءت ردودهم قوية ورصينة.

ومما يلحق بهذا التصدي للرد على أكبرهم علما ومنزلة في الدين أو مناظرته لأنه يعتبر من أدلتهم "الناطقة" فبانهزامه ينهزم من هو دونه من باب أولى وفيه فائدة أخرى وهي أنه إذا انهزم أكبرهم كان ذلك أدعى إلى هداية أتباعه وتثليج صدور

---

[600] انظر : "مبحث أهمية القواعد والضوابط وفائدتهما في الرد على النصارى" (ص: 276).

[601] انظر : "مبحث : أساليب الرد على النصارى" و "مبحث طرق الرد على النصارى" (ص: 217).

[602] أمانة النصارى الكبرى هي القرار الذي تمخض عن "مجمع نيقية" [عام: 325]م وفيه تقرر بصورة رسمية تأليه المسيح عليه السلام عياذاً بالله. انظر: "الملل والنحل": (ص : 252 - 253)؛ "المسيحية" : (ص : 148 - 149).

المؤمنين[603] لذلك تصدّى **الرازي** لمناظرة من هو من أكابر علمائهم مدّعٍ للتحقيق والتقرير لدينه، و**القرطبي** للرد على الرجل الذي هو عمدة النصارى في مذاهبم[604] ، و **الشيخ رحمت الله** لمناظرة كبير المنصِّرِ ين في شبه القارات الهندية[605] والرد على كتابه "ميزان الحق" والذي هو أخطر وأخبث كتاب ألف في الطعن في ا لإسلام وتقرير النصرانية المحرّفة[606]

8. **أن تكون أدلته مرتبة حسب الصحة والقوة والإقناع** فالأدلة الأ قوى يأتي بها أولا، ثم الأدلة القوية، ثم التي تليها في القوة وهكذا[607]
9. **أن تكون أدلته واضحة محكمة لا احتمال فيها وتصيب الهدف** مباشرة. ولفاعليّة هذا العامل وإضفاء صفة القوة على الردود اشترطه **ابن حزم** على نفسه في رده عليهم قال رحمه الله "وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا **أننا لم نخرج من الكتب المذكورة شيئا يمكن أن يُخَرّج على وجهٍ ما وإن دقّ وبعُد فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له، وكذلك أيضا لم نُخرج منه كلاماً لا يفهم معناه** وإن كان ذلك موجوداً فيها لأنّ للقائل أن يقول قد أصاب اللّه به ما أراد ، **وإنما أخرجنا ما لا حيلة فيه ولا وجه أصلا إلا ّ الدعاوي الكاذبة التي لا دليل عليها أصلا لا محتملا ، ولا خفيا**"[608]
10. **أن يكون الرد والجواب حسب دليل النصراني** فإن احتج بشيء منقول فإن كان عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بين له أولا عدم صحة استدلاله بما نُقل عن محمد صلى الله عليه وسلم بدليل ، ثم بين له ثانيا بطلان احتجاجه به وبين له ثالثا أنّه حجة عليه لا له ويظهر منه فساد قوله[609].

وإن احتج بشيء من المنقول عن غيره من الأنبياء عليهم السلام طالبه بثلاث مقدمات:

---

[603] انظر : "مبحث طرق الرد على النصارى" (ص: 239).

[604] انظر : "الإعلام" : (ص : 143، 148)

[605] وهو القسيّس فَنْدَر.

[606] انظر : "إظهار الحق" : (1/30-34) من مقدمة التحقيق.

[607] انظر : "الردود" : (ص :66).

[608] "الفصل" : (1/117).

[609] انظر : قاعدة "لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن ما دامو نصارى" (ص: 506).

أحدهما : تقدير أن أولئك الأنبياء صادقون ومحمد صلى الله عليه وسلم كاذب ولا يمكن له ذلك ؛ لأن الطريق الذي بها ثبتت نبوتهم بها وبأعظم منها ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ف التصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره ، وأن كل ما يُستدل به على نبوة نبي فمحمد صلى الله عليه وسلم أحق بجنس ذلك الدليل من غيره ، وما يعارض به نبوة نبي فالجواب عن محمد صلى الله عليه وسلم أولى من الجواب عن غيره ، فهو مقدم فيما يدل على النبوة ، وفيما يجاب به عن المعارضة[610]

ثانيها : إثبات أنهم قالوا هذه الألفاظ التي استدل بها ، وهذا يحتاج إلى إثبات تواترها عن الأنبياء ، ولم يثبت ذلك

ثالثها: معرفة المراد بذلك المنقول لفظًا وتفسيراً وأن معناه هو المعنى المناقض لخبر محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يعلم ذلك .

وان احتج بحجة عقلية على مخالفة شيء من دينه عليه السلام أجابه بالأجوبة التالية:

الجواب الأول : أن يبين أن ذلك يلزم غيره من الأنبياء فإنهم جاءوا بذلك أو بأعظم منه ، وذلك كما لو احتج محتج بما في القرآن الكريم من المتشابهات أو ما فيه من إثبات الصفات فيقال له في الكتب المتقدمة - التوراة وغيرها من كتب الأنبياء - مثل ذلك وأعظم.

الجواب الثاني : أن يبين أن تلك الحجة لا تصلح أن تعارض بها ما جاءت به الأنبياء كما إذا أخذ يطعن في شيء من الشرائع بالرأي بين له أن ما ثبت عن الأنبياء لا يعارض برأي ولا قياس

الجواب الثالث : أن يبين فساد تلك الحجة العقلية . إن كانت من باب الخبريات بين فسادها ، وإن كانت من باب الطلبيات فهي من باب الأمر والنهي فيبين ما في مأموراته من الحِكم والمصالح ، وما في منهياته من المفاسد والضرر ، ويبين رجحان ما جاء به صلى الله عليه وسلم على ما يعارض به[611]

11. **أن يبدأ بهدم ما عند النصراني من الأدلة والشبهات قبل أن يذكر له الحق الذي عنده فإنّ المبطل "الذي بنى مذهبه على أصل**

---

[610] انظر : "الجواب الصحيح" : (135/5) ؛ "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البِقاعي : (257-256/11).

[611] انظر في ما تقدم "الجواب الصحيح" : (394-389/2) ، (132-127/5).

فاسد متى ذكرت له الحق الذي عندك ابتداءا أخذ يعارضك فيه ؛ لمِا قام في نفسه من الشبهة . فينبغي إذا كان المناظر مدعيا أن الحق معه أن يبدأ بهدم ما عنده ، فإذا انكسر وطلب الحق فأعطاه إيّاه ، وإلا فما دام معتقدا نقيض الحق لن يدخل إلى قلبه ، كاللوح الذي كُتب فيه كلام باطل امسحه أولا ثم اكتب فيه الحق"[612]

12. الدقّة في النقل والتعبير: وهي تعني عدّة أمور:

-منها : "مخاطبة النصارى بلغتهم قال شيخ الإسلام : في معرض بيانه لأصل ضلال النصارى وغيرهم في الخوارق التي تضل بها الشياطين بني آدم قال وهم بنوا ذلك على مقدمتين : "أن مَن ظهرت هذه (الخوارق) على يديه فهو ولي لله **وبلغة النصارى هو قديس عظيم**"[613]

-ومنها التحرز عند نقل نصوصهم ؛ فلا ينقلها دائما بصيغة تشعر بصحتها أو بتسليمه لها ، أو بأنها هي التي أنزل الله فقد كان العلماء يحذرون ويحترزون فيقولون فـ"في هذه الكتب على فرض صحتها"[614] كما يقول **الخزرجي** أحيانا قبل نقله من كتبهم : "وفي الإنجيل الذي بأيديكم "وقد كتب في إنجيلكم الذي بين أيديكم "فإن في التوراة التي بأيدي اليهود إلى اليوم"[615] وما أشبه ذلك.

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله : "وذلك أن دين النصارى الباطل إنما هو دين مبتدع ابتدعوه بعد المسيح عليه السلام"إلخ[616] فنبّه على بطلانه وعلى براءة المسيح منه.

-ومنها التنبيه على الكلام المنقول عن النصراني إن كان فيه أخطاء . قال **شيخ الإسلام** بعد نقله لكلام ابن البطريق النصراني الملكي "فقد ثبت بهذا وصح ما تعتقده الملكية من أن المسيح أقنوم واحد ، وبان زيف قول النسطورية : إن المسيح أقنومان" فعلق شيخ الإسلام : "يقال لهذا إن النسطورية والملكية وإن كانا

---

[612] انظر : "مجموع الفتاوى" (159/17).

[613] "الجواب الصحيح" : (338/2).

[614] انظر مثلا :"الإعلام" : (ص : 94) و "التخجيل" : (101/1). لكن الصيغة المذكورة في المتن لا تنسجم مع كل المقامات فينبغي أن يُلاحظ في كل مقام ما يناسبه من عبارات التحرّز والدقة.

[615] انظر : هذه المواضع من كتاب :"بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 227 ، 228 ، 282).

[616] "الجواب الصحيح" : (109/1).

باطلين فقول الملكية أشد بطلانا وأعظم كفرا وتناقضا ، وما ذكره هذا باطل"[617]

13. تجنب الأجوبة المتكلفة مثل جواب الطوفي على النصراني في سبب عدم زواج عيسى عليه السلام قال عفا الله عنه: "وأمّا المسيح فلعله في ترك النكاح كان عِنّيناً ، أو لكونه لا من ذكر ، أو لكونه كان ملكا ظهر في صورة آدمي فغلبت عليه صفة الملائكة كما قال الله تعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا }الآية[618] إلخ[619]

14. الرد بالثقة التامة والعزّة من غير تكبر وعدم الشعور بالهزيمة النفسية ، وبيان القدرة الكاملة على الرد قال ابن حزم رحمه الله في تفنيد نقل ليُوحنّا "شهدت أنا بنفسي وعقلي وجسدي شهادة الله التامة أن هذه كذبة كذبها اللعين يوحنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن رسوله ؛ يحيى بن زكريا"إلخ[620] وقال القرطبي رحمه الله :"فأذكر كلام هذا السائل كما بلغني ، وأبين من خطئه وتناقضه ما شاء الله أن يفهمني، فأناقشه في لفظه، وأظهر سوء نقله وحفظه ، فتارة أسأله، وأخرى أجاوبه ؛ ليعلم أن الناقد بصير ، والباحث خبير وليتبين عِيّه وجهله، للكبير والصغير ، ثم من بعد الفراغ من تتبع كلامه أعطف بالمناظرة على أقسته ورهبانه فأحكي مذاهبهم كما دونوها في كتبهم وعلى ما تلقفوها من أساقفتهم، ثم أسبرها على مَحَكِّ العَرَض ، وأبيّن بعض ما فيها من الفساد والنقض، وما توفيقي إلا بالله وهو حسبي ونعم الوكيل"[621] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"ولهم- أي النصارى- في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب، ومخالفة كلام الأنبياء، وتفسيره بغير ما أرادوه، ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول ما سنذكر - إن شاء الله - منه ما ييسر الله سبحانه وتعالى ، إذ بيان فساد أقوال النصارى بالاستقصاء لا يتسع له هذا الكتاب"[622]

---

[617] "الجواب الصحيح" : (251/4).
[618] "سورة الأنعام" : (آية : 9).
[619] "الانتصارات" : (284/1-285).
[620] "الفصل" : (64/2).
[621] "الإعلام" : (ص :46).
[622] "الجواب الصحيح" : (165/2).

15. معرفة التاريخ. فإن معرفة التاريخ تمُكّن الرادّ من دحض مزاعم كثيرة بأقوى حجة وبأيسر طريق وقد عدّ **السعدي** من فوائد قوله تعالى :{يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّورَاةُ والإِنْجِيلُ إلا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ}.[623] أهمية معرفة التاريخ في الرد على الأقوال الباطلة. قال رحمه الله: "وفيها أيضا حثٌ على علم التاريخ ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة و الدعاوي التي تخالف ما علم من التاريخ"[624]

الشرط الثامن:

النقل الحرفي المباشر لأدلتهم من مصادرهم المعتمدة ولأقوالهم التي يراد تفنيدها والرد عليها

هذا الشرط له جانبان:

الجانب الأول: النقل الحرفي المباشر من مصادرهم المعتمدة وذلك مثل العهد القديم، والعهد الجديد، والأمانة الكبرى، وبقية قرارات المجامع.

يجب على الراد أن ينقل كلام النصارى مما يريد تقريره أو ردّه نقلا مباشرا من كتبهم التي يعتمدون عليها ويعترفون بها ولا ينقل من كتاب لا يعترفون به[625] ، أو يكتفي بما كتب عنهم أو النقل بواسطة إلا عند التعذّر لأنه سيبنى على كلامهم حكما ، ولا شك أنّهم لا يُلزَمون بكتاب أو مكتوب لا يعترفون به، كما أنّه إذا نقل كلامهم أو أدلتهم من غير كتبهم أو مما كتب عنهم قد ينكرون عليه ذلك وهم أقرب إلى الحق منه في هذا إلا إذا ثبت ما ادعى عليهم وحتى يسد أمامهم هذا الباب، ويكون الحكم نصَفا مبنيا على اليقين ينبغي اعتماد ما ذكر. ولا شك أنّ النظر في كتبهم والنقل منها بهذا الغرض جائز لمن كان له حصانة علمية وإيمانية قوية[626]

---

[623] "سورة آل عمران" : (آية : 65).

[624] "تفسير السعدي" : (ص : 134). وانظر شيئا من أثر معرفة التاريخ في قوة الرد في : "الجواب الصحيح" (109/1 ، 345 ، 346).

[625] من هنا تعرف خطأ بعض الرادين على النصارى الذين يحاولون إقامة الحجة على النصارى بـ"إنجيل برنابا" فإنهم لا يعترفون به كما سبق في "مبحث مصادر النصرانية": (ص: 47).

[626] قال **الجعفري** رحمه الله : "فإن قيل كيف استجزت النظر إلى هذه الكتب وصحبتها محظورة ، والأمّة بالنظر فيها غير مأمورة ، وقد نُهي الصحابي عنها ، وبَحْرُ منقوله عَجاج ، وبِنْية معقوله مركّبة من أعدل مِزاج؟ قلنا المحظور هو النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم وإجراؤها على ظواهرها الموهمة لاسيما للعامي الغِر والحدَث الغُمر ،

وقد دل على النقل من كتبهم قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[627]

وقوله صلى الله عليه وسلم : "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَالْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"[628]

وهذا الذي درج عليه أئمة الإسلام الذين ردوا على النصارى

فبينوا أولاً أنهم اطلعوا تلك الكتب وقرؤوها كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله : "حتّى إني رأيت في ذلك[629] من الكذب والبهتان أكثر مما رأيته من الكذب في كتب اليهود والنصارى"[630] وقال الطوفي رحمه الله"وقد استقريت الأ ناجيل الأربعة وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأ رض نصرانيا يقدر على أن يجيب عن شيء منها بمثل هذه الأ جوبة"[631]

وبيّنوا ثانيًا أنهم اعتمدوا عليها كليًا أو بالدرجة الأولى في مناقشة النصارى والرد عليهم.

قال الخزرجي رحمه الله : "وقد أوردتُ في هذه الرسالة من الأدلة ما فيه الكفاية على سوء ما انتحلوه ، ولم أنقل من التوراة والإ نجيل والزبور وصحف الأنبياء إلا ما هو بأيديهم في وقتنا هذا. وقد قدّمتُ في صدر هذه الرسالة دلائل من كتبهم على أنّه ما ادعى الألوهية ، وإنّما نقلت من أناجيلهم حرفا حرفا ؛ لأنّ من شأنهم وشأن اليهود إذا قيّدوا بشيء ليس مكتوبا عندهم أنكروه ،

فأمّا من نظر فيها على المقصد الذي قصدته ، والنحو الذي أردته وأوردته ، فهو إن شاء الله من أمهات القربات"إلخ "التخجيل" : (104/1) وقد أختلف العلماء في حكم النظر في كتب أهل الكتاب فمن مجوّز ومن محرّم ومن مفصّل فيجوّز لمثل من سبق ذكره وهو الصواب . انظر : "التخجيل" : (105/1) وتعليق المحقِّق على المسألة . وقد أفرد برهان الدين البقاعي رحمه الله لهذه المسألة مؤلفا اسماه : "الأقوال قويمة في النظر في الكتب القديمة" وهو مخطوط.

[627] "سورة آل عمران" : (آية : 93).

[628] رواه البخاري "كتاب أحاديث الأنبياء" باب "ما ذكر عن بني إسرائيل" رقم: [3461] (4056/7).

[629] يقصد "كتاب الحج إلى زيارة المشاهد" للمدعو محمد بن نعمان الرافضي الملقب بـ الشيخ المفيد.

[630] "مجموع الفتاوى" (517/4) .

[631] "الانتصارات الإسلامية" : (596/2).

فلم أُورد من ذلك إلا ّ ما قرأته في كتبهم العبرية ووقفت عليها بنفسي ، وطالعت فيها بعض تفاسيرهم وشافهتهم بها"اه- ملخّصا[632] وكان يؤكد على ذلك حتى أثناء رده فيقول "وفي الإ نجيل الذي بأيديكم"وقد كتب في إنجيلكم الذي بين أيديكم"فإن في التوراة التي بأيدي اليهود إلى اليوم"[633] وما أشبه ذلك.

وقال القرطبي رحمه الله : "الفصل الخامس في بيان اختلافهم في الأقانيم نُبيّن في هذا الفصل مذاهب أوائلهم ، ونتكلم معهم فيها ، ونوضح مسائلهم فيها إن شاء الله تعالى ، ونحكي مذاهبهم بألفاظهم كما وجدتها في كتبهم ولم أعول في ذلك على نقل علمائنا عنهم فقط ، بل تتبعت ما أمكنني من كتبهم والله الموفق"[634]

وقال الجعفري رحمه الله : "ودأبت في تحصيل ما لم أحصل عليه من كتب القوم ولم أجتز بما كان في يدي منها حتى استكملت التوراة الخمسة الأسفار ونبوّة داود ونبوة أشعيا ، ونبوة مِيخا ، ونبوة حبقّوق ، ونبوّة صِفنيا ونبوة زكريا ، ونبوة أرمِيا ونبوة حزقيال ، ونبوة دانيال ، والأناجيل الأربعة ، ورسائل التلاميذ المعروف بفراكسيس ورسائل فولس الرسول وصلوات النصارى وشريعة إيمانهم الملقبة بالأمانة ، وسير الحواريين ، فقلبتها ظهرا لبطن دفعات ، فإذا ظواهرها مأولة ، وكلماتها على غير النحو الذي صار إليه أربابها منزلة ، فأجدت في تأويل ما أجراه النصارى على الظاهر ، وبينت بالدليل من التوراة والنبوات والإنجيل غلط الكافر بعد أن قدرت صحة كتبهم وإن كانت سقيمة ، وسلّمت وجودها وإن كانت في حكم العديمة، وأظهرت من كتبهم فساد معتقدهم" إلخ[635].

وقال أيضا : "وقد وقفت على كثير من مصنّفاتهم وتواليفهم في نصرة دينهم ، واحتجاجهم لأغاليطهم ، وما ردّت به كل فرقة من الفرق الثلاث الملكية ، والنسطورية واليعقوبية على الأخرى ، وما نصرت به مذهبها"إلخ[636]

---

[632] "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 295).

[633] "المصدر السابق" : (ص : 220 ، 221 ، 222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 227 ، 228 ، 282).

[634] "الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام" : (ص :79).

(635) "التخجيل" (1/ 92-101).

[636] "بداية المجلد الأول من مخطوطة التخجيل ورقة 2/أ نقلا من محقِق الكتاب

وقال في موضع آخر : "الباب الأول في كون المسيح عبدا من عبيد الله بقوله وفتواه ولندلّ على ذلك من كتبهم كما شرطنا في صدرالكتاب"[637]

كما حرصوا على النقل من كتب أئمتهم وأحبارهم المعتبرين إيمانا منهم بأنّ هذا ألزم للخصم ، وأقطع للعذر.

الجانب الثاني: النقل الحرفي لكلام النصراني وأدلته التي يريد الرد عليها

على من يريد القيام بالرد على نصراني أن ينقل كلامه حرفيا، وكذلك الأدلة التي استدل قبل الرد عليها.

وقد دل على النقل الحرفي لكلام النصارى عند الرد عليها ما حكى الله تعالى من كلام الكفار في القرآن الكريم بحروفها ومنهم اليهود والنصارى بلا شك.

فمن ذلك ما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال[638]: "أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم نعمانُ بن أضاء، وبحرى بن عمرو وشأس بن عدي فكلموه فكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله عز وجل فيهم ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾"[639].

ثم إنّ النقل الحرفي لكلامه في الرد عليه.

قال القاسم الرّسّي رحمه الله : "وبعد ، فلا بدّ لمن أنصف خصماً في منازعته له ومجادلته من ذكر ما يرى الخصم أنّ له حجة من مذهبه ومقالته فإذا ذكر ذلك كلهّ بان ما فيه عليه وله فكان ذلك لباطله أقطع ، وفي الجواب له أبلغ وأجمع والنصارى فهم خصماؤنا في الله فلا بد من تبيين ما افتروا فيه على الله وهم ممن قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[640] ومن الذين

(62-64/1).

[637] "التخجيل" : (116/1-117).

(638) أخرجه الطبري بسند صحيح في التفسير (150/10-151). وانظر : "موسوعة الصحيح المسبور" (2/ 169).

[639] "سورة المائدة" : (آية : 18).

[640] "سورة الحج" (آية : 3 ، 8). و "سورة لقمان" (آية : 20).

قال فيهم: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[641] فهم في ذلك كغيرهم من كفرة الأمم. فليفهم من قرأ كتابنا هذا ما نصفه فيه من قولهم، فنصفه بما يعلمه علماء كل فرقة منهم إن شاء، ونعرّفه ونستقصي لهم فيه كله ما استقصوا لأنفسهم من المقال، ثم نجادلهم فيه على الحق بالتي هي أحسن"إلخ[642]

وسبق النقل عن القرطبي رحمه الله وفيه "ونحكي مذاهبهم بألفاظهم كما وجدتها في كتبهم"[643]

وقال في موضع آخر: "فأذكر كلام هذا السائل -كما بلغني- وأبين من خطئه وتناقضه ما شاء الله أن يفهمني ، فأناقشه في لفظه ، وأبين سوء نقله وحفظه"[644]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا منهجه في رده على النصارى : "وأنا أذكر ما ذكروه بألفاظهم بأعيانها فصلا فصلا ، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعا وأصلا، وعقداً وحلا ً"[645]

وقال الطوفي رحمه الله: "فإني رأيت كتابا صنّفه بعض النصارى" إلى أن قال : "فأردت مناقضته حرفا من كلامه فحرفا"[646]

وقد وفّى العلماء عليهم رحمة الله بما وعدوه فكانوا يذكرون كلام من يردون عليه من النصارى ثم يتبعونه بالرد والإبطا.

لكن مع ذلك هناك بعض الحالات الاستثنائية التي لا بأس فيها بتلخيص كلامهم أو روايته بالمعنى كأن يكون طويلاً جدا ولا فائدة من إيراده كله ، أو يكون فيه من الاعتداء على الله ورسوله وكتابه وعباده الصالحين ما يستهجن من ذكره بلفظه وما أشبه ذلك.

ومما يدل على هذا تسمية القرآن الكريم تهمة الزنا التي ألقيت إلى مريم عليها السلام بالبهتان العظيم فقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً﴾[647] قال ابن عبّاس رضي الله عنهما "يعني رموها بالزنا"[648] فلم يصرح الله تعالى بهذا القول المشين بل رمز

---

[641] "سورة الحج" (آية : 19).
[642] "الرد على النصارى" للقاسم الرسي : (ص : 32).
[643] "الإعلام" : (ص : 79) وانظر أيضا : (ص : 46).
[644] "المصدر السابق" : (ص : 46).
(645) "الجواب الصحيح" (1/ 99) .
[646] "الانتصارات الإسلامية" : (228/1).
[647] "سورة النساء" : (ص : 156).
[648] أخرجه الطبري (367/9) وابن أبي حاتم في "تفسير القرآن العظيم" (1109/4) بسند صحيح وانظر "موسوعة الصحيح المسبور" (485/1).

إليه بما سبق.
ومما يدل عليه أيضا ما روى ابن عباس رضي الله عنهما قال[649]:
"دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المِدْرَاس فوجد من يهود ناسا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فِنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه له : ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ! وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنّا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا. فغضب أبو بكر ؛ فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة . وقال : والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله ! فأكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين . فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت؟ فقال يا رسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما ؛ زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ، فجحد ذلك فنحاص ؛ وقال ما قلت ذلك . فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردًا عليه وتصديقا لأبي بكر ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[650] وفي قول أبي بكر وما بلغه من الغضب ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[651] .
فقد لخص أبوبكر رضي الله عنه كلام فنحاص الطويل الجريء الفاسد الذي فيه من الاعتداء على الله سبحانه وتعالى ما هو واضح في عبارة مختصرة هي : "إن عدو الله قال قولا عظيما ؛ زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء"

---

(649) أخرجه الطبري (441/7) ، وابن أبي حاتم في "تفسير القرآن العظيم" (828/3-829). بسند صحيح وانظر " موسوعة الصحيح المسبور" (485/1).
(650) "سورة آل عمران" : (آية : 181).
(651) "سورة آل عمران" : (آية : 186).

وقد انتهج بعض العلماء الذين ردّوا على النصارى هذا المنهج منهم **أبو عبيدة الخزرجي ونجم الدين الطوفي**.

يقول **الخزرجي** رحمه الله : "ولم أتعرض في هذه الرسالة لكثير منها ؛ لأن حكاية الكفر إثم نفسه ، وإن كنت قد اضطررت إلى حكاية شيء من ذلك **فما أضربت عنه صفحا أبشع وأشنع مما اضطررت إلى حكايته**"[652]

لكن يجب ألا يكون اختصارا مخلا بل لا بد من مراعاة مقصود النصراني وإبراز أدلته وقد اعتنى العلماء بهذا أيضا وفيه يقول **الطوفي** رحمه الله بعد إيراده لكلام النصراني ملخصا : "**هذا ملّخص ما ذكره في هذا السؤال من غير إخلال بمهم**"[653]

وينبغي أنْ إذا اختصر شيئا من أدلتهم أو أقوالهم أن ينبّه على ذلك لأنه من الأمانة العلمية وكان **الطوفي** ممن حافظ على هذا المنهج الجميل فيقول عقب نصوص النصراني التي ذكرها ملخصة : "هذا حاصل ما ذكره"[654] "هذا حاصل ما أورده"[655] "هذا تلخيص حجته"[656]

ويستحسن كذلك أن يذكر سبب التلخيص والاختصار كما يفعل **الطوفي** أيضا أحيانا كما في قوله : "هذا حاصل ما قرّره به هذا السؤال مع تشنيع ذكره يسير"[657] فكأن فيه إشارة إلى أن مِن أسباب تلخيصه لكلامه في هذا الموضع التشنيع الذي فيه.

وقال في موضع ثان "هذا حاصل ما ذكره في هذا السؤال وإن كان قد أسهب فيه وأطال"[658]. وقال في موضع آخر : "هذا حاصل ما ذكره من الحجتين لخصتّه أنا وهو في عبارته طويل جدا"[659]. ففي التّصين إشارة إلى أنّ مِن أسباب اختصاره لكلامه في هذا الموضع ا لإسهاب والإطالة

ومما اشتمل على أغلب ما ذكر من نقل كلامهم وأدلتهم حرفيا مع التلخيص عند الحاجة على ما سبق بيانه كلام **القرطبي** قال رحمه

---

[652] "بين الإسلام والنصرانية" لأبي عبيدة الخزرجي: (ص : 294).

[653] "المصدر السابق" : (453/1).

[654] "الانتصارات الإسلامية" (287/1) ، (375/1).

[655] "المصدر السابق" : (454/1).

[656] "المصدر السابق" : (453/1).

[657] "المصدر السابق" : (470/1).

[658] "المصدر السابق" : (497/1).

[659] "المصدر السابق" : (254/1).

الله : "الفصل الخامس في حكاية مذهب "أغشتين" إذ هو زعيم القسِّيسين. نذكر إن شاء الله تعالى في هذا الفصل كلام هذا المذكور الواقع له في "مصحف العالم الكائن" ونحكي ألفاظه من غير زيادة أو نقصان ، إلا ّ أني اختصر من كلامه ما لا تدعو ضرورة سياق الكلام إليه من غير إخلال بلفظه ، ولا تقصير في معناه ، وربّما قدّمت وأخرّتُ"[660] اهـ.

ثالثا:

أهم الشروط المتعلقة بالمردود عليه

أن يكون أهلا لأن يُردّ عليه

هناك طائفة من النصارى ليسوا أهلا لأن يرد عليهم منهم :

الأول : المعاند المسفسط المتعنت:

فمن تبين له الحق وكابره فإنه لا يؤمر بمناظرته ومحاولة الرد عليه بسرد الأدلة والبراهين.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الكاذِبِينَ﴾[661]

قال الرازي رحمه الله : "اعلم أن الله تعالى بيّن أول هذه السورة وجوها من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بالزوجة والولد ، وأتبعها بذكر الجواب

عن جميع شبههم على سبيل الاستقصاء التام" إلى أن قال :"ومن أنصف وطلب الحق علم أن البيان قد بلغ إلى الغاية القصوى ، فعند ذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجّكَ﴾ بعد هذه الدلائل الواضحة ، و الجوابات اللائحة فاقطع الكلام معهم وعاملهم بما يعامل به المعاند وهو أن تدعوهم إلى الملاعنة"إلخ[662]

وقال السعدي رحمه الله تعالى : " أي فمن جادلك و﴿حَاجّكَ﴾ في عيسى عليه السلام، وزعم أنه فوق منزلة العبودية ، بل رفعه فوق منزلته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بأنه عبد الله ورسوله ، وبيّنت لمن جادلك ما عندك من الأدلة على أنه عبد أنعم الله عليه ، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني ، فلم يبق في

---

[660] "الإعلام" : (ص : 143).

[661] "سورة آل عمران" : (آية : 61).

[662] "مفاتح الغيب" : (8/77-78).

مجادلته فائدة تستفيدها، ولا يستفيدها هو، لأنّ الحق قد تبين ، فجداله جدال معاند مشاق لله ورسوله ، قصده اتباع هواه لا اتباع ما أنزل الله ، فهذا ليس فيه حيلة ، فأمر الله نبيه أن ينتقل إلى مباهلته وملاعنته" إلخ[663]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد يُنهى عنها - أي المناظرة - إذا كان المناظر معاندا يظهر له الحق فلا يقبله - وهو السوفسطائي- فإن الأمم كلهم متفقون على أن المناظرة إذا انتهت إلى مقدمات معروفة بيّنة بنفسها ضرورية وجحدها الخصم كان سوفسطائيًا ولم يُؤمر بمناظرته بعد ذلك ، بل إن كان فاسد العقل دَاوَوْه ، وإن كان عاجزا عن معرفة الحق - ولا مضرّة فيه تركوه - وإن كان مستحقًا للعقاب عاقبوه مع القدرة إمّا بالتعزير ، وإمّا بـ القتل وغالب الخلق لا ينقادون للحق إلا بالقهر"[664].

الثاني : الخامل الذي لم يعرف ولم تشتهر غواياته وضلالاته لأنّ في مناظرته والرد عليه تشهيرا له ، وتطييرا لضلاله في الآفاق

الثالث : الجاهل الذي لا يقر بجهله قال تعالى: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}.[665]

قال الإمام أحمد رحمه الله لما أحضر عند المأمون وأمره أن يناظر ابن أبي دؤاود قال: "لا أعلمه من أهل العلم"

وقال القرطبي رحمه الله في حق النصراني الذي رد عليه بعد وصفه بأنه لا يحسن السؤال ولا ترتيب المقال ، يقول مالا يفهم ويكتفي بأنّه يتكلم : "ولمّا تبيّن ذلك منك، أعرض المسلمون عن جوابك، ونزّهوا أنفسهم عن خطابك؛ إذ الإعراض عن الجاهلين شرع رب العالمين على لسان سيّد المرسلين. وأيضا فلمن لم يعرف شروط النظر ولم يسلك مسالك البحث والعبر ، فالكلام معه ضرب في حديد بارد ، وعمل ليس له جدوى ولا عايد"[666]

الرابع : المُعْتَدي الذي لا يحب النّصَفَة ،

الخامس : مَن عادته التّسفه في الكلام [667]

---

(663) "تفسير السعدي" : (ص : 133).

(664) "درء التعارض" : (7/ 173-174).

(665) "سورة الفرقان" : (آية : 63).

(666) "الإعلام" : (ص : 45).

(667) انظر : في بعض ما سبق : "الفقيه والمتفقه "للخطيب البغدادي (ص : 196) ؛ "الكافية في الجدل" (ص : 532) .

***

المبحث الرابع:

آداب الرد على النصارى

للرد على النصارى آداب ينبغي للراد أن يراعيَها ، ويتحلى بها ، ولا يتخلى عنها.

والأصل في هذه الآداب[668] قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[669] وقوله ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[670] .

قال السيوطي رحمه الله :"هذا أصل في آداب المناظرة و الجدل"[671]

وهذه جملة من أهم الآداب التي ينبغي للراد على النصارى أن يتحلى بها

الأدب الأول:

الابتداء بذكر الله عز وجل

وهذا يشمل البداءة بالبسملة والدعاء وذكر الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى.

كانت رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك النصارى -كما مر بنا مفتتحة بالبسملة والحمدلة، والسلام على من اتبع الهدى، فينبغي للراد أن يبدأ كلامه بهذه الفاتحة العظيمة.

وليتبرأ كذلك من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، ولا يغتر بعلمه، وجداله، وحدة قلمه ولسانه بل لِيَلْجأ إلى الله سبحانه ، ويسأله التوفيق والثبات والإصابة والسداد والنصر على القوم الكافرين ، وأ لا يكون فتنة للقوم الظالمين.

قال الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[672] وكما حكى عن قومه قولهم :﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ

---

[668] انظر : " محاسن التنزيل " للقاسمي :(13 / 153).

[669] "سورة النحل" : (آية : 125).

[670] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

[671] "الإكليل" : (ص : 174).

[672] "سورة طه" : (آية : 28).

توَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تجْعَلنَا فِتْنَةً لِلقوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ القوْمِ الكافِرِين}.[673]

فالدعاء من أعظم أسباب النصر على الأعداء كما قال تعالى: {وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى القوْمِ الكافِرِينَ}[674]

وأحسنما يدعو به الأدعية الواردة في الكتاب والسنة في مواقف الإ ستثبات وملاقاة العدو، وكذلك الأدعية الجوامع المأثورة[675]. وكذلك ليصلّ ويسلم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في أول كلامه وآخره، وليسرّ بالدعاء أو ليجهر به حسبما يقتضيه المقام.

الأدب الثاني:

أن يدعو لهم بالهداية إلى الصراط المستقيم.

فعن أبي هريرة قال قدم الطفيل وأصحابه فقالوا يا رسول الله! إن دوساً قد كفرت وأبت فادع الله عليها، فقيل هلكت دوس! فقال: " اللهم اهد دوساً وائت بهم"[676]

---

(673) "سورة يونس" : (آية : 86).

(674) "سورة البقرة" : (آية : 25).

(675) مثل قوله عليه الصلاة والسلام : "رَبِّ أعِنِّي وَ لا تُعِنْ عَلَيّ ، وَانْصُرْنِي وَلا تنْصُرْ عَلَيّ ، وَامْكُرْ لِي وَلا تمْكُرْ عَلَيّ ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ الهُدَى إِليّ ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيّ . رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَّارًا ، لَكَ ذَكَّارًا ، لَكَ رَهَّابًا ، لَكَ مِطْوَاعاً، إِلَيكَ مُخْبِتًا أَوَّابًا مُنِيبًا . رَبِّ تقبَّلْ توْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي ، وَأَجِبْ دَعْوَتِي ، وَثَبِّتْ حُجَّتِي ، وَاهْدِ قَلْبِي ، وَسَدِّدْ لِسَانِي ، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي" رواه أبو داود (2/ 83) والترمذي (5/ 554) وانظر صحيح الترمذي (3/ 178) . ومثل هذا الدعاء أيضا: "اللهم رب جبرائيل وإسرافيل وميكائيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنا لمااختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستفيم.

(676) سبق تخريجه (ص : 155).

الأدب الثالث:

الإنصات للمخالف وحسن الإستماع له:

وهو أن يمهله ويفسح له حتى يتم كلامه ويبين حجته ، ويورد أدلته ولا يقطع عليه شيئا من ذلك[677]. وهذا يكون في الردود الشفهية المباشرة

يقول **إبراهيم بن الجنيد**[678] رحمه الله : "قال حكيم من الحكماء يا بني تعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام ؛ فإن حسن الا ستماع إمهالك المتكلم حتى يفضي إليك بحديثه والإقبال بالوجه و النظر، وترك المشاركة في حديث أنت تعلمه" [679] .

ويقول الجويني رحمه الله "وعليهما- يقصد المتناظرين- جميعا أن يصبر كل واحد منهما لصاحبه في نوبته ، وإن كان ما يسمعه منه شبه الوساوس ؛ لأنهما متساويان في حق المناوبة فمن لم يصبر منهما لصاحبه فقد قطع عليه حقه . ولأن ما يظنه السامع وسواسا ربما يكون هو موضع الإلتباس والشبهة عنده ، فلا بد من الصبر على سماعه ليصير عنده معلوم الأول والأخر"[680].

الأدب الرابع:

ألا يتشدّق في الكلام ولا يتفيهَق فيه:

قال النبي صلى الله عليه وسلم :"إِنّ مِنْ أَحَبّكُمْ إِلَيّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنّي مَجْلِسًا يَومَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا، وَإِنّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنّي يَومَ القِيَامَةِ ، الثّرْثَارُون[681] ، وَالمُتَشَدّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ" .

قَالُوا يَارَسُولَ اللّه ! قَدْ عَلِمْنَا الثّرْثَارِينَ، والمُتَشَدّقِينَ فَمَا المُتَفَيهقُونَ؟ قَالَ: المُتَكبّرُونَ"[682].

---

[677] انظر : "التقريب لحد المنطق" لابن حزم : (ص: 186) و "آداب البحث والمناظرة" للشنقيطي (ص :91).

[678] ما وقفت له على ترجمة.

[679] أورده الخطيب في "الفقيه والمتفقه" (2/ 32).

[680] "الكافية في الجدل" للجويني : (ص/533).

[681] قال ابن الأثير في النهاية : (208/1) الثرثار : الذي يكثر الكلام تكلفا وخروجا عن الحق . والثرثرة : كثرة الكلام وترديده . والمتشدق : المتوسع في الكلام من غير احتياط واحتراز . وقيل : المستهزئ بالناس ، ويلوي شدقه بهم وعليهم . والمتفيهق : الذي يتوسع في الكلام ويفتح فاه به . مأخوذ من الفهق ، وهو الإمتلاء والإتساع ، يقال : أفهقت الإناء ففهق يفهق فهقا. وهذا هو التفسير اللغوي لهذه الكلمة ، أما تفسيره الوراد في الحديث فتفسير باللازم لأن الكلام بتلك الصورة من لوازمه التكبر.

[682] أخرجه الترمذي (ص: 2018) وأحمد (4/ 194).

فينبغي على الراد أن يتجنب التعقيد في المعاني ، والإغراب في الألفاظ والإجمال فيها وأن يتحرز عن إطالة الكلام في غير فائدة ، وما أشبه ذلك[683] .

وهذه سمة بارزة لردود الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم . فقد كانت رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الكفّار لا تتجاوز - إن بلغت- صفحةً واحدة ، ومع ذلك تقع في نفوس المرسل إليهم موقعها ، وتؤدي رسالتها كاملة[684]

وتأمل رسالة نبي الله سليمان عليه السلام إلى بلقيس ملكة سبأ؛ ·{إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلا َّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِين}·[685]

سطران من كتاب كريم تضمنا دعوتهم إلى الحق ، ورد ما هم عليه من الباطل بأسلوب رصين قوي ، هز الملكة هزا عنيفا واستدلت بذلك الأسلوب الراقي على كرمه وعظمته فجمعت حاشيتها فوراً و ·{قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُون}·[686]

وقريب منه قول موسى عليه السلام بعد أن حُشر الناس ضحى ·{ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى}·[687]

ثلاث قذائف من الكلمات صدّعت الجمع الكافر وألجأتهم إلى أن يتنازعوا أمرهم بينهم و يسروا النجوى، وهكذا لو تأملت ردود الأنبياء عليهم السلام ، تجدها مفهمة مُفحِمة ومختصرة مقنعة لا حشو فيها ولا خلل.

---

[683] انظر : " آداب البحث والمناظرة " للشنقيطي (ص: 91).

[684] انظر نماذج من هذه الرسائل في "مبحث مشروعية الرد على النصارى" : (ص: 112).

[685] "سورة النمل" : (آية : 31).

[686] "سورة النمل" : (آية : 32).

[687] "سورة طه" : (آية : 61).

الأدب الخامس:

الرفق واللين:

يكاد يطبق المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[688] وقوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[689] على ذكر هاتين الصفتين ، والتأكيد على أهمية اتصاف الداعي والراد بهما، ذلك لأنه كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِيْ شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ، وَمَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"[690].

ومما يدلك على أهمية هذا الأدب الرفيع ومفعوله النافذ في الدعوة إلى الله قول الباري جل ثناؤه لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[691] ، فانظر إلى هذا الأمر والتوجيه الإلهي مع أنّ الراد مهما كان على قدر كبير من الصلاح والتقوى لا يبلغ درجة هارون وموسى والمردود عليه مهما بلغ من العتو والفساد والاستكبار لا يصل إلى دركة فرعون الذي قال أنا ربكم الأعلى.

قال السعدي رحمه الله : "ومن الحكمة الدعوة بالرفق واللين"[692] اهـ ملخصاً

وقد سبق الكلام بإسهاب عن الرفق واللين في الرد على النصارى بما أغنى عن إعادته هنا[693]

---

[688] "سورة النحل" : (آية : 125).

[689] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

[690] رواه مسلم "كتاب البر والصلة" باب"فضل الرفق" [6545] (362/16).

[691] "سورة طه" : (آية : 44).

[692] "تفسير السعدي" : (ص : 452).

[693] انظر : "الشرط الأول من شروط الرد على النصارى المتعلقة بالرد". (ص: 151).

الأدب السادس:

الصبر والتحمل:

إن الذي يتصدّى للرد على النصارى لا بد أن تقتذى عيناه ، وتنْصَكّ أذناه، من كفرياتهم واعتداءاتهم على نفسه وعلى الله ورسوله و المؤمنين من قبله ما يضرم نار الغضب في قلبه، ويشعل جحيم الا نتقام في صدره ومع ذلك فإنه مأمور بالصبر والاحتساب، والتقوى، كما قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنّ مِنَ الّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتّقُوا فَإِنّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[694] فإن سبب نزول هذه الآية غضب أبي يكر الصديق رضي الله عنه من قول فنحاص اليهودي في وصف الله سبحان الله بالفقر وأنفسهم بالغنى ولطم أبي بكر إياه"[695].

ومعنى الآية : أنه لا بد أن تسمعوا أيها المؤمنون من أهل الكتاب ما يسوءكم من السب لربكم والطعن فيكم وفي نبيكم ، وفي دينكم، وفي كتابكم ، ومع ذلك فإن المطلوب منكم الصبر والتقوى لا المجازاة بالمثل والانتقام [696].

وقال عليه الصلاة والسلام "وَإِن امْرُؤٌ شَتَمَكَ أَوْ عَيّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ ، فَلا تُعَيّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ يَكُنْ وبالُ ذَلِكَ عَلَيهِ"[697] .

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى:﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنّ رَبّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[698] أي أعرض عن أذاهم إياك[699]

ويقول جمع من المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاّ بِالّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاّ الّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنّا بِالّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

---

[694] "سورة آل عمران" : (آية : 186).

[695] سبق تخريجه (ص: 195).

[696] انظر : "تفسير الطبري" : (541/3) ؛ "المحرر الوجيز" : لابن عطية : (3/ 312) ؛ "أضواء البيان" للشنقيطي (1/ 264) ؛ "تفسير السعدي" (ص : 16).

[697] رواه أحمد (5/ 63) ، وأبو داود (4084) ، والترمذي (2722).

[698] "سورة النحل" : (آية : 125).

[699] "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم (7/ 2307) ؛ " تفسير الطبري" (14/ 194).

[700] "أي بالخَصلة التي هي أحسن كمقابلة الخُشُونة باللين ، و الغضب بالكظم ، والمُشَاغَبَةِ بالنصح ، والسّوَرَةِ بالأناة كما قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[701] لكن كل ذلك يكون على وجه لا يدل على الضعف ، ولا يؤدي إلى إعطاء الدّنِيّة [702].

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[703] "إن قالوا شرا ، فقولوا خيرا" [704]

وهذا هو المنهج الذي سار عليه كثير من العلماء الذين ردوا على النصارى ، بل اشترطه بعضهم على نفسه اشتراطا مثل الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله فقد صرّح بذلك في فاتحة كتابه "إظهار الحق" حيث يقول : "فلو قلت في حقِه يعني القسيس الذي رد عليه - في هذا الباب كما قال هو في حق الفاضل هادي علي "إنّ التكبر والجهل جعلاه مسلوب الفهم ، وغمّضا عين عقله وعدله" أو قلت : "هذا عين الجهل والتكبر" لكنت مصيبا ومظهرا للحق ، لكن أمثال هذه الألفاظ لما كانت غير ملائمة لا أتفوّه بها في حقِه أبداً وإن تفوّه بها وبأمثالها في حق علماء المسلمين"[705]

ومن أراد أن يقف على صور متنوعة لهذا الأدب الرفيع فليعقد رحلة تأملية وسياحة تدَبّرية إلى قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

الأدب السابع:

عدم الخروج عن الموضوع إلا عند الضرورة:

الخروج عن الموضوع من غير داعٍ ضروري لذلك عيب في الردود و المناظرات لأنه من علامات الحيدة وضئالة المعلومات في الموضوع الأصل أو عدم النظام والفوضى.

والمقصود بالخروج عن الموضوع أن ينتقل من الكلام على

---

[700] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

[701] "سورة المؤمنين" : (آية : 96).

[702] أنظر : " الكشاف" للزمخشري (553/4) ، " تفسير البيضاوي (2/ 211) ، تفسير أبي السعود (7/ 42) ؛ روح المعاني للألموسي (2/21).

[703] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

[704] "تفسير القرآن العظيم" لابن أبي حاتم : (9/ 3069).

[705] "إظهار الحق" : (86/1).

الموضوع الأساسي إلى الكلام في شيء آخر وإن كان يتعلق بعقيدة من عقائد النصارى الباطلة ما دام أنها غير المردود عليها في تلك النوبة. وله صورتان :

الأولى : أن يخرج الراد المسلم عن الموضوع

الثانية: أن يخرج المردود عليه من النصارى عن الموضوع ثم يتابعه المسلم الراد على ذلك.

وكلاهما عيب يبنغي تجنبه لذلك حرص كثير ممن رد على النصارى من علماء المسلمين على تلافيه ونصوا على ذلك أحياناً

قال الخزرجي رحمه الله : "ولولا أني أخشى أن أخرج عن غرض هذه الرسالة لتماديت على ذكر ذلك ، وليس في ذكر ما قدّمت من المعجزات والمغيبات خروج عن الغرض ؛ لأنه يبين خلاف ما ذهب إليه مضلوكم ، وما افتروه على الله وعلى رسوله"[706]

وقال الطوفي رحمه الله : "فإن منعوا أن ذلك بإذن الله عدنا إلى النزاع في تصديق الرسول وخرجنا عن مسألة إنكار الطلاق"[707]

والنقل الأول يمثل الصورة الأولى ، والثاني الثانية.

---

(706) "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 210).

(707) "الانتصارات" : (649/2).

الأدب الثامن:
أن يكون حسن المظهر والهيئة
ينبغي على الراد أن يحضر مكان الرد أو المناظرة حسن المظهر و الهيئة تعلوه الهيبة والرائحة الزكية لا أن يأتي رثّ الثياب قبيح المظهر والهيئة تتطاير منها الروائح الكريهة فيكون بذلك فاتح باب ا لاستهزاء به وبالحق الذي يحمله قبل سماعه خاصة في هذا العصر الذي طغت عليه الظواهر والماديات واغتيلت فيه الحقائق و الروحيات.
وحضور مجالس المناظرة بالهيئة الجميلة من هدي السلف رحمة الله عليهم فقد لبس عبد الله ابن عباس رضي الله عنه حلة جميلة لما ذهب لمناظرة الخوارج، حتى قال بعضهم ما هذه الحلة يا ابن العباس[708].
هذا ، وآداب الرد كثيرة جدا لكن ما تقدم ذكره من أهمها وألزمها ، ومع ذلك فإني مورد نظما مليحا في هذا الباب تلخيصا لما ذكر ، وتغطية لما لم يذكر من الآداب ، وإن كان فيه شيء من شروط الرد
قال **أبو محمد عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني** رحمه الله في نونيته المشهورة:

لاتفن عمرك في الجدال مخاصمـا	*	إن الجدال يخل بالأديـــان
واحذر مجادلة الرجال فإنـــها	*	تدعوا إلى الشحناء و الشنـآن
وإذا اضطررت إلى الجدال ولم تجد	*	لك مهربا وتلاقت الصفـــان
فاجعل كتاب الله درعا سابغـا	*	والشرع سيفك وابد في المىـدان
والسنة البيضاء دونك جنـــة	*	واركب جواد العزم في الجـولان

[708] فقد روى ابن عبد البر رحمه الله وساق بسنده الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما جاء إلى الحرورية ليناظرهم قالوا: "ما جاء بك يا ابن عباس؟ وما هذه الحلة عليك؟ قال: قلت: ما تعيبون من هذه؟ فلقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من ثياب اليمنية، قال ثم قرأت هذه الآية ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ "سورة الأعراف" (آية: 32) فقالوا: ما جاء بك؟ " إلخ "جامع بيان العلم وفضله" (963-962/2).

واثبت بصبرك تحت ألوية الهـدى	*	فالصبر أوثق عدة الإنسان
واطعن برمح الحق كل معانـد	*	لله در الفارس الطعّـــان
واحمل بسيف الحق حملة مخلـص	*	متجرد لله غير جبـــان
واحذر بجهدك مكر خصمك إنه	*	كالثعلب البري في الرَوَغــان
أصل الجدال من السؤال وفرعـه	*	حسن الجواب بأحسن التبيـان
لا تلتفت عند السؤال ولا تعـد	*	لفظ السؤال كلاهما عيبــان
وإذا غلبت الخصم لا تهزأ بــه	*	فالعجب يخمد جمرة الإحسـان
فلربما انهزم المحارب عامــدا	*	ثم انثني قسطا على الفرسـان
واسكت إذا وقع الخصوم وقعقعوا	*	فلربما ألقوك في بحـــران
ولربما ضحك الخصوم لدهـشه	*	فاثبت ولا تنكل عن البرهـان
فإذا أطالوا في الكلام فقل لهـم	*	إن البلاغة ألجمت ببيـــان
لا تغضبن إذا سئلت ولا تصـح	*	فكلاهما خلقان مذمومــان
واحذر مناظرة بمجلس خيفـة	*	حتى تبدل خيفة بأمـــان
ناظر أديبا منصفا لك عاقـلا	*	وانصفه أنت بحسب ما ترى‍ـان
ويكون بينكما حكيم حاكـما	*	عدلا إذا جئتاه تحتكمـــان[709]

***

(709) "نونية القحطاني": (ص: 39).

المبحث الخامس :

أهداف الرد على النصارى

ليس الغرَض من الرد على النصارى مجردَ مساجلات كلامية ، أو معاركَ قَلَمِيّة أو حوارات ساخِنَة مقصودةً لذاتها ، بل يجب أن تُبْنَى على أهداف هي في الحقيقة غايتها وما تصبو إليه ، وإنّ خُلُوَها من تلك الأهداف يجعلها مناقشاتٍ جوفاءَ عقيمةً لا طائلَ تحتها ، ولا قيمةَ لمحصودها مَهْمَا التَهَم من أطْنان الأوراق والكلمات ، ومهما تشَرّب من أنابيب المداد والأوقات ، لذلك يجب على كل مَنْ يتصدّى لهذه العملية الجهادية ألا ّ تغيب عن ذهنه هذه الأهداف وهي وإن كانت كثيرة ومُتَشَعِّبَة لكنها كلُّها ترجع إلى كُبْرَى المقاصد وعُظْمَى الغايات التي جاء الإسلام لتحقيقها وكلئها ألا وهي : "حفظ الدين" و المراد به دين الإسلام فـإنّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإ ِسْلامُ.

وحتى يبقى الدِّين صافيا نقيا ، فقد شرع الله سبحانه وتعالى وسائل لحفظه منها : العملُ به ، والجهادُ من أجله ، والدعوةُ إليه ، و الحكمُ به ، و رد كل ما يخالفه[710]

والذي له تعلق مباشر بمبحثنا من بين الوسائل المذكورة هو "الدعوة إليه"[711]

و "رد كل ما يخالفه"

أولا:

أهداف الرد على النصارى المتمثلة في دعوتهم إلى الإسلام

إن دعوة النصارى إلى الإسلام هدف أساس من أهداف الرد عليهم لذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجميع المؤمنين أن يدعوا النصارى إلى عبادة الله وحده ونبذ الإشراك به كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية.[712]

---

[710] "مقاصد الشريعة" للدكتور سعد اليوبي : (ص : 19). وانظر : "الموافقات" للشاطبي (4/ 346).

[711] الدعوة إلى دين الإسلام تشمل دعوة جميع الطوائف إليه كما أن ردّ كل ما يخالفه يشمل كل مخالفة
داخلية ـ مثل البدع والخرافات ـ وخارجية- مثل الديانات الوثنية والأفكار الهدامة - لكن بما أن البحث عن النصارى سأقتصر على دعوة النصارى إلى الإسلام ، وعلى مخالفتهم حيَاله.

[712] "سورة آل عمران" : (آية : 64).

وقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الهدف واعتنى به حق الا عتناء كما هو ظاهر في رسائله وبعثاته إلى أمم أهل الكتاب
ولجوهرية هذا الهدف وأهميته فقد أولاه علماء المسلمين عنايتهم واهتمامهم في ردودهم على النصارى.
يقول أبو البقاء الجعفري رحمه الله "منها - أي ومن الفوئد التي احتوى عليها كتابه التخجيل ـ قصد إرشادهم ببيان احتمال الألفاظ التي اقتضت غلطهم فعسى الله أن يقدر هداية بعضهم ، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة" [713] .
ودعوة النصارى إلى الإسلام تتكون من أمرين أساسيين .

الأمر الأول: تعريفهم بالإسلام علما وعملا

التعريف العملي بالإسلام يعني أن يكون الراد مسلما في عقيدته ، مسلما في أخلاقه وسلوكه ، مسلما في شئونه كلها، فيدعو إليه بأفعاله قبل أن يدعو إليه بأقواله فإنّ التعليم العملي أشدّ تأثيراً ووقعا في النفس من التعليم القولي المجرد عن العمل.
أمّا التعريف العلمي بالإسلام فيكون بتوضيح معالمه وبيان أسراره وحكمه وإبراز محاسنه في جميع مجالاته العقدية والتشريعية والأ خلاقية والاجتماعية والسياسية، وأنه هو دين الفطرة حتى قال الله تعالى:
{لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [714] "فكمال الدين الإسلامي ، وكمال براهينه واتضاح آياته وكونه هو دين العقل والعلم ودين الفطرة والحكمة، ودين الص لاح والإصلاح، ودين الحق والرشد، فلكماله وقبول الفطرة له لا يحتاج إلى الإكراه ؛ لأن الإكراه على ما تنفر عنه القلوب ، ويتنافى مع الحقيقة والحق أو لِمَا تخفى براهينه وآياته ، وإلا ّ فمن جاءه هذا الدين وردّه ولم يقبله فإنه لعناده" [715]
ومن تعريفهم بالإسلام تعريفهم بالمنزلة الرفيعة التي يحتلها المسيح عليه السلام في الإسلام ومدى توافق ما جاء به من الدين الحق بما يدعوا إليه الإسلام.

الأمر الثاني: تعريفهم بحقيقة النصرانية التي هم عليها

---

[713] تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (1/102-104).
[714] "سورة البقرة" : (آية : 256).
[715] "تفسيرالسعدي" عند تفسير "سورة البقرة": (آية : 256).

لا شك أن النصارى من أجهل الناس بدينهم وحقيقة ما هم عليه من مخالفة المنقول ومكابرة المعقول في عقيدتهم، وبما يحتويه كتابهم المقدّس من شهادات داخلية تحكم عليه بأنه ليس من عند الله
وكان هذا الجهل المركب بالنصرانية البولسية التي هم عليها ، وبكتب يعتمدون عليها لم تثبت صحتها، وبأدلة يستندون إليها هي أوهى من بيت العنكبوت لمن أكبر المعوقات في طريقهم إلى الإسلا م ، لذلك كلما تعمق من تعمق منهم بالعلم بها ازداد شكا في صحتها، وكم قاد ذلك كثيرًا منهم إلى نبذها والدخول في الإسلام.
فينبغي أن يجعل الراد نُصَب عينيه هذا الهدف المهم لأنّ أكبر نتيجة يمكن الحصول عليها في الرد على النصارى ؛ تحققه فإنه ينتج عنه الاعتراف بالإسلام والدخول فيه والكف عن النيل منه و الطعن فيه ونبذ كل ما خالفه من العقائد والشرائع ، والأخلاق و المناهج . وأعظم به من هدف ؛ قال المصطفى صلى الله عليه وسلم: "فَوَ اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمُرُ النَّعَم"[716] .

---

[716] رواه البخاري "كتاب الجهاد والسير" باب "فضل من أسلم على يديه رجل" رقم: [3009] ومسلم "كتاب فضائل الصحابة" باب "من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه" رقم: [6173] (173/15).

ثانيا:
أهداف الرد على النصارى المتمثلة في صيانة دين الإسلام .
قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[717]
وقال عليه الصلاة والسلام : "جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ"[718]
في ما سبق من الآية والحديث أمر بمناظرة أهل الكتاب والرد عليهم وتفنيد أباطيلهم وشبهاتهم صيانة للشريعة وذبا عن الإسلام بإسره.
وتحقق هذا الهدف السامي ينبني على أمرين أساسيين أيضا هما:
الأمر الأول: إبطال شبههم وطعونهم في الإسلام
إنّ من أساسيات النصارى وَأولويّاتهم وثوابت عقائدهم الفاسدة عدم الاعتراف بالإسلام دينا سماويا وذلك منذ فجر الدعوة الإسلامية إلى يومنا مما جرّأهم عليه طعنا وكيداً.
ولكن بما أنه الدين الحق لم يزده ذلك إلا تصقيلا ورفعة ، وظهورا وقهرا ؛ فهيمن على الدين كله "وذلك أن الحق إذا جُحد وعُورِض بـ الشبهات أقام الله تعالى له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة ، وفساد ما عارضه من الحجج الداحضة ، **فالحق كالذهب الخالص ؛ كلمَا امْتُحِنَ ازداد جودة ، والباطل كالمغشوش المضيء إذا امْتحن ظهر فساده"** [719]
وأقرب مثال على ذلك اتفاق البحَثَة في الأديان مسلمهم وكافرهم على أنّ الإسلام -رغم العداء السافر والتحالف العالمي الكافر للقضاء عليه- أسرع الأديان انتشاراً رغم قلة المتفرغين في الدعوة إليه [720]

---

[717] "سورة العنكبوت" : (آية : 46).
[718] سبق تخريجه (ص :110).
[719] ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في "الجواب الصحيح" : (1/ 85 ، 88) وقد ضرب الشيخ رحمه الله على ذلك أمثلة : "فالعرب لو لم يعارضوا القرآن بأنه من صنع بشر لما وقع التحدي الذي ظهر بذلك إعجازه ظهوراً بيّنا ملموسا، وكذلك موسى عليه السلام لما عارضوا معجزته بأنها سحر فحدث بينه وبين السحرة ما هو معلوم ، وبذلك ظهرت حجته ظهورا بينا ولو ، أن تلك المقابلة لم تكن لما عرف عظم معجزته عليه السلام . انتهى مختصرا . (المصدر السابق) وتأمل هذه النكتة فإنها مهمة جدا.
[720] انظر: "الغزو الفكري ... الأهداف والمصادر والمظاهر والوسائل وسبل المواجهة" بحث

ففي أمريكا وحدها يعتنق الإسلام سنويا عشرون ألف أمريكي، وتضاعف العدد أربع مرات بعد أحداث سبتمبر (721)

أمّا ما يتعلق بتصويب الطعون نحو الإسلام والمسلمين فإنّ النصارى لم يتركوا شيئا يتعلق بالإسلام إلا وأطلقوا عليه من مكامن أضغانهم ، وكنائن أحقادهم سهامَ التشنيع والانتقاد مصنوعة من الكذب و الجهل والعناد تحمل معها كل ما تعنيه كلمات الحقد ، والحسد و المكر، والكيد من المعاني ، فهجومهم عليه شامل به محيط فلم يتركوا نبيه ، ولا صحابته ولا كتابه، ولا شرائعه ولا أتباعه، ولا شيئا مما يتعلق به إلا وقالوا فيه من الشتائم والطعون ما ينزّه المكان عن ذكره فيجب على من يتصدى للرد على النصارى أن يجعل ذلك كله في الحسبان، ويعرف أن من أهم عمليته الردية تفنيد هذه المزاعم وإبطالها.

الأمر الثاني : تحذير المسلمين منهم

إن من أهم أهداف الرد على النصارى تحذير المسلمين منهم وهذا الهدف والتنبيه عليه واضح جداً في النصوص الشرعية :

قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (722) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (723)

وقال عليه الصلاة والسلام : "لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا" (724)

مقدّم من الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي -الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي - إلى ندوة تحصين شباب الجامعات ضد الغزو الفكري التي أقيمت في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام : (1423) (ص : 9).

(721) "مجلة المستقبل" العدد : 135) (ص : 12، 62).

(722) "سورة المائدة" : (آية : 51).

(723) "سورة آل عمران" : (آية : 118).

(724) رواه البخاري "كتاب الصلاة" باب (55) رقم: [435] (693/2)، ومسلم "كتاب المساجد" باب: "النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد" رقم: [1187] (17/5).

وقال أيضا :"لَتَتَبِعُنّ سَنَنَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِراعًا بِذِراعٍ حَتّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرِ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ" قُلْنَا يَا رَسُولَ اللّه ِ اليَهُودُ وَالنّصَارَى ؟ قَالَ "فَمَنْ؟" [725]

وعليه فإن من أعظم أهداف الرد على النصارى تنبيه المسلمين إلى العداوة النكراء والأحقاد الحمراء التي انطوت عليها ضمائرالنصارى نحو المسلمين ، حتى يأخذوا حذرهم منهم في جميع أمور الدنيا و الدين وبالأخص في هذا الزمن الذي اغتيلت فيه عقيدة الولاء و البراء وجهل الناس عظم خطورة ما هو لهم بالمرصاد من مخططات النصارى الحاقدة [726]

هذا،

وإن معظم الوجوه المذكورة في "مشروعية الرد على النصارى من النظر الصحيح" تعبّر عن أهداف الرد على النصارى بالإضافة على دلا لتها على مشروعيته.

---

[725] وراه البخاري "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة" باب : "قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتبعن سنن من قبلكم" وفي "كتاب أحاديث الأنبياء": "باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم: [345] (4055/7) قال القاضي عياض رحمه الله: "الشبر والذراع و الطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه" اهـ "فتح الباري": (9093/15). وقال ابن حجر رحمه الله: "(ضب) بفتح المعجمة وتشديد الموحدة دويبة معروفة. يقال خصت بالذكر لأن الضب يقال له قاضي البهائم، والذي يظهر أن التخصيص إنما وقع لجحر الضب لشدة ضيقه، ورداءته، ومع ذلك فإنهم لا قتفائهم آثارهم واتباعهم طرائقهم لو دخلوا في مثل هذا الضيق الرديء لتبعوهم"اهـ "فتح الباري" : (4058/7).

[726] انظر : مشروعية الرد على النصارى من النظر الصحيح" (ص: 119).

المبحث السادس:

أساليب الرد على النصارى

المقصود بأساليب الرد على النصارى في هذا البحث الطرق و الوسائل التي يتبعها العلماء في الرد عليهم.
ولهم في ذلك أساليب متعددة وطرق متنوعة من أبرزها وأهمها ما يأتي:

الأسلوب الأول:

أسلوب الرد العادي

المقصود بالردّ العادي ما ينصرف إليه اسم الردّ عند أول إطلاق وهو أنْ يناقش المسلم النصراني في شبهة أو مجموعة من الشبه اعتمد عليها في عقيدة ما من عقائده الفاسدة أو طعن بها في الإسلام فيبين فسادها وخواءها سواء طلب منه أن يرد عليه طلبا خاصًا، أو طلبا عامًا، أو لم يطلب منه ذلك، وسواء كانت مناقشته له بعد ذكر الشبهة مباشرة أو بعد فترة من الزمن ، أو بعد عشرات أو مئات السنين، وسواء كان ذلك كتابة أو شِفاها، وسواء كان ذلك نثْراً أو شِعرًا.
وأكثر ردود الكتاب والسنّة وردود العلماء وخاصة القديمة منها مبنية على هذا الأسلوب.

الأسلوب الثاني:

أسلوب المحاورة

المحاورة هي: المجاوبة[727] . وفي هذا الأسلوب يطرح النصراني استشكالاته على المسلم ليجيب عنها ، أو العكس وقد يكون المقصود منه طلب الهداية ، أو الاعتراض ، وقد يكون الهدف منه مجرد قصد إضافة معلومة جديدة إلى جعبة الآخر أو لغرض التقريب بين الأديان كما هو شائع الآن.
وأصل أسلوب الحوار في الرد على النصارى مأحوذ من سنّة النبي صلى الله عليه وسلم كما يدل على ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
وكذلك ما سبق من اعتراض هرقل على النبي صلى الله عليه

---

[727] "لسان العرب" : (3/385-386).

وسلم في عرض الجنة[728]
وأمّا في ردود أهل العلم فيمكن أن يمثل له بما دار بين حاطب ابن أبي بلتعتة رضي اللّه عنه والمقوقس عظيم القبط[729] ، وكذلك بما حدث بين ابن وافد وطبيب الرشيد النصراني[730]
وهاك مثالا آخر :
قال المأمون للمرتد الخرساني الذي أسلم على يديه وحمله معه إلى العراق فارتد عن الإسلام إلى النصرانية : " أخبرنا عن الشيء الذي أوحشك من ديننا بعد أنسك به ، واستيجاشك مما كنت فيه ؛ فو اللّه لأن أستحييك بحق أحب إليّ من أن أقتلك بحق ، وقد صِرتَ مسلما بعد أن كنت كافرا ، ثم عُدت كافرا بعد أن صِرت مسلما ، فإن وجدتَ عندنا دواءاً لدائك تداويت به ، وإن أخطأك الشفاء، ونبا عليك الدواء ، كنت قد أبليت العذر في نفسك ، ولم تقصِّر في الا جتهاد لها فإن قَتلناك ، قتلناك في الشريعة ، وترجع أنت في نفسك في الاستبصار واليقين ، ولم تفرط في الدخول من باب الحزم".
قال المرتد : "أوحشني منكم ما رأيت من كثرة الاختلاف في دينكم".
قال المأمون : "لنا اختلافان :
أحدهما : كاختلافنا في الأذان ، والتكبير في الجنائز ، وصلاة العيدين والتشهد والتسليم من الصلاة وتكبير التشريق ووجوه القراءات ووجوه الفُتيا وما أشبه ذلك ؛ وهذا ليس باختلاف وإنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من السنة ؛ فمن أذّن مثنى وأقام مثنى لم يَأثم ولم يُخَطِّئ مَن أذن مثنى وأقام فُرادى ، ولا يَتعَايرون بذلك ولا يَتَعَايبُون.
والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر ، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت هذا الكتاب ، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ، فلا يكون بين جميع اليهود و النصارى اختلاف في شيء من التأويلات ، وينبغي لك ألا تراجع إلا ّ إلى

[728] سبق تخريجه. انظر : (ص: 112).
[729] انظر : (ص : 117) من هذ البحث.
[730] انظر : (ص : 118) من هذ البحث.

لغة لا اختلافَ في تأويل ألفاظها ، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ، ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنّا لم نجد شيئا من أمور الدين والدنيا دُفع إلينا على الكِفاية إلا ّ مع طول البحث والتحصيل والنظر ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة، وذهب التفاضل و التباين ، ولما عُرف الحازم من العاجز ، ولا الجاهل من العالم ، وليس على هذا بُنيت الدنيا".
قال المرتد: "أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن المسيح عبد الله وأن محمداً صادق وأنك أمير المؤمنين حقا"[731].
ويلحق بهذا الأسلوب ما يسلكه بعض العلماء من حكاية أو فرض أسئلة على لسان النصراني ثم الجواب عليها[732]

الأسلوب الثالث:

أسلوب المناظرة

المناظرة: هي : "النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب"[733]
وأصل أسلوب المناظرة في الرد على النصارى مأخوذ من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويدل عليه مناظرة النبي صلى الله عليه وسلم لوفد نصارى نجران[734]
وهذا الأسلوب هو الأكثر شيوعا الآن في الرد على النصارى وقد خاض غماره كثير ٌ من المتقدمين في الرد على النصارى مثل **ابن حزم**[735] و**الخزرجي**[736] ، و**الباقلاني**[737] ، والرازي[738] ، و **الجعفري**[739] ، والقرافي[740] ، وابن تيمية[741] ، **وابن القيم**[742] ،

---

[731]"عيون الأخبار" : لابن قتيبة : (2/154-155) ؛ "العقد الفريد" لابن عبد ربّه : (2/ 223- 224).
[732] ومن أبرز من يسلك هذا المسلك **الجعفري** ، والقرافي ، وابن تيمية رحمهم الله.
[733] "التعريفات" : (ص : 232) ؛ "الكليات" : (ص : 849).
[734] سبق تخريجها (ص: 111).
[735] انظر : "الفصل" : (41/2) ، (50/2).
[736] في كتابه: "مقامع هامات الصلبان" وهو الذي يسمى (بين الإسلام والمسيحية) (ص: 215).
[737] ستأتي بعض مناظراته قريبا
[738] انظر: كتابه "مناظرة في الرد على النصارى"
[739] ذكر بعضا من مناظراته في كتابه "التخجيل": (250/1)، (233/1) (303/1).

وغيرهم.

ومن أشهر المناظرين المعاصرين للنصارى الشيخ **رحمت الله الهندي**[743] ، والشيخ **أبي الوفاء الأمرتسري**[744] ، وأبرزهم الآن الشيخ **أحمد ديدات**[745] شفاه الله.

والمناظرة تكون بين الأفراد أو الجماعات مثل المناظرة التي دارت بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية في السودان[746]

وستمرّ معنا مجموعة من مناظرات العلماء في هذا البحث إن شاء الله لكن قبل ذلك أمثِّل ههنا بمناظرة عالمين اثنين من أروع المناظرات:

---

(740) ذكر بعضا من مناظراته في كتابه "الأجوبة الفاخرة" : (ص: 8)

(741) أشار إلى ذلك في كتابه :"الجواب الصحيح"، وكذلك ذكر ابن معمر في "منحة القريب المجيب" : (253/1).

(742) انظر نموذج منها في : "هداية الحيارى" : (ص: 384-385).

(743) وأشهرها مناظرته للقسيس فندر وهي التي تسمى بـ"المناظرة الكبرى" وهي مطبوعة بتحقيق الدكتور محمد عبد القادر خليل.

(744) انظر : "جهود أبي الوفاء الأمرتستري في مقارنة الأديان والرد على الفرق الضالة" رسالة الماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عبدالطيف شيخ.

(745) ومناظراته لا تكاد تحصى ، وأشهرها مناظرته مع القسيس جيمي سواغرت في أمريكا وهي مسجّلة على شريط الفيديو ، ومطبوعة في كتاب بعنوان "المناظرة الكبرى".

(746) وهي مطبوعة في كتاب بعنوان : "مناظرة بين الإسلام والنصرانية"

أولا : مناظرة القاضي أبي الطيب الباقلاني رحمه اللّه:
وجّه عَضُد الدولة في بعض أسفاره إلى ملك الروم الأعظم ، القاضي أبا بكر بن الطيب وأخلصه بذلك ليظهر رِفعة الإسلام ويغض من النصرانية
فقال له الطاغية : أخبَرَنا صاحبكم في كتبه أتك لسان المسلمين و المناظر عنهم ؛ وأنا أشتهي أن أعرف ذلك وأسمعه منك كما ذكروه عنك.
قال القاضي: فقلت: إذا أذن الملك
فقال : هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر ، كيف هو عندكم ؟
قلت : هو صحيح عندنا وانشق القمر على عهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حتى رأى الناس ذلك ، وإنما رآه الحاضرون ومن اتفق نظره إليه في تلك الحال ؛ فقال الملك : وكيف ولم يره جميع الناس ؟ قلت : لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره .فقال : وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقرابة ، لأي شيء لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس ، وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؛ فقلت : فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة ، وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس ، والبراهمة وأهل الالحاد ، وخاصة يونان جيرانكم ؛ فإنهم كلهم منكرون هذا الشأن . وأنتم رأيتموها دون غيركم ؛ فحير الملك وقال في كلامه : سبحان اللّه ! وأمر بإحضار ف لان القسيس ليكلمني . وقال نحن لا نطيق : لأن صاحبه قال : ما في مملكتي مثله ، ولا للمسلمين في عصره مثله ؛ فلم أشعر إذ جاءوا برجل كالذئب أشقر الشعر مسبله ؛ فقعد وحكيت له المسألة ، فقال : الذي قاله المسلم لازم ، هو الحق لا أعرف له جوابا على ما ذكره ؛ فقلت له أتقول إن الكسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض ، أم يراه أهل الإقليم الذي في محاذاته ؛ قال : لا يراه إلا من كان في محاذاته . قلت : فما أنكرت من انشقاق القمر إذا كان في ناحية ، لا يراه إلا أهل تلك الناحية ومن تأهب للنظر له ؛ فأما من أعرض عنه إن كان في الأمكنة التي لا يرى القمر منها ، فلا يراه ؛ فقال هو كما قلت ، ما يدفعك عنه دافع ، وإنما الكلام في الرواة الذين نقلوه ؛ فأما الطعن في غير هذا الوجه ، فليس بصحيح ؛ فقال الملك : وكيف يطعن في النقلة ؟ فقال النصراني : شبه هذا من الآيات إذا

صح وجب أن ينقله الجم الغفير إلى الجم الغفير ، حتى يتصل بنا العلم به ؛ ولو كان كذلك ، لوقع عندنا العلم الضروري به ؛ فلما لم يقع لنا العلم الضروري به ، دلّ أن الخبر مفتعل باطل ، فالتفت الملك إليّ وقال الجواب ؟ قلت : يلزمه في نزول المائدة ما لزمني في انشقاق القمر ، ويقال له : لو كان نزول المائدة صحيحا ، لوجب أن ينقله العدد الكثير ، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا ثنوي ، إلا وهو يعلم هذا بالضرورة ؛ ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة دل أن الخبر كذب ، فبهت النصراني والملك ، ومن ضمه المجلس ، وانفصل المجلس على هذا !

قال القاضي : "ثم سألني الملك في مجلس ثان فقال : ما تقولون في المسيح عيسى بن مريم ؟ عليه السلام قلت : روح الله وكلمته ، وعبده ونبيه ، ورسوله ؛ كمثل آدم خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون . وتلوت عليه النص ،

فقال : "يا مسلم ، تقولون المسيح عبد" ؟

فقلت نعم : "كذا نقول ، وبه ندين"

قال : "ولا تقولون إنه ابن الله" ؟

قلت معاذ الله ! ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إنكم لتقولون قولا عظيما ؛ فإذا جعلتم المسيح ابن الله فمن كان أبوه وأخوه وجده وعمه وخاله ؟ وعددت عليه الأقارب.

فتحيّر وقال : "يا مسلم ، العبد يخلق ، ويحي ، ويبرئ الأكمه والأ برص" ؟

قلت : "لا يقدر على ذلك ، وإنما ذلك كله من فعل الله تعالى".

قال : "وكيف يكون المسيح عبدا لله ، وخلقا من خلقه وقد أتى بهذه الآيات ، وفعل ذلك كله" ؟

قلت : معاذ الله ! "ما أحيا المسيح الموتى ولا أبرأ الأكمه والأبرص.

فتحير وقلّ صبره وقال يا مسلم : "تنكر هذا مع اشتهاره في الخلق ، وأخذ الناس له بالقبول"؟

فقلت : "ما قال أحد من أهل الفقه والمعرفة إن الأنبياء يفعلون المعجزات من ذاتهم ، وإنما هو شيء يفعله الله تعالى على أيديهم تصديقا لهم يجري مجرى الشهادة" .

قال : "لقد حضر عندي جماعة من أولاد نبيكم ، والمشهورين فيكم ، وقال : إن ذلك في كتابكم".

قلت : "أيها الملك في كتابنا أنّ ذلك كله كان بإذأ الله تعالى ، وتلوت عليه منصوص القرآن في المسيح بإذأي ، بإذأي ؛ وقلت إنما فعل المسيح كله بإذأ الله وحده لاشريك له ، لامن ذات المسيح ؛ ولو كان المسيح يحي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص من ذاته وقوته لجاز أن يقال إن موسى فلق البحر وأخرج يده بيضاء من غيره سوء من ذاته ؛ وليست معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أفعالهم دون إرادة الخالق ؛ فلما لم يجز هذا ، لم يجز أن تسند المعجزات التي ظهرت على يد المسيح.

فقال الملك : "وسائر الأنبياء كلهم من آدم إلى من بعده كانوا يتضرعون للمسيح حتى يفعل ما يطلبون".

قلت : "إنه في لسان اليهود عظيم ، لا يقدرون أن يقولوا إن المسيح كان يتضرع إلى موسى ؛ وكل صاحب نبي يقول إن المسيح كان يتضرع إلى نبيه ، فلا فرق في الموضعين في الدعوى.

قال القاضي : ثم تكلمنا في مجلس ثالث.

فقلتُ له : "لِمَ اتحد اللاهوت بالناسوت"؟

قال : "أراد أن ينجي الناس من الهلاك" .

قلت له : هل درى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به كذا ، ولم يؤمن به اليهود ؛ فإن قلت إنه لم يدر ما أراد اليهود به ، بطل أن يكون إلها ، وإذا بطل أن يكون إلها ، بطل أن يكون ابنا ؛ وإن قلت إنه درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة فليس بحكيم ؛ لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء ، فبهت ! وكان آخر مجلس كان لي معه.

وسأل القاضي بعضُ الأساقفة بحضرة الملك فقال : ما فعلت زوجة نبيكم ؟ فقال مجيبا له على البديهة : هما امرأتان ذكرتا بسوء ؛ مريم وعائشة ، فبرأهما الله عزّ وجل ، وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد ، وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج . يعني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم عليهما السلام ، فإنّ تطرّق في الذهن الفاسد احتمال إلى هذه ، فهو إلى تلك أسرع ، وهما بحمد الله مبرأتان من السماء بوحي من الله عز وجلّ رضي الله عنهما"

ثم إنّ الطاغية ، وعد القاضي أبا بكر الاجتماع معه في محفل من محافل النصرانية ليوم سّماه ؛ فحضره أبو بكر وقد احتفل المجلس وبولغ في زينته ، فأدناه الملك وألطف سؤاله ، وأجلسه على كرسي دون سريره بقليل ، والملك في أهبته وخاصته عليه التاج والدرية ، ورجال مملكته على مراتبهم ؛ جاء البطريك قيّم ديانتهم وقد أوعد

الملك إليه في التيقظ ، وقال له : إنّ فنخاسرو ملك الفرس الذي سمعت بدهائه وكرامته ولا ينفذ إلا من يشبهه في رحلته وحيلته ؛ فتحفظ منه وأحضر ذهنك ، فلعلك تتلعق منه بسقطة ، أو تعثر منه على زلّة تقضي بفضلنا عليه ، فجاء البطرك آخر الناس ، حوله أتباعه يتلون الأناجيل ، ويبخرون بعود رطب وميعة مريم في زي حسن ، فلمّا توسط المجلس قام الملك ورجاله تعظيما له فقضوا حقّه ، ومسحوا أطرافه ، وأجلسه الملك إلى جنبه ، وأقبل على القاضي أبي بكر فقال : يا فقيه ! البطرك قيم الديانة وولي النّحلة ، فسلّم القاضي عليه أحفل سلام ، وسأله أحفل سؤال وقال له كيف الأهل والولد ؟ فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم، وتغيروا له ، وصلبوا على وجوههم ، وأنكروا قول أبي بكر عليه وقالوا له ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة إنك لسان الأمّة ومتقدم على علماء الملة أما علمت أناّ ننزه هولاء عن الأهل والأولاد؟ أ
فقال يا هولاء ، تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصاحبة والولد ، وتربون به عن ذلك ، و لا تستعظمونه لربكم عز وجهه فتضيفون ذلك إليه ، سوأة لهذا الرأي ما أبين غلطه! فسُقط في أيديهم ، فلم يردوا جوابا ؛ وتدالتهم له هيبة عظيمة ، وانكسروا ؛
ثم قال الملك للبطرك : ما ترى في أمر هذا الشيطان؟ قال تقضي حاجته ، وتلاطف صاحبه ، وتبعث بالهدايا إليه وتخرج هذا العراقي عن بلدك من يومك إن قدرت ، وإلا لم آمن الفتنة به على النصرانية ؛ ففعل الملك ذلك ، وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه ، وعجّل تسريحه ، وبعث معه عدّة من أسارى المسلمين والمصاحف ووكل بـ القاضي من جنده من يحفظه حتّى يصل إلى مأمنه"[747]

المناظرة الثانية :

مناظرة الشيخ واصل من أهل دمشق مع بِترك وقساوسة في الروم

" أسر غلام من بني بطارقة الروم ـ وكان غلاما جميلا -فلما صاروا إلى دار السلام وقع إلى الخليفة[748]، وذلك في ولاية بني أمية فسماه بشيرا ، وأمر به إلى الكتاب ؛ فكتب وقرأ القرآن وروى الشعر

---

[747] انظر : "تبيين كذب المفتري" لابن عساكر : (ص : 218-219) ؛ "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" : للقاضي عياض (57-68/7)؛ "المنتظم" لابن الجوزي : (96/15) ؛ "البداية والنهاية" لابن كثير : (549/15) ؛ "سير أعلام النبلاء" : (192/17).

[748] قال المحقق: "بهامش الأصل: وهو عبد الملك بن مروان" (ص: 29).

وقاس وطلب الأحاديث وحج . فلما بلغ واجتمع أتاه الشيطان فوسوس إليه وذكره النصرانية دين آبائه ؛ فهرب مرتدا من دار الإسلام إلى أرض الروم ؛ للذي سبق له في أم الكتاب . فأتي به ملك الطاغية فسأله عن حاله ، وما كان فيه ، وما الذي دعاه إلى الدخول في النصرانية ؟ فأخبره برغبته فيه فعظم في عين الملك ؛ فرأسه وصيره بطريقا من بطارقته وأقطعه قرى كثيرة ؛ فهي اليوم تعرف به ، يقال لها : قرى بشير .

وكان من قضاء الله وقدره أنه أسر ثلاثون رجلا من المسلمين ؛ فلما دخلوا على بشير ، سألهم رجلا رجلا عن دينهم ، وكان فيهم شيخ من أهل دمشق يقال له : واصل ؛ فساءله بشير ؛ فأبى الشيخ أن يرد عليه شيئا فقال بشير : ما لك لا تجيبني ؟

قال الشيخ : لست أجيبك اليوم بشيء !

قال بشير للشيخ : إني سائلك غدا فأعد جوابا ، و أمره بالانصراف .

فلما كان من الغد بعث بشير ؛ فأدخل الشيخ إليه

فقال بشير : الحمد لله الذي كان قبل أن يكون شيء ، وخلق سبع سماوات طباقا بلا عون كان معه من خلقه ؛ فعجبا لكم يا معشر العرب حين تقولون ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[749]

فسكت الشيخ.

فقال بشير : ما لك لا تجيبني ؟ فقال : كيف أُجيبك وأنا أسير في يدك ؛ فإن أجبتُك بما تهوى أسخطتُ عليّ ربيّ ، وهلكتُ في ديني ، وإن أجبتُك بما لا تهوى خفتُ على نفسي؟ فاعطني عهد اللّه وميثاقه وما أخذ النبيون على الأمم أنك لا تغدر بي و لا تمحل بي ولا تبغ بي باغية سوء ، وأنّك إذا سمعت الحق تنقاد له.

فقال بشير : فلك عليّ عهد اللّه وميثاقه وما أخذ اللّه عز وجلّ على النبيين وما أخذ النبيون على الأمم : أني لا أغدر بك ولا أمحل بك و لا أبغي بك باغية سوء وأنّي إذا سمعت الحق انقدت إليه .

قال الشيخ : أمّا ما وصفت من صفة اللّه عز وجل ؛ فقد أحسنت الصفة ، وأمّا ما ذكرت من هاذين الرجلين ؛ فقد أسأت الصفة ! ألم يكونا يأكلان الطعام ويشربان ويبولان ويتغوطان ويناما ويستيقظان ويفرحان ويحزنان؟

---

[749] "سورة آل عمران" : (آية : 59).

قال بشير : بلى.
قال فلم فرقتم بينهما؟
قال بشير : لأنّ عيسى ابن مريم – عليه السلام – كان له روحان اثنتان في جسد واحد روح يعلم بها الغيوب وما في قعر البحار وما ينحاث من ورق الأشجار ، وروح يبرئ به الأكمه والأبرص ، ويحي الموتى
قال الشيخ : روحان في جسد واحد؟!!
قال بشير : نعم.
قال الشيخ : فهل كانت القوية تعرف موضع الضعيفة بينهما أم لا ؟
قال بشير : قاتلك الله! ماذا تريد أن تقول إن قلت إنّها لا تعلم؟ وماذا تقول إن قلتُ إنّها تعلم؟
قال الشيخ : إن قلت إنها تعلم ، قلتُ : فما يغني عنها قوتهما حين لا تطرد هذه الآفات عنها! وإن قلتَ إنّها لا تعلم ، قلتُ فكيف تعلم الغيوب ولا تعلم موضع روح معها في جسد واحد؟!
فسكت بشير!
قال الشيخ : أسألك بالله! هل عبدتم الصليب مثَلا لعيسى بن مريم أنّه صلب ؟
قال بشير : نعم .
قال الشيخ نشدتك بالله ! هل كان عيسى يأكل الطعام ويشرب ويصوم ويصلي ويبول ويتغوط وينام ويستيقظ ويفرح ويحزن؟
قال : نعم .
قال الشيخ : نشدتك بالله ! لمن كان يصوم ويصلي؟
قال لله عز وجل ؛ ثم قال بشيرٌ : والضار والنافع ، ما ينبغي لمثلك أن يعيش في النصرانية! أُراك رجلا قد تعلمت الكلام ، وأنا رجل صاحب سيف ، ولكن غدا آتيك بمن يخزيك الله على يديه! ثم أمره بالانصراف .
فلما كان من غد ، بعث بشير إلى الشيخ ، فلما دخل عليه إذا عنده قس عظيم اللحية.
قال له بشير : إن هذا رجل من العرب له علم وعقل وأصل في العرب ، وقد أحب الدخول في ديننا ؛ فكلمه حتى تنصره ؛
فسجد القس لبشير وقال : قديما أتيتَ إلى الخير وهذا أفضل مما أتيتَ إليّ .

ثم أقبل القس على الشيخ فقال : أيها الشيخ ! ما أنت بالكبير الذي قد ذهب عقله وتفرق عنه حلمه [ولا أنت بالصغير الذي لم يستكمل عقله ولم يبلغ حلمه] غدا أُغْطِسُك في المعمودية غطسة تخرج منها كيوم ولدتك أمك!
قال الشيخ : وما هذه المعمودية ؟
قال القس : ماء مقدس .
قال الشيخ : من قدسه ؟
قال القس : قدسته أنا والأساقفة قبلي .
قال الشيخ : فهل كان لكم ذنوب وخطايا ؟
قال القس : نعم ؛ غير أنها كثيرة .
قال الشيخ : فهل يقدس الماء من لا يقدس نفسه ؟
قال : فسكت القس ؛ ثم قال : إني لم أقدسه أنا !
قال الشيخ فكيف كانت القصة إذاً ؟
قال القس : إنما كانت سُنّة من عيسى بن مريم.
قال الشيخ : فكيف كان الأمر ؟
قال القس : إن يحيى بن زكريا أغطس عيسى ابن مريم - عليهم السلام - بالأردن غطسة ومسح برأسه ودعا له بالبركة.
قال الشيخ : فاحتاج عيسى إلى يحيى يمسح رأسه ويدعو له بالبركة ؟ فاعبدوا يحيى خير لكم من عيسى إذاً ؟
فسكت القس ؛
فاستلقى بشير على فراشه وأدخل كمّه في فيه وجعل يضحك ؛ قال للقس : قم أخزاك الله ، دعوتك لتنصّره فإذا أنت قد أسلمت!
قال : ثم إن أمر الشيخ بلغ الملك ؛ فبعث إليه ؛ فقال : ما هذا الذي قد بلغني عنك وعن تنقصك ديننا ووقيعتك ؟
قال الشيخ : إن لي دينا كنتُ ساكتا عنه ، فلمّا سُئلت عنه لم أجد بداً من
الذبّ عنه"
قال الملك : فهل في يدك حجج ؟
قال الشيخ : نعم ! أدع إلي من شئت يحاججني ؛ فإن كان الحق في يدي فَلِمَ تلومني عن الذب عن الحق ؟ وإن كان الحق في يديك ، رجعت إلى الحق.
فدعا الملك بعظيم النصرانية ؛ فلما دخل عليه سجد له الملك ومن

عنده أجمعون .
قال الشيخ : أيها الملك من هذا ؟
قال الملك : هذا رأس النصرانية ، هذا الذي تأخذ النصرانية دينها عنه .
قال الشيخ : فهل له من ولد أم هل له من امرأة أم هل له من عقب ؟
قال الملك : ما لك خزاك اللّه ! هذا أزكى وأطهر من أن يتدنّس بـ النساء ، هذا أزكى وأطهر من أن ينسب إليه ولد ، وهذا أزكى وأطهر من أن يتدنس بالحيض ، هذا أزكى وأطهر من ذلك.
قال الشيخ : فأنتم تكرهون لآدمي يكون منه ما يكون من بني آدم من الغائط والبول والنوم والسهر وبأحدكم من ذكر النساء ، وتزعمون أن رب العالمين سكن في ظلمة الأحشاء وضيق الرحم ودُتِّس بالحيض؟
قال القس : هذا شيطان من شياطين العرب رمى به البحر إليكم ؛ فأخرجوه من حيث جاء .
فأقبل الشيخ على القس ، فقال عبدتم عيسى ابن مريم أنه لا أب له ؛ فهذا آدم لا أب له ولا أم له ، خلقه اللّه عز وجل بيده وأسجد له م لائكته ؛ فضموا آدم مع عيسى حتى يكون لكم إلهان اثنان!؟
فإن كنتم إنما عبدتموه لأنه أحيا الموتى ؛ فهذا حزقيل تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة و الإنجيل ، لا ننكره نحن ولا أنتم ، مر بميت فدعا اللّه عز وجل له فأحياه حتى كلمه ؛ فضُمّوا حزقيل مع عيسى حتى يكون لكم حزقيل ثالث ثلاثة!؟
وإن كنتم إنما عبدتموه لأنه أراكم العَجب ، فهذا يوشع بن نون قاتل قومه ، حتى غربت الشمس ؛ قال لها : ارجعي بإذن اللّه؛ فرجعت اثني عشر برجا ؛ فضموا يوشع بن نون مع عيسى يكون لكم رابع أربعة ؟!
وإن كنتم إنما عبدتموه لأنه عرج به إلى السماء ، فمن ملائكة اللّه عز وجل مع كل نفس اثنان بالليل واثنان بالنهار يعرجون إلى السماء ، ما لو ذهبنا نعدهم لالتبس علينا عقولنا واختلط علينا ديننا وما ازددنا في ديننا إلا تحيُّرًا!؟
ثم قال : أيها القس : أخبرني عن رجل حل به موت ، أيكون أهون عليه أو القتل؟

قال القس : القتل .
قال : فلِم لم يقتل عيسى أمّه ، عذّبها بنزع النفس ؟ إن قلتَ إنّه قتلها ؛ فما برّ أمّه منْ قتَلَها !
وإن قلتَ إنّه لم يقتلها ؛ ما برّ أمّه من عذّبها بنزع النفس؟!
قال القس : اذهبوا به إلى الكنيسة العظمى ، فإنّه لا يدخلها أحدٌ إلا تنصّر!
قال الملك : اذهبوا به .
قال الشيخ : لماذا يُذهب بي ولا حجة عليّ دُحِضَتْ ؟
قال الملك: لن يضُرّك ، إنمّا هو بيتٌ من بيوت ربّك عزّ وجلّ ، تذكر الله عزّ وجلّ فيه.
قال الشيخ : إنْ كان هكذا فلا بأس .
قال : فاذهبوا به ؛ فلمّا دخل الكنيسة ، وضع أصبعه في أذنيه ورفَع صوته بالأذان ؛ فجزعوا لذلك جزعا شديدا وضربوه ولَبّبُوه وجاءوا به إلى الملك فقالوا: يأيها الملك!
أحلّ بنفسه القتل؟
فقال له الملك: لِمَ أحللتَ بنفسك القتل؟
فقال أيها الملك : أين ذهب بي ؟
فقال: ذهبوا بك إلى بيت من بيوت الله عزّ وجلّ لتذكر فيه ربك عزّ وجلّ !
قال: فقد دخلتُ وذكرت ربي بلساني وعظمّته بقلبي ، فإن كان كلما ذكر الله في كنائسكم يصغر دينكم ؛ فزادكم الله صغارا!
قال الملك : صدق ، ولا سبيل لكم عليه.
قالوا : أيها الملك ! لا نرضى حتىّ تقتله.
قال الشيخ : إنّكم متى قتلتموني ، فبلغ ذلك ملِكنا وضع يده في قتل القسيسين والأساقفة وخرّب الكنائس وكسر الصلبان ومنع النواقيس.
قال: فإنّه يفعل؟
قال نعم ! فلا تشكّوا!
ففكّروا في ذلك ؛ فتركوه .
قال الشيخ : أيها الملك ! ما عاب أهلُ الكتاب على أهل الأوثان ؟
قال : بما عبدوا ما عملوا بأيديهم.
قال فهل أنتم تعبدون ما عملتم بأيديكم ؛ هذا الذي في كنائسكم؟

فإن كان في الإنجيل؛ فلا كلام لنا فيه ، وإن لم يكن في الإنجيل فَلِم تشبّه دينك بدين أهل الأوثان؟
قال الملك : صدَق ؛ هل تجدون في الإنجيل ؟
قال القس : لا .
قال الملك : فَلِم تشبّه ديني بدين أهل الأوثان؟ فأمر بنقض الكنائس ؛ فجعلوا ينقضونها ويبكون.
قال القس : إنّ هذا لشيطانٌ من شياطين العرب رمى به البحر إليكم ؛ فأخرجِوه من حيث جاءَ ؛ فلا يقطر من دمه قطرة في بلادكم ؛ فيفسد عليكم دينكم. فوكلوا به رجالا؛ فأخرجوه إلى بلاد دمشق ، ووضع الملك يده في قتل القسيسين والأساقفة والبطارقة حتّى هربوا إلى الشام لأنّهم لم يجدوا أحداً يحاجّه"[750] اهـ.

الأسلوب الرابع:

أسلوب الوعظ والتذكير

وفي هذا الأسلوب يقوم الراد بوعظ النصراني وتذكيره بما يحصّله من الخير إن آمن بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، وبعيسى بن مريم عليه السلام عبدا لله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وما يصيبه من الشر إن كفر بهذه العقيدة النقية وأبى إلا ّ أن يكون مشركا بالله عز وجل.
وأصل هذا الأسلوب مأخوذ من الكتاب والسنة ومما يدل عليه في القرآن الكريم قوله تعالى : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلا ّ الْحَقّ إِنّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً}.[751]
وأمّا ما يدل على ذلك من السنة فرسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك النصارى وأساقفتهم أكثرها تمَثّل هذا الأسلوب.
وهذه نماذج من ردود أهل العلم مصطبغة بهذا الأسلوب الجميل. من ذلك

---

[750] "جزء فيه شروط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النصارى وفيه حديث واصل الدمشقي ومناظرته لهم رضي الله عنه" (ص : 28- 39) ؛ "تاريخ دمشق" لابن عساكر (382-377/62).
[751] "سورة النساء" : (آية : 171).

قول حاطب رضي الله عنه للمقوقس عظيم القبط :"إنه قد كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فأخذه الله نكالة الآخرة والأولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يُعتبر بك وإنّ لك دينا لن تدعه إ لا لما هو خير منه وهو الإسلام الكافي به الله فقد ما سواه إنّ هذا النبي دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم اليهود وأقربهم منه النصارى ، ولعمري ما بشارة موسى بعيسى ابن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فَهُم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به"إلخ[752]

وقول القاسم الرسي للنصارى : "فأنصفوا الحق من أنفسكم تخرجوا بإذن الله بإنصافكم من لبسكم ، وارفضوا للحق أهواءكم تسعدوا في دينكم ودنياكم، وأقيموا ما أنزل الله إليكم من ربّكم من التوراة والإنجيل ، واتركوا الافتراء على الله فيها ، بعمى التأويل تهتدوا إن شاء الله ، لقصد سبيلكم وتأكلوا- كما قال الله- من فوقكم ومن تحت أرجلكم وافهموا قول العزيز الوهاب فيكم وفي غيركم من أهل الكتاب : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّورَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهمْ أُمَّةٌ مُقْتِصدَةٌ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[753] إلخ[754]

وقول الباجي رحمه الله : "وأنت أيها الراهب الذي نحرص على تخليصك من الضلالة ، إن سمعتَ نصحنا لك ، وأطعتنا فيما به أمرناك ، ورَدتَ الآخرة في جملتنا من أتباع محمد عليه السلام ، النبي المكرّم ، فتسعد بشفاعته ، وتشرب من حوضه ، وتسكن الجنّة معه!"

"ونحن نسأل الله أن لا يعدل بنا عن الطريقة المُثلى ، ولا يصرفنا عن سبيل الهدى وأن يستنقذك من مكائد إبليس التي أنت فيها مُتورّط، وبحبائلها متعلِق وبخدعها متحيّر . من تمادى عليها نال الشِّقوة وطول الحسرة في عرصة القيامة ، ويوم الندامة؛

يوم لا ينفع نصح ، ولا يُقبل عُذْر

---

[752] سبق تخريجه (ص: 117).

[753] "سورة المائدة" : (آية : 66).

[754] "الرد على النصارى" للرسي : (ص : 42).

﴿وَيَومَ يَعَضُ الظَالِمُ عَلَى يَدَيهِ﴾[755] ﴿وَيَقُولُ الكافِرُ يَا لَيتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[756]
ولا مستقرّ يومئذ إلا ّ الجنّة أو النار، فمن آمن وعمل صالحا، فـ الجنة مأواه، ومن جعل لله صاحبة أو ولداً فدَرْك النار مثواه، أعاذنا الله منها، وأماتنا على الإسلام المبعد عنها"
"فلا يغُرَنّك أيها الراهب حُظوتك عند أهل مِلّتك ومكانتُك في مكانك ، واستجلابُ نفوسهم ، واستمالةُ قلوبهم بألفاظ تزخرفها لا تعلم معانيها ، ولا تعرف حقيقة المراد بها، ولا مقتضى القول فيها من قولك : (الجواب الروحاني والكلام الإلهي) وما أشبه ذلك من ألفاظ كثيرة سمعتها فنقلتها إلى غير موضعها ، واستعملتها إلى غير وجهها ، فإنّك لو سئلت عن مقتضى ذلك لأسلمك عدم معرفتك إلى العي والحصر ، والعجز عن التقدم والتأخر ، فإن استعمالك على غير وجهها دليل على جهلك بها"
"فإن قبلت نصحي وسمعت موعظتي ، أخرجناك بعون الله من ظلمة الجهل إلى نور العلم ، ومن حَيرة الشك إلى تيَقّن الحق، وأريناك من طرق الاستدلال، وتمييز البراهين والأمثال ، ما يشرح صدرك ، وينوّر قلبك ، وتعلم به الحقائق ، ومعاني هذه الألفاظ التي أنت بها معجَب، ومخطيء في إيرادها على غير وجهها، وتتيقن أنها من أقل أبواب الكلام، وأضعف ما يتمسك به ذوو الأحلام".
"وإن أبيت إلا الاستكبار والعُتُوّ والإصرار، والغلو والإلحاد، والطغيان والعناد والعصيان، فإنك لن تعجز ربّك، ولن تنجو من ذنبك وذنوب من اتبعك وضلّ بك . والكلام بغير علم في الدين كذب وإفك على رب العالمين ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَالِمِينَ﴾[757]
فلا تؤثر على خلاص نفسك وخلاص من تبعك شيئا من عرض الدنيا وزُخرفها، فإنك لا ينفعك جهل من اغتر بك فيها يوم الورود على ربك"
"وقد أودعنا صاحبيك الواردَين علينا سراً وجهراً وبدءاً وعوداً ما

---

[755] "سورة الفرقان" : (آية : 27).
[756] "سورة النبأ" : (آية : 40).
[757] "سورة هود" : (آية : 18).

نعتقده مما أعزنا الله به من الإسلام وخصّنا به من بين الأنام ، وأكرمنا به من اتباع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

.{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا تَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.[758]

.{فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}.[759]

والله نسأل أن يهديك ويهدي بك، مَن قِبَلَك فتفوز بأجورهم ، وتكون سببا إلى استنقاذهم فأنت فيما بلغنا مُطَاعٌ فيهم والسلام على من اتبع الهدى"[760]

---

(758) "سورة آل عمران" : (آية : 64).

(759) "سورة آل عمران" : (آية : 61).

(760) "رسالة راهب فرنسا" : (ص : 97-101).

الأسلوب الخامس:

أسلوب التحدّي:

ومقتضى هذا الأسلوب أن يباري المسلم الراد النصارى ويتحداهم أن يأتوا بشيء يعلم يقينا أنه لا يوجد في كتبهم ، أو يفنّد دعوى معينة ادعوها ويتحداهم على إثبات صحتها وهو درجة في الإفحام عالية لمن بناه عن علم ويقين.

وأصل هذا الأسلوب موجود في الكتاب والسنّة فإن اليهود لما أنكروا النسخ في التوراة أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتحداهم بأن يأتوا بالتوراة ليرى صدق دعواهم من كذبها وذلك في قوله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كانَ حِلا ً لِبَنِي إِسْرائيلَ إلا ّ مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزّلَ التّوْرَاةُ قُلْ فَأتُوا بِالتّوْرَاةِ فَاتلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِين}.[761]

ومن أمثلة ذلك في ردود العلماء ما حدث بين الشيخ أحمد ديدات و القس جيمي سواغرت فإن هذا القسيس ادّعى أن النُّسخ المخطوطة للكتاب المقدس تبلغ أربعة وعشرين ألف نسخة ترجع أقدمها إلى القرن الثالث بعد الميلاد مستدلا بذلك على عدم الحاجة إلى النسخة الأصلية اكتفاءا بهذا الكم الهائل من المخطوطات . فتحداه الشيخ أحمد ديدات عافاه الله قائلا : "ائتني بنسختين متشابهتين من بين هذه (24) ألف مخطوطة فبهت الذي كفر[762]

الأسلوب السادس:

أسلوب المباهلة

المباهلة هي أن يجتهد كل من الفريقين المتخاصمين في الدعاء بأن يلعن الله الكاذب منهما وينزل عليه عقوبته وقد تكون من طرف واحد كما سيأتي.

إن "آخر الدواء الكي" كما يقال، فإذا "بلغ السيل الزبى" بأن أقيم على النصراني كل ما يمكن من الحجج والبراهين على فساد عقيدته ، وصحة دين الإسلام وأجيب عن جميع شبهه بأجوبة مقنعة لكن مع ذلك تمادى في غيه وعناده ، وجادل في الحق بعدما تبين دُعي إلى المباهلة.

---

(761) "سورة آل عمران" : (ص : 93).

(762) شاهد : "المناظرة الكبرى بين الشيخ أحمد ديدات والقس جيمي سواغرت" مسجل على شريط فيديو.

وقوّة هذا الأسلوب وتميّزه يكمنان في مفعوله وتأثيره الواضح المكشوف ؛ فإن هلاك من باهل على باطل أمر مجرب وفي ذلك يقول أحد رؤساء وفد نصارى نجران لصاحبيه "فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا" [763].

ويقول ابن حجر رحمه الله : "ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لاتمضي عليه سنة من المباهلة"[764]

واعلم أنّ الرد على النصارى عن طريق المباهلة مسلك أرشد إليه القرآن وذلك في قوله تعالى: {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ}[765] ودعى إليها المصطفى صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران كما سبق معنا مراراً.

وقد أكّد العلماء عليهم رحمة الله على مشروعية المباهلة وأهميتها في الرد

فعدّ ابن القيم رحمه الله من فوائد قصة نصارى نجران : "أن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله ولم يرجعوا ، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة ، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله ، ولم يقل إن ذلك ليس لأمتك من بعدك ، وهذا من تمام الحجة"[766] اهـ ملخصا.

وقال ابن حجر رحمه الله فيما ذكر من فقه القصة المذكورة : "وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لاتمضي عليه سنة من المباهلة ، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين" [767] اهـ ملخصاً

لكن للمباهلة شروط لا يلجأ إليها إلا إذا توفرت تلك الشروط.

قال القاسمي رحمه الله: "قال الكازوروني في تفسيره: (وقع البحث عند شيخنا العلامة الدواني قدس الله سره في جواز المباهلة بعد

---

[763] رواه البخاري "كتاب المغازي": باب: "قصة أهل نجران" رقم: [4381] (4991/8).

[764] فتح الباري (8/ 95).

[765] "سورة آل عمران" : (آية : 61).

[766] زاد المعاد (3/ 643).

[767] فتح الباري (8/ 95) وانظر هذه القصة التي أشار إليها الحافظ في "مصرع التصوف " لبرهان الدين البقاعي (ص/ 139 ـ 150).

النبي صلى الله عليه وسلم فكتب رسالة في شروطها المستنبطة من الكتاب والسنة والآثار وكلام الأئمة. وحاصل كلامه فيها : **أنها لا تجوز إلا في أمر مهم شرعا وقع فيه اشتباه وعناد ولا يتيسر دفعه إلا بالمباهلة ، فيشترط كونها بعد إقامة الحجة والسعي في إزالة الشبهة ، وتقديم النصح والإنذار وعدم نفع ذلك ، ومساس الضرورة إليها)**"[768] اهـ.

ويشترط كذلك أن يكون المسلم على يقين من حجته وصحة دعواه ، وعلى فساد دعوى النصراني وبطلان قوله ، وله أن يشترط عليه متابعته على الحق متى ظهر ذلك بالمباهلة إن لم تكن المباهلة بـ الدعاء بالموت أو على أتباعه إن كان بالدعاء به (أي الموت)[769]

ويمثل لهذا الأسلوب بما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين وفد نصارى نجران وبما ذكره ابن العربي قال رحمه الله : "روي أن رجلا من النصارى وكان بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول أشهد (أن محمداً رسول الله) قال حُرّق الكاذب ، فسقطت في بيته شرارة من نار وهو نائم فتعلقت النار بالبيت فأحرقته ، وأحرقت ذلك الكافر معه وكانت عبرة للخلق ، والبلاء موكّل بالمنطق"[770] وهذا مثال على المباهلة من طرف واحد.

---

[768] "محاسن التأويل " للقاسمي : (116/4).

[769] انظر : "منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل العقيدة" للدكتور عثمان علي حسن : (851/2).

[770] "أحكام القرآن" لابن العربي : عند تفسيره لـ"آية : 18) من "سورة المائدة"

هذا، وفي مباهلة النصراني المعاند عدة فوائد منها:

1. إحقاق الحق وإبطال الباطل بأقوى الأساليب وأجرئها وأوضحها حيث يستوي في إدراكها العامة والخاصة.
2. أن المسلم يثبت عظم ثقته بدينه ، وعظم يقينه ببطلان غيره وهذا له تأثير عظيم في نفوس المسلمين ، وفي نفوس النصارى أيضا .
3. أن النصراني لما يدعوه المسلم إلى المباهلة إما أن يرجع عن عقيدته ويدخل في الإسلام وهذا أعظم ما يسعى لتحقيقه، وإما أ لا يسلم وفي هذه الحال إما أن يستجيب لمباهلته وإما ألا يستجيب له، فإن أبى أن يستجيب انهتك ستره، وانكشف أمره، وظهر انقطاعه، وتم افحامه، وإن تجرأ وأقدم عليها حل به ما دعي به على نفسه من اللعنة والهلاك فيكون عبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين وبذلك يريح الله المسلمين من شره ، وتظهر حجة الإ سلام وتسطو وتنقمش شبهة الكفر وتخبو.

الأسلوب السابع:

أسلوب الاستهزاء والسخرية

وهذا الأسلوب اتبعه بعض من ردّ على النصارى أيضا واستعمالهم له في حالين :

الحال الأولى : استعمالهم له ابتداءاً وهذا لا ينبغي لأنه يتنافى مع الرد بالتي هي أحسن

الحال الثانية : استعمالهم له في رد عدوان النصراني ، وهذا لا بأس به[771]

، وهي كما ترى دل عليها القرآن والسنة واستعملها العلماء الذين ردوا على النصارى،هذه بعض أساليب الرد على النصارى وكل واحد منها يحصل به المقصود ويتحقق به الهدف المنشود على أن بينها تفاوتا من ناحية القوة ، والسهولة ، والشمول ، والتأثير إلخ فينبغي استعمال كل أسلوب في أنسب المواضع وأمثلها كما أن في تنويع استعمالها تكثير الحجة ، وتنشيط الموقف ، وجذب الانتباه وقمة الإقناع.

***

المبحث السابع:

طرق الرد على النصارى

المقصود بـ"طرق الرد على النصارى" في هذا البحث المناهج التي يتبعها العلماء المسلمون في الرد على النصارى وهي مناهج متعددة لكن يمكن إرجاعها إلى أصول ثمانية هي :

المنهج الأول:

المنهج التفسيري

---

(771) انظر : "الشرط الأول من شروط الرد على النصارى المتعلقة بالرد" (ص: 151).

يقوم هذا المنهج على تفسير النصوص تفسيرا صحيحا على خلاف ما يعتقده النصارى فيه من العقائد الباطلة مع الا ستشهاد بنصوص مؤيدة لذلك.
وله صورتان :
الصورة الأولى : التسليم جدلا بصحة الكتاب المقدس ، ثم البحث فيه عن العبارات التي توهم عقيدة فاسدة والتي يتشبث بها النصارى فتفسر تفسيرا يتناسب مع العقيدة الصحيحة مع الاستشهاد بعبارات وألفاظ أخرى من نفس الكتاب تدل على صحة ذلك التأويل [772]

وممن استعمل هذا المنهج بهذه الصورة قبل القرن السابع [773] **الرسي** [774] و**الباقلاني** [775] ، و**الغزالي** [776] ولعل الغزالي هو الذي أصّل هذا المنهج وهذّبه لما أسسه على أصلين ذكرهما في أول كتابه هما [777]

الأصل الأول : "إن النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت ظواهرها ، وإن خالفت صريح المعقول ، وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب ردّها إذ ذاك إلى المجاز" [778]

الأصل الثاني : أن الدلائل إذا تعارضت فدلّ بعضها على إثبات حكم وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة إلا إذا أحسسنا " من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع ، وامتناع جعلها متظافرة على معنى واحد" [779]

وبناءاً على هذا المنهج وطبقا لهذه الصورة إذا أراد الراد المسلم أن يبطل إلهية المسيح عليه السلام يستعرض ما في العهد الجديد من ألفاظ وعبارات دالة على إنسانية عيسى عليه السلام ، مثل العبارات التي تدل على تصرفه الإنساني من السعي والأكل والشرب ، والعبارات التي تصرح بأنه إنسان، فيقولون إنها هي المرادة للمسيح عليه السلام ، وهي الدالة على حقيقة أمره ، ثم يتبعون ذلك بالعبارات والألفاظ الموهمة لإلهيته مثل عبارات "الابن" و "بنوة" و "حلول" و "الأب" و "الأ بوة" ويفسرونها تفسيراً مجازياً يقولون فيه إن ظاهرها غير مراد ؛ لأن العقل يحيل إرادة هذا الظاهر ، ولأنها تتعارض مع العبارات والألفاظ الأخرى الدالة على إنسانيته [780]

قال الغزالي بعد تقريره للأصلين السابقين: "وإذا تقرر ذلك فلنشرع الآن في ذكر النصوص الدالة على التجوز في إطلاقه ما يوهم الإلهية على نفسه والنصوص الدالة على التجوز في مسألة الاتحاد كقوله "أنا والأب واحد، ومن رآني فقد رأى الأب "وأنا في الأب ، والأب فيّ" [781] ثمّ نتبع ذلك بذكر النصوص الدالة على إنسانيته المحضة ونجمع بينها وبين النصوص المثيرة لهم شبها نكصت أفهامهم لقصورها عن تأويلها، فعمو وضلوا بالغين في إيضاحها، وكشف الغطاء عن مشكلاتها، مبلغا يرجع معه إلى الحق ، باهر الرواء، ظاهر في السناء" [782]

مثاله : قال الغزالي : "النص الثاني : نص عليه يوحنا المذكور في إنجيله وفي الفصل السابع والثلاثين : "أيها الأب القدّوس احفظهم باسمك الذي أعطيتني ليكونوا معك واحداً كما نحن) قال : هذا النص كالنص الذي قبله سواء مؤكداً في صرفه عن الحقيقة إلى المجاز المذكور. وبيانه : أنه عليه السلام دعا الله عز وجل لتلامذته أن يكون حافظا لهم باسمه حافظا مثل حفظه له ليحصل بذلك الحفظ وحدة بالله ، ثم أتى بحرف التشبيه فقال: (كما نحن) أي تكون تلك الوحدة كوحدتي معك، فإن تكن وحدته مع الإله موجبة له استحقاق الإلهية فيلزم أن يكون داعيا لتلامذته أن يكونوا آلهة، بل هذا محمول على المجاز ، فضلا عن من يكون له أدنى خيال صحيح،وخطور ذلك ببال من خلع ربقة العقل قبيح

---

[772] انظر : "مقدمة تحقيق كتاب: الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 29-30). والمحقق هو الدكتور محمد محمد حسانين.
[773] لأن العلماء الذين ردوا على النصارى ابتداءاً من أوائل القرن السابع لم يتقيدوا بمنهج معين بل جمعوا بين أكثر المناهج التي يأتي ذكرها.
[774] في كتابه : "الرد على النصارى"
[775] في كتابه "التمهيد"
[776] في كتابه : "الرد الجميل"
[777] أشار إلى ذلك الدكتور محمد محمد حسانين في مقدمة تحقيق كتاب "الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 30)
[778] انظر: بطلان هذه القاعدة في باب: "القواعد الفاسدة" (ص: 573).
[779] "الرد الجميل" : (ص : 32-35).
[780] انظر : "مقدمة تحقيق كتاب الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 30).
[781] انظر: "إنجيل يوحنا": (10/30-36).
[782] "الرد الجميل" : (ص : 38).

"المذكور
وقد بين عليه السلام أيضا في النص أن وحدته معه مجاز، وأنه ليس إلها حقيقة بقوله: (ليكونوا معك " : إلى أن قال إذ ،واحداً كما نحن) يريد: إذا حصل لهم منك توفيق، صيّرهم لا يريدون إلا ما تريده كانت وحدتهم معك كوحدتي معك وبقوله أيضا: (أيها الأب القدوس احفظهم باسمك) داعيا .هذه حالتي معك لأنني لا أريد إلا ما تريده، ولا أحب إلا ما تحبه .لهم الإله الذي بيده النفع والضر، ولو كان نفسه إلها لكان قادرا على حفظهم من غير أن يتضرع لغيره ويسأله الحفظ .فاعجب لهذه الإشارات التي نبّه بها على إرادة المجاز وصرف الكلام عن ظاهره
فقال (فمن اعتصم ،وقد صرّح بولس في رسالته التي سيّرها إلى قورنثيَة بمثل ذلك لم ًا فهم المراد من هذه النصوص
وهذا التصريح منه يدل على أنه فهم عين ما فهمناه وفهم أن هذه النصوص ليست [783] بربنا فإنه يكون معه روحاً واحداً
"ظواهرها مرادة [784]

" "المُتَشَابِهُ يُرَدُّ إِلىَ المُحْكم:ومن التعبيرات التي يُعَبّر بها عن هذه الصورة من المنهج التفسيري [785]

أو من ينازع في ذلك [786] وهذا المنهج بهذه الصورة يستعمله من لا ينازع في ثبوت ألفاظ الكتاب المقدس من المسلمين .لكن سلم تسليما جدليا كما سبقت الإشارة إليه
الصورة الثانية : التسليم جدلا بصحة استدلال النصارى بمصادر التشريع الإسلامي- الكتاب والسنة- ثم بيان خطأ استدلا
وهذا هو المنهج الذي يتبعه علماء المسلمين في الرد على استدلالات النصارى [787] لهم بنصوص أخرى من نفس المصادر
بالكتاب والسنة غالبا [788]

على أن كل ما في الكتاب المقدس حق لا [789] }ذَلِكَ الكِتَابُ لا رَيبَ فِيهِ{ : إذا استدل النصارى بقوله تعالى:**مثاله** شك فيه لأن المقصود بالكتاب في الآية حسب زعم بعضهم هو الكتاب المقدس قال له المسلم لكن الكتاب الوارد في هذه ا آلر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينُ . إنا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً { :لآية المقصود به القرآن كما جاء الإفصاح به في آية أخرى وهي قوله تعالى
}عَرَبِيًا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ [790][791]

---

(783) انظر: "رسالة بولس إلى أهل كورنثوش": (17/6).
(784) "الرد الجميل" : (ص : 41-42).
(785) انظر أمثلة تطبيقية لهذا المنهج بهذا المفهوم في : "الإعلام" : (ص : 64،67)؛ "التخجيل" : (119،264،409،412-413/1)؛ "الرد على النصارى" للجعفري: (60-61)؛ "الجواب الصحيح" : (378/1، 379)، (193-194،360-361،398،419/3)، (119،128،146/4).
(786) انظر : "الجواب الصحيح" : (394/2).
(787) انظر : قاعدة "لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن ما داموا نصارى" ص: 506) وقاعدة : "القرآن يؤخذ كله" (ص: 531).
(788) انظر : قاعدة "لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن ما داموا نصارى": (ص: 506) وقاعدة : "القرآن يؤخذ كله": (ص: 531).
(789) "سورة البقرة" : (آية : 2).
(790) "سورة يوسف" : (آية : 1-2).
(791) انظر أمثلة وتطبيقات أخرى لهذا المنهج عند الكلام في: قاعدة: "لا يصح للنصارى أن يحتجوا بشيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم": (ص: 506) و قاعدة : "القرآن يؤخذ كله" (ص: 531).

المنهج الثاني:
المنهج العقلي
"يقوم هذا المنهج على أساس "لا معقولية" عقائد النصارى في "التجسد" و "الصلب والفداء" و "الخطيئة الأولى" والأقانيم وإنكار نبوة نبينا محمد صلى ،وعصمة التلاميذ وعظماء الدين وقرارت مجمع نيقية الذي تقررت فيه عقيدة تأليه المسيح وإنكار نبوّة نبينا صلى الله عليه وسلم وهذا المنهج وإن كان موجوداً في [792] الله عليه وسلم وإنكار صحة القرآن الكريم القرآن لكن المعتزلة هم أول من استعمله في الرد على النصارى من حيث الجملة [793]

وهذا المنهج له صور كثيرة هذه عشر منها:

الصورة الأولى: المقارنة

، من المعلوم "أن المرسلين يتفاضلون تارة في الكتب المنزلة عليهم ، وتارة في الآيات والمعجزات الدالة على صدقهم وتارة في الشرائع وما جاءوا به من العلم والعمل، وتارة في أممهم" [794]

فكان العلماء الذين ردوا على النصارى يتبعون هذا المنهج لإثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وأفضليته ، وأفضلية أصحابه ، وأفضلية كتابه الذي جاء به.

أمّا بالنسبة للنبي صلى الله عليه سلم فيقارنون بين معجزاته ومعجزات غيره من الأنبياء قبله وبين البشارات به و البشارات بغيره ، وبين الطعون المزعومة الموجهة إليه والطعون المزعومة الموجهة إلى غيره.

وبالنسبة للقرآن الكريم يقارنون بين طريقة نقله وطريقة نقل غيره من الكتب المنزلة قبله ، وبين محتواه من شرائع وأحكام وأخلاق ومحتوى غيره ، وبين حفظه وحفظ غيره ، وبين الطعون التي تزعم توجيهها إليه والطعون الموجهة إلي غيره.

وبالنسبة لصحابته يقارنون بين فضل أصحابه وفضل أصحاب غيره من الأنبياء قبله، وبين الطعون الموجهة إليهم و الموجهة إلى غيرهم.

وبالنسبة لأمته يقارنون بين وسطية أمته وبين افراط اليهود وتفريط النصارى في أسماء الله وصفاته، وفي أنبياء الله و الصالحين ومنهم المسيح عليه السلام مع التنبيه على بعض ميزاتها مثل ما منّ الله عليهم من العناية بكتاب نبيهم وسنته وشرعه ، وما وفقهم إليه من عدم اجتماعهم على الضلالة، وعصمة إجماعهم ، وهداية الله لهم لما اختلف فيه الأمم قبلهم من الحق بإذنه، وأنه لا تزال فيهم طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

كل ذلك ليصلوا إلى النتيجة الحتمية وهي أنه لا يمكن أن تكون اليهودية والنصرانية حقا والإسلام باطلا، وأنه **"يَمْتَنِعُ مَعَ "تَكْذِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْلُ بِصِدْقِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ** [795] وأنه **"مَا مِنْ مَطْعَنٍ مِنْ مَطَاعِنِ أَعْدَاءِ الْأَنْبِيَاءِ يُطْعَنُ بِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَيُمْكِنُ توجيهُ ذَلِكَ الطَّعْنِ وَأَعْظَمَ مِنْهُ إِلَى مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ"** [796]

،وقد سلك العلماء هذا المنهج بهذه الصورة في الرد على النصارى وخاصة في إثبات نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودفع الشبهات عنه وعن صحابته وعن كتابه وعن أمته الذين آمنوا به [797]

الصورة الثانية : المنع والمطالبة

---

(792) انظر: "مقدمة تحقيق كتاب الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 34-37).

(793) انظر : "مقدمة "مقدمة تحقيق كتاب الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 34-37).

(794) "الجواب الصحيح" : (133/5) ؛ (100/3).

(795) انظر : "الجواب الصحيح" : (5/2-6 ، 51) ؛ (6/2) وانظر أيضا : "هداية الحيارى" : (ص : 529، 531، 575).

(796) انظر : "الجواب الصحيح" : (6/2).

(797) انظر : "الفصل" لابن حزم : (112/1) ، (155/1) ، (162/1) ، (207/1) (221/1) ، (2/2) ، (41/2) ، (73/2) ، (81/2) (82/2) ، (74/2) ، (76/2) ؛ "الجواب على رسالة راهب فرنسا" للباجي : (ص : 94) ؛ "بين الإسلام والمسيحية" للخزرجي : (ص : 230، 232، 249، 272، 287، 288، 289) ؛ "تحفة الأ ريب" : (ص : 53) ؛ "الجواب الصحيح" : (71/1 ، 111، 115، 165،341) ، (144،260/2) ، (17/3، 26، 35،39،47،100،101،106)،(156/4)،(58،71،72،79،80،89،96،97/5، 104،133،138،189،226،232،299، 300) ؛ "الانتصارات" للطوفي : (376/1) ، (757/2) ؛ "إظهار الحق" للهندي : (597/2، 598) ، (821/3) ؛ "منحة القريب المجيب" : (233،235،236،237،241،305،409،410،411،414/1) ، (447/2).

ومن أنواعها :

أولا : أن يطلب من النصراني حجة على عقيدته الفاسدة

ثانيا : أن يطلب منه إثبات صحة الدليل الذي جاء به

ثالثا : أن يطلب منه تقرير وجه الدلالة منه

رابعا : أن يطلب منه تصوير عقيدته التي يعتقدها في المسيح عليه السلام [798].

ففي النقاط الأربع السابقة يمنع المسلم النصراني من شيء ويطلب منه شيئا. ففي النقطة الثانية مثلا يمنع تلسيم دليل النصراني ويطالبه بإثبات صحيته قبل البناء عليه وهكذا.

وفي هذا الصدد يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: "ولمّا كان قول النصارى في التثليث متناقضا في نفسه لا حقيقة له صار مجرد تصوره التام كافيا في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل، وإن كانت الأدلة تظهر بفساده، ولهذا سلك طائفة من العلماء في الكلام معهم هذا المسلك؛ وهو أن مجرد تصور مذهبم كاف في العلم بفساده فإنه غير معقول" [799]

ويقول **القرافي** رحمه الله: "لا يقدرون على تصوير مذهبهم أصلا ، ولذلك اتفق لي مع كثير منهم في المناظرة أن أطالبه بتصوير مذهبه كيف يمكنه إقامة الدليل عليه فيتوقف ، فلو كان للقوم فطنة بكوا على عقولهم قبل أديانهم" [800] وقد أتحفنا القرافي في كتابه "الأجوبة الفاخرة" بواحدة من تلك المناظرات التي يسأل فيها النصارى عن تصوير عقيدتهم يحسن نقلها هنا قال رحمه الله: "وأما سلوك طريق الانظار العقلية ، وبيان المدارك القطعية فليس القوم أهلا لذلك ، ولقد اجتمع بي بعض أعيانهم المبرز في حلبة سباقهم ليتحدث في أمر دين النصرانية ، فقلت بحضرة جماعة من العدول **أنا لا أكلف النصارى إقامة دليل على صحة دينهم، بل أطالبهم كلهم بأن يصوّروا دينهم تصويرا يقبله العقل ، فإذا صوروه اكتفيت منهم بذلك من غير مطالبتهم بدليل على صحته** ، فحاول هو في نفسه تصوير دينهم فعجز عنه ، فلما عجز عنه قال: ما كلفنا بالتصوير، بل كلفنا السيد المسيح بالاعتقاد ، فلا نلتزم ما لا يلزمنا وما ليس من ديننا ، فجنح إلى ما قدمته لك من السكون إلى التقليد، وعدم النظر فيما يصح ويفسد . فقلت له الاعتقاد لا بد فيه من أن يثبت شيئا لشيء أو ينفيه عنه؛ فهو مركب من تصويرين تصور المحكوم عليه، وتصور المحكوم به وأنتم على ما قلتَ مكلفون بالاعتقاد، ومن كلف بمركب كلف بمفرداته، فمتى كلفت بالاعتقاد كلفت بالتصوير، فصوّر لي دينك، فانقطع، ورأى أنه قد أصيب من مأمنه، ولزمه السؤال من قوله ، فقال أمهلني ثلاثة أيّام حتى أجتمع بابن العسّال - وهو كان مشهورا عندهم بالفضيلة على زعمهم فلم أره بعد ذلك" [801] [802]

خامسا: (وهذا يستعمل في إثبات نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) وفيه يطلب من النصراني : تقدير صدق بقية الأنبياء وكذب محمد صلى الله عليه وسلم. ولا يمكن له ذلك ؛ لأن الطريق التي بها ثبتت نبوتهم ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بها وبأعظم منها فالتصديق بنبوته أولى من التصديق بنبوة غيره ، وكل ما يُستدل به على نبوة نبي فمحمد صلى الله عليه وسلم أحق بجنس ذلك الدليل من غيره ، وما يعارض به نبوة نبي فالجواب عن محمد صلى الله عليه وسلم أولى من الجواب عن غيره ، فهو مقدم فيما يدل على النبوة ، وفيما يجاب به عن المعارضة [803]

---

(798) ففي النقطة الثانية مثلا يمنع تلسيم دليل النصراني ويطالبه بإثبات صحيته قبل البناء عليه وهكذا.

(799) "الجواب الصحيح" : (448/4).

(800) "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 111).

(801) "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 8-9).

(802) انظر : "قاعدة دين النصارى مبني على غير المنقول ومعاندة المعقول" (ص: 319).

(803) انظر : "الجوب الصحيح" : (135/5) ؛ "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" لبرهان الدين البقاعي : (11/256-257).

الصورة الثالثة: إلحاق النظير بالنظير
وفي هذه الصورة يسعى الراد إلى استعراض ما يستدل به النصارى على عقيدة فاسدة من تحريف دين الرسول الأول (عيسى عليه السلام) ورفض دين الرسول الثاني (محمد صلى الله عليه وسلم) من الأدلة ثم يعارضها بمثلها ، ويطالب بتسوية الحكم لأنه "لا بُدّ عِنْدَ اسْتِوَاءِ الدّلِيلِ من اسْتِوَاءِ المَدْلُولِ" [804] وهذا المنهج بهذه الصورة استعمله كل من قرأت له ممن رد على النصارى تقريبا وعليه بنيت القاعدة المهمة في الرد على النصارى ألا وهي قاعدة: "حكم الشيء حكم مثله" [805]

الصورة الرابعة : القياس المنطقي
وتعني هذه الصورة بناء الرد على النصارى على مقدمات منطقية صحيحة يستنتج منها نتائج صحيحة هي دليل مستقل في الرد على النصارى ، ويمثل له بما قاله **الغزالي** رحمه الله : **ولننظم من هذا الرأي المقول قياسا منطقيا** فنقول" : "المسيح صُلب ، ولا شيء مما صلب بإله ، فلا شيء من المسيح بإله" [806] إلخ

الصورة الخامسة: قياس الأولى [807]

وهذه الصورة مبنية على معارضة دليل النصراني على عقيدته الفاسدة بدليل أقوى منه، أو معارضة شبهته بشبهة أقوى منها ومعنى ذلك أن النصراني إذا أورد على المسلم شبهة يريد بها إثبات عقيدته الفاسدة أو الطعن في الإسلام، فبدل أن يشتغل بمدافعتها وردها ، أورد عليه من جنسها ما هو أقوى منها في دينه فتزول تلك التي أوردها النصراني تلقائيا كأن يستدل على إلهية المسيح عليه السلام بأنه أحيا أربعة أموات ، فيعارض دليله هذا بالنبي الذي أحيا آلافا من الناس ولم يُدّع فيه الإلهية فلأن لا يكون محي أربعة أشخاص إلها من باب أولى لأ ن القاعدة : "**إِذَا بَطَلَتْ الشُبْهَةُ القَوِيّةُ فَالضّعِيفَةُ مِنْ بَابِ أَوْلَى**" [808] وفي السعي وراء إثبات نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم انطلاقا من هذه الصورة يقرر أدلتها مبينا وجه أولويتها على غيرها حتى لا يجد النصراني طريقا إلى إنكارها لأنه "**إِذَا ثَبَتَتْ الحُجّةُ التِي غَيرُهَا أَقْوَى مِنْهَا فَالقَوِيّةُ بِالثُبُوتِ أَوْلَى**" [809]

---

[804] "مناظرة الرد على النصارى" للرازي : (ص : 21).
[805] انظر : (ص:).
[806] "الرد الجميل" : (ص : 62).
[807] انظر تطبيقات لهذه الصورة في : "التخجيل": (128،138،180،189،197،223،224،235/1)، (345،373،481،492،515،611،646/2)، "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 60، 142) ؛ "الجواب الصحيح" : (351/3) ، (124،455،488/4) ؛ "هداية الحيارى" : (ص : 243)؛ "الانتصارات" : (274،402/1)، (592/2).
[808] "منهاج السنة" : (655-64/2). وانظر بعضا من تطبيقات هذه القاعدة في : "مناظرة في الرد على النصارى" : (ص : 27،64،68،75)، "التخجيل" : (433/1) ؛ "الجواب الصحيح" : (378/1) (109/2) (231/3) (19،55،110،124،142/4) (133-134/5)، "هداية الحيارى" : (ص : 462،480،506)؛ "الانتصارات" : (402/1)، (531،550/2)، (557،560،597،661،681/2)؛ "إظهار الحق" : (59/1).
[809] "منهاج السنة" (64-655/2). انظر بعضا من تطبيقات هذه القاعدة في "التخجيل": (462،468،469،470،471،472/1)، (733،735،742،748،762،782/2)؛ "الجواب الصحيح" : (410/1)،

وأصل هذا المنهج بهذه الصورة مستفاد من القرآن الكريم . قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[810] ، ذلك لأن اليهود يعتقدون أن الإسلام شر لذلك إذا أذن للصلاة اتخذوها هزوا ولعبا فنازلهم القرآن منازلة جدلية ؛ فكأنه قال لهم هب أن الأمر كذلك ، لكنكم شر منا لأنّ فيكم من ذكر ، ولم ينلهم ذلك إلا لفساد ما هم عليه ، ونحن ما نالنَا شيء من ذلك ولا قريب منه ، فثبت أنكم أولى بالسخرية وا لاستهزاء والرمي بالشر والبوار.

ومثاله:

جواب الباقلاني عن الشبهة التي أثارها النصراني بالنسبة لعائشة رضي الله عنها[811]

وجواب واصل الدمشقي على اعتراض النصراني بإحياء عيسي عليه السلام عددا من الأشخاص[812]

الصورة السادسة: إيراد اللوازم الباطلة[813]

المنهج العقلي بهذه الصورة من أمثل الطرق التي يتبعها العلماء في الرد على النصارى وبموجب هذه الصورة يقومون بدعوة النصارى إلى إعمال عقولهم وتنبيههم إلى اللوازم الباطلة التي تلزمهم في ديانتهم وفي ذلك دعوة لهم إلى التفكير وتدبر حقيقة ما هم عليه من جهة ، وردٌ عليهم من جهة أخرى لأن "**فَسَادَ اللاَزِمِ يَدُلُّ عَلَى فَسَادِ المَلْزُوم**"[814]

ومن أمثلة هذه الصورة مناظرة **ابن القيم** رحمه الله لبعض علماء أهل الكتاب[815]

الصورة السابعة: مجرد حكاية أقوالهم ومذاهبهم الباطلة

وهذه الصورة تنم عن شدة فساد مذهب النصارى وعدم معقوليته لذلك اكتفى بعض العلماء بمجرد ذكره.

واكتفوا من الرد عليهم بحكاية مذهبهم ووكلوا الناظر فيه قال **القرطبي** رحمه الله- أي النصارى: "**فأعرض العقلاء عنهم** -

---

(392/2،386،49،45،44،43،42،29،26،23،22)،(331/3)، (145/5،144،142،134،128،80،73،71)؛ "هداية الحيارى" : (ص :578)؛ "الانتصارات" : (581/2)، (600/2).

[810] "سورة المائدة" : (آية : 6).

[811] انظر : "مبحث أساليب الرد على النصارى: "أسلوب المناظرة": (ص: 219).

[812] انظر :"مبحث أساليب الرد على النصارى: "أسلوب المناظرة": (ص: 219).

[813] انظر: أمثلة تطبيقية لهذه الصورة في "قاعدة **دين النصارى منبي على غير المنقول**..." (ص: 319).

[814] "الجواب الصحيح" : (7/4) وانظر بعضا من تطبيقات هذه القاعدة في : "التخجيل" : (143/1 ،168 ،206،347،413،421،488،490)،(622،656-657/2)؛ "الأجوبة الفاخرة" : (ص :115)، (ص : 116)؛ "الجواب الصحيح : (4/7-447،264،117،60،8)؛ "الانتصارات" : (276/1)؛ "تحفة الأريب" : (ص : 197-200).

[815] انظر نص المناظرة في التطبيقات على قاعدة: "**ما سب الله أحد ما سب النصارى رب العالمين**" (ص: 364)

"لظهور تناقضه وفساد معانيه[816]

الصورة الثامنة: يبان وجوه بشرية المسيح عليه السلام

يعتني الراد في هذه الصورة بإيراد وجوه بشرية المسيح عليه السلام كما وردت في القرآن وكما جاء في أناجيلهم وبكل تفصيل حيث اتفقت هذه الأناجيل بأنه مولود من مريم عليها السلام وأنه طرأ عليه ما يطرأ على غيره من البشر من الوجود بعد العدم ، والأكل ، والشرب ، والتعب ، والنوم ، والبكاء ، وغير ذلك من العوارض البشرية ، وهذا مما لا تقبله العقول السليمة ، والفطر المستقيمة أن يتصف الإله بهذه الصفات .

وأصل هذا المنهج بهذه الصورة مأخوذ من كتاب الله عز وجل .قال تعالى :

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[817]

فأثبت الله تعالى له أمّا هي مريم عليها السلام ، وبين أنّه هو وأمه "أهل حاجة إلى ما يَغْذُوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم ، فإن من كان كذلك فغير كائن إلها ؛ لأن المحتاج إلى الغذاء قِوَامه بغيره ، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يُقيمُه دليلٌ واضح على عجزه ، والعاجز لا يكون إلا مربوبا لا ربًّا "[818].

ومن أمثلته ما قال **الجعفري** رحمه الله : " فهلموا معشر النصارى إلى عبادة ذي الجلال ، وقدّسوا القديم عن تشبيهه بالرجال ، واستحيوا من ذي الحجى أن تعبدوا إنسانا قد حملت به أمه كما تحمل النساء بالأجنة ، وترددت عليه أطوار الخلق ، وتنقلت به الحال إلى أن ناهز الثلاثين من السنين ، ينسب إلى أبوّة يوسف مرّة وداود أخرى ، يغتذي بالطعام ويتردد بين الأنام ، ثم تعتوره عوارض الحيوان فيعافى ويكرب ، ويحزن ويطرب ، ويعيا فيركب ، ويستريح ويتعب ، ويجوع ويعطش ، فيأكل ويشرب ، ويستتر من عدّوه ويطلب ، ويقرن باللصوص كما زعمتم ويسحب ، ويحمل صليبه فيقتل بقولكم ويصلب ، ويدفن في المقابر فيبكى عليه ويندب "[819] إلخ .

الصورة التاسعة: مخالفة عقديتهم في الاتحاد للحس

قال الجعفري رحمه الله: "الحجة الثانية على النسطور أن نقول : القول بكون المسيح أقنومين مكذّب بالحس؛ وذلك أن الذي يراه كل ذي بصر سليم من المسيح إنما هو أقنوم واحد أي شخص واحد ، وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه"[820] اهـ.

الصورة العاشرة : ذكر فضائح أئمتهم "المعصومين" ، ومشائخهم "الملهَمين"

كان النصارى يتخذون أحبارهم ورهباهم أربابا من دون الله تعالى

---

(816) "الإعلام" : (ص : 45)

(817) "سورة المائدة" : (آية : 75).

(818) "تفسير الطبري" : (485/10).

(819) "التخجيل" : (154/1). وانظر أيضا : "الرد الجميل" : (65-66)؛ "الفصل" : (61/2).

(820) "التخجيل" : (488/1).

ويعتقدون في مجامعهم التي يعقدها كبراؤهم العصمة كما يعتقدها الكاثوليك في رئيسهم -البابا- لكن بتتبع أحوال هؤلاء الكبراء والأحبار و الرهبان تبدو لنا طافحة بالفضائح والفساد وإذا ثبت أن هؤلاء الأحبار و الرهبان مفسدون مشعوذون فإنّه لا يرضى عاقل أن يقبل منهم دينا.
والمنهج بهذه الصورة دل عليه القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾.[821]
ومما يذكر العلماء في هذا الصدد حيل رؤساء النصارى وخداعهم لأ تباعهم[822] تأكيداً على أن النصرانية دين لا يقبله العقل السليم حيث لجأ أربابه ورؤساؤه إلى تلك الحيل سعيا في غرس الثقة به في نفوس أتباعه[823]
لذلك لمّا ذكر **القرافي** قسطا من حيل القسيسين والرهبان قال: "وبالجملة : الإسهاب في هذا الباب يضيع الزمان لكثرته ، وإنما أردت التنبيه على أنهم يمشون على ما هم عليه من الضلال بنوع من الشعبذة وأصناف من الخيال لما عدموا الحق الذي يصدع القلوب وتقبله العقول"[824] إلخ.

بيان مخالفتها للفطر السليمة:الصورة الحادية عشر

فيبينون كيف يمجها الناس على الرغم من الجهود الجبّارة التي يقوم بها النصارى في سبيل نشرها وكيف يعاني من هو داخل فيها أو مولود في كنفها من الخواء الروحي والدّوامة العقلية، والتعاسة المتزايدة، و الحرقة الداخلية.
انظر على سبيل المثال ما تموج به الدول النصرانية الكافرة من الانتحار على أفظع صوره تخلصا من هذه التعاسة والحرقة الروحية على ما هم عليه من طغيان المادية وسراب الحضارة والمدنية في حين تجد المسلم المسكين لا يجد لقمة العيش في يومه إلا بشق الأنفس

---

[821] "سورة التوبة" : (آية : 34)
[822] انظر نماذج من هذه الحيل الماكرة في "تثبيت دلائل النبوة" : (202،203،204،205،207/1)؛ "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 270)؛ "الأجوبة الفاخرة" : (ص :5-7)؛ "التخجيل" : (591/1)، (603/2)؛ "الجواب الصحيح" : (339/2-340)؛ "إغاثة اللهفان" : (403/2)؛ "تحفة الأريب" :(ص : 139). بل قد صنّف بعض الناس مصنفا في حيل الرهبان كما حكى شيخ الإسلام رحمه الله : "الجواب الصحيح" : (339/2).
[823] انظر : "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 267)؛ "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 7).
[824] "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 8).

يعيش سعيدا مستريح البال.

المنهج الثالث:

منهج المحدِّثين في نقد المتون والأسانيد

وهذا المنهج يقوم على نقد سند الكتاب المقدس ومتنه ، فيتبيّن عدم تواتره رواية واضطراب متنه وتناقضه دراية [825]

وحامل راية هذا المنهج هو **أبو محمد بن حزم** رحمه الله في كتابه "الفصل" وهو منهج بديع غاية في الإقناع وإقامة الحجة لذلك انتهجه كثير من علماء الشرق والغرب منذ بعد ابن حزم رحمه الله إلى يومنا هذا [826]

وهذا المنهج له صور منها :

الصورة الأولى : نقد سند تلك الكتب وبيان عدم تواترها ، وعدم ثبوت عدالة نقلتها.

الصورة الثانية : بيان الأغلاط والتناقضات التي فيها وقد كان للشيخ **رحمت الله الهندي** رحمه الله في هذا القِدح المُعلى في كتابه "إظهار الحق"

الصورة الثالثة : بيان مخالفة بعض مضامينها لدعوة جميع الأنبياء

الصورة الرابعة : بيان مخالفة بعض مضامينها واصطدامها بمقررات العلوم المختلفة من الحساب والهندسة والجغرافية و الحيوان والمعادن [827]

والصوَر الثلاثة الأخيرة نتيجة حتمية للتحريف الذي وقع في كتبهم كما قال تعالى :{أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُون} [828]

:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلا ً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ} [829]

وبناءاً على هذا وبموجب هذه الصور تحت هذا المنهج يسعى الراد في إثبات ما في كتبهم من التحريف منطلقا من الأدلة المصرحة بذلك مثل الآيات السابقة، ثم يبرز طائفة من تلك التحريفات في تلك الكتب كنماذج وشواهد على ذلك، ثم يؤكد من خلال ما اشتملت عليه من التناقضات وغيره مما سبق ذكره في الصور السابقة كونَ تلك النصوص ليست مما أنزل الله بل هو مما تم تحريفه وهكذا؛ لأنّ كلام الله لا يتناقض، وبذلك يكون كل ما دل

---

[825] انظر : "الجواب الصحيح" : (393/2) ؛ "مقدمة تحقيق كتاب الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 31-34).

[826] انظر : "مقدمة تحقيق كتاب الرد على النصارى" للجعفري :(ص : 32) ، و "مقدمة كتاب الرد على النصارى" للرسي (ص : 7). والمحقق هو : إمام حنفي عبد الله. و "مقدمة تحقيق كتاب تحفة الأريب" لبعد الله الترجمان الميروقي (ص : 36). واسم المحقق : عمر وفيق الداعوق.

[827] انظر كتاب "الفصل" لابن حزم وكتاب: "القرآن واالتوارة والإنجيل والعلم" للدكتور موريس بوكاي.

[828] "سورة البقرة" : (آية : 75).

[829] "سورة البقرة" : (آية : 79).

عليه لا قيمة له، لسقوط أصله، "وَالأ َصْلُ إِذَا سَقَطَ سَقَطَ الفَرْعُ"
وهذا المنهج بصوره المذكورة وغير المذكورة من أقوى المناهج وأبدعها وأكثرها شيوعا في هذه الأزمان.

المنهج الرابع:

المنهج التاريخي

وينبني هذا المنهج على دراسة الديانة النصرانية دراسة تاريخية عميقة تربط عقائد النصارى الباطلة بأصولها الوثنية والفلسفية والتي لا تمتّ إلى دين الأنبياء بأدنى صلة ويبين بالدراسة والتحليل كيفية تسرب تلك العقائد الفاسدة إلى النصرانية. وأصل هذا المنهج مأخوذ من القرآن الكريم

وذلك في قوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ}[830] وقوله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}[831].

ففي هاتين الآيتين إشارة إلى أن من عقائد النصارى ما هو مأخوذ من الذين قبلهم وأثبتت الدراسات أنها مأخوذة من فلسفات اليونان ووثنيات الرومان مضافا إلى أهواء مشائخ الضلال.

لكن لا يقتصر الراد على الدعوى المجردة ، والكلام المجمل على أنهم أخذوا ديانتهم من تلك الأصول الباطلة بل يفصل القول فيها ويأتي في ذلك بشواهد تنطق بالحق حتى يبالغ في الإنذار و الإعذار.

ومن عميق هذا المنهج أن يعقد مقارنة بين نصوص أو عقائد أو قضايا النصرانية بتلك الفلسفات والوثنيات وما أحسن ما فعله **محمد طاهر التنيّر** في كتابه "العقائد الوثنية في الديانة النصرانية" حيث أرجع بالأدلة والنقولات المستفيضة العقائد النصرانية إلى الوثنية القديمة ، وختم الكتاب بمقابلة مستفيضة بين ما يقوله الهنود عن "**كرشنا**" وعن "**بوذا**" بما تقوله النصارى عن يسوع المسيح عليه السلام.

وكذلك **أحمد شلبي** قدّم شيئا من هذه الدراسة الرائعة في كتابه: "المسيحية"[832]

---

(830) "سورة المائدة" : (آية : 77).

(831) "سورة التوبة" : (آية : 30).

(832) "المسيحية" : (ص : 180 - 188).

وهذا المنهج أكثر وأوسع استعمالا عند المعاصرين ولعل ذلك راجع إلى توفر مراجع تلك الأديان الوثنية الآن .

وممن استعمل هذا المنهج من المتقدمين في الرد على النصارى القاضي عبد الجبار الهمداني قال رحمه الله بعد حكايته لقسط من تاريخ النصرانية ، وكيف أثّر قسطنطين فيها ختم ذلك بقوله : "فلا نجد إلا النصارى ترَوّمتْ ولم تتَنَصّر الروم"[833]

إن هذه الطريقة في الرد على النصارى من القوة والأصالة بمكان فإنها ترد ضلالات النصارى إلى أصولها وتبرهن على ألا علاقة بينها وبين ديانة الأنبياء أجمع.

المنهج الخامس:

المنهج التفريقي أو الإنكاري[834]

سميت هذا المنهج بالتفريقي باعتبار أنه مبني على التفريق بين ما جاء ذكره في الكتاب والسنة مما يتعلق بالنصرانية وبين ما هو موجود عندهم الآن وبالإنكاري باعتبار أن الراد بموجب هذا المنهج ينكر كتب أهل الكتاب التي اشتملت على العقائد الفاسدة ولم يرد فيها البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وعلى إنكار أنبيائهم الذين يدعي النصارى أنهم لم يبشروا بمحمد صلى الله عليه وسلم.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله : "وكذلك إذا قال له الكتابي : قد اتفقنا على تصديق موسى والتوارة والمسيح والإنجيل ، قال له المسلم : إنما وافقتك على تصديق موسى وعيسى اللذين بشّرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ولا أسلم بوجود موسى وعيسى وتوارة وإنجيل منزلين من الله ليس فيهما ذكره صلى الله عليه وسلم"[835]

ومن التطبيقات القولية لهذا المنهج قول **ابن حزم** رحمه الله: "وأمّا شغب من شغب منهم بأننا نؤمن بموسى وهم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم فهو شغب ضعيف بارد" إلى أن قال : "فإنّا إنّما آمنّا بنبوة موسى الذي أنذر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالتوراة التي فيها الإنذار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه ونسبه وصفة أصحابه رضي الله عنهم ، وهكذا نقول في عيسى والإنجيل حرفاً حرفاً لا بنبوّة من لم ينذر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ولا نؤمن بموسى وعيسى ولا نؤمن بتوراة ولا إنجيل ليس فيهما الإنذار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وصفة أصحابه بل نكفر بكل ذلك ، ونبرأ منهم فلم نوافقهم قط على ما يدعونه فبطل شغبهم الضعيف وبالله التوفيق"[836]

ومن التطبيقات العملية ما حدث **بين العز بن عبد السلام**[837] رحمه الله وبين نصراني فإنه ورد إلى مصر نصراني من الإفرنج وماري في شبهة وقال إن أزلتموها أسلمت، فعقد له مجلس بالكاملية، ورشح العلماء إذ ذاك الشيخ عز الدين بن عبد السلام. فقال النصراني: أيهما أفضل عندكم المتفق عليه أو المختلف فيه؟

فقال العز رحمه الله: المتفق عليه.

قال النصراني: قد اتفقنا نحن وأنتم على نبوة عيسى عليه السلام واختلفنا في محمد عليه الصلاة والسلام فيلزم أن يكون عيسى أفضل وأن تتبعوه.

فأطرق[838] الشيخ من أول النهار إلى الظهر حتى ارتج المجلس واضطرب أهله .

---

[833] "تثبيت دلائل النبوة" : (173/1).

[834] انظر نماذج من تطبيقات العلماء على هذا المنهج في "الإعلام" : (172،203/1، 204،227)؛ "الأجوبة الفاخرة" : (ص :20)؛ "الرد على النصارى" للجعفري : (ص : 106)؛ "الجواب الصحيح" : (223،272/2)، (373/3)؛ "الانتصارات" : (581/2-582)؛ "إظهار الحق" : (388،394/2-395).

[835] انظر : "الجواب الصحيح" : (50،390/2).

[836] "الفصل" : (103/1-104).

[837] هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الملقب بـ"عز الدين" أو "العز" أو "سلطان العلماء" والمعروف بـ"بائع الملوك" وهو أحد أئمة الإسلام في العلم والتقوى" انظر: "طبقات الشافعية" للسبكي (209/8).

[838] (أطرق): "أمال رأسه إلى صدره وسكت فلم يتكلم" و (أطرق) : "سكت لحيرة أو خوف أو نحوهما" "المعجم الوسيط": (555/2-556).

وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ﴾ :ثم رفع الشيخ رأسه، وقال: أي عيسى تريد؟ إن كنت تعني عيسى الذي قال لبني إسرائيل

فهو الذي نوافق على نبوته، ويلزمك أن تتبعه فيما قال، وتؤمن بأحمد الذي بشّر به، وإن كنت تعني [839] ﴾اسْمُهُ أَحْمَدُ

عيسى آخرلم يقل ذلك فهذا لا نؤمن به، ولا نوافق عليه، فقامت الحجة، وأسلم النصراني [840]"

المنهج السادس:

المنهج الاستدراجي

سميت هذا المنهج بهذا الاسم لأنّ الراد بموجبه يستدرج النصراني إلى الاعتراف بنبوّة النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرب فقط بأدلة مقنعة ، ثم بعد اعترافه بذلك ألزمه بالاعتراف بعموم رسالته لأن **"كلّ مَنَ اعْتَرَفَ بِنُبُوّتِهِ عَلَيهِ السّلا مُ**

لأنّ **"مَنْ صَدّقَ النّبِيّ فِي بَعْضِ أَقْوَالِهِ لَزِمَهُ تَصْدِيقُهُ فِي كُلّ مَا أَخْبَرَ بِهِ** [841] **"إِلَى العَرَبِ يَلْزَمُهُ تَصْدِيقُهُ فِي**

وقد اعترف بأنه رسول الله إلى العرب؛ و**"كُلّ مَن اعْتَرَفَ بِأَنّهُ رَسُولٌ لَزِمَهُ الاعْتِرَافُ بِأَنّهُ رَسُولٌ إِلَى** [842] **"جَمِيعِهِ**

جَمِيعِ الخَلْقِ" [843]

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا المنهج ما جاء في كلام **الطوفي** رحمه الله قال : "الحجة السابعة : جرت عادة الله في خلقه أنه يتداركهم على كل فترة برسول يرشدهم إلى الهدى ، ويصدهم عن الردى" ثم قرر نبوته إلى العرب بأدلة عقلية مقنعة ثم قال بعد ذلك : "وإذا ثبتت نبّوته بهذا الطريق إلى العرب ، فالنبي لا يكذب ، وقد صح عنه بالتواتر أنه قال : "بُعِثْتُ إِلى

وبهذا يظهر تغفيل من سلم من اليهود أنه أرسل إلى العرب [845] " "وَبُعِثْتُ إِلى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ [844] "النّاسِ كافّةً

خاصة لا إلى غيرهم" [846] اهـ

المنهج السابع:

المنهج التحريضي

سميت هذا المنهج بهذا الاسم لأنه يقوم على تحريض النصارى وحثهم على الإيمان بالله ورسوله ونبذ ما هم عليه من الشرك والوثنية.
وله صورتان أساسيتان :

---

(839) "سورة الصف" : (آية : 6).

(840) حكى هذه القصة الإمام البيهقي رحمه الله في كتابه "البهجة السنية في الأسماء النبوية). وهي مكتوبة على أول صفحة من الأجوبة الفاخرة (خ) نسخة مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض. نقلها الكاتب من مخطوطة كتاب كتاب البيهقي المذكور. نقلا من تحقيق "كتاب الأجوبة الفاخرة" للدكتور سالم بن محمد القرني (ص: 44) (وهو غير مطبوع) وذكرها أيضا في تحقيقه لكتاب: "الانتصارات" للطوفي : (582/2) (الهامش) ، وأوردها أيضا محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله في "أضواء البيان" : (96/2).

(841) "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 147).

(842) "التخجيل" : (541/2).

(843) "الجواب الصحيح" : (448/1).

(844) رواه البخاري في "كتاب التيمم": حديث رقم: [335] (579/1) مع الفتح؛ ومسلم في "كتاب المساجد" باب "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا" حديث رقم: [1167] (8/5) مع المنهاج.

(845) رواه مسلم في :كتاب المساجد": باب "جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا": حديث رقم: [1163] (6/5) مع المنهاج.

(846) "الانتصارات" : (753/2).

الصورة الأولى : إخبارهم بما يحصل لهم من الخير إن آمنوا بالله ورسوله. ويدل على هذا المنهج بهذه الصورة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِنْهم أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.[847]

قال القاسم الرسي للنصارى: "فأنصفوا الحق من أنفسكم تخرجوا بإذن الله بإنصافكم من لبسكم، وارفضوا للحق أهواءكم تسعدوا في دينكم ودنياكم، وأقيموا ما أنزل الله إليكم من ربّكم من التوراة والإنجيل ، واتركوا الافتراء على الله فيها ، بعمى التأويل تهتدوا إن شاء الله ، لقصد سبيلكم وتأكلوا- كما قال الله- من فوقكم ومن تحت أرجلكم وافهموا قول العزيز الوهاب فيكم وفي غيركم من أهل الكتاب : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِنْهم أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[848] إلخ[849]

الصورة الثانية : تذكيرهم بمن أسلم من أهل ملتهم والنقل عنهم وبيان سبب إسلامهم. والمنهج بهذه الصورة مأخوذ من القرآن أيضا. قال تعالى : قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.[850]

لقد منّ الله تعالى بالهداية إلى الإسلام على كثير من النصارى على مر العصور وكر الدهور، ابتداءا من عهد النبي صلى الله عليه وسلم كما دلت الآيات السابقة ونظائرها، إلى يومنا هذا وهو واقع ملموس مشاهد.

إن في تذكير النصارى أو تعريفهم بقصص هؤلاء الذين آمنوا من أبناء

---

[847] "سورة المائدة" : (آية : 66).

[848] "سورة المائدة" : (آية : 66).

[849] "الرد على النصارى" للرسي : (ص : 42).

[850] "سورة المائدة" : (آية : 82-85).

ملتهم حثًا لهم وتحريضا على الدخول في الإسلام أو على البحث عن الحقيقة على أقل تقدير.
وجه ذلك: أن ألئك الذين أسلموا ودخلوا في الإسلام طوع أنفسهم وعن اقتناع تام بأنه الحق تاركين وراءهم ما يحصّلونه من الأموال الطائلة أيام كانوا نصارى ، والتي لا يحصّلون مثلها بل ولا قريبا منها في الإسلا م بل قد لاقى كثير منهم من أقربائهم وأهل ملتهم صنوفا من الشدائد و التعذيب كل ذلك لم يصرفه عن الإسلام. وأعظم من هذا كله أن كثيرا ممن يعتنق الإسلام ليسوا من عوام النصارى وطغامهم فيُتهمون بقلة الوعي والعلم وقصور الفهم والإدراك ، بل كانوا من كبار قساوستهم وعظماء رهبانهم ، وفطاحل علمائهم وأوتاد ملتهم ، ولم يكتف كثير منهم بمجرد الخروج من النصرانية والدخول في الإسلام بل كتبوا في ذلك كتبا نفيسة ينصرون بها الإسلام ويردون على النصرانية و النصارى[851] .
والمنهج بهذه الصورة من أكثر المناهج استعمالا في دعوة النصارى إلى الإسلام ، لأنّه منهج يدعو إلى التفكير والتأمل في سكون وهدوء لذلك كثرت التأليفات الآن في أخبار الذين اعتنقوا الإسلام من النصارى ومن

---

[851] من أمثلة من أسلم ثم أتبع النصرانية رداً :
الحسن بن أيّوب نقل رده شيخ الإسلام ابن تيمية وهي عبارة عن رسالة بعث بها إلى أخيه تضمنت بيان أسباب دخوله في الإسلام وتركه للنصرانية مع ردود قوية على عقائد النصارى الباطلة.
-أبوا الحسن علي بن ربن **الطبري** ألف في الرد على النصارى كتاب " الدين و الدولة " و" كتاب الرد على النصارى [توفي في القرن الثالث] .
-نصر بن يحيى ابن ماري البصري المتطيب ، ألف في الرد على النصارى " النصيحة الإ يمانية في فضيحة الملة النصرانية [توفي في القرن السادس] .
-عبد الله بن عبد الله الترجمان ، ألف في الرد على النصارى " تحفة الأريب في الرد على عباد الصليب " [توفي في القرن التاسع] .
-عبد الأحد داود كلداني ، كان قسيسا للروم قبل إسلامه ، ألف في الرد على النصارى " ا لإنجيل والصليب " و " محمد صلى اللّه عليه وسلم في الكتاب المقدس " [توفي في أوائل القرن العشرين].
-إبراهيم خليل قبطي معاصر وكان قسيسا قبل إسلامه . ومما ألف في الرد على النصارى كتاب "محمد في التوراة والإنجيل والقرآن " وكتاب "الغفران بين الإسلام و المسيحية " كما قام بترجمة بعض الكتب لأحمد ديدات من الإنجليزية إلى العربية .
-محمد فؤاد الهاشمي قبطي معاصر ، كتب في الرد على النصارى " الأديان في كفة الميزان " .
-موريس بوكاي فرنسي معاصر ، كتب في الرد على النصارى " كتاب القرآن الكريم و التوراة والإنجيل والعلم " .

غيرهم[852] أمّا الإنترنت ففيه آلاف المواقع لهذا الغرض.

المنهج الثامن:

ضرب بعضهم ببعض:

إن النصارى مع أنّ ديانتهم امتداد من اليهودية لكنهم مختلفون متطاحنون فيما بينهم، ولا تكاد تجدهم متفقين إلا في القضايا السياسية والمصالح المشتركة والكيد للإسلام وأهله.

وهو حال النصارى فيما بينهم فقد مرّ بنا أنهم فرق وأحزاب متناحرة لا يكادون يتفقون إلا في مثل ما ذكر، أما بالنسبة لما يتعلق بدينهم فهم مختلفون حتى في معبودهم الذي يعبدون، وهو عيسى أعاذه الله من افتراء المفترين، وإطراء المطروين فقال بعضهم هو الله وقال بعضهم هو ابن الله، وقال الآخرون بل هو ثالث ثلاثة واختلفوا كذلك في طبيعته كما سبق.

وكان الكاثوليك يؤمنون بـ (46) كتابا وهي التي تكوّن منها كتابهم المقدس ، والبروستانتنت يعارضون السبعة الأخيرة منها بشدة ويكفرون بها ، ويضللون من يؤمن بها ؛ لأنها عندهم منحولة

ولقد خلفت هذه الاختلافات كتباً كثيرة في ردود بعضهم على بعض ، وظلت تلك المناورات الكلامية تتفاقم حتى انتقلت من الجدال إلى الجلاد وقتل من كل طائفة آلاف مؤلفة بل لا تزال بعض المناطق في هذه المعامع حتى الآن .

والذي سلك هذا المنهج في الرد عليهم يسعى في نبش هذه الاختلافات التي بينهم في أصل ديانتهم والتي لا يمكن أن تقوم وتستقر إلا بالاتفاق عليها وما هم بمتفقين .

وأصل هذا المنهج مأخوذ من القرآن الكريم كما قال تعالى :

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُون﴾[853]

وقال أيضا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

---

[852] من أشهرها وأوسعها كتاب : "رجال ونساء أسلموا" في عدة أجزاء.

[853] سورة البقرة" : (آية : 113).

وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}.[854] ولهذه الطريقة ميزتها في رد كيد النصارى في نحورهم، وإشغالهم بأنفسهم[855]
ومن ذلك أيضا ضرب أقوال بعضهم ببعض، كطعون البروتسانت على الكاثوليك، والعكس.
وممن أجاد وأفاد في هذه الطريقة الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله في كتابه: "إظهار الحق"

---

[854] "سورة المائدة": (آية : 14).

[855] وهذه الطريقة أكثر من استعمالها شيخ الإسلام رحمه الله في "منهاج السنة" يضرب الرافضة بالنواصب فيظهر الحق وفي "الجواب الصحيح" يقارن بين غلو النصارى وجفاء اليهود فتظهر وسطية الإسلام.

المبحث الثامن:

أشهر الكتب المؤلفة في الرد على النصارى

الكتب المؤلفة في الرد على النصارى يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الكتب التي ألفت في الملل والنحل والموسوعات في ا لأديان مثل كتاب "الفصل" لابن حزم، وكتاب "الملل والنحل" للشهرستاني ، و"الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأ حزاب المعاصرة.

القسم الثاني: الكتب المؤلفة في دراسة النصارى والنصرانية و التنصير مثل كتاب "المسيحية" للدكتور أحمد شلبي، وكتاب "المعتقدات الدينية لدى الغرب" للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن وكتاب دراسات في الأديان" للدكتور سعود الخلف، وكتاب "التنصير في الأدبيات العربية" للدكتور علي النملة.

القسم الثالث: الكتب المؤلفة في الرد على النصارى أساسا

وهذا القسم الثالث هو المقصود في هذا المبحث حيث إن القسم الأ ول والثاني إنما هي كتب في التعريف بالنصرانية ودراستها وعرض عقائدها وأفكارها ثم مناقشة ذلك مناقشة علمية فالرد على النصارى في هذه الكتب تبع لا أصل.

أما القسم الثالث المقصود في هذا المبحث فإنها كتب ألفت في الرد على النصارى بالقصد الأول ابتداء[1] أو جوابا على كتاب أو رسالة، ف التعريف بالنصرانية بعرض أفكارها وعقائدها وما إلى ذلك تبع لا أصل.

وقد ألفت كتب كثيرة في الرد على النصارى من هذا القبيل يأتي ذكر طائفة منها في قائمة المصادر والمراجع، لكن أذكر هنا أشهر هذه الكتب على أن هذه الشهرة قد تكون نسبية فقد يشتهر كتاب في مكان أو قطر ويكون خاملا في مكان آخر.

لكن من حيث الجملة هذه الكتب التي سأذكرها من أشهر ما ألف في الرد على النصارى على الأقل عند المختصين:

أولا:

كتب الداعية المشهور أحمد حسن ديدات عافاه الله

لا شك أن كتب أحمد ديدات في الرد على النصارى يمكن أن تجعل على رأس قائمة الكتب المشهورة في هذا الميدان فإن أكثر كتبه منتشرة في كافة أنحاء العالم، كما أنها موجودة في مواقع الإنترنت بكثرة، ولعل ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية:

- شهرة مؤلفها بما رزق من قوة الحجة، ومهارة في المناظرة، أضف إلى ذلك وأنه الذي أنعش قضية الحوار الإسلامي النصراني في القرن العشرين.
- أن هذه الكتب مؤلفة بأكثر اللغات استعمالا الآن وهي اللغة الإ نجليزية
- أن كثيراً من كتبه ترجمت إلى لغات متعددة.
- قوة الكتب ومتانتها واسقصائها ومتابعة كل جديد.
- ولعل تضحية الرجل وقضاء معظم عمره في هذا الجهاد وإخ لاصه فيه له دور في ذلك هكذا نحسبه والله حسيبه ولا نزكي على الله أحداً.

إلا أنه يلاحظ أن الشيخ أحمد ديدات ليس له معلومات كافية بـ النسبة للإسلام وعلومه تمكنه من الدفاع عنه على الوجه المطلوب فكتبه من حيث الجملة تفيد أكثر في الرد على النصارى لا في الدفاع عن الإسلام.

هذا ومن كتب الشيخ أحمد ديدات ما يلي:

Crucifixion or Crucification

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: "مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء

Is the Bible God's Word

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: "هل الكتاب المقدس كلام الله"

What the Bible says About Muhammed (Pbuh)

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: "ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد صلى الله عليه وسلم.

Alqur'an the Miracle of Miracles:

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: "القرآن معجزة المعجزات"

Combat Kit:

وقد ترجم إلى العربية بعنوان: "عتاد الجهاد"

ثانيا:

إظهار الحق:
للشيخ رحمت الله الهندي وهو كتاب لا تكاد تجد مثله في مثله فإنه كتاب فريد في هذا الباب وهو من أشهر الكتب التي ألفت في هذا الميدان، بل لعله أشهر كتاب في الرد على النصارى قبل قرن من الزمن ولعل شهرة الكتاب ترجع – بعد حسن نية صاحبه- إلى الأمور التالية:

- مساهمة السلطان العثماني عبد المجيد خان بترجمة الكتاب إلى تسع لغات منها الألمانية، والفرنسية، والإنجليزية وطباعته وتوزيعه حتى لا تكاد تخلو مكتبة في الشرق والغرب من نسخة من هذا الكتاب[856]
- صدوره في وقت كانت الحاجة إليه ماسة، حيث كان سلطان النصارى غالبا على معظم أنحاء العالم وكان المنصرون يؤلفون الكتب التي يتهجمون بها على الإسلام وكتابه ونبيه صلى الله عليه وسلم، ويشوهون جميع العقائد الإسلامية والحقائق التاريخية، وتطبع هذه الكتب بجميع اللغات العالمية ولا تلقى ردا يناسبها لذلك ما إن صدر هذا الكتاب بعدة لغات أوربية حتى أحدث صدى عجيبا في الأوساط النصرانية والإسلامية حتى علقت صحيفة اللندن تايمز قائلة: "لو دام الناس يقرؤون هذا الكتاب لوقف تقدم المسيحية في العالم" [857]
- ما يتمتع به مؤلف هذا الكتاب من عارضة قوية وحجج مستقيمة مستقاة من النصوص الأصيلة والمراجع الفذة للنصارى حتى قال في تقريظ الكتاب أبو القاسم بن محمد المغربي المالكي "بعث الله سهما صائبا وشهابا ثاقبا من نادرة الزمان وأعجوبة العصر والأوان فصنف كتابه المسمى بإظهار الحق فكان كل من المصنف كمسماه وطابق في كلّ اللفظ معناه"[858] ومما قال في تقريظه أحمد فارس بن يوسف الشدياق المتوفى سنة (1304) وكان نصرانيا مارونيا فأسلم "فهذا كتاب هو في فنه آية، وليس وراءه لمبتغي الزيادة غاية، فأقبل عليه بالتلاوة والتنويه، وقلْ ما قلتُ فيه" ثم ذكر في

---

(856) انظر: "مقدمة الدكتور محمد أحمد ملكاوي" لتحقيقه على "إظهار الحق": (1/73-74).
(857) "المصدر السابق": (1/74).
(858) "المصدر السابق": (1/75).

ذلك أبياتا[859]

ويقول الشيخ عبد الرحمن بك باجه جي زاده صاحب كتاب "الفارق" "إن الأستاذ الفاضل **رحمت الله الهندي**– قدس الله روحه في كتابه إظهار الحق فضح كتبهم وبين ما فيها من التحريف والمناقضات والكذب وتجاسرهم على الله تعالى وعلى أنبيائه الطاهرين، فإن أردت الوقوف على مساوئهم فراجعه فإنه يغنيك ويشفيك[860]

- ومما يدلك على شهرة هذا الكتاب كثرة طبعاته وترجماته إلى لغات أخرى.

ثالثا:

تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل

للإمام القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي المتوفى سنة (667)

وهو كتاب فريد ماتع يمتاز بسطو الحجة وسلاسة العبارة وقوة المناقشة وكثرة الاستدلالات وطول النفس في الردود والتقريرات.

وقد طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق علمي في رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراه للدكتور محمود عبد الرحمن قدح

ومما يدل على شهرة هذا الكتاب وأهميته ثناء العلماء عليه واهتمام المتخصصين منهم باختصاره أو الاعتماد عليه في كتبهم ومؤلفاتهم ، أو بالإشارة إليه والنقل منه، وحرص العلماء والأمراء على اقتنائه وقرائته[861]

قال المؤلف في حق كتابه: "وهو كتاب وضعته في أيام الشباب و النشاط وجودة القريحة والانبساط فأكب على نقله علماء أهل الفسطاط، واغتبطوا به غاية الاغتباط" إلى أن قال: "فجاء الكتاب ندرة في فنه غاية في بابه لا يسمع به أمير أو مأمور إلا حصله واقتناه وبلغ من مناظرة أهل الكتاب مناه"[862]

رابعا:

---

(859) "المصدر السابق " : (1 / 76 - 77).

(860) "الفارق بين المخلوق والخالق " : (ص : 386).

(861) انظر : "مقدمة تحقيق التخجيل " : (1 / 65).

(862) "البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود" (ورقة: 5 من المخطوطة) نقلا من مقدمة التحقيق لكتاب "التخجيل " للدكتور محمود قدح . (1 / 66).

الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح
لشيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية المتوفى سنة (728)
وشهرة هذا الكتاب بمؤلفه وبما فيه فإنه أحسن الكتب المؤلفة في هذا الباب من ناحية التأصيل فإن معظم الكتاب مبني على قواعد راسخة يمكن أن يعتمد عليها في الرد على النصارى في كل زمان ومكان، ومن ناحية المعتقد فإن هذا الكتاب كله لا تجد فيها موضعا على خلاف عقيدة السلف وهذا ما يندر وجوده في الكتب الأخرى إ لا القليل منها.
قال الشيخ أبو زهرة في قيمة هذا الكتاب وفي "إظهار الحق" الذي سبق ذكره، وفي "الفارق بين المخلوق والخالق الآتي ذكره منا نصه: "ولذلك (أي لأن العقل لا يتصورها أي العقائد النصرانية) نترك الآن مناقشتها بالعقل ، ونحيل القارئ الكريم على ما كتب الذين ناقشوها من فطاحل العلماء ونخص بالإشارة كتاب إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وكتاب الفارق فيما بين المخلوق والخالق، والقول الصحيح لابن تيمية، بلل الله ثراهم، فإن هؤلاء لم يتركوا مقالا لقائل" (ص : 110).
وحقق الكتاب في سبع مجلدات مع الفهارس الدكتور علي بن حسن بن ناصر، والدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، والدكتور حمدان بن محمد الحمدان لنيل درجة الدكتوراه.

خامساً:
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى
للأمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى سنة: 751)
وهو كتاب مشهور جدا في أوساط الباحثين ومن أعظم جوانب أهمية هذا الكتاب سلامة معتقد صاحبه وبنائه ردوده كلها على ضوء ذلك. ومن المراجع التي اعتمد عليها "الجواب الصحيح"
ومن الذين قاموا بتحقيقه الدكتور محمد أحمد الحاج في مجلد واحد.

سادسا:
الفارق بين المخلوق والخالق:
لعبد الرحمن باجه جي زاده العراقي الموصلي وهو من أشهر الكتب المؤلفة في الرد على النصارى عند المختصين ومن أهمها أيضا، وقد سبق معنا إشادة الإمام أبي زهرة بهذا الكتاب وألف كتابه هذا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.
ومن الكتب الجيدة والمفيدة في هذا الباب أيضا: كتاب "الإعلام" للقرطبي و "الأجوبة الفاخرة" للقرافي، و "الجواب الفسيح" للأ لوسي.
هذه بعض الكتب الأهم والأكثر شهرة في الرد على النصارى وهناك كتب أخرى يأتي ذكرها إن شاء الله في قائمة المصادر والمراجع.
ومن الكتب الجيدة والمفيدة في هذا الباب أيضا: كتاب "الإعلام" للقرطبي و "الأجوبة الفاخرة" للقرافي، و "الجواب الفسيح" للألوسي

***

الباب الثاني:

قواعد الرد على النصارى

ويشتمل على تمهيد وأربعة فصول:

تمهيد

في تعريف القواعد ومصادر قواعد الرد على النصارى وأقسامها وأهميتها

الفصل الأول:

القواعد الواردة في تصوير عقائد النصارى المردود عليها

الفصل الثاني:

القواعد الواردة في مناقشة عقائد النصارى وإبطالها

الفصل الثالث:

القواعد الواردة في الأصول المعتمدة في الرد على النصارى

الفصل الرابع:

القواعد الفاسدة في الرد على النصارى

تمهيد:

في تعريف القواعد ومصادر قواعد الرد على النصارى وأقسامها وأهميتها

وتحته ستة مباحث:

المبحث الأول:
تعريف القواعد والفرق بينها وبين الضوابط

المبحث الثاني:
أهمية القواعد والضوابط وفائدتهما في الرد على النصارى

المبحث الثالث:
مصادر قواعد الرد على النصارى

المبحث الرابع:
أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الشمول

المبحث الخامس:
أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث العرض

المبحث السادس:
أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الصحة والفساد



المبحث الأول:

تعريف القواعدوالفرق بينها وبين الضوابط

تعريف القواعد لغة

القواعد: جمع قاعدة ، وهي الأساس والأصل لما فوقه[863] من القُعود ، وهو الثبوت. يقال: "قعّدك الله " أي أسأل الله أن يُقعدك ؛ أي يُثَبّتَك[864]
وقواعد البيت أو البناء آسَاسُه[865] وفي التنزيل: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبّنَا تقبّلْ مِنّا إنّكَ أنْتَ السّمِيعُ العَلِيم}[866].
قال الزّجّاج[867] "القواعد أساطين البناء التي تعمده"[868] إلخ
قال الشاعر:

"أرْسَى قَوَاعِدَهُ وَشَيّدَ فَرْعَهُ * فَلَهُ إلى سَبَبِ السّمَاء سَبِيلُ"[869]

والقواعد قد تكون حسية كما في الشواهد السابقة.
وقد تكون معنوية كما يقال : "قواعد الإسلام" و"قواعد العلم" و "قواعد الرد على النصارى"
إذاً، فقواعد الشيء ، أصوله وأسسه التي تنبني عليها فروعُه وجزئياته المتعددةُ التي لا تتناهى .

تعريف القواعد في الاصطلاح:

أمّا القاعدة من حيث الاصطلاح فهي: "قَضِيّةٌ كُلِيَةٌ مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جَمِيعِ جُزْئِيّاتِهَا"[870]

([863]) "جمهرة اللغة" لابن دُريد : (279/2) ؛ "تهذيب اللغة" للأزهري : (202/1) ؛ "المحكم" لابن سيده : (96/1)؛ "الكليات" (ص : 728) . وأصل المادة [ق ع د] من باب [د خ ل] . انظر : "المصباح المنير" : (ص : 545).

([864]) انظر : "الكشّاف" للزمخشري :(132/1).

([865]) انظر : "لسان العرب": (239/11) ؛ "مفردات القرآن" للأصفهاني: (ص : 689).

(866) "سورة البقرة" : (آية : 127).

(867) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري من أشهر أئمة اللغة من مؤلفاته "معاني القرآن وإعرابه" عاش في القرن الثالث الهجري وأول القرن الرابع. انظر: "إنباه الرواة على أنباه النحاة " للقِفطِي : (1 / 194 - 201).

(868) "لسان العرب": (239/11) .

(869) أورده ابن دريد في "الجمهرة": (279/2) ولم ينسبه ولم أقف على قائله.

(870) "التعريفات" للشريف الجرجاني: (ص : 171) . وانظر : تعريفات مماثلة أو مقاربة في "شرح الكوكب المنير" لابن النجار: (44/1) ؛ "شرح مختصر الروضة" للطوفي : (120/1) ؛ "شرح جمع الجوامع" لجلال الدين المحلي مع شرحه الآيات البينات للعبّادي : (45/1) ؛ "كشّاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي : (1176/5-1177) ؛ "كشّاف القناع" للبهوتي: (16/1) "المنهج إلى أصول المذهب المبرّج" للشيخ محمد الأمين بن أحمد زيدان الشنقيطي: (ص : 235) ؛ "الكليات": (ص : 728) ؛ "القواعد

شَرْحُ التّعْرِيف:

"قضيّة" أي "قَولٌ يَصِحُ أنْ يُقَالَ لِقَائِلِهِ صَادِقٌ فِيهِ أوْ كاذِبٌ فِيهِ"[871] بمعنى أنها من باب الخبريّات لا من باب الإنشائيات.

فقولك: "دِينُ النّصَارَى غُلُوٌّ فِي المَخْلُوقِ وَتَنَقُّصٌ للْخَالِقِ"[872]؛ قضية أي خبر يحتمل الصدق والكذب لذاته. فصادق أنت فيه إذا كان مطابقا للواقع وإلا فلا.

"كلية" معناها، "ثُبُوتُ الحُكْمِ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِحَيثُ لا يَبْقَى فَرْدٌ"[873]

فقولك "كُلُّ شَيْئَينِ اتّحَدَا صَارَ شَيئًا ثَالِثًا"[874] تُثبت بذلك الحكم (وهو التحوّل والصيرورة) في كل شيئين اتحدا، وامتزجا، واختلطا، وتفانيا بدون استثناءٍ.

"منطبقة على جميع جزئياتها" أي صادقة على كل فرع من فروعها.

فقولك: "إذَا زَالَتْ الشُبْهَةُ القَوِيّةُ فَالضّعِيفَةُ مِنْ بَابِ أوْلَى"[875] قاعدة صادقة على كل فرد من أفرادها (وهو كل شبهة قوية مع كل شبهة ضعيفة)

وتوضيح ذلك: أن النصراني إذا استدل بإحياء المسيح عليه السلام لثلاثة أموات كما هو في العهد الجديد كشبهة يتكأ عليها في القول بربوبية المسيح، قيل له: و"حِزْقيال" من أنبياء التوراة أحيا بشراً كثيراً في آن واحد كما هو في العهد القديم[876] ولم يقل أحد بربوبيته، مع أنّ الشبهة في حقه أقوى بكثير. وبذلك تزول شبهة النصراني الضعيفة تلقائيا أمام هذه القوية التي عورضت بها وهكذ.

ويحسن التنبيه ههنا إلى أن التعريف المذكور للقاعدة فيه شيئ من التجاوز والتسامح؛ حيثُ إنّ القواعد غير العقلية يشذّ عن معظمها بعض الفروع غالبا، وسيوجد شيء من ذلك في بعض القواعد الاستقرائية في هذا البحث، لكن هذا لا يقدح في عمومها ولا يطعن في كليّتها وقاعديّتها، أو يحط من قيمتها وقدرها؛ لأنّ "الأمْرَ الكُلِّي إذَا

الفقيهة" للدكتور يعقوب الباحسين: (ص: 14-37) "موسوعة القواعد الفقهية" للدكتور محمد صدقي البورنو: (1/19-21)؛ "الوجيز في القواعد الفقهية" له أيضا: (ص: 13-15)؛ "القواعد الفقهية" للدكتور أحمد علي الندوي: (ص: 39)

(871) "التعريفات": (ص: 176)

(872) وهي إحدى قواعد الرد على النصارى التي يأتي شرحها لاحقا. (ص: 309).

(873) "التمهيد" للأسنوي (ص: 176)

(874) وهي إحدى قواعد الرد على النصارى التي يأتي شرحها لاحقا: (ص: 399).

(875) وهي من قواعد الرد على النصارى.

(876) "سفر حزقيال" (37/1-10).

ثَبَتَ كونُهُ كُلِيًّا فَتَخَلُّفُ بَعْضِ الجُزْئِيّاتِ عَنْ مُقْتَضَاهُ لا يُخْرِجُهُ عَنْ كَلِّيَتِهِ" ، وهذا شأن الكليات الاستقرائية؛ فإنها-وإن تخلف عن مقتضاها بعض الجزئيات ـ صحيحة معتبرة[877].

أما الكليات العقلية فهي التي لا يمكن الاستثناء فيها ، ولا يَنِدّ عنها فرع من فروعها؛ لأن ذلك قدح فيها[878] ويدل ذلك على أحد أمرين: إما أنها غير عقلية، وإمّا أن الفرع النّادّ عنها ليس من مشمولاتها أصلا.

الفرق بين القواعد والضوابط

اصطلح كثير من أهل العلم على تعريف الضوابط بما تُعرّف به القواعد وساووا بينهما دون تفريق فالضابط عندهم كالقاعدة[879].

وذهب جمهورهم إلى التفريق بينهما بفروق[880] من أهمها ما يأتي:

1. أن القاعدة تجمع فروعا من أبواب شتّى. والضابط يجمع فروعا من باب واحد[881].
2. "أن القواعد أكثر شذوذا من الضوابط ؛ لأن الضوابط تضبط موضوعا واحدا فلا يتسامح فيها بشذوذ كثير"[882]
3. "أن القاعدة في الأعم الأغلب متفق على مضمونها بين المذاهب أو أكثرها ، وأما الضابط فهو يختص بمذهب معين إلا ما ندر عمومه . بل منه ما يكون وجهة نظر فقيه واحد في مذهب معيّن قد يخالفه فيه فقهاء آخرون من نفس المذهب"[883]

لكن مع ذلك سأنهج منهج من لا يفرّق بينهما وأسمي الجميع "قاعدة" وذلك لأربعة أمور:

---

(877) انظر : "الموافقات" للشاطبي: (2/83-84).

(878) "المصدر السابق"

(879) منهم الكمال ابن الهمام الحنفي . انظر كتابه "التحرير" مع شرحه "التحبير" لابن ا لأمير الحاج: (29/1) ، وعبد الغني النابلسي في "كشف الخطائر في الأشباه والنظائر": (مخطوط) (ص :10) نقلا عن الندوي في كتابه "القواعد الفقهية" : (ص : 47) ، وأبو العباس المنجور المالكي في "شرح المنهج المنتخب": (ص : 100) ، وأحمد بن محمد الفيومي في "المصباح المنير": (113/1) . وأخذ به أصحاب "المعحم الوسيط": (533/1)

(880) انظر : "الأشباه والنظائر" لابن السبكي: (11/1) ؛ "الأشباه والنظائر في النحو" للسيوطي:
(9/1) ؛ "الأشباه والنظائر" لابن نجيم: (ص : 192) ؛ "حاشية البناني على جمع الجوامع": (290/2)؛ "الكليات": (ص : 728)

(881) انظر: "المصادر السابقة"

(882) "القواعد الفقيهة للندوي" (ص: 52)

(883) "القواعد الفقهية" للبورنو (ص: 29)؛ و "موسوعة القواعد القهية" له أيضا (35/1).

1. أنه منهج طائفة من العلماء كما سبق فلم يكن بدعا من عندي
2. أنها قضية اصطلاحية بحته ولا مشاحة في الاصطلاح
3. أن تلك تفريقات اصطلاحية لا أثر لها في الحكم البتة؛ لذلك حتى بعض المفرّقين لا يلتزم بذلك في كل وقت ؛ فيسمي القاعدة ضابطا حينا والضابط قاعدة حينا آخر، مما يؤكد الاصطلاحية المحضة[884]
4. أنه بذلك يكون النّسَق واحداً

***

(884) انظر: كتاب "القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة" لمحمد بن عبد الله الصوّاط :(100/1) ؛ "الوجيز في القواعد الفقهية" للبورنو: (ص : 29) ؛ "موسوعة القواعد الفقهية" له أيضا: (35/1) ؛ "القواعد الفقهية" للباحسين (ص : 63) .

المبحث الثاني:

أهمية القواعد والضوابط وفائدتها في الرد على النصارى

إن من أكبر ما يدل على أهمية القواعد[885]، وينوّه بخطرها[886]، وعظيم شأنها من حيث العمومُ ، أنها تضمنتها الكلمات الجامعة التي هي من خصوصيات نبيّنا محمد صلى اللّه عليه وسلم دون سائر الأنبياء ؛ حيث قال عليه الصلاة والسلام : "**بعثت بجوامع الكلم**"[887]

وعن **أبي سلا ّم الحبشي** قال[888]: "حُدّثت أنّ النبي صلى اللّه كان يقول: (فضّلت على من قبلي بست ولا فخر) فذكر منها (وأعطيت جوامع الكلم وكان أهل الكتاب يجعلونها جزءا بالليل إلى الصباح فجمعها لي ربي في آية واحدة :﴿سَبّحَ لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمِ﴾.[889] فدل هذا أنّ استخدام القواعد في العلم من منهج رسالته عليه السلام؛ لأن جوامع الكلم تتضمن القواعد، بل القواعد من جوامع الكلِم.

---

(885) انظر : في أهمية القواعد والضوابط وفائدتهما من حيث العموم مقدمات الكتب المؤلفة في القواعد الفقهية وبالأخص : "الفروق" للقرافي: (3/1) ؛ "الأشباه والنظائر" لا بن السبكي: (10/1) ؛ "الأشباه والنظائر": للسيوطي (1/8-9) ؛ "القواعد الفقهية" للدكتور يعقوب الباحسين: (ص : 114) ؛ "موسوعة القواعد الفقيهة" للدكتور محمد صدقي البورنو: (1/29-31)؛ و "الوجيز في القواعد الفقهية" له أيضا: (ص: 23-25)؛ "القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة" لمحمد عبد اللّه الصوّاط: (126-130/1).

وإنما أحلت على هذه الكتب وإن كانت في القواعد الفقيهة والأشباه والنظائر في الفقه ؛ لأن أغلب ما تذكره من فوائدها ينطبق تماما على قواعد الرد على النصارى ؛ لا شتراكهما في الأصل العام. (القاعدية).

(886) اصطلحت أن أسمي الضوابط قواعد كما سبق لذلك سأقتصر على مصطلح "قاعدة" في بيان هذه الأهمية.

(887) رواه البخاري "كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة" باب: "قول النبي صلى اللّه عليه وسلم (بعثت بجوامع الكلم) رقم: [7273] (9032/15). ومسلم "كتاب المساجد" باب: "جعلت لي الأرض مسجداً وطهورا" رقم: [1168] (8/5).

(888) أورده ابن رجب في "جوامع الكلم" (55/1) و قال رواه هشام بن عمّار في كتاب "المبعث" بإسناده وقال المحققان : "أي مبعث رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وهو غير مطبوع ، وقد ذكره الوادي آشي في "برامجه" (ص : 237-238) ، والسوسي في "صلة الخلف بموصول السلف" ورقة 112/أ " ا.هـ. ورواية مسلم "فضلت الأنبياء بست؛ أعطيت جوامع الكلم" الحديث. وليس فيه "وكان أهل الكتاب" إلخ ورقمه عنده [1167] (8/5).

(889) "سورة الحديد" : (آية : 1).

وبلغ من أمر تلك الكلِم المتضمنة للقواعد الكلية إلى أن ردّ بعض العلماء جميع أمور الإسلام إلى أحاديث تُعدّ بأصابع اليد الواحدة[890]

وعلى هذا جرت قواعد الشرع ، فهي كلمات جوامع تندرج تحتها وتضم جوانبها وتستوعب شعبها.

وقد أدرك علماء المسلمين أهمية القواعد في الرد والتأصيل فاقتبسوا من نور الكليات النبوية القرآنية منها والحديثية[891] قواعد صبغوا بها مؤالفاتهم وكتاباتهم ويكفيك في إدراكهم لأهمية القواعد القصوى إرجاعهم الأحكامَ الفقهية بأسرها إلى خمس قواعد فقط[892] وفي ذلك يقول أحد علماء الشافعية:

خَمْسٌ مُقَرّرَةٌ قَوَاعِدَ مَذْهَـبٍ ئ * لِلشّافِعِيّ فَكُنْ بِهِنّ خَبِـيرًا
ضَرَرٌ يُزَالُ وَعَادَةٌ قَدْ حُكِّـمَتْ * وَكَذَا المَشَقّةُ تجَلِبُ التّيْسِـيرَا
وَالشّكّ لا تَـرْفَعْ بِهِ مُتَيَقّنًـا * وَالقَصْدَ أَخْلِصْ إِنْ أَرَدْتَ أُجُورا[893]

وكذلك نبّهوا على أهمية القواعد عموما، وصرّحوا في ذلك بتصريحات تشُدُّ الأذهان إليها ، وتحثُّ على استعمالها، والاعتماد عليها في كافة المجالات العلمية.

---

(890) انظر : "جوامع الكلم" (63-61/1)

(891) قال ابن رجب رحمه الله " فجوامع الكلم التي خُص بها النبي صلى الله عليه وسلم نوعان ؛ أحدهما : ما هو في القرآن . والثاني : ما هو في كلامه عليه السلام وهو منتشر موجود في السنن المأثورة عنه . انظر : "جامع العلوم والحكم" (64/1).

(892) انظر: "الأشباه والنظائر" لابن السبكي ؛ (12/1) "الأشباه والنظائر" للسيوطي ، (10-11/1)

(893) انظر هذه الأبيات في "موسوعة القواعد الفقهية" (70/1) من الهامش

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

"ومعلوم أن الأصول والقواعد بمنزلة الأساس للبنيان، والأصول للأشجار؛ وبالقواعد والأصول يثبت العلم ويقوى، وينمى نماءا مطردا وبها تُعرف مآخذ العلوم، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تشتبه كثيرا، كما أنها تجمع النظائر والأشباه التي من جمال العلم جمعها. ولها من الفوائد غير ما ذكرنا"[894] ا.هـ.

ويقول بدر الدين الزركشي رحمه الله:

"إنّ ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة، هو أوعى لحفظها ، وأدعى لضبطها، وهي إحدى حِكم العدد التي وضع لأجلها، و الحكيم إذا أراد التعليم لا بد أن يجمع بين بَيَانَين ؛ إجمالي تتشوّف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه"[895] ا.هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولا بد أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ؛ ليتكلم على علم وعدل، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات وجهل وظلم في الكليات فيتولد فساد عظيم"[896] ا.هـ.

ويقول ابن السبكي رحمه الله:

"أما استخراج القوى وبذل المجهود في الاقتصار على حفظ الفروع من غير معرفة أصولها ونظم الجزئيات بدون فهم مأخذها فلا يرضاه لنفسه ذو نفس أبيّة ولا حامله من أهل العلم بالكلية وإن تعارض الأمران وقصر طالب العلم عن الجمع بينها - لضيق الوقت أو غيره من آفات الزمان - فالرأي لذي الذهن الصحيح الاقتصار على حفظ القواعد وفهم المآخذ"[897]

ومن خلال النقول السابقة ، تبرز أهمية القواعد وفوائدها في النقاط التالية :

1. أنها بمنزلة الأساس للبنيان ، والأصول للأشجار،
2. أنها تثبت العلم وتنميه نماء مطردا،
3. بها تعرف مآخذ العلم،

---

(894) "مقدمة طريق الوصول إلى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول": (ص : 5-6)

(895) "المنثور في القواعد": (65/1) .

(896) "منهاج السنة": (83/5) .

(897) "الأشباه والنظائر" لابن السبكي : (11/1).

4. بها تجمع الأشباه والنظائر في مكان واحد،
5. ضبط الفوارق بين المسائل،
6. الإعانة بها على حفظ الأمور الكثيرة وضبطها،
7. تشويق النفس إلى الاطلاع والتعلم،
8. حفظها مقدم على حفظ الفروع عند التزاحم،
9. مَن آثر حفظ الفروع عليها لا يعتبر من أهل العلم،
10. عدم بناء الأمور عليها يوقع في كذب وجهل في الجزئيات ، وجهل وظلم في الكليات ؛ فيتولد فساد عظيم،

وتظهر أهمية وفوائد القواعد في الرد على النصارى خاصة في الأمور التالية:

1. أنها من أحسن الطرق الموصلة إلى معرفة حقيقة النصرانية وشبه النصارى التي عليها يتكئون،
2. تسهيل السبل لدعوة النصارى إلى الدين الحق ، وإقامة الحجة عليهم ،
3. توفير الوقت ؛ فإن بناء الردود أو المناظرات عليها ينهيها في وقت قصير ،
4. ضبط شبهات النصارى وإيراداتهم ونظمها في سلك واحد مهما كثرت وتشعبت، ومهما تباعدت موضوعاتها وتشتت أفرادها ، واختلفت أبوابها ،
5. سد الباب على اعتراضات النصارى وشبهاتهم ؛ فإن بناء الردود على القواعد يجعلها ردودا قوية عامة تغني عن كثير من الردود الفرعية الخاصة،
6. لعلها الطريقة الوحيدة في القضاء على شبهات النصارى قضاءا نهائيا ؛ فإن بناء الردود على القواعد يعني اجتثاث تلك الشبهات واقتلاعها من جذورها ، فتموت بموتها جميع فروعها وأغصانها أمّا الانسياق و الدخول معهم في الشبهات التفصيلية والاكتفاء بالردود الجزئية المجردة عليها فيعني إفساح المجال لهم لبَثّ أكبر قدر ممكن من شبهاتهم ؛ لأن الشبهات لا تتناهى، فإن أغلب الشبهات تولد حبلى بشبهات أخرى،
7. الاستغناء بها عن كثير من الكتب المؤلفة في الرد على النصارى ،
8. الاستغناء بها عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها تحت الكليات ،
9. تكوين ملكة ردية قوية بتحديد الذهن وتوفير قدرة متينة كافية للمواجهة ، والدفاع في كل زمان ومكان،

10. جعل النصراني المردود عليه في موقف الدفاع غالبا، وهذا أيسر في القضاء علي شبهته وأنكى من أن يكون في موقف الهجوم ،
11. القدرة على الإلحاق والتخريج ؛ فيستطيع أنْ يأتي على الشبهات البالية ، والحالِيّة والمستقبلة المستجدة ؛ لأنها تشمل الجزئيات الموجودة بالفعل وبالقوة،
12. بناء الردود على أصول ثابتة واضحة لا يملك النصراني معها إلا التسليم أو المكابرة.

***

المبحث الثالث:

مصادر قواعد الرد على النصارى

تعريف المصادر لغة:

"المصادر" جمع "مصدر" و "المصدر" في اللغة ما يصدر عنه الشيء [898] ومعنى صدور الشيء عن غيره نشوءه عنه[899] وأصل المادة من "الصّدر"، وهو أعلى مقدم كل شيء وأوّله[900]

المراد بالمصادر في هذه الرسالة

المراد بالمصادر في هذه الرسالة أمران اثنان :

الأول : مظَانُّ وجود هذه القواعد

الثاني : الأصول التي بنيت هذه القواعد عليها

أما بالنسبة للأمر الأول والذي هو مظَانُّ تحصيل هذه القواعد فهو منقسم إلى قسمين

القسم الأول : المصادر المنقولة ؛ والمراد بها : ثلاثة أمور :

1. الآيات القرآنية
2. الأحاديث النبوية
3. الآثار عن السلف الصالح

القسم الثاني : المصادر المكتوبة. والمراد بها الكتب المسطورة ، وما يلتحق بها من وسائل التحصيل الحديثة مثل الأشرطة المسموعة و المرئية ومواقع الإنترنت

(898) "المعجم الوسيط": (ص : 510).

(899) "المصدر السابق": (ص : 509).

(900) "تهذيب اللغة": (133/12) ؛ "لسان العرب": (299/7) .

تفصيل الكلام في هذه المصادر

الشق الأول

مظان وجود هذه القواعد

أولا:

المصادر النقلية:

توجد في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والآثار عن السلف الصالح نصوص كثيرة تدل أو تشير إلى قواعد عديدة ، يُستعان بها على المناقشة والرد على كل مبطل من الأ ُمم الكافرة ، والفرق المنحرفة.

وما يدل منها في الرد على النصارى عدد غير قليل ، وإنّ حصرها ـ بغض النظر عمّا يطوي من الوقت -عسير أو متعذر ؛ لكثرتها ولتوزّعها في أماكن متعددة ؛ لذلك أكتفي بوضع ضوابط لها ليسهل الوصول إليها.

والنصوص التي يُستقى منها قواعد الرد على النصارى يمكن تصنيفها إلى صنفين :

الصنف الأول:

النصوص العامة ؛ والمقصود بها : النصوص التي لا تقتصر في خطابها على النصارى.

الصنف الثاني:

النصوص الخاصة ؛ والمقصود بها : النصوص التي تخاطب النصارى بـ القصد الأول.

وتحت كل منهما مجموعة ضوابطَ أُجملها فيما يأتي :

ضوابط النصوص العامة

(النصوص التي لا تقتصر في خطابها على النصارى).

الضابط الأول:

نصوص في تنزيه الله تعالى عن عموم اعتقادات الكفرة ، والمشركين فيما شاركهم النصارى من الضلال . **وتحته أنواع منها**:

النوع الأول : نصوص في تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد.

النوع الثاني : نصوص في تنزيه الله تعالى عن الشركاء والأنداد.

النوع الثالث : نصوص في التحذير من الغلو في الدين وتقديس الأ شخاص.

الضابط الثاني:

النصوص الواردة في الرد على اليهود فيما شاركهم النصارى فيه أو

تابعوهم عليه من الضلال. **وتحته أنواع منها**:

النوع الأول: نصوص في رد افتراءات اليهود على الملة الإسلامية ، ونبيها صلى الله عليه وسلم، وأهلها ، وكتابها ، وما يكنّون لها ولأهلها من العداء المقيت ، وكذلك النصوص التي تحذر المسلمين منهم وعن موالا تهم.

النوع الثاني: نصوص في ذكر تحريف اليهود لكتبهم ، وتعاملهم مع أنبيائهم

الضابط الثالث:

النصوص الواردة في صحة الإسلام. **وتحته أنواع منها**:

النوع الأول: النصوص الواردة في إثبات نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذكر آياته وشمائله.

النوع الثاني : نصوص في كون القرآن منزلا من عند الله وبيان إعجازه ، وحفظ الله له.

النوع الثالث: نصوص في بيان فضائل الصحابة رضي الله عنهم.

الضابط الرابع:

النصوص المشتملة على القواعد الكلية عقلية كانت أو استقرائية ، أو غير ذلك .

ضوابط النصوص الخاصة

(النصوص التي تخاطب النصارى بالقصد الأول).

الضابط الأول:

النصوص الواردة في مريم العذراء عليها السلام ابتداءاً من حمل أمها بها إلى حين وضعها المسيحَ عليه السلام . **وتحته أنواع منها**:

النوع الأول: نصوص في كراماتها قبل حملها به.

النوع الثاني: نصوص في كراماتها عند حملها به.

النوع الثالث: نصوص في كراماتها بعد حملها به.

النوع الرابع: نصوص في كراماتها عند ولادتها إيّاه.

النوع الخامس : نصوص في مناقبها.

الضابط الثاني:

النصوص الواردة في المسيح عليه السلام من حمل أمّه به إلى حين التآمر على قتله وإنجاء الله له من كيد أعدائه ورفعه . **وتحته أنواع منها**:

النوع الأول: نصوص في بيان وجوه بشريته.

النوع الثاني: نصوص في معجزاته وآيات نبوته.
النوع الثالث: نصوص في حقيقة رسالته وما اشتملت عليه.
النوع الرابع: نصوص في الكتاب الذي أنزل إليه وهو (الإنجيل).
النوع الخامس: نصوص في موقف قومه من دعوته.

الضابط الثالث:

النصوص الواردة في بيان فساد العقائد النصرانية بعد نقائها. **وتحته أنواع منها**:
النوع الأول: النصوص التي بينت عقائد النصارى الباطلة.
النوع الثاني: النصوص التي بَيّنَت مردّ تلك العقائد.
النوع الثالث: النصوص التي بَيّنت عوامل انحرافهم.

الضابط الرابع:

النصوص الواردة في المؤمنين من النصارى. **وتحته أنواع منها**:
النوع الأول: نصوص في الحواريين.
النوع الثاني: نصوص في المؤمنين منهم الباقين على دينهم الصحيح قبل مبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.
النوع الثالث: نصوص في الذين آمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه.

الضابط الخامس:

نصوص في بيان فساد علمائهم ورهبانهم. **وتحته أنواع منها**:
النوع الأول: نصوص في تحريفاتهم لكتابهم.
النوع الثاني: نصوص في تبديلهم لعقائدهم وتشريعاتهم المنزلة.
النوع الثالث: نصوص في بيان فساد أخلاقهم.

الضابط السادس:

الإشارات التاريخية للديانة النصرانية. **وتحته أنواع منها**:
النوع الأول: نصوص في بيان أطوار النصرانية من التوحيد المحض إلى الشرك المحض.
النوع الثاني: نصوص في افتراقهم وفرقهم على اختلافها.

الضابط السابع:

النصوص الواردة في الرد على عقائدهم الفاسدة.
النوع الأول: نصوص في الرد عليهم في القول بربوبية المسيح والعياذ بالله.

النوع الثاني: نصوص في الرد عليهم في القول بألوهية المسيح والعياذ بالله.
النوع الثالث: نصوص في الرد عليهم في القول ببُنُوّة المسيح لله سبحانه وتعالى.
النوع الرابع: نصوص في الرد عليهم في القول بالتثليث.

ثانيا:

المصادر المكتوبة:

سبق أن المقصود بـ"المصادر المكتوبة" الكتب المسطورة وما يُلحق بها. وهذه الكتب ليست مؤلفة في قواعد الرد على النصارى ، بل بعضها في مجرد الرد عليهم ، وبعضها في الرد عليهم وعلى غيرهم ، وبعضها في موضوعات أخرى لكن تتعرض لـلرد عليهم في حينه . وتلتقط أو تستنتج على ضوء ردودهم عليهم قواعدُ كثيرة اعتمدوا عليها في تلك الردود. وهي كتب كثيرة يصعب حصرها، لكن يمكن حشرها في الأ جناس التالية:

الجنس الأول:

الكتب الخاصة في الرد على النصارى. وهي أثرى المصادر على الإطلاق بالقواعد وقد سبق ذكر الأهم بعضها، وسيأتي ذكر البعض الآخر في فهرس المصادر والمراجع.

الجنس الثاني:

الكتب المؤلفة في الرد على أديان لها صلة بالنصرانية مثل اليهودية، و البوذية والأديان الوثنية القديمة.

الجنس الثالث:

الكتب المؤلفة في الملل والنِّحَل ؛ فإنها تُخَصِّصُ بابـا في بيان عقائد النصارى والرد عليها.

الجنس الرابع:

الكتب المؤلفة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام في الرد على ضلا لتهم التي أخذوها من النصارى مباشرة أو بواسطة مثل الرافضة وغلاة الصوفية فإنهم أخذوا من النصارى - و زادوا عليهم-الشرك في التوحيد ، وتقديسَ الأشخاص ، والحلول ، والاتحاد ، والرهبانية وغير ذلك [901]

---

[901] انظر : "مشروعية الرد على النصارى من النظر الصحيح " . (ص : 119).

الجنس الخامس:
الكتب المؤلفة في التفسير (عند تعرضها لتفسير أنواع الآيات المدرجة في التصنيف السابق).

الجنس السادس:
الكتب المؤلفة في شروح الأحاديث (عند تعرضها لشرح أنواع الأ حاديث المدرجة في التصنيف السابق).

الجنس السابع:
الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن.

الجنس الثامن:
الكتب المؤلفة في الدفاع عن القرآن والسنة

الجنس التاسع:
الكتب المؤلفة في الدلائل والشمائل النبوية.

الجنس العاشر:
مناظرات العلماء للنصارى قديما وحديثا.

الجنس الحادي عشر:
تراجم العلماء الذين اشتهروا بالرد على النصارى ومناظرتهم مثل الباقلا ني وأبي عبيدة الخزرجي.

تنبيه:
ليعلم أن ما لم يذكر تحت أحد من المصدرين المذكورين لا يعني ألا ّ توجد فيه قواعد في الرد على النصارى ؛ لأنّ بعض القواعد كما سنرى فيما بعد قواعد عامة تشمل النصارى وغيرهم ، كما لا يعني بالضرورة أنّه لا بُدّ من وجودها في كل ما ذكر منهما ؛ بل غاية ما في الأمر أنها مظانّها ، ومظنة الشيء : "موضعه ومألفه الذي يُظنّ كونه فيه".[902]

الشق الثاني:
الأصول التي بنيت هذه القواعد عليها

أمّا الأصول التي بنيت عليها هذه القواعد فكثيرة ومتنوعة لكن من حيث العموم يمكن إرجاعُها كلها إلى ثلاثة أصول:

1. الأصل الشرعي.
2. الأصل العقلي. 3.الأصل الاستقرائي.

أوّلا:
الأص-ل الش-رعي:
والمقصود به القواعد التي أساسها ومستندها من حيث المصدرية آية قرآنية ، أو حديث نبوي وهذا النوع من القواعد على قسمين:

القسم الأول :آيات قرآنية أو أحاديث نبوية هي بعينها وصيغها قواعد في الرد ، وذلك مثل قاعدة "**إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ**" وقاعدة: "**لا َ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**" فإن هاتين القاعدتين مأخوذتان من القرآن الكريم مباشرة.

القسم الثاني: آيات قرآنية أو أحاديث نبوية هي بعينها قواعد في الرد لكن بطريق الاستدلال والنظر وذلك مثل قاعدة: "**لا َ يُجَادَلُ النّصَارَى إِلا ّ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِلا ّ الذّينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**" فإنها مستنبطة من

---

(902) "الصحاح" :(6/ 216).

قوله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}.[903]

ومثل قاعدة "**لا يُصَدِّقُ النَّصَارَى وَلَا يُكَذِّبُونَ فِيمَا يَحْتِمَلُ الصِّدْقَ وَالكَذِبَ**" فإنها مستنبطة من قوله عليه السلام: "لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالذِّي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ"[904]

ثانيا

الأصل العقلي:

والمقصود به القواعد التي بُنيت على القواعد والأصول العقلية الصحيحة ، وذلك مثل قاعدة :"**حُكْمُ الشَّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ**" فإنها مستندة إلى القاعدة العقلية المتقررة من أنه لا يفرق بين متماثلين ولا يجمع بين مفترقين .

ومثل قاعدة "**مَا ثَبَتَ بُطْلَانُهُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ**" فإنها مبنية على السبر والترديد وهو دليل صحيح إذا كان حاصرا[905]

ثالثا:

الأصل الاستقرائي:

الاستقراء هو: "تتبع جزئيات الشيء"[906]

والمقصود بالأصل الاستقرائي القواعد التي بنيت على الاستقراء وذلك مثل قاعدة : "**دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المَعْقُولِ**" وكذلك قاعدة: "**مَا غَلَا فِي الدِّينِ غَالٍ مَا غَلَت فِيهِ النَّصَارَى**" فهاتان قاعدتان مبنيتان على تتبع جزئيات الديانة النصرانية.

***

(903) "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

(904) رواه البخاري: "كتاب الاعتصام": "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء رقم: [7362] (9136/15) مع الفتح.

(905) انظر: شرح القاعدة ومعنى مصطلح "السبر والترديد في : (ص : 394).

(906) " الكليات": (ص:106).

المبحث الرابع:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الشمول

ليست قواعد الرد على النصارى في شمولها وسعة تطبيقاتها على درجة واحدة، فحينما نجد منها قواعد يصلح استعمالها في جميع المسائل التي يرد فيها المسلم على النصراني، نجد بعضها لا تصلح إ لا لمسألة واحدة فحسب.

وبهذا الاعتبار يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

القواعد الكبرى:

وهي القواعد ذات الشمول الواسع التي يمكن الاعتماد عليها في الرد على النصارى في جميع المسائل المتنازع فيها بين المسلمين و النصارى سواء في تصحيح دينهم أو في الطعن في الإسلام. وذلك مثل قاعدة: "مَصَادِرُ النّصَارَى لا َ تقوُمُ بِهَا حُجّةٌ" فهذه القاعدة تصلح في الرد على النصراني في كل ما يراه صحيحا ، وفي بعض ما يراه في الإسلام باطلا؛ (كأن يقول لم يقتل نبي من الأنبياء في الجهاد حسب ما في الكتاب المقدس، أو يقول كتابهم المقدس لم يبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم إلخ) ذلك لأنه ليس له طريق إلى إثبات عقيدة من عقائده إلا بالرجوع إلى تلك المراجع، فإذا منعت صحة الاحتجاج بها ، هدمت له أصله الذي يبني عليه ؛ و"الأ َصْلُ إذَا سَقطَ سَقطَ الفَرْعُ".

ومنها كذلك قاعدة : "حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"، فهذه القاعدة تصلح للرد عليهم في أغلب المسائل كما سيظهر جليا إذا أتينا إلى شرحها والتطبيقات عليها. فهذه القاعدة والتي قبلها من أوسع القواعد وأغناها بالجزئيات المندرجة تحتها.

القسم الثاني:

القواعد الوسطى

وقواعد هذا القسم أقل شمولا من التي قبلها ، وأوسع من التي تأتي بعدها.

ومن أمثلتها قاعدة : "المُتَشَابِهُ يُرَدُّ إلَى المُحْكَمِ" . وقاعدة :"لا َ يُصَدّقُ النّصَارَى وَلا َ يُكذّبُونَ فِيمَا يَحْتِمِلُ الصِّدْقَ وَالكذِبَ".

فهاتان قاعدتان شاملتان لكن شمولهما لم يكن كشمول اللتين قبلهما.

القسم الثالث:
القواعد الصغرى
وهي القواعد التي لا تصلح للرد إلا في مسألة من المسائل غالباً ، مثل قاعدة: "القرْآنُ يُؤْخَذُ كُلُّه"؛ فإنها تتعلق باستدلال النصارى بالقرآن فقط على فرض صحة استدلالهم به.
بل أحيانا لا يمكن استعمال قواعد هذا القسم إلا في جزئية بعينها من المسألة الواحدة وذلك مثل قاعدة : "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ" . فإنها لا تصلح للرد على النصارى إلا في شبهة واحدة من مجموع شبههم التي يتكئون عليها في القول ببنوة المسيح عياذا بالله.

المبحث الخامس:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث العرض

والمقصود بهذا المبحث أقسام هذه القواعد من حيث تناولها والتعامل معها في هذا البحث.
وبمعنى آخر أن الأقسام الواردة في هذا المبحث هي التي تبنى عليها هذه الرسالة وهي بهذا الاعتبار على أربعة أقسام:

القسم الأول:
القواعد الواردة في تصوير عقائد النصارى المردود عليها .

القسم الثاني:
القواعد الواردة في مناقشة عقائد النصارى وإبطالها.

القسم الثالث:
القواعد الواردة في الأصول المعتمدة في الرد على النصارى.

القسم الرابع:
القواعد الفاسدة في الرد على النصارى
وسيأتي بيان المقصود بكل قسم من هذه الأقسام في مكانه.

المبحث السادس:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الصحة والفساد

تنقسم قواعد الرد على النصارى من هذه الحيثية إلى قسمين :

القسم الأول:
القواعد الصحيحة
وهي ما عدا القواعد الفاسدة الآتي ذكرها .

القسم الثاني:
القواعد الفاسدة:
وهي القواعد التي بُنِيت على أصل فاسد، مثل قاعدة : "إنّ النّصُوصَ إذَا وَرَدَتْ فَإِنْ وَافَقَتْ المَعْقولَ تركتْ ظَوَاهِرُهَا، وَإِنْ خَالَفَتْ صَرِيحَ المَعْقول وَجَبَ تأويلُهَا وَاعْتِقَادُ أنّ حَقَائِقَهَا لَيسَتْ مُرَادَةً فَيَجِبُ إذْ ذَاكَ رَدُّهَا إلَى المَجَازِ".
فهذه القاعدة بُنِيت على ثلاثة أصول هي:

1. وجود التعارض بين صحيح المنقول وصريح المعقول.
2. تقديم المعقول على المنقول عند التعارض (المتوَهّم).
3. إثبات المجاز.

والأصلان الأوّلان فاسدان حسب أصول أهل السنة والجماعة. و الثالث مختلف فيه كما سيأتي.
والقواعد الفاسدة في الرد على النصارى حَقّها ألا ّ تذكر في هذا البحث لأمور منها :

1. أنها باطلة ولا يتوصل في إحقاق الحق بالباطل.
2. أن غيرها يغني عنها.
3. أن البحث فيها يطول ويخرج عن المقصود.

ومع ذلك فإني سأعقد لها فصلا خاصا أتناولها فيه باختصار غير مخل ؛ حتى يتراجع عنها أسيرها ، ولا يقع من جهل حقيقتها في شراكها.

تكملة في:

بقية أقسام قواعد الرد على النصارى

هناك أقسام أخرى لقواعد الرد على النصارى تدعو الحاجة إلى التنبيه عليها لأهمية ذلك في عملية الرد والتطبيق وهذه الأقسام هي:

أولا:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث المصدرية

تنقسم قواعد على النصارى من حيث المصدرية (أي الأصول التي بُنيت عليها) إلى ثلاثة أقسام كما سبق.[907]

القسم الأول:

القواعد المبنية على أصل شرعي

القسم الثاني:

القواعد المبنية على أصل عقلي.

القسم الثالث:

القواعد المبنية على أصل استقرائي.

ثانيا:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث التنصيص والاستنباط :

بعض العلماء ينُصُّ على القواعد التي اعتمد عليها في رده على النصارى والبعض الآخر- وهم الأكثر - لا يَنُصُّون عليها تنصيصا بل تأتي في ردودهم أو تُفهم من استدلالاتهم وتعليلاتهم.

والقواعد من هذه الحيثية تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

القواعد المنصوص عليها.

والمقصود بها القواعد التي نص عليها العلماء في مؤلفاتهم تنصيصا كما سبق ، مثل قاعدة "إِنّ النّصُوصَ إِذَا وَرَدَتْ فَإِنْ وَافَقَتْ المَعْقُولَ تركتْ ظَوَاهِرُهَا ، وَإِنْ خَالَفَتْ صَرِيحَ المَعْقُولِ وَجَبَ تأْوِيلُهَا وَاعْتِقَادُ أَنّ حَقَائِقَهَا لَيسَتْ مُرَادَةً فَيَجِبُ إِذْ ذَاكَ رَدُّهَا إِلَى المَجَازِ" نص عليها الغزالي في كتابه "الرد الجميل"[908]

وقاعدة: "إِنّ الأَحْكَامَ العَقَلِيّةَ عَلَى وِزَانِ الأَحْكَامِ الحِسّيِةِ" نص

---

(907) انظر : "مبحث مصادر قواعد الرد على النصارى". (ص: 281).

(908) (ص: 23).

عليها الطوفي في كتابه "الانتصارات"[909]

القسم الثاني:

ما جرى في كلام العلماء وعُدّ قاعدة.

والمقصود بذلك ما انطبق عليه تعريف القاعدة من كلام العلماء في ردودهم ومناقشاتهم لعقائد النصارى وإن لم يصرحوا بأنها قواعد في الرد وذلك مثل قاعدة: "**كُلُّ مَا خَالَفَ صَرِيحَ المَعْقُولِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يُخْبِرَ بِهِ رَسُولٌ**" ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله في "الجواب الصحيح"

وقاعدة: "**لَولَمْ يَكُنْ مُحَمّدٌ صَادِقًا لَكانَ المَسِيحُ كاذِبًا**" ذكرها الطوفي رحمه الله في "الانتصارات" [910].

القسم الثالث:

القواعد المستنبطة

والمقصود بها القواعد التي تُفهم من الكتاب والسنة ومن تعليلات العلماء واستدلالاتهم وإشاراتهم وتستنبط منها. ومن أمثلتها "**لا يُجَادَلُ النّصَارَى إلا بِالتِي هِيَ أحْسَنُ إلا الذِّينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**" وقاعدة: "**ما سب الله أحد ما سب النصارى رب العالمين**". فالأولى مستنبطة من قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.[911] والثانية من الحديث القدسي يقول الله تعالى فيه:

"كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أماّ تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر على أن أعيده كما كان، وأمّاشتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا"[912].

وفي رواية:

"كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أماّ تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأمّا شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد"[913].

---

(909) (241/1).

(910) "الانتصارات": (755/2).

(911) "سورة العنكبوت": آية (46).

(912) رواه البخاري "كتاب التفسير": "باب وقالوا اتخذ الله ولدا" رقم: [4482] (20/9) مع الفتح.

(913) رواه البخاري "كتاب التفسير" رقم: [4974] (765/9) ورواه أيضا برقم: [4975] وبرقم : [7669].

وذلك في مجرد كونه سبا، أما بالنسبة لبشاعة السب وشدته فمن عموم ردود العلماء عليهم.

ثالثا:

أقسامها من حيث الاتفاق والاختلاف

قبل بيان أقسام القواعد بهذا الاعتبار، أُنبِّهُ على أمر مهم؛ ألا وهو أن هذا الاتفاق والاختلاف لا بد أن يكون كل واحد منهما معتبراً أي مبنيا على دليل صحيح لا دعوى مجرّدة.

والنظر في هذا القسم في مقامين :

المقام الأول:

الاتفاق والاختلاف الموجودان أو المتصوران بين رادٍ وآخر (أي من المسلمين)

لم تكن جميع قواعد الرد على النصارى محل اتفاق بين جميع من رد عليهم من علماء المسلمين ، بل يتفقون على قواعد ، ويختلفون في قواعد أخرى ، وإن كانت المختلف فيها بالنسبة للمتفق عليها عددا يسيرا .

إذاً، فقواعد الرد من هذه الحيثية على قسمين :

القسم الأول:

القواعد المتفق عليها :

والمقصود بها القواعد التي لا يخالف في صحتها وصلاحيتها للرد على النصارى كل من رد عليهم من علماء المسلمين سواء استعملها هو في ردوده أم لا .

ومن ضوابطها :

1. أن تكون القاعدة عقلية مثل قاعدة : "**مَا ثَبَتَ بُطْلا نَهُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِ الأَمْرِ**"
2. أن تكون القاعدة استقرائية .مثل قاعدة : "**دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيْرِ المُنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المُعْقُولِ**"
3. أن تكون القاعدة في إثبات ما هو متفق عليه عند جميع المسلمين .مثل قواعد في إثبات وحدانية الله عز وجل ، والتي في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والدفاع عن الإسلام من حيث العموم.
4. أن تكون القاعدة في رد ما هو متفق على فساده عند جميع المسلمين مثل القول بالتثليث ، وعقيدة الصلب والفداء وإنكار كون

القرآن منزلا من عند الله.

القسم الثاني

القواعد المختلف فيها:

وهي على نوعين:

النوع الأول : القواعد المختلف فيها اختلافا معتبرا.

وضابط الاعتبار ههنا : أن يكون مما لم يخالف أصول مذهب أهل السنة والجماعة ولعل أبرز ما يمثل قواعد هذا النوع ، قاعدة : "**إذَا تعَذّرَ حَمْلُ الكلا َمِ عَلَى الحَقِيقَةِ حُمِلَ عَلَى المَجَازِ**" فهذه القاعدة مختلف في صحتها وصلاحيتها ؛ بناءاً على الاختلاف في أصلها وهو إثبات المجاز أو نفيُه فحينما نرى الغزالي **والجعفري** رحمهما الله ـ وهما من المثبتين للمجاز- يبني الأول كتابه"الرد الجميل" كلّه تقريبا على هذه القاعدة ، ويبني الثاني ربع ردوده عليها في كتابه "التخجيل" نرى شيخ الإسلام رحمه الله ـ وهو من النافين له -لم يستعملها ولو مرة واحدة فيما اطلعت عليه من ردوده عليهم.

ونفى المجاز ليس من أصول مذهب أهل السنة و الجماعة ، إنما هو من الوسائل التي اتخذها بعض أهل السنة -مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه **ابن القيم** رحمهما- لسدّ باب التعطيل على من اتخذ المجاز مطية لذلك من المبتدعة ، فيكون الخلاف فيها أخفّ من الخلاف في غيرها ، ومع ذلك فإني لا أوليها أي اهتمام في هذا البحث بل لا أذكرها إ لا عند شدة الحاجة إلى ذلك. وذلك لسببين:

السبب الأول:

أنه ما من قاعدة من القواعد المختلف فيها إلا وتقوم قاعدة من القواعد المتفق عليها مقامها تغني عنها ، فأكتفي بالمتفق عليه عن المختلف فيه لحصول المقصود. ولنضرب على ذلك مثلا حتى تتضح الصورة أكثر:

من شبهات النصارى في القول بِبُنُوّة المسيح عليه السلام تسميته في كتبهم بأنه "ابن الله" في أماكن كثيرة منها فللرد عليهم في هذه الشبهة قواعد منها:

قاعدة : **مَصَادِرُ النّصَارَى لا َ تقومُ بِهَا حُجّةٌ"** فإنه أحد دليله من الكتب وهي لا تصلح للاحتجاج فهذا إسقاط لأصله ، و"**الأ َصْلُ إِذَا سَقَطَ سَقَطَ الفَرْعُ**".

ومنها قاعدة : "**حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ**" فإنه جاء تسمية كثير في الكتاب المقدس بهذه التسمية فلِمَ فرقوا بين بنوته وبنوتهم ، فهل هذا إ لا تفريق بين متماثلين ؟ إذاً فليوحدِوا الحكم لتحقق المثلية.

ومنها قاعدة : "**المُتَشَابِهُ يُرَدُّ إِلَى المُحْكَمِ**" فإنه ورد هذا اللفظ في مواضع كثيرة يتبين من خلالها تفسيره الصحيح فيظهر بذلك حقيقة المقصود منه لا ما توهمه النصارى من المعنى الفاسد القبيح .
فكل قاعدة من هذه القواعد الثلاث متفق عليها وتغني في الرد على النصارى بخصوص هذه الشبهة عن القاعدة المختلف فيها السالفة الذكر "**إِذَا تَعَذَّرَ حَمْلُ الكلا َمِ عَلَى الحَقِيقَةِ حُمِلَ عَلَى المَجَازِ**" والتي يقال بموجبها: المقصود بالبُنوّة هنا البُنُوة المجازية لا الحقيقية.
السبب الثاني:
أن القواعد المختلف فيها لا بد فيها من التمييز بين صحيحها وسقيمها والحكم عليها وهذا لا يحصل إلا بدراسة أسباب الاختلاف وأصوله ، وليس هذا من مقاصد البحث ولا من أغراضه كما أنّه يطوِّله تطويلا يُخرجه عن الحد والمقصود، بل إن قاعدة واحدة قد تحتاج للحكم عليها بحثا مستقلا كقاعدة المجاز السابقة.
النوع الثاني:
القواعد المختلف فيها اختلافا غير معتبر
وضابط عدم الاعتبار ههنا أن يكون مما خالف أصول مذهب أهل السنة والجماعة . ومما يمثل قواعد هذا النوع قاعدة: "**كُلُّ شَيْئَيْنِ اتّحَدَا صَارَ شَيْئًا ثَالِثًا**" فإنها لا يمكن أن يعترف بها الاتحادي المنتسب إلى الإسلام الفاهم لعقيدته المتمسك بها في رده على النصارى ، فضلا عن أن يستعملها في ردوده . فهذه القاعدة من هذا المنظار مختلف فيها ، لكنه خلاف غير معتبر؛ لأنه مبني على مخالفة أصل من أصول أهل السنة ألا وهو إثبات ما أثبت الله لنفسه من حيث العموم، وإثبات علو الله تعالى الذاتي و فوقيته على خلقه و مباينته لهم سبحانه وتعالى من حيث الخصوص، أضف إلى ذلك اللوازمالباطلة التي تلزمه والتي تتلخص في إنكار وجود الله سبحانه وتعالى وتأليه الكون بإسره.
فهذا النوع من الاختلاف فاسد غير معتبر؛ لأنه خلاف بين حق وباطل ، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

المقام الثاني:
الاتفاق والاختلاف الموجودان أو المتصوران بين الراد وهو (المسلم) و المردود عليه وهو (النصراني).
مما لا شك فيه أن هذه القواعد سيتفق على بعضها المسلم والنصراني، ويختلفان في البعض الآخر.

والمقصود بالاختلاف في هذا المقام مجرد المعارضة من أحد الجانبين في صحة القاعدة وإن كانت صحيحة في نفس الأمر.
والقواعد في هذا المقام على قسمين أيضا :

القسم الأول :

القواعد المتفق عليها أو لا يختلف في صحتها المسلم والنصراني .
ومن ضوابطها :

أن تكون القاعدة عقلية محضة ، وذلك مثل قاعدة : "**مَا ثَبَتَ بُطْلَا نُهُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ فَهُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِ الأَ مْرِ**" ذلك لأن القواعد من هذا القبيل لا يخالف فيها إلا مكابر أو مسفسط.

أن تكون القاعدة مبنية على أصل شرعي اتفق عليه الجانبان قولا وعملا مثل قاعدة "**لا تَسْتَقِلُّ الْعُقُولُ بِمَعْرِفَةِ الشَّرَائِعِ**" فإن هذه القاعدة مبنية على أصل شرعي اتفق عليه المسلم والنصراني ، وهو إثبات النبوة والرسالة من حيث الجملة.

القسم الثاني:

القواعد المختلف فيها أو لا يتفق على صحتها المسلم والنصراني
و المقصود بالمخالفة ههنا كما سبق مجرد المعارضة من أحد الجانبين في صحة القاعدة وإن كانت صحيحة في نفس الأمر. **ولها صورتان :**

الصورة الأولى:

أن تكون المخالفة من قبل النصراني.
وهذه المخالفة غير معتبرة في القواعد التي تذكر في هذا البحث ؛ ذلك لأنها صحيحة في نفسها ، صادقة في محتواها ومؤداها وقاعدة هذا شأنها لا تضر مخالفة من خالف فيها لأن "**الحق حقٌّ صدّقه الناس أو كذّبوه**، والباطلَ باطل صدّقه الناس أم كذّبوه ، ولا يزيد الحقّ درجةً في أنه حق إطباقُ الناس كلهم على تصديقه ، ولا يزيده مرتبةً في أنه باطل تكذيب الناس كلِهم له" [914] فـ"**مَا قَامَ عَلَى صِحَّتِهِ الْبُرْهَانُ فَهُوَ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ وَعَلَى مَنْ وَافَقَهُ**" [915]
وترجع مخالفة النصراني في صحة القاعدة الصحيحة في نفس الأمر إلى لطافة استدلال القاعدة، أو قصور نظره فيها، أو الجهالة، أو المكابرة ، أو الجميع.
ومن أمثلتها قاعدة: "**دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ الْمُنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ**

---

(914) "الفصل " : (1/103).
(915) "المصدر السابق"

المَعْقُولِ" فقد ينازع النصراني في صحتها جهلا أو مكابرة وليس واحدٌ منهما عذرا ولا دليلا معتبرا.
ومنها أيضا : قاعدة : "**لا يَصِحُّ احْتِجَاجُ النَّصَارَى بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ**" فقد يخالف في صحتها كذلك ؛ إذ كيف يسوغ لنا أن نستدل بكتابه على مرادنا، ولا يسوغ له أن يستدل بكتابنا على مراده؟ فمنشأ هذا الاعتراض يرجع إلى لطافة مبناها ، أو قصور نظره فيها أو هما معا . يزولان عند زيادة التأمل والتجرد للحق من قبل النصراني ، و المبالغة في التأصيل والتقرير من قبل المسلم.
الصورة الثانية:
أن تكون المخالفة من قبل المسلم
وترجع مخالفته لها في الأعم الأغلب إلى فساد القاعدة من أساسها ، لأ نها بنيت على أصل باطل ، أو مقدمات غير مسلمة.
ومن القواعد التي اجتمع فيها السببان ، قاعدة : "**لا يَكُونُ مَنْ لَمْ تُبَشِّرْ بِهِ الأَنْبِيَاءُ نَبِيًّا**". فهذه القاعدة مما يعتمد عليه النصارى في نفي نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه حسب زعمهم لم تبشر به الأنبياء قبله ، ومن لم تبشر به الأنبياء لا يمكن أن يكون نبيا.
وتحقق السبب الأول : أن القاعدة مبنية على أصل باطل ألا وهو كتبهم التي لا تقوم بها حجة كما سبق وكما سيأتي تقريره إن شاء الله.
وتحقق السبب الثاني : أن مقدمات القاعدة غير مسلمة ، لأنهم يقولون في تقريرها إن " نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم تبشر به الأنبياء ومن لم تبشر به لا يكون نبيا فيكون محمد صلى الله عليه السلام ليس بنبي.
فالمقدمة الأولى فاسدة؛ فإنّ كتب الأنبياء مكتظة بالبشارة به، بل بشارتهم به أعظم من بشارتهم بغيره.
والمقدمة الثانية غير مسلمة؛ فإنّ كثيرا من الأنبياء الذين يعتقد النصارى صحة نبوتهم مثل موسى وهارون وغيرهما لم تبشر بهم الأ نبياء قبلهم ، ومع ذلك فإنهم من أعظم الأنبياء عندنا وعندهم.
وفساد مقدمة واحدة يكفي في عدم صحة الحكم والنتيجة فما بالك إذا كانتا فاسدتين كلتاهما.

رابعاً:
أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الاستقلال والتبعية
تنقسم القواعد من هذه الحيثية إلى قسمين:

القسم الأول:

القواعد المستقلة.

والمقصود بها القواعد التي هي أصول بنفسها وليست داخلة تحت غيرها.

ومن ضوابطها :

ألا تكون قيدا أو شرطا لقاعدة أخرى ، أو استثناء منها ، أو استدراكا عليها. ومن أمثلتها قاعدة : "**كُلُّ سُؤَالٍ انْقَلَبَ عَلَى سَائِلِهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مِنْ أَصْلِهِ**" وقاعدة: "**يَمْتَنِعُ التَّصْدِيقُ بِالفَرْعِ مَعَ القَدْحِ فِي الأَ صْلِ**" فكلتاهما قاعدتان مستقلتان لم يتفرّعا عن قاعدة أخرى.

القسم الثاني:

القواعد التابعة

وهي القاعدة التي ليست مستقلة بنفسها ، بل هي تابعة لغيرها لا من حيث معناها، بل من حيث كونها خادمة للقواعد الأصول التي تفرعت عنها.

ومن ضوابطها:

1. أن تمثل جانبا من جوانب قاعدةٍ مَا مثل قاعدة : "**لا َ يَسْتَقِيمُ لِلنّصَارَى فِي الاتِّحَادِ مِثَالٌ**" فهي تمثل جانبا من جوانب قاعدة : "**كُلُّ شَيْئَيْنِ اتّحَدَا صَارَا شَيْئًا ثَالِثًا**" وهذا الجانب الذي مثّلته هو منع تقرير الاتحاد من خلال تقريبه للأذهان بواسطة ضرب الأمثال.
2. أن تكون تطبيقا لقاعدةٍ ما في مجالات معينة. مثل قاعدة "**إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**" فإنّها متفرّعة من قاعدة: "**حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ**" وتطبيق لها في مسألة ادعاء بنوّة المسيح لله عز وجل.

خامساً:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث العموم والخصوص

قواعد الرد على النصارى يمكن أن تكون كلها عامة باعتبار أن النصرانية مستوردة برُمّتها من فلسفات مظلمة، أو أديان وثنية أو سماوية محرّفة ؛ فتكون كلّ قاعدة تصلح للرد عليهم تصلح كذلك للرد على سلفهم الطالح الذين أخذوا منهم تلك العقيدة أو الشريعة المردود عليهما.

لكن يمكن أن تقسم إلى عامة وخاصة باعتبار آخر:

القسم الأول:

القواعد العامة

وهي القواعد التي تصلح للرد على النصارى وعلى غيرهم من الأمم الكافرة والفرق المنحرفة.

ومن ضوابطها:

1. أن تكون موجّهة مباشرة للرد على أصول عقائدهم؛ لأنّها-كما سبق- مأخوذة من غيرهم فيكون الرد عليهم ردًا على أولئك سواء بسواء.
2. أن تكون في إبطال أدلة دينهم عقلية أو نقلية باستثناء أدلتهم من العهد الجديد.
3. أن تكون في الرد على عقائد مشتركة بينهم وبين غيرهم. مثل إنكار نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والغلو فيمن يعتقد فيهم الصلاح؛ فإن العقيدة الأولى مشتركة بينهم اليهود، والثانية بينهم وبين غلاة الصوفية والرافضة.

ومن أمثلتها قاعدة: "**كُلُّ سُؤَالٍ انقلبَ عَلَى سَائِلِهِ فَهُوَ بَاطِلٌ مِنْ أصْلِهِ**" تصلح للرد على النصارى في إنكار نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى اليهود في إنكار نبوّة المسيح عليه السلام.

وكذلك قاعدة : "**المِثْلانِ اللذَانِ يَسُدُّ أحَدُهُمَا مَسَدّ الآخَرِ يَجِبُ لأحَدِهِمَا مَا يَجِبُ عَلَيهِ وَيَمْتَنِعُ عَلَيهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيهِ وَيَجُوزُ عَلَيهِ مَا يَجُوزُ عَلَيهِ**" يرد بها على النصارى في القول بالاتحاد والحلول، وعلى "الاتحادية" و "الحلولية" من الرافضة وغلاة الصوفية المنتسبين إلى الإسلام.

وكذلك قاعدة : "**إذَا ثَبَتَ الحُجّةُ التِي غَيرُهَا أقْوَى مِنْهَا فَالقَوِيّةُ بِالثبُوتِ أوْلَى**"[916] يرد بها على النصارى في استدلالهم بفضائل المسيح عليه السلام على تقديمه وتفضيله على جميع الأنبياء و المرسلين عليهم الصلاة والسلام، بل وعلى القول بربوبيته وألوهيته.

وعلى الرافضة في استدلالهم بفضائل علي رضي الله عنه على تقديمه وتفضيله على بقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وعلى القول بألوهيته وربوبيته عند الغلاة منهم.

---

[916] "منهاج السنة النبوية" لشيخ الإسلام ابن تيمية : (2/55-64)

القسم الثاني:

القواعد الخاصة

وهي القواعد التي يرد بها على النصارى خاصة

ومن ضوابطها:

1. أن تكون القاعدة موجّهة لنقض أدلة دينهم من العهد الجديد
2. أن يكون لها تعلق مباشر بعقيدتهم بغض النظر عن الأصل الذي أُخذت منه تلك العقيدة أول مرّة.

ومن القواعد التي اجتمع فيها الضابطان، قاعدة: "**مَا مِنْ آيَةٍ جَاءَ بِهَا المَسِيحُ إلا وَعِنْدَ غَيرِهِ مِثْلُهَا وَأَعْظَمُ مِنْهَا**" فهذه القاعدة يرد بها عليهم في كل ما يعتقدون عليه من آيات المسيح عليه السلام كدليل على الغلو فيه، فلو اعتبرنا الأصل الأوّل الذي تنقضه ألا وهو الغلو لصنّفْناها في القواعد العامة، لكن منَعَنا من ذلك كون مأخذها من العهد الجديد، وأنّ لها تعلقاً مباشراً بعقيدة من عقائدهم -وهي ادعاء ألوهية المسيح- بغض النظر عن الأصل الذي أخذوا منها هذه العقيدة.

ومن أمثلتها أيضا: "**إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ**"

سادساً:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث إحكام النقض

ليست قواعد الرد على النصارى كلها على درجة واحدة من القوّة، بل بعضها أشد في النقض وأقوى في الإحكام من البعض الآخر.

ومن ضوابط القواعد الأقوى أن تكون مما يعتمد عليه في نقض أصول أدلتهم؛ فإنها في أعلى القمّة من المتانة والقوة ، وذلك مثل قاعدة: **مَصَادِرُ النّصَارَى لا تَقُومُ بِهَا حُجّةٌ**" فإنها تغلق باب الاستدلال عليهم من جهتهم لما يعتقدونه صحيحاً من دينهم، أو ما يعتقدونه باطلا من دين الإسلام.

ومن أمثلتها كذلك قاعدة: **لا يَصِحُ احْتِجَاجُ النّصَارَى بِشَيْءٍ مِمّا جَاءَ به مُحَمّدٌ صَلَى اللّه عَلَيهِ وَسَلّمَ**" أنّها تغلق باب الاستدلال لكن من جهتنا لا من جهتهم.

سابعاً:

أقسام قواعد الرد على النصارى من حيث الرد والإيراد

والمقصود بـ"الرد" هنا (الدفاع) وبـ"الإيراد" (الهجوم)

تنقسم قواعد الرد على النصارى من هذه الحيثية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

القواعد الردِّية (والمقصود بها القواعد التي يدفع بها المسلم عن شبهات النصراني)

ومن ضوابطبها:

1. أن تكون القاعدة مما يستعان به في رد شبهاتهم في تصحيح عقيدتم مثل قاعدة: "**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**" يدافع بها عن شبه النصراني في القول ببنوة المسيح والعياذ بالله حيث ولد من غير أب.
2. أن تكون مما يستعان به في الرد على طعونهم في الإسلام مثل قاعدة: "**لا يَصِحُّ احْتِجَاجُ النَّصَارَى بِشَيْءٍ مِمَّا جَاءَ بِه مُحَمَّدٌ صَلَى اللَّه عَلَيهِ وَسَلَّمَ**" وقاعدة "**إِنَّ مُحَمَّداً صَلَى اللَّه عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَعْقَلِ البَشَرِ**" يرد بهما المسلم على شبهات النصراني ضد الإسلام.

القسم الثاني:

القواعد الإيرَادِيّة (والمقصود بها القواعد التي يهاجم بها المسلم على النصراني)

ومن ضوابطها: أن تكون القاعدة تُوَجّه دعوى إلى النصارى مثل قاعدة: **لا يَسْتَقِيمُ لِلنَّصَارَى فِي الاتِّحَادِ مِثَالٌ**" وقاعدة "**دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المُنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المُعْقُولِ**" فإنهم يضطرون إلى محاولات- وإن كانت بائسة- على تصحيح دعواهم ، وهذا هو الهجوم بعينه من قبل المسلم ، والدفاع بعينه من قبل النصراني.

القسم الثالث:

القواعد الردية الإيرادية (والمقصود بها القواعد التي يمكن أن يهاجم المسلم النصراني بها ، كما يمكن أن يدفع بها شبهاته وإيرادته)

وضابطها: أن يجتمع فيها ضوابط القسمين السابقين:

ومن أمثلتها قاعدة: "**حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلُهُ**"

وتطبيقها في الإيراد : أن تعارض آيات المسيح بآيات غيره مما هو مثلها أو أعظم منها نفيا لدعوى إلهيته.

وتطبيقها في الرد: إذا أورد النصراني شبهة على الإسلام؛ كأن يقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم شهواني كما يقول كثير منهم و العياذ بالله؛ لأنّه تزوّج بإحدى عشرة امرأة. قال له المسلم: ونبي الله داود عليه السلام تزوّج مائة امرأة، فجوابك عنه جوابي عن محمد صلى الله عليه وسلم. والحمد لله رب العالمين

***

الفصل الأول:

القواعد الواردة في تصوير عقائد النصارى المردود عليها

قال ابن تيمية رحمه الله: "واعلم أن الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً، وكلما تصوّر العاقل مذهبهم وتصوّر لوازمه تبيّن له فساده"(917)

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

قاعدة:

"دين النصارى غلو في المخلوق وتنقص للخالق"

المبحث الثاني:

قاعدة:

"دين النصارى مبني على غير المنقول ومعاندة المعقول"

المبحث الثالث:

قاعدة:

"ما سبّ الله أحدٌ ما سب النصارى ربّ العالمين"

---

(917) "الجواب الصحيح": (2/114).

المبحث الأول:

قاعدة:

دين النصارى غلو في المخلوق وتنقص للخالق

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

لم أقف لهذه القاعدة على صيغة، فصغتها بالعبارة المذكورة أعلاه، لكن يستأنس في ذلك بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله " حيث يقول [918] "والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله : {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} [919].

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة

قاعدة : "دِينُ النَّصَارَى غُلُوٌّ فِي المَخْلُوقِ وَتَنَقُّصٌ لِلْخَالِقِ" من القواعد المبينة على الاستقراء، حيث إن الاستقراء والتتبع يحكمان بأن النصارى أكثر غلوا من أي أهل ديانة أخرى لذلك كانوا مصدر غلو كثير من الطوائف الإسلامية المنحرفة.

وهي أيضا قاعدة شرعية لأن الشرع نبّه على معناها في غير ما آية وحديث كما سيأتي بيانه في أدلة القاعدة إن شاء الله.

ثانياً: مواضع ورود القاعدة:

لم أقف على هذه القاعدة بصيغتها في الكتب التي ردت على النصارى تبعا أو استقلالا كما سبقت الإشارة إلى ذلك. إلا أن العلماء عليهم رحمة الله لا تكاد تجد واحدا منهم تكلم عن النصارى تأصيلا أو ردا أو تفسيرا لنصوص الغلو الواردة فيهم أو التي تحذر المسلمين من سلوك سبيلهم ، إلا وينبه على أن الغلو من أوتاد دين النصارى ، ومن أعظم ما زاد في غيهم وقد كان من أعظم أسباب ضلالهم من قبل [920].

---

(918) "اقتضاء الصراط المستقيم" : (1/265).

(919) "سورة النساء" : (آية : 171).

(920) اقرأ على سبيل المثال كلام العلماء عند تفسيرهم لآية (171) من "سورة النساء" ، وآية (77) من "سورة المائدة" وآية (27) من "سورة الحديد" وعند شرحهم لحديث "إياكم والغلو"

ثالثا: أدلتها:

أدلة القاعدة من القرآن الكريم

دل على صحة قاعدة: "د ِين ُ الن ّص َار َى غ ُلو ُ ّ ف ِي الم َخ ْل ُوق ِ و ّ ت َن َق ّص ُ ل ِل ْخ َال ِق ِ" آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلا ّ الْحَقّ إِنّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ [921]

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقّ وَلا تَتّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلّوا كَثِيراً وَضَلّوا عَنْ سَوَاءِ السّبِيلِ﴾ [922]

فهتان الآيتان مصرحتان بما عليه النصارى من الغلو العقدي، وأن غلوهم في ذلك أعظم من غلو غيرهم حيث ذكر الله عنهم أنواعاً من الغلو لا توجد عند غيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[923] "والنصارى أكثر غلواً في الاعتقادات والأعمال من سائر الطوائف، وإياهم نهى الله عن الغلو في القرآن في قوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[924]

وقال ابن كثير رحمه الله : "ينهى الله تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء وهذا كثير في النصارى؛ فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه ، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا أو باطلا، أو ضلالا أو رشادا، أو صحيحا أو كذبا، ولهذا قال : ﴿اتّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلا ّ

وحديث "لا تطروني " وما أشبه ذلك من الأحاديث.

(921) "سورة النساء " : (آية : 171).

(922) "سورة المائدة " : (آية : 77).

(923) "اقتضاء الصراط المستقيم " (1/265).

(924) "سورة النساء " : (آية : 171).

لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[925] ثم أورد حديث النهي عن الإطراء الآتي ذكره قريبا[926]

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[927]

في هذه الآية تنبيه على نوع آخر من أنواع غلو النصارى وهو الغلو العملي المتعلق بالعبادة بالتشدد ومجاوزة الحد فيها.

من أدلة صحة القاعدة في السنة

دل على صحة هذه القاعدة أحاديث في سنة المصطفي صلى الله عليه وسلم منها الحديث الذي سبق ، ومنها ما روى عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ جَمْعٍ "هَلُمَّ الْقِطْ لِيَ الْحَصَى" فَلَقَطْتُ لَهُ الْحَصَيَاتِ مِنْ حَصَى الْحَذْفِ فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: "نَعَمْ بِأَمْثَالِ هَؤُلاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ"[928] وهذا في عموم الغلو في الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وهذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال. وسبب هذا اللفظ العام رمي الجمار وهو داخل فيه مثل الرمي بالحجارة الكبار بناء على أنها أبلغ من الصغار ، ثم علله بما يقتضي مجانبة هَدْيِهم -أي هدي من كان قبلنا-إبعادا عن الوقوع فيما هلكوا له ، وأن المشارك لهم في بعض هديهم يخاف عليه من الهلاك"[929]

وقال عليه السلام أيضا:

---

(925) "سورة التوبة": (آية: 31).

(926) "تفسير القرآن العظيم" (2/476).

(927) "سورة الحديد": (آية: 27).

(928) رواه الإمام أحمد في "المسند": (215/1 ، 347) ؛ وابن خزيمة في "صحيح ابن خزيمة": (2867/4 ، 2868) ، والنسائي في "السنن" "كتاب الحج" باب التقاط الحصى" رقم : [2863] وابن ماجه في :السنن" "كتاب المناسك" "باب قدر حصى الرمي" رقم : [3029] وقال شيخ الإسلام بن تيمية في إسناده : "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم" "الاقتضاء" (293/1) ، وصححه الألباني في "صحيح سنن النسائي": (2/640).

(929) "اقتضاء الصراط المستقيم" (1/293).

"لا تطْرُونِي [930] كمَا أطْرَتِ النّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنّمَا أنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّه وَرَسُولُهُ" [931] . وهذا في الغلو العقدي.
وقال أيضا:
"لا تُشَدِّدُوْا عَلَى أنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدُ اللّه عَلَيكُمْ ، فَإِنّ قَومًا شَدّدُوا فَشَدّدَ اللّه عَلَيهِمْ فَتِلكَ بَقايَاهُمْ فِي الصّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ رَهْبَانِيّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيهِمْ" [932] وهذا في الغلو العملي.

المطلب الثالث:

شرحها:
معنى هذه القاعدة واضح بحيث لا يحتاج إلى شرح، لكن مع ذلك أنبه على معنى الغلو.
فالغلو: كما قال **ابن فارس** [933] في التعريف اللغوي لهذه الكلمة: "الغين واللام والحرف المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع ومجاوزة قدر. يقال غلا السعر يغلو غَلاءً، وذلك ارتفاعه . وغلا الرجل في الأمر غُلُوّاً إذا جاوز حدّه " [934] إلخ.
أما **الغلو** شرعاً فهو: "مجاوزة الحد بأن يزاد في الشيء في حمده ، أو ذمّه ، على ما يستحق ونحو ذلك " [935]

(930) من الإطراء ، وهو: "مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه" "النهاية في غريب الحديث" (3 / 123) . وانظر أيضا : "فتح الباري" : (7 / 149) .
(931) رواه البخاري في "الصحيح" كتاب "أحاديث الأنبياء" باب "قول الله : واذكر في الكتاب مريم" رقم : [3445] " (7 / 149).
(932) رواه أبو يعلى في "مسنده" (366/6) ؛ وقال محققه إسناده حسن ، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" "باب زنا الجوارح" قال رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وهو ثقة . "بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد (390/6) ، ورواه أبو داود في "السنن" "كتاب الآداب –35) "باب الحسد" رقم : [4904] (208/5) وقال الشيخ الألباني "ضعيف" وأورد إسناده ثم قال "وهذا الإسناد يحتمل التحسين ؛ رجاله كلهم ثقات رجال البخاري غير سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء وقد روى عن خاله بن حميد المهري أيضا ، وذكره ابن حبان في الثقات (354/6) ، وفي التقريب "مقبول" يعنى عند المتابعة ، وإلا فلين الحديث كما نص عليه في المقدمة" إلخ (سلسلة الأحاديث الضعيفة) رقم [3468].
(933) هو أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا الرازي من مشاهير علماء اللغة وهو مؤلف كتاب : "معجم مقاييس اللغة" توفي : [سنة : 395]. انظر ترجمته في "بغية الوعاة"
(934) "معجم مقاييس اللغة" : (4 / 387 - 388).
(935) عرّفه بذلك شيخ الإسلام **ابن تيمية** في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم": (289/1). وانظر له تعريفا مماثلا عند الطبري : "تفسير الطبري": (416/9) ، وعند **ابن حجر** "فتح الباري": (278/13) ، وعند الزجاج "معاني القرآن وإعرابه": (135/2) وعند الأصهاني : "مفردات القرآن

الكريم": (ص : 163) ، وعند الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ "تيسير العزيز الحميد": (ص
: 5 2 2 - 4 2 2).

وقبل ذكر التطبيقات على هذه القاعدة يحسن التنبيه على أمرين اثنين يتعلقان بالتعريف السابق للغلو.

الأمر الأول:

قوله في التعريف "على ما يستحق" لا مفهوم له ، بل كل مجاوزة للحد في الحمد أو الذم من الغلو المنهي عنه وإن كان المَغْلوُّ فيه غير مستحق للذم . فعيسى وأمه عليهما السلام لم يكونا ولم يستحقا الذم حينا من الدهر ، ومع ذلك عَدّ العلماء كلام اليهود في حقهما غلواً.

وبهذا تعلم أن سب النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم غلو ، بل من أشنع أنواع الغلو وأبشعه.

الأمر الثاني:

إن الغلو كما نلمس من التعريف السابق كما يكون في الحمد يكون أيضا في الذم ، ويؤكد ذلك ما ذهب إليه بعض المفسرين من أنّ نهي اللّه تعالى عن الغلو في قوله : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاّ الْحَقّ﴾[936]

يشمل ما قالت اليهود في مريم عليها السلام من البهتان ، وما افتروا في عيسى عليه السلام من أنه وُلد لغير رشدة ، وما تدّعي فيه النصارى من أنه اللّه أو ابن اللّه أو ثالث ثلاثة تعالى اللّه عما يقولون عُلوًّا كبيراً وعدّوا ذلك كله من الغلو المنهي عنه[937]

قال الشيخ **محمد الأمين الشنقيطي** رحمه اللّه في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إلاّ الْحَقّ﴾[938]

"هذا الغلو الذي نُهوا عنه هو قول غير الحق وهو قول بعضهم إن عيسى ابن اللّه وقول بعضهم هو اللّه وقول بعضهم هو إله مع اللّه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيراً إلى أن قال "وقال بعض العلماء : يدخل في الغلو وغير الحق المنهي عنه في هذه الآية ما قالوا من البهتان على مريم أيضا واعتمده **القرطبي** وعليه فيكون الغلو

---

(936) "سورة النساء" : (آية : 171).

(937) انظر "زاد المسير": (260/2) ؛ "الكشاف": (181/1) ؛ "البحر المحيط": (416/3) ؛ "تفسير **القرطبي**": (24/6)؛ "تفسير أبي السعود": (68/3) ؛ "روح المعاني": (24/6) ؛ "تفسير غريب القرآن العظيم" : (ص : 577) ؛ "تيسير العزيز الحميد" : (ص : 265).

(938) "سورة النساء" : (آية : 171).

المنهي عنه شاملا للتفريط والإفراط" (939)

وبهذا تعلم أن تديّن النصارى بسب الإسلام والمسلمين والنيل من نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم وانتقاصه والطعن في نبوته ورسالته كل ذلك من قبيل الغلو المنهي عنه.

المطلب الرابع

تطبيقاتها

المسألة الأول : صورة تطبيق القاعدة

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:

إذا دعى النصراني المسلمَ إلى دينه مثلا، قال له المسلم دينك أيها النصراني غلو في المخلوق وتنقص للخالق ثم ذكر له شيئا من غلوهم في حق المخلوق وتجاوزهم في حق الخالق.

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:

قاعدة: "دِينُ النَّصَارَى غُلُوٌّ فِي المَخْلُوقِ وتَنَقُّصٌ لِلْخَالِقِ"

تسعمل في الرد على النصارى في المسائل التالية:

1. دعوى ألوهية المسيح والعياذ باللّه
2. دعوى بنوة المسيح عليه السلام لله سبحانه
3. دعوى أن لله ابنا هو المسيح عياذاً باللّه
4. دعوى أن اللّه سبحانه ولج بطن امرأة ثم وضعته رضيعا....إلخ
5. دعوى العصمة في أحبارهم ورهبانهم وبابواتهم

المسألة الثالثة نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة

قال ابن القيم رحمه اللّه:

"ومن المعلوم أنّ هذه الأمّة ارتكبت محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة".

"أحدهما: الغلو في المخلوق ، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءا منه ، و [إلها آخر معه]، وأنفوا أن يكون عبداً له ".

"الثاني : تنّقص الخالق وسبّه ورميه بالعظائم؛ حيث زعموا أنّه - سبحانه وتعالى عن قولهم علوّا كبيرا - نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبّط بين

---

(939) "أضواء البيان" : (1 / 381).

البول والدم والنّجْو والغائط، وقد علته أطباق المشيمة والرحم و البطن، ثمّ خرج من حيث دخل وضيعا صغيرا يمصّ الثدي، ولفّ في القُمُط، وأُودع السرير . يبكي ويجوع ويعطش ويبول ويتغوّط ويُحمل على الأيدي والعواتق. ثمّ صار إلى أن لطمت اليهود خديه وربطوا يديه وبصقوا في وجهه وصفعوا قفاه وصلبوه جهراً بين لصيّن وألبسوه إكليلا من الشوك وسمّروا يديه ورجليه وجرّعوه أعظم الآلام. هذا وهو الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم، وهو المعبود المسجود له.

ولعمر اللّه إنّ هذه مسبّة لله سبحانه ما سبّه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم. كم قال تعالى فيما يحكي عنه رسوله الذي نزّهه ونزّه أخاه المسيح عن هذا الباطل، الذي تكاد السموات والأرض يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ".

إلى أن قال : "ولعمر اللّه! أن عبّاد الأصنام مع أنّهم أعداء اللّه عزّ وجل على الحقيقة وأعداء رسوله، وأشد الكفاركفرا يأنفون أن يصفوا آلهتهم التي يعبدونها من دون اللّه- وهي من الحجارة و الحديد والخشب- بمثل ما وصفت به هذه الأمّة ربّ العالمين وإله السموات والأرضين. وكان اللّه في قلوبهم أجل وأعظم من أن يصفوه بذلك أو بما يقاربه، وإنّما شرك القوم أنهم عبدوا من دونه آلهة مخلوقة مربوبة محدثة وزعموا أنّها تقربهم إليه لم يجعلوا شيئاً من آلهتهم كفواً له ولا نظيراً ولا ولدا و لم ينالوا من الرب تعالى ما نالت منه هذه الأمّة ".

"وعذرهم في ذلك أقبح من قولهم فإنّ أصل معتقدهم أنّ أرواح الأ نبياء كانت في الجحيم في سجن إبليس، من عهد آدم إلى زمن المسيح، فكان إبراهيم وموسى ونوح وصالح وهود معذبين مسجونين في النار بسبب خطيئة آدم [وأكله من الشجرة وكان كلما مات واحد من بني آدم] أخذه إبليس وسجنه في النار بذنب أبيه، ثم إنّ اللّه سبحانه وتعالى لما أراد رحمتهم وخلاصهم من العذاب، تحيّل على إبليس بحيلةٍ فنزل عن كرسي عظمته، والتحم ببطن مريم حتى ولد وكبر وصار رجلا، فمكّن أعداءه اليهود من نفسه حتى صلبوه، وتوّجوه بالشوك على رأسه فخلّص أنبياءه ورسله، وفداهم بنفسه ودمه، فهرق دمه في مرضاة جميع ولد آدم؛ إذ كان ذنبه باقيا في أعناق جميعهم، فخلّصهم منه بأن مكّن أعداءه من صلبه وتسميره وصفعه إلا من أنكر صلبه أو شك فيه أو قال: بأن ا

لإله يجلّ عن ذلك، فهو في سجن إبليس معذّب حتى يقرّ بذلك . وأن إلهه صُلب وصُفِعَ وسُمِّر ".

"فنسبوا الإله الحق سبحانه إلى ما يأنف أسقط الناس وأقلّهم أن يفعله بمملوكه وعبده، وإلى ما يأنف عُبّاد الأصنام أن يُنسَبَ إليه [أوثانهم] ، وكذّبوا الله عز وجل في كونه تاب على آدم وغفر له خطيئته، ونسبوه إلى أقبح الظلم؛ حيث زعموا أنّه سجن أنبياءه ورسله وأولياءه في الجحيم بسبب [خطيئة] أبيهم ونسبوه إلى غاية السفه؛ حيث خلّصهم من العذاب بتمكينه أعداءه من نفسه حتى قتلوه وصلبوه وأراقوا دمه، ونسبوه إلى غاية العجز؛ حيث عجّزوه أن يخلِّصهم بقدرته من غير هذه الحيلة، ونسبوه إلى غاية النقص؛ حيث سلّط أعداءه على نفسه وابنه ففعلوا به وا فعلوا. وبالجملة ، فلا نعلم أمّة من الأمم سبّت ربّها ومعبودها وإلهها بما سبّت به هذه الأمّة كما قال عمر : (إنهم سبّوا الله مسبة ما سبّه إيّاها أحد من البشر)"

"وكان بعض أئمّة الإسلام إذا رأى صليبيا أغمض عينيه عنه، وقال : لا أستطيع أن أملأ عيني ممن سبّ إلهه ومعبوده بأقبح السبِّ". "ولهذا قال عقلاء الملوك : إنّ جهاد هؤلاء واجب شرعاً وعقلا فإنهم عارٌ على بني آدم مفسدون للعقول والشرائع " [940] .

***

[940] "إغاثة اللهفان": (2/397-400). وانظر أيضا: "الجواب الصحيح" : 2/102-117).

المبحث الثاني:

قاعدة:

دين النصارى مبني على غير المنقول ومخالفة المعقول

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

القاعدة بالصيغة المذكورة في العنوان لم أقف على من نص عليها من العلماء الذين ردوا على النصارى تنصيصا ، لكن مؤلفاتهم حافلة بعبارات وتصريحات تعبِّر عن مدلول القاعدة بل وتنص عليه وتقرّره.
وهذه جملة من نقولات بعض من رد على النصارى تؤكد أنّ في ردود العلماء كثيرا من العبارات تدل أو تشير إلى هذه القاعدة :

أولاً : عن القاضي عبد الجبّار :

قال عفا الله عنه -بعد حكايته جملة من عقائد النصارى الباطلة :"فهذا رحمك الله كما ترى وتسمع ، فلولا أن رأينا قوماً عقلاء يقولون هذا وسمعناه منهم حين فتشنا عمّا قاله الله وحكاه عنهم فنطقوا بعد الجهد وأخرجوه من غوامض أسرارهم لما صدّق الناس أن في الدنيا من قال هذا أو نطق به"[941] أي لشدة استحالة العقل له وهذا هو ما تقرره قاعدتنا.

ثانيا :عن ابن حزم

قال رحمه الله :

"فشرائعهم التي هي دينهم غير مأخوذة عن نبي أصلا ، فهي معاصٍ مفترات على الله عز وجل بيقين لا شك فيه" [942] ا.هـ وقال أيضا بعد نقل جملة من أقوال النصارى :"فهذه أقوال إذا تأمّلها ذو عقل علم أنها وساوس أو جنون"[943] وقال أيضا :"وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان "[944]

فهذه النقولات الثلاث كلها تدل على معنى قولنا في القاعدة : "دينُ

(941) "تثبيت دلائل النبوة " : (1/ 105).

(942) "الفصل " : (1/ 63).

(943) "المصدر السابق " : (1/ 49).

(944) "المصدر السابق " : (1/ 55).

التّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ ومخالفة المَعْقُولِ"
رابعاً : عن القرطبي :
قال رحمه الله : "فلمّا ضللتم وتفوهتم بذلك ، وراغمتم أدلة العقول ، وكلام الأنبياء المنقول بعث الله جاعل السنة وكاشف الغمّة محمد صلى الله عليه وسلم " (945)
خامساً : عن البوصيري (946)
قال رحمه الله:

المُدّعُو التّثْلِيثِ قَومٌ سَوّغُوا * مَا خَالِفَ المَنْقُولَ وَالمَعْقُولا (947)

سادساً : عن شيخ الإسلام ابن تيمية:
قال رحمه الله أثناء رده على أمانة النصارى الكبرى:
"وكلما تدبر العاقل كلامهم في الأمانة وغيرها وجد فيه من التناقض والفساد ما لا يخفى إلا على أجهل العباد، ووجد فيه من مناقصته التوراة والإنجيل وسائر كتب الله مالا يخفى من تدبر هذا وهذا . ووجد فيه من مناقضة صريح المعقول مالا يخفى إلا على معاند أو جهول ؛ فقولهم متناقض في نفسه ، **مخالف لصريح المعقول** ، و **صحيح المنقول** عن جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين"(948)
فقوله "مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول" هو معنى قاعدة :
"دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ ومخالفة المَعْقُولِ"
وقال أيضا : "لكن النصارى لم يتبعوا لا التوراة ولا الإنجيل ، بل أحدثوا شريعة لم يبعث بها نبي من الأنبياء ، كما وضعوا لقسطنطين (الأمانة) ، ووضعوا له أربعين كتابا فيها القوانين فيها بعض ما جاءت به الأنبياء ، وفيها شيء كثير مخالف لشرع الأنبياء، وصاروا إلى كثير من دين المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى ، وكذبوا رسله ، فصار في دينهم من الشرك وتغيير دين الرسل ما غيروا به شريعة الإنجيل ؛ ولهذا التبست عند عامتهم شريعة الإنجيل بغيرها ، فلا يعرفون ما نسخه

---

(945) "الإعلام" : ص0 (255).
(946) هو شرف الدين محمد بن سعيد البوصيري صاحب قصيدة البردة المشهورة. له قصيدة في الرد على اليهود والنصارى بعنوان : "المخرج والمردود في الرد على النصارى واليهود" توفي : [سنة : 696] . انظرترجمته في مقدمة تحقيق ديوانه لمحمد سيد كيلاني.
(947) "المخرج والمردود على النصارى واليهود" (ضمن ديوانه) (ص : 180).
(948) "الجواب الصحيح": (306/3-307). وانظر أيضا (471/3) ، (4/ 445).

المسيح من شريعة التوراة مما أقره ، ولا ما شرعه مما أُحدث بعده. فالمسيح لم يأمرهم بتصوير الصور وتعظيمها ، ولا دعاء من صورت تلك التماثيل على صورته ، ولا أمر بهذا أحد من الأنبياء لا يوجد قط عن نبي أنه أمر بدعاء الملائكة والاستشفاء بهم ، ولا بدعاء الموتى من الأنبياء و الصالحين والاستشفاء بهم ، فضلا عن دعاء تماثيلهم والاستشفاء بها ، فإن هذا من أصول الشرك ، الذي نبهت عليه الرسل ، وهذا كان أصل الشرك ، في بني آدم من عهد نوح عليه السلام " إلى أن قال "والمسيح عليه السلام لم يأمرهم بعبادته ولا قال : إنه الله ولا بما ابتدعوه من التثليث والاتحاد ، والمسيح لم يأمرهم باستحلال كل ما حرمه الله في التوراة من الخبائث المحرمة وغيروا شريعة التوراة والإنجيل . و المسيح لم يأمرهم بأن يصلّوا إلى المشرق ، ولم يأمرهم أن يعظموا الصليب ، ولم يأمرهم بترك الختان ولا الرهبانية ولا بسائر ما ابتدعوه بعده. ولهذا لمّا ظهر فساد دين النصارى صار بعض الناس كأبي عبد الله الرازي يقول:

(لم يظهر الانتفاع بدين المسيح إلا في طائفة قليلة كانوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم فإن الدين الذي كان عليه جمهور النصارى ، ليس هو دين المسيح" [949] ا.هـ ملخصاً وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام رحمه الله ما هو إلا تفسير لقولنا في القاعدة : "**دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ ومخالفة المَعْقُولِ**"

سابعاً: عن عبدالله الترجمان

قال رحمه الله : " فهؤلاء الأربعة[950] هم الذين جعلوا الأناجيل الأربعة وحرفوها وبدلوها وكذبوا فيها ، وما كان الذي أنزله الله وجاء به عيسى إلا إنجيلا واحدا لا تدافع فيه ولا اضطراب ولا اختلاف ، وهؤلاء الأربعة ظهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلافات والكذب على الله وعلى نبيه عيسى ما هو معلوم ومشهور لا يقدر النصارى على إنكاره حسبما نورد منه جملة كافية إن شاء الله "[951] ا.هـ .

فقول الترجمان رحمه الله: "وهؤلاء الأربعة ظهر عندهم وبينهم من التدافع والاضطراب والاختلاف والكذب على الله وعلى نبيه" هو

---

(949) "الجواب الصحيح " : (5 / 73 - 76).

(950) يقصد الذين تنسب إليهم الأناجيل الأربعة (متى ومرقس ولوقا و يوحنا).

(951) "تحفة الأريب " : (ص : 115).

تفسير للقاعدة وتوضيح لها وتقرير.
ثامناً: عن ابن القيم
قال رحمه الله : " فصل " والمقصود : أن دين الأمة الصليبية بعد أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم : بل قبله بنحو ثلاثمائة سنة ، مبني على معاندة العقول والشرائع وتنقص إله العالمين ورميه بالعظائم ، فكل نصراني لا يأخذ بحظه من هذه البلية فليس بنصراني على الحقيقة " ا.هـ[952].
فقول ابن القيم رحمه الله في وصف دين النصارى بأنه "مبني على معاندة العقول والشرائع" هو معنى القاعدة وتقرير لها.
وقال أيضا : "والمقصود أن هذه الأمة جمعت بين الشرك وعيب الإله وتنقصه وتنقص نبيهم وعيبه ومفارقة دينه بالكلية ، فلم يتمسكوا بشيء مما كان عليه المسيح ، لا في صلاتهم ، ولا في صيامهم ولا في أعيادهم . بل هم في ذلك أتباع كل ناعق ، مستجيبون لكل مُمَخْرِق ومبطل . أدخلوا في الشريعة ما ليس منها ، وتركوا ما أتت به"[953]
ومثل هذه النقول التي تشير إلى مفهوم القاعدة وصياغتها كثيرة جدا في ثنايا كتب العلماء المؤلفة في الرد على النصارى ، تركت إيرادها هنا خشية الإطالة الشديدة ، ولترادف ألفاظها حينا ومعانيها حينا آخر وستأتي طائفة أخرى على وتيرة تلك التي سبقت أثناء التطبيقات إن شاء الله.

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: الأصل العلمي للقاعدة:

قاعدة : "دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المَعْقُولِ" قاعدة معلومة بالاستقراء والتتبع ، فقد تتبع العلماء دلالة الكتاب و السنة ومفردات الديانة النصرانية عقيدة وشريعة وشعيرة فتوصلوا إلى هذه النتيجة ولا شك أنّ من تأمّل أصل رسالة المسيح عليه السلام الحقيقية وما جاء في العهد القديم مما لم يحرف وقارنه مع ما عليه النصارى الآن مما تمخض عن مجامعهم المسكونية والمحلية عرف يقينا مدى مخالفة النصرانية لما جاءت به الأنبياء ، ولما تقبله

---

(952) "إغاثة اللهفان" : (2 / 405).
(953) "إغاثة اللهفان" (2 / 402).

فهوم العقلاء ، وهذه حقيقة واقعية لا سبيل إلى إنكارها البتة دل عليها القرآن والسنة ، وقررها علماء الملة ، واعترف بها النصارى أنفسهم كما سيأتي في بيان أدلة القاعدة.

ثانيا:مواضع ورودها:
اهتم العلماء الذين ردوا على النصارى بالتنبيه على خضم البدع العلمية والعملية التي تتقلب فيها النصرانية، وأوضحوا مخالفتها لما صح من دين المرسلين، ولما هو متقرر عند كل العاقلين. وغالب ما تأتي تنبيهات العلماء هذه في المواضع التالية:
- عند الكلام على أمانة النصارى الكبرى.
- عند الكلام على عقيدة التثليث والحلول والاتحاد.
- عند الكلام على شرائع النصارى وشعائرهم.
وفي كل هذه الأماكن وغيرها يقررون مخالفة دين النصارى لصحيح المنقول وصريح المعقول .
والتقرير أو التنبيه على بدعية شرائع النصارى وغموض عقيدتهم مما اتفق عليه أغلب من رد عليهم . فقد نبّه على ذلك كل من:
-القاضي عبد الجبّار في كتابه: "تثبيت دلائل النبوة"[954]
-وابن حزم في كتابه: "الفصل" [955]
-والباجي في "جوابه على رسالة راهب فرنسا"[956]
-والغزالي في كتابه: "الرد الجميل"[957]
-والقرطبي في كتابه: "الإعلام" [958]
-والجعفري في كتابه: "التخجيل"[959] وفي كتابه الآخر "الرد على النصارى"[960]
-والقرافي في كتابه: "الأجوبة الفاخرة" [961]
-البوصيري في قصيدته: "المخرج والمردود"[962]
-ابن تيمية في كتابه: "الجواب الصحيح"[963]

---

(954) منها الموضع السابق ، ومنها : (1 / 110)، (1 / 199).
(955) في مواضع منها : الموضع الذي تمّ نقله قريبا ، ومنها (53/1) ، (1/ 54) ، (1/ 55) ، (1/ 56)، (1 / 49)، (1 / 63)، (2 / 7)، (2 / 9)، (2 / 21)، (2 / 24)، (2 / 47).
(956) في مواضع منها : (ص : 18).
(957) في مواضع منها : (ص : 97).
(958) في مواضع منها الموضع السابق ، ومنها : (167/1) ، (1/ 221)، (ص : 246)، (ص: 394) .
(959) في مواضع منها : (1/ 183) ، (1/ 35) ، (1/ 349) ، (1/ 355) ، (2/ 506) ، (2/ 593) ، (619/2) .
(960) (ص : 75).
(961) في مواضع منها : (ص: 8) ، (ص :40 - 41) ، (ص: 126) ، (ص : 127) ، (ص :131) .
(962) انظر : "ديوانه " (ص : 175) .
(963) في مواضع منها المواضع التي نقلت قريبا ومنها : (1/ 359) ، (3/ 30) ، ، (4 / 74-77)

-عبدالله الترجمان في كتابه: "تحفة الأريب"[964]

-ابن القيم في كتابه: "هداية الحيارى"[965] وفي كتابه: "إغاثة اللهفان" [966].

-ابن معمر في كتابه:"منحة القريب المجيب"[967]

ثالثا: من أدلة صحة القاعدة

دل على صحة قاعدة "دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المَعْقُولِ"

أنواع من الأدلة الصحيحة على النحو التالي:

النوع الأول:

من أدلة القاعدة في القرآن الكريم والسنة

تعددت دلالات الكتاب والسنة على صحة هذه القاعدة وتقريرها ومن أهمها:

أولاً: ذكر ما ابتدعه النصارى في دينهم عقيدة وشريعة وفي ذلك عدّة آيات وأحاديث منها:

قوله تعالى:﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنّى يُؤْفَكُونَ﴾[968]

ففي هذه الآية التنبيه على بدعية عقيدة من عقائد النصارى الباطلة في المسيح عليه السلام وهي: "القول ببنوته لله" والعياذ بالله.

وقوله تعالى:

﴿اتّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾[969]

وفي هذه الآية التنبيه على بدعية ادعائهم ربوبية المسيح عليه السلام والغلو في أحبارهم ورهبانهم باتخاذهم أربابا من دون الله.

---

(964) في مواضع منها الموضع الذي نقل سابقا ومنها: ،(ص: 125) ، (ص : 174) ، (ص: 182) ، (ص: 183).

(965) في مواضع منها: (ص: 343) ، (ص: 509).

(966) في مواضع منها: الموضع الذي سبق

(967) (1/ 238).

(968) "سورة التوبة": (آية: 30).

(969) "سورة التوبة": (آية: 31).

وقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾.[970]

وفي هذه الآية التنبيه على بدعية ادعائهم ألوهية المسيح عليه السلام

وقوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[971]

وفي هذه الآية التنبيه على بدعية عقيدة التثليث عند النصارى.

---

(970) "سورة المائدة" : (آية : 72).

(971) "سورة المائدة" : (آية : 73).

وقوله تعالى:
{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا}.[972]
وفي هذه الآية التنبيه على بدعية عقيدة الصلب عند النصارى.
وقوله تعالى:
{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ}.[973]
وفي هذه الآية التنصيص على بدعية الرهبانية في النصرانية.
أما الأحاديث التي تنص أو تنبه على بدعية كثير من أمور الديانة النصرانية فكثيرة أيضا منها:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ"[974]
ففي هذا الحديث التنبيه على بدعية تقديس الصليب واحترام الخنزير وإباحة لحمه. والأول من شعائرهم والثاني من شرائعهم المبتدعة.
وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: "لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ"[975]
وعن عائشة رضي الله عنها أيضا قالت : "لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَتْ لَهُ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةُ وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (أُولَئِكَ كَانُوا إِذَا مَاتَ

---

(972) "سورة النساء" : (آية : 157).
(973) "سورة الحديد" : (آية : 27).
(974) رواه البخاري ، باب : "قتل الخنزير" (163/5) رقم : [2222] ومسلم "باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . (366/2) رقم : [387]
(975) رواه البخاري : "باب : ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور" (3/ 559) رقم : [1330] ، ومسلم (5/ 25) رقم : [1184].

مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوْا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُلَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللَّه "[976]

ففي هذا الحديث والذي قبله التنبيه على بدعة اتخاذ القبور مساجد وفيه أيضا التنبيه على بدعية تقديس الصور وعبادتها.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله قال: "لَتَتَّبِعَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا ذِرَاعًا حَتَّى لَوْ دَخَلُوْا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ" قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّه اليَهُودُ وَالنَّصَارَى قَالَ "فَمَنْ"[977]

فقد دل هذا الحديث على أن ما عليه النصارى من الدين لم يكن من عند الله وإلا لما حذّر النبي صلى الله عليه وسلم عن اتباع سننهم، وإذا ثبت أنه ليس من عند الله فهو على غير المنقول قطعا.

ثانيا: النصوص الدالة على أنهم حرّفوا كتبهم وذلك مثل قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[978]

وقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[979]

ووجه دلالة مثل هذه الآيات على بدعية دين النصارى : أن الله تبارك وتعالى نص على أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وعليه فتكون ما دلت عليه تلك الكلم المحرفة ليس منقولا عن الله، سواء كان عقيدة أو شريعة أو شعيرة. وقد يكون مع ذلك مخالفا للمعقول كما دل عليه الواقع.

ومن السنة قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالذِّي أُنْزِلَ إِلَينَا وَأُنْزِلَ إِلَيكُمْ" الحديث[980].

وجه دلالة الحديث على المقصود أن النبي صلى الله عليه وسلم منع

---

[976] رواه البخاري ، باب : "بناء المساجد على القبر (1796/3) رقم : [1341] ، ومسلم باب : "النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد . (5 / 14) رقم : [1181].

[977] رواه البخاري باب : "قول النبي صلى الله عليه: " لتتبعن سنن من كان قبلكم": (235/15) رقم : [7319].

[978] "سورة البقرة " : (آية : 75).

[979] "سورة المائدة " : (آية : 13).

[980] سبق تخريجه : (ص : 329).

عن تصديق أهل الكتاب تصديقا مطلقا ، وعن تكذيبهم تكذيبا مطلقا ، وما ذلك إلا لأن كثيرا من كتبهم ليست منقولة، وإذا ثبت أن كتبهم غير منقولة ثبت أن ما دلت عليه من مسائل الدين مبتدعا وهو المقصود.

ثالثاً: النصوص الدالة على أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وذلك مثل قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.[981]

أو الدالة على فسادهم-أي الأحبار والرهبان-وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾.[982]

ووجه دلالة هذا النوع على المقصود أنّ كثيرا من أحبارهم ورهبانهم مفسدون صادّون عن سبيل الله وقد اتخذهم النصارى أربابا من دون الله يعبدونهم ويتبعونهم فيما ابتدعوه لهم من دينهم كما جاء توضح ذلك في السنة في حديث عدي رضي الله عنه لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إنهم لا يعبدونهم فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم" أليسوا يحلون لكم ما حرم عليكم فتطيعونهم ويحرمون عليكم ما أحل لكم فتطيعونهم قال بلى قال تلك عبادتكم لهم" وعليه فيكون كل ما جاء عن هؤلاء الأحبار والرهبان المفسدين مما لم يكن منقولا عن الله وأنبيائه مبتدعا وما أكثرَه في الديانة النصرانية.

النوع الثاني :دليل الاستقراء

فقد استقرأ علماء المسلمين بل وعلماء النصارى الديانة النصرانية وتوصلوا إلى أن أغلب ما اشتملت عليه من الشرائع والعقائد ليس له علاقة بالمسيح عليه السلام ، وصرّحوا بذلك في ثنايا كتبهم، وسنقف على شيء من ذلك عند نقل ردودهم كتطبيقات على هذه القاعدة.

وأما ما يدل أو ينص على ذلك من أقوال غير المسلمين فمنها قول المؤرخ الشهير ولز Wellsحيث يقول :"من العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلا إلى عيسى ذكر فيها مبادئ الكفارة ، أو الفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين واصطناع عشاء رباني"[983] فهذا

---

(981) "سورة التوبة" : (آية : 31).

(982) "سورة التوبة" : (آية : 34).

(983) " Outline of History” (vol. : 1. P : 982) نقلا من "المسيحية" لشلبي (ص : 131)

تصريح منه بأن عقائدهم وشرائعهم ليست منقولة.

النوع الثالث: اعترافات النصارى بذلك

اعترف كثير من النصارى وصرحوا ببدعية شريعتهم وعدم معقولية عقيدتهم وهذه التصريحات والاعترافات على قسمين :

القسم الأول : اعترافات وتصريحات من الذين أسلموا ممن كانوا على النصرانية من قبلُ

فقد صرح كثير منهم بأن شرائع النصرانية وعقائدها مبتدعة غير معقولة ، وصدّر ذلك كثير منهم هذا السبب على قائمة الأسباب التي دعتهم إلى الدخول في الإسلام.

قال أحد من ترك النصرانية إلى الإسلام: " بدأت أرتاب في حقيقة كثير من معتقدات الكنيسة، كعقيدة التثليث ، وربوبية عيسى عليه السلام والخطيئة الأولى، ومبدأ الغفران؛ لأنها بدت لي غير معقولة بل ضارة في الآثار التي تحدثها أحيانا، ولا تبرهن على صحتها حتى الأناجيل والكتب المقدسة" [984]

وقالت امرأة بعد كفرانها بالنصرانية وإيمانها بالإسلام حاكية سبب كفرانها بها:

" فقد كان الغموض يكتنف الديانة النصرانية ، وكانت فكرة قتل المسيح عليه السلام بالقوة لإنقاذ الآخرين غير معقولة في نظري ، وأقل ما يمكن قوله هو أن الديانة النصرانية كانت لغزا محيّراً بالنسبة لي فهجرت الكنيسة" [985] .

القسم الثاني: اعترافات وتصريحات من عظماء النصارى أنفسهم

يقول القس وهيب عطا الله " إن التجسد قضية فيها تناقض مع العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات والفلسفة ولكننا نُصَدِّق ونؤمن أن هذا ممكن حتى ولو لم يكن معقولا" [986]

النوع الرابع :دلالة الواقع على ذلك

إن من تأمل واقع النصرانية المعاصرة وقارنها مع دعوة المسيح وبقية الأنبياء عليهم السلام تبين له يقينا أن ما عليه النصارى اليوم من العقائد والشرائع والشعائر مخالف لما جاءت به الرسل قاطبة بل هم أنفسهم يعترفون بذلك كما في النقل السابق، ومن أراد أن يصل

---

(984) "رجال ونساء أسلموا" (4 / 69) نقلا عن "مسلموا أهل الكتاب" (1/ 66 ـ 67).

(985) المصدر السابق (4 / 94).

(986) سبق (ص: 90).

إلى عين اليقين في ذلك فليتتبعْ مفردات الديانة وليقارنْهَا بسابقاتها من الأديان الوثنية الأخرى.

النوع الخامس: الاختلافات الجوهرية بين طوائفهم وكتبهم

هناك اختلافات جوهرية بين طوائف النصارى يمتنع معها أن يكون هذا الدين من عند الله وأوثق راوٍ في ذلك تلك العشرات من المجامع المسكونية والمحلية التي يلجأ إليها النصارى دائما في تقرير عقيدة أو قتلها ولو كان دينهم منقولا لما احتاجوا إلى بنائه على آراء الرجال وفهومهم.

وكذلك التناقضات و التكاذبات والاختلافات الموجودة بين أسفار العهد الجديد لوحدها وبين أسفار العهد القديم لوحدها وبين أسفار هذا وهذا مما لا يمكن بحال من الأحوال التوفيق بينها كلها شواهد ناطقة على منحوليتها أو منحولية كثير منها على الأقل. وصدق الله العظيم حيث يقول في القرآن الكريم :﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾(987).

وأختم هذا المطلب بالتنبيه على أن عدم معقولية دين النصارى من الأ سباب التي أدى بالفلاسفة والملاحدة إلى إساءة الظن بالرسل وإحسان الظن بما هم عليه كما نبّه عليه **ابن القيم**. قال رحمه الله:"وهؤلاء - يقصد النصارى - هم الذين أوجبوا لأعداء الرسل من الفلاسفة والملاحدة أن يتمسكوا بما هم ، فإنهم شرحوا لهم دينهم الذي جاء به المسيح على هذا الوجه ، ولا ريب أن هذا دين لا يقبله عاقل، فتواصى أولئك بينهم أن يتمسكوا بما هم عليه ، وساءت ظنونهم بالرسل والكتب ، ورأوا أن ما هم عليه من الآراء أقرب إلى المعقول من هذا الدين ، وقال لهم هؤلاء الحيارى الضُلاّل: إن هذا هو الحق الذي جاء به المسيح. فتركّب من هذين الظنيين الفاسدين إساءة الظن بالرسل ، وإحسان الظن بما هم عليه"(988) ا.هـ .

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها:

---

(987) "سورة النساء" : (آية : 82).

(988) "إغاثة اللّهفان" (2 / 396).

- "دين النصارى" هو : اعتقاداتهم وشرائعهم وشعائرهم التي يتدينون بها

- "**المعاندة**" هي مخالفة الحق ورده بعد العلم به[989] .

- "**المنقول**" هو : "ما علم من طريق الرواية والسماع"[990]

والمقصود به في هذا البحث منقول خاص ؛ وهو ما ثبت نقله عن الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

- "**المعقول**" هو : ما عُلم بالعقل السليم صحتُه.

والمقصود به في هذا البحث "المعقول الصريح" وهو الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فُطِروا عليها من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد والتباين[991] [992]

ثانياً: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة باختصار هو: أن النصرانية دين مبتدع وغير معقول.

وهذا يُحَتِّم عليه الحكمَ بالبطلان ؛ لأنّ النصارى يدّعون أن دينهم من عند الله ، فإذا ثبت بأدلة صحيحة أنه ليس من عند الله كان هذا كافٍ في إبطاله فكيف إذا انضم إلى ذلك سبب آخر وهو كونه غير معقول فهذا لا شك يزيد في إبطاله ويدعو كلّ عاقل حتى لو لم يكن من أهل شريعة سماوية إلى الحكم عليه بذلك.

لذلك قال أحد ملوك الهند وهو وثني وقد ذكرت له الملل الثلاث : **أما النصارى فإن كان محاربوهم من أهل الملل يحاربونهم بحكم شرعي ، فإني أرى ذلك بحكم عقلي وإن كنّا لا نرى بحكم عقولنا قتالا ، ولكن أستثني هؤلاء القوم من بين جميع العوالم؛ لأنهم قصدوا**

---

(989) انظر : "المعجم الوسيط " (2 / 630).

(990) "المصدر السابق " (2 / 949).

(991) انظر : "الجواب الصحيح " (4 / 396) .

(992) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "وأما ما يسميه بعض الناس "معقولات" ويخالفه فيه كثير من العقلاء ، مثل القول بتماثل الأجسام ، وبقاء الأعراض وأن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة التي لاتقبل القسمة ، أو المادة والصورة" إلى أن قال : "ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظّار أنه عقليات وينازعهم فيه آخرون **فليس هذا هو العقليات التي لا يجب لأجلها رد الحس والسمع** ، وتبنى عليها علوم بني آدم بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية ترد إلى معقولات بديهية أولية بخلاف العقليات الصريحة مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد معا فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها " أ .هـ "الجواب الصحيح " (4 / 397).

مضادّة العقل ، وناصبوه العداوة، وحلّوا ببيت الاستحالات ، وحادوا عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من أهل الشرائع ، فشذوا عن جميع مناهج العالم الشرعية الصالحة ، والعقلية الواضحة ، واعتقدوا كل شيء مستحيل ممكنا ، وبنو على ذلك شريعة لا تؤدي ألبتة إلى صلا ح نوع من أنواع العالم ، إلا أنه يصيّر العاقل إذا تشرّع بها أخرق ، و الرشيد سفيها، والمحسن مسيئا؛ لأنّ من كان أصل عقيدته التي جرى نشوءه عليها : الإساءة إلى الخالق ، والنيل منه ، ووصفه بغير صفاته الحسنى ، فخليق به أن يستحل الإساءة إلى المخلوق، مع ما بلغنا عنهم مما في خُلقهم من الجهل وضعف العقل والطمع والبخل ومهانة النفس وخساسة الهمّة والقدر وقلة الحياء إلا قليلا منهم. فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلا لعموم أضرارهم التي لا تحصى وجوهها لكفى ، وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه ، فكيف وقد ثمّ من الموجبات ما تقدم [993].

وعلق **الخزرجي** على كلام الهندي قائلا : " فهذا ما بدا له من جهلكم وليس بمخاصمكم ولا مناوئكم ولا بمتهم باتباع الهوى فيكم"[994]

---

[993] أورد هذه القصة **الخزرجي** في (مقامع هامات الصلبان) "بين الإسلام والمسيحية" (ص :123-124)، و**القرطبي** في "الإعلام": (1/ 167)، و**ابن القيم** في "إغاثة اللهفان": (2/ 396).

[994] "بين الإسلام والمسيحية" : (ص : 124).

تنبيهات:

التنبيه الأول:

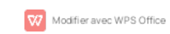
قاعدة: "دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المَعْقُولِ"
قاعدة ذات شِقّين كما هو واضح.

الشق الأول: كون دين النصارى على غير المنقول (أي ديناً مبتدعاً).
ومعنى هذا أن التعاليم التي اشتملت عليها الديانة النصرانية من العقائد والشعائر والشرائع لم تؤخذ عن اللّه سبحانه وتعالى ولا عن أحد من رسله صلوات اللّه عليهم أجمعين.

الشق الثاني: كون دين النصارى مبنيا على معاندة المعقول (أي غير معقول).
أي أن ما اشتملت عليه الديانة النصرانية وخاصة في المجال العقدي مصطدم بما صح في العقول الصريحة . وهذا من نتائج الشق الأول فإنه لو كان مبنياً على منقول لمَا استحالته العقول بل قد تحار فيه فحسب ؛ لأن شرائع اللّه عز وجل إنما جاءت بمحارات العقول لا بمحالاتها وأنه "**لا يَتَعَارَضُ قَطُّ مَعْقُولٌ صَرِيحٌ مَعَ مَنْقُولٌ صَحِيحٌ**"[995]
والشق الأول أعم من الشق الثاني لأنه يشمل العقائد وأدلتها ، و الشرائع وتعليلاتها والشعائر وتبريراتها.
أما الشق الثاني ، فهو غالبا يتناول العقائد ، وإن كان هذا لا يمنع أن يسري مفعوله إلى غيرها من أجزاء الديانة؛ فإن كثيراً من شعائرهم كما سيأتي تخالف المعقول أيضا، وكذلك الشرائع باعتبار أن كثيرا من العبادات غير معقولة المعنى لذلك كان مما قيل في تعريفها: "هي ما أمر به الشارع من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي" و التطبيقات التي ستورد قريبا إن شاء اللّه بعضها ينطبق عليه مدلول الشقين معا، وبعضها يختص به مدلول شق دون آخر.

---

(995) انظر : "الجواب الصحيح " (4 / 395).



التنبيه الثاني:
قولنا: "دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ" هو من باب التغليب خاصة فيما يتعلق بالشق الأول؛ فرسالة المسيح عليه السلام بحكم أنها ديانة سماوية من حيث أصلها لا تزال فيها بعض العقائد والشرائع الموحى بها من عند الله[996] لذلك قال الله تعالى: {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون}.[997]
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمّا استفتاه بعض الصحابة رضوان الله عليهم بأنّ اليهود يقرؤون عليهم التوراة بالعبرية ويفسرونهابالعربية "لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَينَا وَأُنْزِلَ إِلَيكُمْ"[998].
فقد دلت الآية والحديث على أن أهل الكتاب لا يُصدّقون تصديقا مطلقا، ولا يُكذّبون تكذيبا مطلقا فيما يحتمل الوجهين وما ذلك إلا لأن بعضا من أخبارهم صحيح وأصل بعض عباداتهم مشروع.
لذلك كان العلماء كثيرا ما يستعملون عبارات احترازية عند ردودهم عليهم بخصوص هذه المسائل وأشباهها فيقولون مثلا : "كثير" أو "أكثر" أو "أغلب" دينهم غير منقول عن الله ورسله وما أشبه ذلك.

---

(996) مما لم يكن مبتدعا في دين النصارى على سبيل المثال : الإيمان بالنبوة والكتب المنزلة من حيث الجملة وكذلك الصلاة والصوم وإن كانت البدع في كيفيتهما ألحقتهما ببقية المبتدعات التي اخترعت في الديانة.
(997) "سورة العنكبوت" : (آية : 46).
(998) سبق تخريجه (ص : 288).

التنبيه الثالث:

أهم ما تسعى القاعدة إلى إثباته هو أن ديانة النصارى غير منقولة عن الله ورسله ، وغير معقولة أيضا، ولا يهمنا في هذه المرحلة أنها- كما يدّعي النصارى-منقولة عن معصوم فيجب قبولها ؛ فإن هذه مسألة أخرى مستقلة.

ولأن إثبات عصمة كبرائهم أمر لا يجدون إليه سبيلا؛ لأنّ إثبات عصمتهم متوقف على إثبات صحة كتبهم ، وصحة كتبهم متوقفة على ثبوت عصمتهم؛ فكان هذا دورا ممتنعاً[999]

وإنما نُبِّه على هذا لأن النصارى أو أكثرهم يعترفون بمقدِّمات القاعدة ولكنّهم يخالفون في نتيجتها.

ومعنى ذلك أنهم يوافقون على أن ديانتهم ليست منقولة عن الله ورسله وأنها غير معقولة، لكن يخالفون فيما تؤدي إليه وهو الحكم ببدعيتها وبالتالي ببطلانها وإلغائها، لأنهم يقولون إنها مُسْتَلَمة عن الحواريين ورسل المسيح وخلفائهم وهم معصومون عندهم ويدّعون أن كل ما جاء عنهم فكأنما جاء عن الله ، وإذا كان ذلك كذلك فإن الديانة صحيحة ويجب الاعتراف والتدين بها حتى لو كانت غير معقولة لأنها منقولة عن معصوم. وقد عرفت أن إثبات هذه العصمة أمر لا يجدون إليه سبيلا.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة

لهذه القاعدة صوَرمن التطبيق منها:

إذا أراد نصراني تقرير شيء في دينه عقيدة أو شريعة أو شعيرة أو الدعوة إليه أو الدفاع عنه بَيّنَ له الراد المسلم أن ذلك وغيره من أمور دينه غير منقول أو غير معقول أو غير منقول ولا معقول بإحدى الطرق السابقة التي يستعملها العلماء في تقرير القاعدة أو بطريقة أخرى غيرها تؤدي نفس المعنى وتوصل إلى النتيجة المطلوبة

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

---

[999] انظر : "الإعلام" : (ص :204-250)؛ "الجواب الصحيح" : (2/398-399).

تتناول هذه القاعدة بالرد كل ما كان في الديانة النصرانية مبتدعاً أو غير معقول، وذلك مثل دعوى الاتحاد والحلول والتجسد والصلب و الفداء وإنكار نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة:

قبل ذكر نماذج من ردود أهل العلم استنادا إلى هذه القاعدة يحسن التنبيه على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نبّها على كثير من بدع النصارى العملية والعلمية كما سبق آنفا وكلّ آية أو حديث دل على بِدْعيّة شيء في النصرنية يعتبر تطبيقا من تطبيقات القاعدة. أما استعمالات أهل العلم لهذه القاعدة في ردودهم على النصارى فعلى وجهين:

الوجه الأول: الرد العام:

والمقصود به استعمالهم للقاعدة في الرد على النصارى في أنّ دينهم مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول على وجه العموم دون أن ينصّوا على جزئية أو عقيدة بعينها ومن ذلك:

قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"أن دينهم مبدل ليس كله عن المسيح والحواريين بل أكثر شرائعهم أو كثير منها ليست عن المسيح والحواريين"[1000]

وقول ابن القيم: "وأما شريعتهم ودينهم فليسوا متمسكين بشيء من شريعة المسيح ولا دينه البتة"

الوجه الثاني الرد الخاص:

والمقصود به استعمالهم للقاعدة في الرد على النصارى في مسألة معينة، فيبينون في كل مسألة أنّ دينهم على غير المنقول ومعاندة المعقول خصوصا.

وهذا الوجه على التصنيف الآتي:

الصنف الأول: ما يتعلق بعقائدهم الفاسدة

وردت ردود أهل العلم على النصارى بخصوص عقائدهم الباطلة استنادا إلى هذه القاعدة على قسمين:

القسم الأول:

[1000] "الجواب الصحيح" (225/2) وانظر نصوصا مشابهة عنده في المصدر السابق : (361/1) ، (414/2) ، (30/3)

استعمال القاعدة في الرد على عموم عقائدهم الباطلة

من ذلك ما سبق ذكره في النصوص المشيرة إلى صيغة هذه القاعدة ومن ذلك أيضا ما يأتي:

أ- في تقرير أنها على غير المنقول

يقول عبدالله الترجمان أثناء رده على الأمانة الكبرى:

"فقد تبين أن عقائد النصارى كلها كفر ومحال ركيك وتناقض قبيح لم يأخذوها عن كتب الله ولا عن أنبيائه وإنما قلدوا فيها دعاوى باطلة وأهواء كاذبة مهدها لهم كل كافر أثيم"[1001]إلخ

ب- في الرد عليهم بأنها غير معقولة

قال ابن حزم رحمه الله:

"ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه إذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[1002] وإذ يقول الله حاكيا عنهم ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[1003] وإذ يقول تعالى: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[1004] لَمَا نطق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف. وتالله لولا أن أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان"[1005] اهـ.

وقال القرطبي رحمه الله:

"ثم من العجب الذي يستعظمه أولو الألباب : أنكم التزمتم في شرعكم بما يشهد العقل الأول بفساده مثل قولكم في الأقانيم : (أنها آلهة ثلاثة إله واحد) وقلتم في الاتحاد والحلول ما يعلم فساده بضرورة العقول ، ثم لم ينفركم ذلك عن اتباع شرعكم ، بل يقول من يميز استحالة ذلك القول منكم : هذا ليس مما يُدرك بالعقول، بل يتبع في الكتاب المنقول"إلخ[1006]

القسم الثاني:

استعمال القاعدة في الرد على مفردات عقائدهم الباطلة

(1001) "تحفة الأريب" (ص: 183).
(1002) "سورة المائدة" : (آية: 72).
(1003) "سورة المائدة" : (آية: 73).
(1004) "سورة المائدة" : (آية: 116).
(1005) "الفصل" : (1/ 49).
(1006) "الإعلام" (2/ 212).

أولا: استعمال القاعدة في تقرير بطلان عقيدة سريان الخطيئة الأ ولى

أ- استعمال القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة على غير المنقول

قال **الحسن بن أيوب** رحمه الله:

في معرض نقضه لهذه العقيدة "وهذا إنجيلكم يكذب هذا القول حيث يقول المسيح (ما أكثر من يقول لي يوم القيامة: يا سيدنا أليس باسمك أخرجنا الشيطان فأقول: اغربوا عني أيها الفجرة الغاوون، فما عرفتكم قط)(1007)، فهذا خلاف قول علمائكم ما قالوا ووضعوا"

"ومثله قوله : (إني جامع الناس يوم القيامة عن ميمنتي وميسرتي وقائل لأهل الميسرة إني جُعت فلم تطعموني، وعطشت فلم تسقوني، وكنت غريبا فلم تأووني، ومحبوسا فلم تزوروني، ومريضا فلم تعودوني، فاذهبوا إلى النار المعدة لكم من قبل تأسيس الدنيا. وأقول لأهل الميمنة: فعلتم بي هذه الأشياء فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم من قبل تأسيس الدنيا)(1008)، فهل أدخل أولئك النار إلا خطاياهم التي ركبوها، وهل صار هؤلاء إلى النعيم إلا بأعمالهم الجميلة التي قدموها بتوفيق الله إياهم فمن قال إنّ الخطيئة قد بطلت فقد بهت، و خالف قول المسيح، وكان من الكاذبين "(1009) ا.هـ.

وجه استعمال القاعدة:

في كلام الحسن بن أيوب السابق من قوله: "وهل أدخل أولئك النار إلا خطاياهم" إلى آخر كلامه تقرير من خلال الإنجيل الذي يؤمن به النصارى أنّ هذه العقيدة تخالف ما جاء به المسيح عليه السلام فتكون غير منقولة كما هو منصوص الجزء الأول من القاعدة وهو : **"دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌ عَلَى غَيرِ المَنْقُول"** وإذا كانت هذه العقيدة تصادم المنقول فلماذا يتديّن بها ويُدعى إليها خاصة إذا علمتَ أنها تصادم المعقول أيضا كما سيأتي.

وقال **الجعفري** رحمه الله (1010):

"والعجب كيف تحكم النصارى بصحة توبة آدم ويقولون: إن ذريته مأخوذون بجريرته وقد رووا في بعض نبوات أنبيائهم عن الله (لا آخذ الولد بذنب ولده، طهارة الطاهر له تكون، وخطيئة الخاطئ عليه

(1007) انظر: "إنجيل متى": (7/ 22-23).

(1008) انظر: "إنجيل متى": (25/ 21-46).

(1009) "الجواب الصحيح" (4/ 119).

(1010) "التخجيل" (2/ 636).

تكون "[1011] وذلك موافق لقوله تعالى :{وَلا تزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}[1012].[1013] ا هـ.

(1011) انظر "سفر حزقيال " : (18 / 20).

(1012) "سورة الأنعام " : (آية : 164).

(1013) "التخجيل " (2 / 636).

وجه استعمال القاعدة:
بيّن **الجعفري** مخالفة هذه العقيدة لبعض نصوص العهد القديم-و النصارى ملزمون به-فثبت ما جاء في القاعدة من أنّ "**دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ**" في هذه العقيدة وفي عقائد كثيرة غيرها من عقائدهم الفاسدة.
وبمثله رد **القرافي**[1014]
ب - استعمال القاعدة في الرد عليهم بأنّ هذه العقيدة مبينة على معاندة المعقول
قال **البوصيري** رحمه الله:
زَعَمُوا الإ ِلَهَ فَدَى العَبِيدَ بِنَفْسِهِ * وَأَرَاهُ كانَ القَاتِلَ المَقتـُولا

أيَكُونُ قَومٌ فِي الجَحِيمِ وَيَصْطَفِي * مِنْهُم كلِيمًا رَبُّنَا وَخَلِيلا ؟[1015]

وجه استعمال القاعدة:
استعمل **البوصيري** معنى القاعدة ومفهومها في البيت الثاني ليبين للنصارى أن القول بتوارث الخطيئة الأولى وما نتج عنها من سجن الصالحين في الجحيم مرفوض عقلا إذ كيف يختار الله موسى عليه السلام له كليما، وإبراهيم عليه السلام له خليلا وهم من أصحاب الجيحم.

ثانيا: استعمال القاعدة في الرد عليهم في عقيدة التثليث
أ- استعمال القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة على غير المنقول:
قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**:
"أن في التوراة والكتب الإلهية من إثبات وحدانية الله ، ونفي تعدد الآلهة، ونفي إلهية ما سواه ما هو صريح في إبطال قول النصارى ونحوهم، وليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظا ولا معنى"
إلى أن قال: "بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأنبياء ما يدل عليه ، بل فيه أقوال كثيرة صريحة بنقيض ذلك مع القرآن والعقل ، فهم مخالفون للمعقول وكتب الله

(1014) "الأجوبة الفاخرة " (ص : 138 - 139).
(1015) "المخرج والمردود " ضمن "ديوانه " (ص : 179).

المنزلة"[1016]

وجه استعمال القاعدة:

استعمل شيخ الإسلام معنى الجزء الأول من قاعدتنا "دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المَعْقُولِ" في الرد على عقيدة التثليث من الناحية النقلية في النقل السابق وخاصة في قوله :"ليس فيها ذكر الأقانيم لا لفظا ولا معنى" وعند قوله: "بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأ نبياء ما يدل عليها" وعند قوله: "فهم مخالفون للمعقول وكتب اللّه المنزلة" وكل هذا إنما هو تقرير للقاعدة وتوضيح لها.

وقال البوصيري:

"خَبِّرُونَا أَهْلَ الكِتَابَين مِنْ أيْـ * نَ أَتاكُمْ تثْلِيثُكُمْ وَالبَدَاءُ

مَا أَتى بِالعَقِيدَتين كِتَابٌ * وَاعْتِقادٌ لا نص فِيهِ ادِّعَاءُ

وَالدّعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيهَا * بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أدْعِيَاءُ"[1017] إلخ

وجه استعمال القاعدة

قول البوصيري "مَا أَتى بِالعَقِيدَتين كِتَابٌ" هو عين معنى قولنا في القاعدة : "دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ" فما دام أن هذه العقيدة لم تأت في كتاب من كتب اللّه المنزلة ، وأنها مخالفة للعقل كما سيأتي فالواجب إذن تركها والضرب بها عُرض الحائط.

ب- استعمال القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة على غير المعقول :

من ذلك النقل السابق عن شيخ الإسلام رحمه اللّه ومن ذلك

(1016) "الجواب الصحيح" (3/470-471)، (4/471) وانظر أيضا : "الإعلام" (2/221)

(1017) "المخرج والمردود" (ص : 63) .

قول البوصيري:

"لَيتَ شِعْرِي ذِكْرُ الثّلا ـَثَةِ وَالوَا * حِدِ نَقْصٌ عِنْدَكُمْ أَمْ نَمَاءُ"[1018]

وقوله أيضا :

"ضَلّ النّصَارَى فِي المَسِيحِ وَأَقسَمُوا * لا ـَ يَهْتَدُونَ إِلَى الرّشَادِ سَبِيلا ً

جَعَلُوا الثّلا ـَثَةَ وَاحِداً وَلَوِ اهْتَدَوْا * لَمْ يَجْعَلُوا العَدَدَ الكَثِيرَ قَلِيلا ً"[1019]إلخ

وجه استعمال القاعدة:

وجّه البوصيري خطابه إلى عقول النصارى في البيت الأول ليفكّروا ويتدبروا حتى ينزهوا عقولهم عن المستحيل الذي ارتكبوه وهو جعل الثلاثة واحداً وأن هذا شيء غير معقول واكتفى بمجرد ذكره عن بيان دليل عدم معقوليته، وبيّن في البيت الثاني من النقل الثاني السبب الباعث إلى اعتقاد هذه العقيدة الباطلة وهو عدم الهداية، وكل هذاذ تقرير وتجلية لما جاء في نص القاعدة من أنّ **"دِينُ النّصَارَى مَبْنِيٌ عَلَى مُعَانَدَةِ المَعْقُولِ"** وعقيدة هذا شأنها ينبغي للعاقل أن يمجها ويهجرها، فضلا عن أن يدعو إليها.

ثالثاً: استعمال القاعدة في الرد عليهم في دعوى الحلول:

أ- استعمال القاعدة في الرد عليهم في أن هذه العقيدة على غير المنقول:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

أثناء ردّه على عقيدة النصارى في التثليث والحلول والاتحاد مبينا أنها على غير المنقول كما دلت عليه القاعدة:

"بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأ نبياء ما يدل عليه"[1020]

(1018) "المصدر السابق"

(1019) "المصدر السابق" : (ص : 181).

(1020) انظر كامل النص في (ص : 343) من هذا البحث.

وجه استعمال القاعدة:
استعمل شيخ الإسلام معنى القاعدة في أدق صورها وذلك في قوله "ليس في كتب الأنبياء ما يدل عليه" فإن هذا أقوى من مجرد القول بأنها غير موجودة. وهذا الذي قاله شيخ الإسلام هو معنى ما جاء في القاعدة من أنّ "دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى مُعَانَدَةِ المَعْقُولِ" فهو إذن استعمال لها وتقرير لمعناها.
ب- استعمال القاعدة في الرد عليهم في أن هذه العقيدة على غير المعقول:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية:
"الخامس: إنكم إذا جعلتم الله نفسه ساكنا في المسيح ، فَوِزَانه أن تكون الشمس نفسها ساكنة في موضع صغير من الأرض. وهذا التمثيل يبطل قولكم (إن الله أعلا وأعظم وأجل وأكبر) والله أكبر وأعظم من كل شيء ، والشمس آية من آياته ومخلوق من مخلوقاته ، ومع هذا فلو قال قائل إن الشمس سكنت في جوف امرأة وخرجت من فرج تلك المرأة ، لكان كل عاقل يعلم فساد قوله ، وينسبه إلى الجهل العظيم أو الجنون ، وسواء قال : إن الشمس نفسها نزلت أم لم تنزل".
"وأنتم تقولون: إن رب العالمين سكن في بطن مريم ، ويقول أكثركم -كالملكية واليعقوبية-إنه خرج من فرج مريم"
"ولو قال قائل عما هو من أصغر مخلوقات الله ؛ كوكب من الكواكب ، أو جبل من الجبال، أو صخرة عظيمة، إن ذلك كان في بطن امرأة وخرج من فرجها، لضحك الناس من قوله، فكيف بمن يدعي مثل ذلك في رب العالمين"[1021]ا.هـ.
وجه استعمال القاعدة:
استعمل شيخ الإسلام فحوى الجزء الأول من قاعدة: "دِينُ النَّصَارَى مَبْنِيٌّ عَلَى غَيرِ المَنْقُولِ وَمُعَانَدَةِ المَعْقُولِ" في الرد على النصارى وبالغ في بيان عدم معقولية عقيدة النصارى في دعوى الحلول حتى في مخلوقات الله فكيف يدعون ذلك في الله، وإذا بلغت هذه العقيدة هذا المبلغ فلماذا يتدين بها عاقل ويدعو إليها أضف إلى ذلك أنّها غير منقولة أيضا، فالواجب إذن هجرها وكفرانها

[1021] "الجواب الصحيح" (323/4) . وانظر أيضا : (264/5) ؛ و "الفصل" (54/1) (55/1) ؛ "الإعلام" (1 / 1 2 2) .

رابعاً: استعمال القاعدة في الرد عليهم في دعوى الاتحاد:
أ- استعمال هذه القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة على غير المنقول ومعاندة المعقول.
قال ابن حزم:
أثناء رده على النصارى في بيان أن هذه العقيدة مرفوضة نقلا وعقلا.
"وهم يقولون أن الإله اتحد مع الإنسان بمعنى أنهما صارا شيئا واحدا" إلى أن قال "وكل هذا في غاية الفساد (أول ذلك) أنها دعاوٍ ولا يعجز عن مثلها متحامق وليس في إنجيلهم شيء من هذه الأقسام (والثاني) أنها كلها محال" ثم بين وجه استحالتها"[1022]

خامساً: استعمال القاعدة في الرد على ادعائهم ربوبية المسيح عليه السلام وألوهيته
أ - استعمال القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة على غير المنقول
قال الحسن بن أيوب:
في رده على النصارى ادعاءهم ربوبية المسيح وألوهيته عليه السلام:
"ويا أيها القوم الذين هم أولوا الألباب والمعرفة حيث ينسبونه إلى الربوبية وينحلونه اللاهوتية ، ويجعلونه خالق الخلق أجمعين وإلههم ، بماذا ساغ ذلك لكم ، وما الحجة فيه عندكم"؟
"هل قالت كتب النبوات فيه ذلك أو هل قاله عن نفسه أو قاله أحد من تلامذته والناقلين عنه الذين هم عماد دينكم وأساسه ".
"ولو كان كما تقولون لأفصح عن نفسه بأنه إله كما أفصح بأنه عبد، ولكنه ما ذكره، ولا ادعاه، و لا دعا إليه، ولا ادعته له كتب الأنبياء قبله، ولا كتب تلامذته، ولا حكى عنهم ولا أوجبه كلام جبريل الذي أدّاه إلى مريم، ولا قول يحي بن زكريا "ا .هـ
وقال ابن القيم:
في الرد على دعوى النصارى ربوبية المسيح وألوهيته:
"وجماع الأمر أن النبوات المتقدمة والكتب الإلهيةلم تنطق بحرف واحد يقتضي أن يكون ابن البشر إلها تاما إله حق وأنه غير مخلوق

(1022) "الفصل" (1 / 53) .

(ولا مربوب) "[1023] إلخ.

ب - استعمال القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة مبنية على معاندة المعقول

قال الجعفري:

في بيان أن هذه العقيدة غير معقولة:

"الوجه الرابع : قول الأمانة (إن يسوع المسيح أتقن العوالم وخلق كل شيء) وذلك مناقض للإنجيل ومكذب له إذ يقول متى : (هذا مولد يسوع المسيح بن داود)[1024]

ومن أتقن العوالم وخلق كل شيء لا يكون متأخراً عن العوالم وتكون العوالم سابقة له. ثمّ مِن العالمَ أمُه مريم فكيف يوصف بأنه خالق أمه قبل أن تلده؟ ومِن العالم الثياب التي لفّ بها والمعلف الذي أكنّه وهو طفل، والطعام الذي نمى أعضاءه، وذلك من الغلو الذي لا يخفى فساده عن لبيب "[1025] إلخ.

وقال أيضا:

"مناقشة زعم النصارى أن المسيح كان يتردد إلى أورشليم للاستفادة والتعليم يسائل الأحبار عن الأخبار[1026] ثم اعتقدوا أنه الذي أنزل التوراة على الكليم، وفدى الذبيح من يد إبراهيم ، فيقال لهم : يا ممسوحي الحلوم، ومسلوخي الفهوم، كيف يتعلم كتابا هو الذي أنزله، أو يتلمذ على رسول هو الذي أرسله؟ ![1027]

وقال البوصيري:

أهُوَ الرّاكِبُ الِحمَارَ فَيَا عَجْـ * زَ إلِهٍ يَمَسّه الإ عْيَاءُ[1028]

وقال أيضا :

جاءَ المَسِيحُ مِنَ الإ لَهِ رَسُولا * فَأبَى أقَلُّ العَالَمِينَ عُقُولا

قَومٌ رَأوْا بَشَرًا كرِيمًا فَادّعَوْا * مَنْ جَهْلِهِمْ لله فِيهِ حُلُولا

إلى أن قال :

أسَمِعْتُمُ أنّ الإ لَهِ لِحَاجَةٍ * يَتَنَاوَلُ المَشْرُوبَ وَالمَأكُولا ؟

(1023) "هداية الحيارى" (ص : 509).

(1024) انظر : "إنجيل متى" : (1 / 1).

(1025) "التخجيل" (2 / 506).

(1027) "التخجيل" (1 / 183)

(1028) "البردة" ضمن "ديوانه" (ص : 63) .

وَيَنَامُ مِنْ تعَبٍ وَيَدْعُو رَبّهُ * وَيرُومُ مِنْ حَرّ الهَجِيرِ مَقِيلا ؟

وَيمَسُّهُ الأ لَمُ الذّي لَمْ يَسْتَطِعْ * صَرْفًا لهُ عَنْهُ وَلا تحْوِيلا ؟

يَا لَيتَ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بِزَعْمِكُمْ * مَنْ كانَ بِالتّدْبِيرِ عَنْهُ كفِيلا ؟

هَلْ كانَ هَذَا الكونُ دَبّرَ نَفْسَهُ * مِنْ بَعْدِهِ أمْ آثرَ التّعْطِيلا ؟

إلخ (1029)

وقال ابن القيم:

وَيَا عَجَبًا لقبَرٍ ضَمّ رَبًا * وَأعْجَبُ مِنْهُ بَطَنٌ قَدْ حَوَاهُ

أقامَ هُنَاكَ تِسْعًا مِنْ شُهُورٍ * لَدَى الظُلُمَاتِ مِنْ حَيضٍ غِذَاهُ

وَشِقّ الفَرْجِ مَولودًا صَغِيرًا * ضَعِيفًا فَاتِحًا لِلثّدْيِ فَاهُ

وَيَأكُلُ ثُمّ يَشْرَبُ ثُمّ يَأتِي * بِلازِمِ ذَاكَ هَلْ هَذَا إلهُ؟

تعَالَى اللهُ عَنْ إفْكِ النّصَارَى * سَيُسْألُ كُلُّهُمْ عَمّا افتَرَاهُ (1030)

وقال أبو الفضائل المالكي في رده على أمانة النصارى الكبرى:

"بَطَلَتْ أمَانَتُكُمْ فَمِنْ مَضْمُونِهَا * ظَهَرَتْ خِيَانَتُهَا خِلالَ سُطُورِهَا"

بَدَأوا بِتَوحِيدِ الإلَهِ وَأشْرَكُوا * عِيسَى بِهِ فَالخُلْفُ فِي تعْبِيرِهَا

قَالُوا بِأنّ إلَهَهَمْ عِيسَى الذّي * ذَرّ الوَجُودَ عَلَى الخَلِيقَةِ كُلِّهَا

خَلَقَ امّهُ قَبْلَ الحُلُولِ بِبطْنِهَا * مَا كانَ أغْنَى ذَاتَهُ عَنْ مِثْلِهَا

هَلْ كانَ مُحْتَاجًا لِشُرْبِ لِبَانِهَا * أو أن يُرَبّى فِي مُوَاطِنِ حِجْرِهَا

جَعَلُوهُ رَبًّا جَوهراً مِنْ جَوهَرٍ * ذَهَبُوا لِمَا لا يَرْتَضِيهِ أُولُو النُّهَى"

إلخ (1031)

وقال أيضا:

فَلَوْ كانَ رَبًّا كمَا تزْعُمُونَ * أيَسْعَى لِيَحْيَى مِنَ الأرْدُنّ؟

وَيَحْتَاجُ لِلْمَاءِ فِي بِرّهِ * لِيَكمُلَ بِالمَورِدِ الأحْسَنَ

وَيَجْعَلُ يَحْيَى إمَامًا لهُ * لِيُعَمّدَهُ فَهْوَ كالمُحْسِنَ

إلَيهِ . وَمَا كانَ مِنْ فِعْلِهِ * فَتَمّ لِعِيسَى المَقَامُ السّنِي

(1029) "المخرج والمردود في الرد على النصارى واليهود" ضمن "ديوانه" (ص: 175 - 179).

(1030) "إغاثة اللهفان" (2 / 407).

(1031) أورده محمود الألوسي في "روح المعاني": (6 / 33).

فَلَوْ كانَ عِيسَى إلهًا كمَا * زَعَمْتُمْ لَقدْ كانَ عَنْهُ غَنِي [1032]

وقال الألوسي :

تبًا لِقومٍ حَيثُ خَصُّوا رَبّهُمْ * فِي زَعْمِهِمْ بِقَبَائِحِ الأَقْوالِ
جَعَلُوهُ مَقْهُوراً لأَدْنَى خَلْقِهِ * وَأَخَسّهِمْ فِي سَائِرِ الأَحْوَالِ
قَرَنُوهُ بِاللِّصَيْنِ سَاعَةَ صَلْبِهِ * ظَلَمُوهُ بالأَقْوَالِ وَ الأَفْعَالِ
عَجَباً وَهَلْ يَبْقَى الوُجُودُ وَرَبُّهُ * فِي لَحْدِهِ مُتَقَطِّعَ الأَوصَالِ
هَذَا لَعَمْرِكُمُ الصّغَارُ بِعَيْنِهِ * لا يَرْتَضِهِ سِوَى عَدِيمَ البَالِ
قَومٌ تَسَرْبَلَ بِالخَيَالِ عُقُولُهُمْ * هَذَا لَعَمْرِي غَايَةٌ الإِضْلَالِ [1033] "إلخ

وبمثله رد عبدالله الترجمان [1034]

سادساً: استعمال القاعدة في الرد على ادعائهم بنوة المسيح لله سبحانه

قال حاطب ابن أبي بلتعه رضي الله:
لماَ سأله المقوقس عن الحرب بين النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين قومه، فأخبره أنها بينهم سجال.
فقال المقوقس "أنبي الله يغلب "؟
فقال حاطب رضي الله عنه : أولدُ الله يصلب "؟ [1035]
قال أبو العلاء المَعَرّي:

عَجَبِي لِلمَسِيحِ بَينَ النّصَارَى		وَإلَى أيّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ
أسلَمُوهُ إلَى اليَهُودِ وَقَالُوا		إنّهُمْ بَعْدَ قَتْلِهِ صَلَبُوهُ
وَإذَا كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا		وَصَحِيحًا فَأيْنَ كانَ أبُوهُ
حِينَ خَلّى ابْنَهُ رَهِينَ الأَعَادِي		أتَرَاهُمْ أرْضَوْهُ أمْ أغْضَبُوهُ
فَلَئِنْ كَانَ رَاضِيًا بِأذَاهُمْ		فَاحْمَدُوهُمْ لأَنّهُمْ عَذّبُوهُ

[1032] أورده الألوسي في "الجواب الفسيح " : (1 / 200).
[1033] "الجواب الفسيح في الرد على عبد المسيح " : (1 / 605).
[1034] "تحفة الأريب " (125) .
[1035] سبق تخريجه (ص : 163 1)

وَلَئِنْ كَانَ سَاخِطًا فَاتَـرْكُوهُ		وَاعْبُـدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلَبُـوهُ[1036]

سابعاً: استعمال القاعدة في الرد على النصارى في عقيدة الصلب

أ-استعمال القاعدة في الرد عليهم في أن هذه العقيدة على غير المنقول

قال البوصيري:

فَدَعُوا حَدِيثَ الصّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ * مِنْ كُتْبِكُمْ مَا وَافَقَ التّنْزِيلا[1037]

شَهِدَ الزّبُورُ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ * أَفَتَجْعَلُونَ دَلِيلَهُ مَدْخُولا

وقال أيضا:

قَتَلَهُ اليَهُودُ فِيمَا زَعَمْتُمُ * وَلِأَمْوَاتِكُمْ بِهِ إِحْيَاءُ

إِنّ قَوْلاً أَطْلَقْتُمُوهُ عَلَى اللّهِ تَعَالَى ذِكْرًا لَقَوْلٌ هُرَاءُ[1038]

ب-استعمال القاعدة في الرد عليهم في أنّ هذه العقيدة مبينة على معاندة المعقول

قال الجعفري:

"فهذه عشر حجج كلها تقضي بالثلب على مدعي الصلب" إلى أن قال "أسمعتم يا معشر النوكى برب في قبر وإله في لحد؟ ! أيّ جدث وسعه؟! أي كفن واراه ؟! أي نعش حمله؟! هل نجا من ضغطة القبر ؟! هل لقّن حجته عند السؤال؟! هل ثبت جأشه عند طلعة الملك"؟! "أفٍ لتراب تغشى وجه هذا الإله ، وتبًا لكفن ستر محاسنه، وسُحْقًا لجذع انتصب تحته صلب عليه ، عجبا للسماء كيف لم تبِدْ وهو سامكها وللأرض كيف لم تمِدْ وهو ماسكها ، وللبحار كيف لم تغِض وهو مجريها ، وللجبال كيف لم تسِر وهو مرسيها ، وللحيوان كيف لم يصعق وهو مشبعه، وللكون كيف لم يمحق وهو مخترعه ؟!! وأنّى استقام الوجود والرب في اللحود، وثبت العالم على نظام والإله في الرحام؟!! لقد لبس الكون ثوبا من القحة صفيقا ، واستمر على البقاء وكان بالفناء خليقا - فإنا لله وإنا إليه راجعون على المصيبة بهذا الرب، والرزية بهذا الإله، لقد ثقلته أمه التي خلقها

(1036) انظر "ديوان أبي العلاء المعري"

(1037) "ديوان البوصيري" (ص: 180).

(1038) "المصدر السابق" (ص: 63).

وصورها ، وعدمته الدنيا التي أبدعها وفطرها، فليت شعري هل قسم ميرائه[1039] وعمل مأتمه ؟ وهل أخذ بثأره أو سُلم مسلمه ؟! هذا وأبيك[1040] الخذلان واللاعب بالأديان "[1041] ا .هـ .

وقال أيضا : "فلو ألهم النصارى رشدهم لمحوا هذا الفصل[1042] من الإنجيل ودرسوا خبره، وعفوا أثره، وأدبوا من ينطق به، فإن اللافظ به إنما يعرض سب إلههم والتنقص من معبودهم، وإنه فصل وخيم، والعار عليهم في نشره عظيم، إذ مضمونه أن اليهود الملاعين و العبيد المدبرين عدوا على إلههم، ورصدوه وتوقعوا غرته فقصدوه، فوضعوا أيديهم عليه ذليلا، وأناطوا به جوامع وكبولا، ولم يجد إلى الإفلات منهم سبيلا ".

"وهرب تلاميذه عنه وأسلموه، فتناوله أعداؤه بيد القسر وتسلموه وساقوه بينهم يحمل جذعه أسيرا ، ثم لطم حتى حُطِم ، وأُرضع لبان الهوان حتى ودّ لو فطم ، وتفل في وجهه القيام والقعود من أراذل اليهود ، فنزل به من الدهش والعطش والكرب ما لا يقصر في الألم عن القتل والصلب ، وأنه استسقاهم ماء فسقوه خلا ، وسأل البقيا فأسمعوه كلا ، فصرخ على جذعه إلهي إلهي كيف تركتني" ؟ "وصرح بالعبودية لا يتلقب ولا يكتني ، ولم يزل ينزل في قوس النزاع حتى مرق سهم روحه، ولقد راموا كسر ساقيه كفعلهم برفيقيه، فعجلت عليه منيته، وأبطأت عنه أمنيته، وأعول عليه أحبابه، وتفرق من الفرق أصحابه، وسأل الوالي جسده فدفن وتصدق عليه بالكفن، وهذه لعمرك معرّة يأنف العاقل من إلصاقها بكلبه ، فكيف يلصقها بربه " ؟ ![1043] ا .هـ..

وقال ابن القيم:

أعُبّادُ المَسِيحِ لنَا سُؤَالٌ * نرُيِدُ جَوَابَهُ مِمّنْ وَعَاهُ
إذَا مَاتَ الإ لَهُ بِصُنْعِ قَومٍ * أمَاتُوهُ فَمَا هَذَا الإ لَهُ؟
وَهَلْ أرْضَاهُ مَا نَالُوهُ مِنْهُ * فَبَشْرُهُمْ إذَا نَالُوا رَضَاهُ
وَإنْ سَخِطَ الذّي فَعَلُوهُ فِيهِ * فَقُوتُهُمْ إذاً أوْهَتْ قُوَاهُ
وَهَلْ بَقِيَ الوُجُودُ بِلا إلَهٍ * سَمِيعٍ يَسْتَجِيبُ لِمَنْ دَعَاهُ؟

(1039) هكذا في الأصل ولعله (ميراثه)
(1040) قال المحقق هكذا في ص.
(1041) "التخجيل " (1 / 348ـ349) .
(1042) أي الفصل الذي يتكلم عن صلب المسيح .
(1043) التخجيل" (1/355ـ356) ، (2/581) . وانظر أيضا "إغاثة اللهفان" (2/406).

وَهَلْ خَلَتِ الطِّبَاقُ السَّبْعُ لمَّا * ثوَى تحتَ التّرَابِ وَقدْ عَلَاهُ؟
وَهَلْ خَلَتِ العَوَالمُ مِنْ إلهٍ *يُدَبِّرُهَا وَقدْ سُمِرَتْ يَدَاهُ؟
وَكيفَ تخَلّتْ الأمْلاكُ عَنْهُ *بِنَصْرِهِمْ وَقدْ سَمِعُوا بُكاهُ؟
وَكيفَ أطَاقتْ الخَشَبَاتُ حَمْلَ الإلهِ الحَقّ مَشْدُودًا قفَاهُ؟
وَكيفَ دَنَا الحَدِيدُ إليهِ حَتّى *يُخَالِطُهُ وَيَلحَقُهُ أذَاهُ؟
وَكيفَ تمَكنَتْ أيْدِي عَدَاهُ *وَطَالتْ حَيثُ قدْ صَفَعُوا قفَاهُ؟
وَهَلْ عَادَ المَسِيحُ إلى حَيَاةٍ *أمِ المُحْيِي لهُ رَبٌ سِوَاهُ؟
وَيَا عَجَبًا لِقبْرٍ ضَمّ رَبًّا *وَأعْجَبُ مِنْهُ بَطْنٌ قدْ حَوَاهُ"
إلخ (1044)

وقال البوصيري:

وَإذَا فَرَضْتُمْ أنّ عِيسَى رَبُّكُمْ * أفَلَمْ يَكنْ لِفِدَائِكُمْ مَبْذُولاً
وَأجِلُّ رُوْحًا قامَتِ المَوْتى بِهِ * عَنْ أنْ يُرَى بِيَدِ اليَهُودِ قتِيلاً (1045)
أيَكُونُ مَنْ حَفِظَ الإلَهُ مُضَيّعًا * أوْ مَنْ أشِيدَ بِنَصْرِهِ مَخْذُولاً؟
أيَجُوزُ قَولُ مُنَزّهٍ لِإلَهِهِ * سُبْحَانَ قَاتِلُ نَفْسِهِ فَأقُولاَ
أوْ جَلّ مَنْ جَعَلَ اليَهُودُ بِزَعْمِكُمْ * شَوكَ القَتَادِ لِرَأسِهِ إكليلاً
وَمَضَى بِحَمْلِ صَلِيبِهِ مُسْتَسْلِمًا * لِلمَوتِ مَكْتُوفَ اليَدَيْنِ ذَلِيلاً
كمْ ذَا أبَكّتُكُمْ وَلَمْ تَسْتَنكِفُوا أنْ تسْمَعُوا التّبْكِيتَ وَالتّخْجِيلا (1046)
فَاعْجَبْ لِأُمّتِهِ التيّ قَدْ صَيّرَتْ تنْزِيهَهَا لِإلَهِهَا التّنْكِيــلا (1047)

وأورد الألوسي أبياتاً في الرد عليهم في ذلك منها :

(1044) "إغاثة اللهفان" (2/407).
(1045) "المخرج والمردود" (ص: 179-180).
(1046) "المصدر السابق" (ص: 180-181).
(1047) "المصدر السابق" (ص: 176).

"جَعَلُوهُ يُقْدِي عَبْدَهُ بِمَمَاتِهِ * يَا عَجْزَ دَاتٍ تقعُهَا فِي ضُرِّهَا" [1048]

الصنف الثاني : ما يتعلق بشرائعهم المبتدعة:

وردت ردود أهل العلم على النصارى بخصوص شرائعهم المبتدعة استنادا إلى هذه القاعدة على قسمين:

القسم الأول:

استعمال القاعدة في الرد على عموم شرائعهم المبتدعة

قال **الجعفري:**

"فضيحة أخرى: ليس بين النصارى شيء من الأحكام والفرائض و السنن المحتاج إليها في المعاملات والمناكحات. والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر صريح وأكاذيب كثيرة لم يصدقهم عليها أحد من الأمم، وأكثر ما يفزعون إلى أحكام المسلمين لخلو أكابرهم عن معرفة الحلال والحرام، وأي شيء استحسنوه بعقولهم شرعوه وحكموا به فمن نازعهم من أهل ملتهم أحرموه ومنعوه من دخول الكنائس فيحكمون فيهم بأحكام ما أنزل الله بها من سلطان " إلخ [1049]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"الوجه الثاني: دعواهم أنهم متمسكون في هذا الوقت بالدين الذي نقله الحواريون عن المسيح عليه السلام-كذب ظاهر؛ بل عامة ما هم عليه من الدين؛ عقائده وشرائعه كالأمانة، والصلاة إلى المشرق، واتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس، واتخاذها وسائط، والا ستشفاع بأصحابها، وجعل الأعياد بأسمائهم، وبناء الكنائس على أسمائهم، واستحلال الخنزير، وترك الختان، والرهبانية، وجعل الصيام في الربيع ، وجعله خمسين يوما ، والصلوات، والقرابين، و الناموس لم ينقله الحواريون عن المسيح، ولا هو موجود لا في التوراة ولا في الإنجيل، وإنما هم متمسكون بقليل مما جاءت به الأ نبياء، وأما كفرياتهم وبِدَعُهم فكثيرة جدا "إلخ [1050]

القسم الثاني:

استعمال القاعدة في الرد على مفردات شرائعهم المبتدعة

(1048) "الجواب الفسيح" : (1/ 605).

(1049) "التخجيل " (2/ 616-617).

(1050) "الجواب الصحيح" (2/86-89) وانظر أيضا : (2/ 225) ، (1/ 361).

بما أن الأصل في شرائع النصارى الآن أن تكون مبتدعة أكتفي بـ التمثيل لأهم عبادتهم مع ذكر نماذج من ردود أهل العلم عليها استنادا إلى هذه القاعدة.

أولاً: استعمال القاعدة في الرد علي بعض بدعهم المتعلقة بـ الطهارة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

في سياق تقريره لوسطية شرائع الإسلام بين شرائع اليهود و النصارى ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضُيِّق على اليهود، ولم يُرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى، فـ لا يوجبون الطهارة من الجنابة، ولا الوضوء للصلاة، ولا اجتناب النجاسة في الصلاة، بل يَعُدّ كثير من عبادهم مباشرةَ النجاسات من أنواع القُرَب والطاعات، حتى يقال في فضائل الراهب : (له أربعون سنة ما مس الماء) ولهذا تركوا الختان مع أنه شرع إبراهيم الخليل عليه السلام وأتباعه "[1051] اهـ.

وبمثله رد **الجعفري**[1052] **والقرافي**[1053] **وابن القيم**[1054]

ثانياً: استعمال القاعدة في الرد علي بعض بدعهم المتعلقة بالصلاة

قال الجعفري:

"فضيحة أخرى : النصارى يصلون إلى مشرق الشمس ويتخذونها قبلتهم، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه يصلي إلى قبلة بيت المقدس قبلة موسى بن عمران والأنبياء وقال : (إني لم آت لأ نقض التوراة بل لأكملها، وأن السماء والأرض ليزولان وكلمة واحدة من الناموس لا تزول حتى يتم بأسره)[1055] غير أن النصارى خالفوا المسيح والأنبياء واعتذروا في توجههم إلى الشرق بأنه الجهة التي صلب إليها ربهم، وقتل فيها إلههم فيقال لهم : يا حمقى لو كنتم أولي ألباب لمقتُم جهة الشرق وأبغضتموها، وتطيرتم بها ورفضتموها في أمور العادة فضلا عن العبادة؛ وذلك لأنها الجهة التي لم يصل إليها المسيح، ولا شهدت لها الأناجيل، ولا صلّى إليها

(1051) "الجواب الصحيح" (70/1) . وانظر أيضا : (361/1) ، (87/2) ، (173/3) ، (73/5)

(1052) "التخجيل" (595/2) .

(1053) "الأجوبة الفاخرة" : (ص: 126).

(1054) "إغاثة اللهفان" : (400/2).

(1055) انظر : "إنجيل متى" : (5/17-18).

نبي من الأنبياء البتة ".

"ثم إنها الجهة التي تشتت بها شملكم، وبدّدَت كلمتكم، وفرّقُت جموعكم فتعظيمكم لهذه الحجة[1056] هي أشأم الجهات عليكم أمر يقتضي السخرية بكم والإزراء عليكم " [1057] إلخ

وقال القرافي:

"السؤال الثامن والأربعون : النصارى يبول أحدهم ويتغوط ، ويقوم من فوره من غير استنجاء لصلاة، وهو مما أحدثوه بعد المسيح عليه السلام، ولا يوجد في شريعة من الشرائع تأمر بأن العبد لا يقوم بين يدي الله إلا على أكمل أحواله، فيجمعون في صلاتهم بين ملابسة أقبح القاذورات، ويستقبلون ما لم يشرع لهم من الجهات، ويتضرعون إلى رجل من بني آدم قضوا عليه بالهوان والملمات، ويسألونه بالمسامير التي سُمِّر بها على الخشبة أن يغفر لهم الزلا ّت، وهذه صلاة لو تقرب بها إلى كانس الكنيف لأشبعهم من الضرب العنيف وأنف أن يكون هؤلاء من خدمه، أو معدودين من حشمه " [1058]

وقال ابن القيم:

"فصلاة مفتاحها النجاسة، وتحريمها التصليب على الوجه، وقبلتها الشرق، وشعارها الشرك، كيف يخفي على العاقل أنها لا تأتي بها شريعة من الشرائع ألبتة "؟ [1059]

ثالثاً: استعمال القاعدة في الرد علي بعض بدعهم المتعلقة بالصوم

قال ابن القيم:

"وإذا شئت أن ترى العِبَر في دينهم فانظر إلى صيامهم الذي وضعوه لملوكهم وعظمائهم، فلهم صيام للحواريين، وصيام لِمَارِي مريم، وصيام لماري جرجس، وصيام للميلاد"

إلى أن قال "والمقصود ذكر تلاعب الشيطان بهذه الأمة في أصول دينهم، وفروعه كتلاعبه بهم في صيامهم؛ فإن أكثر صومهم لا أصل له في شرع المسيح بل هو مختلق مبتدع " [1060].

(1056) هكذا في النسخة التي عندي ولعلها (الجهة).

(1057) "التخجيل " (2 / 593) .

(1058) "الأجوبة الفاخرة " (ص : 127) .

(1059) "إغاثة اللهفان " (2 / 415) .

(1060) "إغاثة اللهفان " (2 / 410).

وبمثله رد **الجعفري** [1061] **والقرافي** [1062]

رابعاً: استعمال القاعدة في الرد علي بعض ما ابتدعوه من السلوكيات

وأكتفي بالتمثيل بمسألة واحدة فقط وهي "الرهبانية"

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**

أثناء رده على النصراني استدلاله بآية الحديد على مدح الرهبانية "ليس في ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح، وإنما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ثم قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِم﴾ [1063] أي ابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم. **وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم**، بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ﴾ [1064]

إلى أن قال: **"فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله"** [1065] إلخ

واستعملها **ابن القيم** في "هداية الحيارى" [1066] **والقرافي** في "الأ

(1061) " التخجيل " (2/ 596 - 598)

(1062) "الأجوبة الفاخرة " (ص: 130 - 131) .

(1063) "سورة الحديد " : (آية : 27).

(1064) "سورة المائدة " : (آية : 103).

(1065) "الجواب الصحيح" (2/188-189) . وقال شيخ الإسلام رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ (الحديد: 27) ما خلاصته:

وفي قوله : "ورهبانية" قولان:

أحدهما أنها منصوبة . يعني ابتدعوها إما بفعل مضمر يفسره ما بعده ، أو يقال : هذا الفعل عمل في المضمر والمظهر كما هو قول الكوفيين ، فعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة.

والقول الثاني : إنها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة ، والرحمة ، و الرهبانية المبتدعة ، ويكون هذا جعلا خلقيا كونيا ، والجعل الكوني يتناول الخير والشر . وعلى هذا القول ، فلا مدح للرهبانية بجعلها في القلوب ، فثبت على التقديرين أنه ليس في القرآن مدح للرهبانية . ثم قال : ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ أي لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ، وابتغاء رضوان الله فعل ما أمر به لا بما يبتدع ، تقديره : وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله وهذا يسمى استثناء منقطعا وهو أصح الأقوال في هذه الآية " المصدر السابق " (2/ 200 - 188).

(1066) (ص: 343).

أجوبة الفاخرة"[1067] في الرد على مبدأ تحريم الزواج على الراهب.

خامساً: استعمال القاعدة في الرد علي بعض ما ابتدعوه في الأطعمة

وأكتفي هنا أيضا بالتمثيل بمسألة واحدة هي (استحلال لحم الخنزير)

قال الجعفري:

"فضيحة أخرى عظيمة : أكل النصارى لحم الخنازير وأحلوه وذلك مما أحدثوه بعد المسيح وقد رفع الله المسيح وإن الخنزير لحرام، فراغموا التوراة والإنجيل. أما التوراة فقال الله فيها: (الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه)[1068] وهذا نص لا يحتمل التأويل، وأما الإنجيل فقد حكى مرقس في إنجيله (إن المسيح أتلف الخنزير وغرق منهم في البحر قطيعا كبيرا)[1069] وقال لتلاميذه : (لا تعطوا القدس الكلاب ولا تلقوا جوهركم قدّام الخنازير) فقرنها بالكلاب، فمن أحلّ الخنزير فقد كفر بموسى والمسيح "إلخ[1070].

وبمثله رد القرافي[1071] وبين شيخ الإسلام بن تيمية كذلك بدعية أكل لحم الخنزير في النصرانية في مواضع من الجواب الصحيح[1072]

الصنف الثالث :ما يتعلق ببعض الأسرار الكنسية

أولاً: استعمال القاعدة في الرد عليهم في "سر العشاء الرباني"

قال القرافي:

"إذا تقربت النصارى في الكنايس أكلوا الخبز وشربوا الخمر ويقولون : (أكلنا خبز الرب وشربنا دمه) ورووا عن المسيح عليه السلام أنه أعطاهم خبزا وقال (هذا جسدي فكلوه وأعطاهم خمرا وقال هذا دمي فاشربوه)

والله إنّ هذا بالخائنات الموبقات أليق منه بالقربات الموجبة للمثوبات، وقد اقتصر اليهود على القتل والصلب، وكأنّ النصارى لم

(1067) (ص: 132).

(1068) انظر: "سفر لاويين": (11/ 7-8).

(1069) انظر: "إنجيل متى": (8/28-32)؛ "إنجيل مرقس": (5/1-14)؛ "إنجيل لوقا": (8/26-33).

(1070) "التخجيل" (2/ 609-610).

(1071) "الأجوبة الفاخرة": (ص: 131).

(1072) منها: (1/ 170)، (1/ 361)، (2/ 87)، (3/ 173)، (5/ 73).

يرضوا بهذا للرب حتى مزقوا لحمه على رؤوس الأشهاد، وشربوا دمه في الموسم والأعياد، وإنما يفعل ذلك أرباب الضغاين والأحقاد، ومع ذلك فقد جعلوا هذه الفضائح كتابا يتلى، ووصايا ربانية تملى، وكفى بهذه الفضائح لمن يريد الإسلام نصائح؛ ولهذا صار كثير من النصارى يسلم قبل اطلاعه على محاسن الإسلام بل فراراً من هذه القبائح " .ه. .

وبمثله رد الجعفري

ثانياً: استعمال القاعدة في الرد عليهم في "سر التوبة"

قال الجعفري:

"فضيحة أخرى : من النصارى من لا يقبل توبة [المذنب] ما لم يعترف له بذنوبه. ويقر له بإجرامه ويشرح ما فعله في طول عمره، وأنه زنى وسرق وقتل كيت وكيت ويعدد الخائر ما ستره الله عليه ويبدي عورته لهم، فيجد أكابرهم الوسيلة إلى التحكم في ماله و التبسط في ما حواه من دنياه، فيطوفون حوله، ويوظفون عليه ما رأوه لائقا بماله واتساع حاله، ويبقى المثكل في أيديهم وفي قبضتهم طول عمره، وقد أرخت عليه سيئاته وخلدت في دفاترهم قبائحه، وعرفها من لم يعرفها منهم ومن غيرهم، وعُيِّرت بها أولاده وعقِبُه من بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن"

إلى أن قال : "وهذا أمر لا أصل له في شريعة ولا نص عليه ناموس ؛ ولكنه شيء اختلقه الجهلة من مشائخ النصارى اختلاقا وابتدعوه بعقولهم ابتداعا " ا .ه. .

وبمثله القرافي

الصنف الرابع: ما يتعلق بشعائرهم المبتدعة

أولا ً: استعمال القاعدة في الرد عليهم في أعيادهم المبتدعة

قال ابن القيم :

"ومن ذلك تلاعبه بهم" ـ أي تلاعب الشيطان بالنصارى ـ "في أعيادهم ، فكلها موضوعة مختلفة ، محدثة بآرائهم واستحسانهم" ا.ه.

ومثّل لذلك ببعض أعياد النصارى.

وقال الجعفري :

بعد ذكره بعضا من أعيادهم المبتدعة : "وهذه الأعياد لو كانت معتبرة لكان الأولى أن تكون مسطورة في الإنجيل ومأخوذة عن التلاميذ، ولو بعث الله التلاميذ الآن لم يعرفوا منها ولا مما عليه النصارى شيئا، إذ ما

في أيديهم مما كان عليه المسيح وأصحابه
وبمثله ردّ القرافي

ثانياً: استعمال القاعدة في الرد عليهم تصويريهم الصور في معابدهم

قال ابن القيم:
"ومن تلاعبه بهم"-أي تلاعب الشيطان بالنصارى-"في الصور في الكنائس وعبادتها فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو عن صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القديسين عندهم والشهداء. وأكثرهم يسجدون للصور. ويدعونها من دون الله" اهـ.
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية
"فالمسيح لم يأمرهم بتصوير الصور وتعظيمها" إلخ
وبمثله رد الجعفري والقرافي

ثالثاً: استعمال القاعدة في الرد عليهم تعظيمهم الصليب

قال الجعفري :
"ونحن يرحمك الله نسأل النصارى فنقول : أخبرونا بماذا استحق الصليب عندكم هذا التعظيم والتفخيم حتى صرتم تقبلونه وتمررونه على أعينكم وتصلبون به على وجوهكم"
إلى أن قال "أفهذا دين نقلتموه عن الأنبياء وأخذتموه من شرائع الرسل ؟ فأرونا ذلك في توراة موسى ونبوات أشعيا وأرميا ومزامير داود ، وأنّى تجدون ذلك في هذه الكتب وهي مشحونة بالتوحيد كما قد بينّاه، وقد كان من حكم الصليب لو كنتم ألِبّاء عقلاء أن تمقتوه وتلعنوه وتميتوا ذكره وتخفوه فلا تُغلِنُوه" إلخ
وقال ابن القيم : فيما ملخصّه
ومن العجيب أنهم يقرؤون نص التوراة : (ملعون من تعلق بالصليب) وهم قد جعلوا شعار دينهم ما يلعنون عليه. ولو كان لهم أدنى عقل لكان الأولى بهم أن يحرقوا الصليب حيث وجدوه، ويكسروه ويضمِّخوه بـ النجاسة؛ فإنه قد صلب عليه إلههم و معبودهم بزعمهم، وأهين عليه وفضح عليه وخزي".
"فيا للعجب ، بأي وجه-بعد هذا-يستحق الصليب التعظيم، لولا أن القوم أضل من الأنعام".
"وتعظيمهم للصليب مما ابتدعوه في دين المسيح بعده بزمان، ولا ذكر له في الإنجيل البتة وإنما ذكر في التوراة باللعن لمن تعلق به، فاتخذته

هذه الأمة معبودا يسجدون له، وإذا اجتهد أحدهم في اليمين ، بحيث لا يحنث ولا يكذب حلف بالصليب، ويكذب إذا حلف بالله، ولا يكذب إذا حلف بالصليب، ولو كان لهذه الأمة أدنى مسكة من عقل لكان ينبغي لهم أن يلعنوا الصليب من أجل معبودهم وإلههم حين صلب عليه"

"فلو عقلوا لكان ينبغي لهم أن لا يحملوا صليبا، ولا يمسوه بأيديهم، ولا يذكروه بألسنتهم، وإذا ذكر لهم سدوا مسامعهم عن ذكره"

"أعُبّادُ الصّلِيبِ لأ يِّ مَعْنًى * يُعَظّم أوْ يُقبّحُ مَنْ رَمَاهُ؟
وَهَلْ تقضِي العُقُولُ بِغَيرِ كسْرٍ * وَإِحْرَاقٍ لهُ وَلِمَنْ بَغَاهُ؟
إذ رَكِبَ الإ لهُ عَليهِ كرْهًا * وَقدْ شُدّتْ لِتَسْمِيرٍ يَدَاه
فَذَاكَ المَرْكبُ المَلعُونُ حَقًا * فَدُسْهُ لا تبُسْهُ إذْ ترَاهُ(1073)
يُهَانُ عَليهِ رَبُّ الخَلقِ طرًّا * وَتعْبُدُهُ؟ فَإنّكَ مَنْ عَدَاهُ
فَإِنْ عَظّمْتَهُ مِنْ أجَلِ أنْ قدْ * حَوَى رَبّ العِبَادِ وَقدْ عَلا هُ
وَقدْ فُقِدَ الصّلِيبُ فَإِنْ رَأينَا * لهُ شَكْلا تذَكّرْنا سَنَاهُ
فَهَلا لِلقبُورِ سَجَدْتَ طرًّا * لِضَمّ القبْرِ رَبّكَ فِي حَشَاهُ؟
فَيَا عَبْدَ المَسِيحِ أفِقْ فَهَذَا * بِدَايَتُهُ وَهَذَا مُنْتَهَاهُ"(1074) ا.هـ

وبمثله رد القرافي

***

(1073) لعل في البيت سقطا أو تحريفا؛ لأنه مكسور
(1074) "إغاثة اللهفان" : (2/401-407).

المبحث الثالث:

قاعدة:

ما سبّ اللّه ۤ أحدٌ ما سبّ النصارى ربّ العالمين

المطلب الأول:

صياغة القاعدة

استفدت هذه الصيغة من بعض الآثار عن السلف رحمهم اللّه ومن مجموع عبارات استعملها بعض العلماء الذين ردّوا على النصارى للتعبير عن شدّة تنقّص النصارى لله سبحانه وتعالى.

أمّا من الآثار المروية عن السلف في هذا المعنى فمن ذلك ما روي عن بعض الصحابة رضي اللّه عنهم قوله في النصارى : "لا تَرْحَمُوهُمْ فَلَقَدْ سَبّوُا اَللّه ۤ مَسَبّةً مَا سَبّهُ إِيّاهَا أحَدٌ مِنَ البَشَرِ" (1075)

أمّا من عبارات بعض العلماء فمن ذلك:

ما استعمله شيخ الإسلام ابن تيمية قال رحمه اللّه:

" أنّه من العجب أن تعد النصارى مثل هذا ظلماً خارجا عن العدل وهم قد نسبوا إلى اللّه من الظلم العظيم على هذا الأصل ما لم ينسبه إليه أحد من الأمم ، كما سبّوه وشتموه مسبّة ما سبّه إياها أحد من الأمم " (1076)

وقال أيضا :

"والنصارى ـ أيضا ـ يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها ، ويسبون اللّه سبا ما سبه إياه أحد من البشر"(1077)

وقول ابن القيم رحمه اللّه أثناء بيانه للمجتمع البشري عند بعثة نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم

"والنوع الثاني : المثلثة (أمّة الضلال (أو عبّاد الصليب) الذين

(1075) ذكره ابن تيمية عن معاذ بن جبل رضي اللّه عنه في "الجواب الصحيح" ، وذكره ابن القيم عن عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه في "هداية الحيارى" ولم أجده في المراجع التي اطلعت عليها.

منها : (1 / 170)، (1 / 361)، (2 / 87)، (3 / 173)، (5 / 73).

(1076) "الجواب الصحيح " (2 / 107).

(1077) "الجواب الصحيح " (ص / 100 ـ 101).

(سبّوا اللّه الخالق مسبّة ما سبّه) إياها أحدٌ من البشر"[1078] إلخ

وقال أيضا :"وقد ذكرنا اتفاق أمّة الضلال وعبّاد الصليب على مسبّة رب العالمين أقبح مسبّة "[1079] إلخ

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا ً: الأصل العلمي للقاعدة

قاعدة: "مَا سَبّ اللّه َ أحَدٌ مَا سَبّ النّصَارَى رَبّ العَالَمِينَ" قاعدة شرعية عقلية استقرائية؛ فقد استقرأ العلماء والباحثون عقائد النصارى، ودرسوا ما يلزمهم فيها من اللوازم الباطلة، وتوصلوا إلى نتيجة مهمة هي أنّ عقيدة النصارى أفسد العقائد على الإطلاق، وأنهم باعتقادهم تلك العقائد الباطلة، وعملهم بمقتضاها، سبّوا اللّه سبحانه وتعالى مسبّة ما سبّه إيّاها أحد من العالمين، وسيأتي بيان وجه ذلك في أدلة القاعدة الشرعية والعقلية ، وفي التطبيقات عليها.

ثانيا: مواضع ورودها

جاء استعمال قاعدة "مَا سَبّ اللّه َ أحَدٌ مَا سَبّ النّصَارَى رَبّ العَالَمِينَ" عند جمع من العلماء الذين ردّوا على النصارى منهم:

-الخزرجي في "مقامع هامات الصلبان "[1080]

-الجعفري في "التخجيل "[1081]

-القرافي "في الأجوبة الفاخرة "[1082]

-شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح "[1083]

-عبداللّه الترجمان في "تحفة الأريب "[1084]

-ابن القيم في "هداية الحيارى"[1085] وفي "إغاثة اللّهفان"[1086]

[1078] "هداية الحيارى " (ص : 228).

[1079] "هداية الحيارى " (ص : 251).

[1080] في مواضع منها : (ص : 185)، (ص : 192).

[1081] في مواضع منها : (1 / 278)، (2 / 643).

[1082] في مواضع منها : (ص : 102) ، (126 - 127).

[1083] في مواضع منها : (2/105-110)، (2/417)، (3/100-101)، (4/62) (4/155)، (4/446)، (4/457).

[1084] في مواضع منها : (ص : 130)، (ص : 131).

[1085] في مواضع منها: (ص : 228)، (ص : 251)، (ص : 482)، (ص : 482)، (ص : 583).

[1086] في مواضع منها : (2 / 283)، (2 / 397 - 399)، (2 / 405 - 460).

-ابن معمر في "منحة القريب المجيب"[1087] رحمة الله على الجميع

ثالثاً: أدلّتها:

من أدلة صحة القاعدة من القرآن الكريم:

دلّ على صحة قاعدة: "مَا سَبَّ اللَّه أَحَدٌ مَا سَبَّ النَّصَارَى رَبَّ الْعَالَمِينَ" آيات من الذكر الحكيم منها قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ ﴿تكادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً﴾ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ . لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾[1088]

دلّت هذه الآيات على أن النصارى قد سبّوا الله سبحانه وتعالى مسبّة ما سبّه إيّاها أحد من البشر من وجهين:

الوجه الأول:

وصف الله مقالتهم بأنّها شيء إدّ لأنّ "الإدّ" كما قال أبو عبيدة: "الأَمْرُ المُتَنَاهِي العِظَم"[1089]

وقال الثعالبي[1090]: "والإدّ" في كلام العرب : أَعْظَمُ الدَّوَاهِي"[1091].

وقال الطبري: والعرب تقول لكل أمر عظيم "إدّ"و"إمر" و"نُكر" ومنه قول الراجز:

قَدْ لَقِيَ الأَعْدَاءُ مِنِّي نُكْرًا * دَاهِيَةً دَهْيَاء إِدًّا إِمْرًا[1092]

الوجه الثاني:

شدّة الهول الذي ينتج ويصيب الكون من شناعة هذه المقالة النكراء ؛ حيث إنه لم يذكر الله تعالى عن قولة نابية أو من المعاصي معصية أن يكون من آثارها هذه الغضبة الكونية والهول الرهيب إلاّ هذه[1093].

[1087] في مواضع منها : (1/182-185)، (1/192).

[1088] "سورة : مريم" : (آية : 88-93).

[1089] "زاد المسير" (5/264).

[1090] هو الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي من أئمة اللغة والتفسير. من مؤلفاته في التفسير "الكشف والبيان" وفي اللغة "فثقه اللغة" توفي: [سنة: 427]. انظر ترجمته في: "وفيات الأعيان" : (1/79-80).

[1091] "الكشف والبيان" (6/232).

[1092] "تفسير الطبري" (16/129).

[1093] قال الزمخشري: "فإن قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال؟

ولا يعارض هذا ما ذكره المفسرون من أنّ الآية ليست خاصّة بـ النصارى بل تشمل اليهود؛ حيث ادّعَوا أن عُزير ابن الله، ومشركي العرب؛ حيث ادّعَوا أنّ الملائكة بنات الله؛ لأنّ مقالة النصارى أشنع من مقالتهم، ويتبيّن الإنسان هذا عندما يقرأ تعليل النصارى لعقيدتهم في الله تلك المشينة [1094]

من أدلة صحة القاعدة من السنة النبوية:

دلت على صحة هذه القاعدة عدّة أحاديث منها:

ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ. وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا**

ومن أين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات؟ قلت فيه وجهان:
أحدها: أنّ الله سبحانه وتعالى يقول كدت أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوّه بها لولا حلمي ووقاري، وأني لا أعجل بالعقوبة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (فاطر: 41).
والثاني: أن يكون استعظاما للكلمة، وتهويلا من فظاعتها، وتصويرا لأثرها في الدين وهدمها لأركانه وقواعده وأنّ مثال ذلك الأثر في المحسوسات أن يصيب هذه الأجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر منه وتنشقّ وتخرّ" إلخ (الكشاف: 4/58).
ونقل الرازي هذين الوجهين وزاد عليهما وجهين آخرين. قال "وثالثها: أن السموات والأرض والجبال تكاد أن تفعل ذلك لو كانت تعقل من غلظ هذا القول، وهذا تأويل أبي مسلم.
ورابعها: أن السموات والأرض والجبال كانت سليمة من كل العيوب فلمّا تكلم بنو آدم بهذا القول ظهرت العيوب فيها" اهـ "التفسير الكبير" (21/254).
وقال ابن المنيِّر: "ويظهر لي وراءها معنى آخر والله أعلم؛ وذلك أن الله تعالى قد استعار لدلالتها على وجوده عزوجل موصوفا بصفات الكمال الواجبة له أن جعلها تسبح بحمده، قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (الاسراء: 44).
ومما دلّت عليه السموات والأرض والجبال بل وكل ذرّة من ذرّاتها: أن الله تعالى مقدّس عن نسبة الولد إليه

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ * تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

فالمعتقد نسبة الولد إلى الله تعالى قد عطّل دلالة هذه الموجودات على تنزيه الله وتقديسه، فاستعير لإبطال ما فيها من روح الدلالة التي خلقت لأجلها، إبطال صورها بـ الهدّ والانفطار والانشقاق" اهـ "حاشية الكشّاف" (4/58).

[1094] انظر أدلة صحة القاعدة من العقل. (ص: 368).

بَدَأَنِي وَلَيسَ أَوّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيّ مِنْ إِعَادَتِهِ "[1095]
وفي رواية عن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما قال النبي صلى اللّه عليه وسلم: "قَالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ: "كَذَبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ؛ فَأَمّا تَكْذِيبُهُ إِيّايَ فَزَعَمَ أَنّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمّا شَتْمُهُ إِيّايَ، فَقَوله: لِي وَلَدٌ. فَسُبْحَانِي أَنْ أَتّخِذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا "[1096]
قال ابن حجر رحمه اللّه:
"الشتم هو الوصف بما يقتضي النقص. ولا شك أنّ دعوى الولد لله يستلزم الإمكان المستدعي للحدوث وذلك في غاية النقص في حق الباري سبحانه وتعالى "[1097] إلخ
ووجه الاستشهاد من هذا الحديث أنّ اللّه تعالى سمّى هذا القول في حقه شتما، ولم يسمّ في الحديث قولا شنيعا في حقّه سبحانه بالشتم إلا ادعاء الولد.
وفي الصحيحين أيضا عن أبي موسى رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: "مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذىً سَمِعَهُ مِنَ اللّه عَزّ وَ جَلّ؛ إِنّهُ يُشْرَكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ نِدٌّ وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ "[1098]
وجاء عن بعض الصحابة رضي اللّه عنهم ما يدل على معنى الأحاديث السابقة من ذلك ما جاء عن معاذ رضي اللّه عنه في النصارى قوله : "أَهِينُوهُمْ وَلا تَظْلِمُوهُمْ؛ فَلَقَدْ سَبّوا اللّه مَسَبّةً مَا سَبّهُ إياها أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ "[1099]

أدلة القاعدة من العقل:

دلّ على صحة قاعدة : "مَا سَبّ اللّه أَحَدٌ مَا سَبّ النّصَارَى رَبّ العَالَمِينَ " علاوة على أدلة النصوص الشرعية الدليل العقلي الصحيح ويتمثل في الكمّ الهائل من اللوازم الباطلة التي تلزم

[1095] سبق تخريجه (ص: 164).
[1096] سبق تخريجه (ص: 164).
[1097] "فتح الباري (432/6) . وانظره أيضا في "إرشاد الساري" للقسطلاني (113/7).
[1098] رواه البخاري "كتاب الأدب" "باب الصبر في الأذى" رقم: [6099] (139/12) مع الفتح. ومسلم "كتاب صفات المنافقين" "باب ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله عز وجل" رقم: [7023] (144/17).
[1099] سبق تخريجه (ص:)

النصارى في عقائدهم الفاسدة
وقد وضّح وبالغ في توضيح وجه دلالة العقل على صحة القاعدة **الخزرجي والجعفري وابن قيم الجوزية.**
أمّا قول **الخزرجي** فنقله **الجعفري** وقرّره وزاد عليه-وإن لم يبين ذلك- لذلك سأكتفي بالنقل عن **الجعفري** لأنه أتم وأكمل وأقتصر بالا حالة على **الخزرجي** رحمهما اللّه.
قال **الجعفري:**
"مسألة : زعم النصارى أن يسوع إنما جاءهم لينصرَهم على اليهود ويطلع عليهم بالثالوث شموس السعود فيقال لهم : با عبّاد الرجال وربّات الحجال إن كان الأمر على ما تصفون فقد كان يقتضي أمره على ألسن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة، والخلائق مقبلون على أنبيائهم إقبالهم على آبائهم وأبنائهم، فما الذي دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع وعزّه المنيع إلى حضيض النصب ومقر الآفات والوصب؟! ، فيولج بطن امرأة من إمائه ومكث برحمها منغمسا في المشيمة على حال ذميمة، ثمّ ولدته وأرضعته وفصلته وأدبته فأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها، وترددت به إلى ا لأعياد والمواسم، وأرته الشعائر والمعالم، ولم تزل تلقِنه وتثقِفه حتى شبّ وترعرع وتشوّف إلى حنكة الرجولية وتطلع، فلمّا شرع فيما جاء له من نصرتكم، وثب عليه اليهود فكذبوا فمه، وأهدروا دمه، وأقصوه وشردوه وكدروا عليه روح الحياة ونكدوه، وأجمعوا أن يخربوا جثمانه ويفسدوه، فلمّا طال عليه تمردهم، أعمل مطايا الحذار، وعوّل على معقل الاستتار في الحذار، وتقدّم إلى أصحابه أ لا يذكروه، وأن يبالغوا في طي أمره فلا ينشروه بل ينكروه، ولم يزل ذلك حاله واليهود تنقب عليه وترشي من يرشدها إليه، حتى دلّ عليه صاحبه يهوذا، وساق إليه من أعدائه جمعا كثيفا، وأنزل به من الذعر خطبا منيفا، فأنشبوا فيه مخاليب الضراب، وأمطروه شآبيب العذاب، وسحبوه على شوك السفه والسباب، وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود ممتهنا، يرون أقبح ما يأتونه إليه حسنا، فلمّا بلغوا من إهانته المراد، مضوا به إلى بقعة من الأرض تزعم النصارى أنّه دحاها، وألزموه حمل خشبة قالوا إنّه أنبت لحاها، وألبسوه أثوابا كان قد صنع ورسها، وأصهروه شمسا هو الذي أسخن مسها، فسألهم شربة من الماء – الذي فجره – حين وقفت نفسه لدى الحنجرة فضنوا عليه بذلك، وعوّضوه الخل مما هنالك، فلمّا

تضافرت عليه فوق جذعة الدواهي، أعلن بقوله : إلهي إلهي، وصارت بين اللصوص ثالثة الأثافي، وعوّض عن بلوغ المُنَى بـ المنافي، ثم زُهقت نفسه، وفُتح رِمسه، وصار في صدر الأرض سرا مكتوما، وعاد هذا الإله العظيم عديما ، ولمّا تمّت له ثلاثة أيام في الرخام، قام من ذلك المكان ورجع إلها كما كان، فتلبّس الحال الوبيل وادرّع الذل العريض الطويل، ولم يؤمِن به إلا " عصابة هي أقلّ من قليل"

"فما أرى هذا الإله إلا نايل الرأي، فاسد الحس، فطير الفطرة، مشؤوم الغرّة، منقوص الهمّة، مظلم الفكرة؛ إذ عرض نفسه للمحن، وأثار بين عباده الأحقاد والإحن، فلقد شان الربوبية، وأزال بهجتها وطمس نورَها، وأطلق ألسن السفلة بنقصها وثلبها، حتى لقد شكك كثير منهم في الربوبية، وسهل عليهم ارتكاب مذاهب الدهرية، وسلهم من ربقة العبودية بالكلية، **فسحقا سحقا لإله هذه حكمته، ومحقا محقا لرب هذا تدبيره** " [1100] إلخ.

وقال **ابن القيم** رحمه الله:

"ومن المعلوم أنّ هذه الأمّة ارتكبت محذورين عظيمين لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة ".

"أحدهما : الغلو في المخلوق ، حتى جعلوه شريك الخالق وجزءا منه، و [إلها آخر معه]، وأنفوا أن يكون عبداً له ".

"الثاني: تنّقص الخالق وسبّه ورميه بالعظائم؛ حيث زعموا أنّه - سبحانه وتعالى عن قولهم علوّا كبيرا - نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبّط بين البول والدم والنّجْو والغائط، وقد علتْه أطباق المشيمة والرحم و البطن، ثمّ خرج من حيث دخل وضيعا صغيرا يمصّ الثدي، ولفّ في القُمُط، وأُودع السرير. يبكي ويجوع ويعطش ويبول ويتغوّط ويُحمل على الأيدي والعواتق. ثمّ صار إلى أن لطمت اليهود خديه وربطوا يديه وبصقوا في وجهه وصفعوا قفاه وصلبوه جهراً بين لصيّن وألبسوه إكليلا من الشوك وسمّروا يديه ورجليه وجرّعوه أعظم الآلام. هذا وهو الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم، وهو المعبود المسجود له.

[1100] "التخجيل" (1/275-278) . وانظر أصل النقل عند الخزرجي "بين الإسلام و المسيحية " : (ص : 296 - 298).

ولعمر الله إنّ هذه مسبّة لله سبحانه ما سبّه بها أحد من البشر قبلهم ولا بعدهم. كم قال تعالى فيما يحكي عنه رسوله الذي نزّهه ونزّه أخاه المسيح عن هذا الباطل، الذي تكاد السموات والأرض يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ".
إلى أن قال : "ولعمر الله! أن عبّاد الأصنام مع أنّهم أعداء الله عزّ وجل على الحقيقة وأعداء رسوله، وأشد الكفاركفرا يأنفون أن يصفوا آلهتهم التي يعبدونها من دون الله- وهي من الحجارة و الحديد والخشب- بمثل ما وصفت به هذه الأمّة ربّ العالمين وإله السموات والأرضين . وكان الله في قلوبهم أجل وأعظم من أن يصفوه بذلك أو بما يقاربه، وإنّما شرك القوم أنهم عبدوا من دونه آلهة مخلوقة مربوبة محدثة وزعموا أنّها تقربهم إليه لم يجعلوا شيئاً من آلهتهم كفواً له ولا نظيراً ولا ولدا و لم ينالوا من الرب تعالى ما نالت منه هذه الأمّة ".
"وعذرهم في ذلك أقبح من قولهم فإنّ أصل معتقدهم أنّ أرواح الأ نبياء كانت في الجحيم في سجن إبليس، من عهد آدم إلى زمن المسيح، فكان إبراهيم وموسى ونوح وصالح وهود معذبين مسجونين في النار بسبب خطيئة آدم [وأكله من الشجرة وكان كلما مات واحد من بني آدم] أخذه إبليس وسجنه في النار بذنب أبيه، ثم إنّ الله سبحانه وتعالى لما أراد رحمتهم وخلاصهم من العذاب، تحيّل على إبليس بحيلةٍ فنزل عن كرسي عظمته، والتحم ببطن مريم حتى ولد وكبر وصار رجلا، فمكّن أعداءه اليهود من نفسه حتى صلبوه، وتوّجوه بالشوك على رأسه فخلّص أنبياءه ورسله، وفداهم بنفسه ودمه، فهرق دمه في مرضاة جميع ولد آدم؛ إذ كان ذنبه باقيا في أعناق جميعهم، فخلّصهم منه بأن مكّن أعداءه من صلبه وتسميره وصفعه إلا من أنكر صلبه أو شك فيه أو قال: بأن ا لإله يجلّ عن ذلك، فهو في سجن إبليس معذّب حتى يقرّ بذلك . وأن إلهه صُلب وصُفِعَ وسُمِّر ".
"فنسبوا الإله الحق سبحانه إلى ما يأنف أسقط الناس وأقلّهم أن يفعله بمملوكه وعبده، وإلى ما يأنف عُبّاد الأصنام أن يُنسَبَ إليه [أوثانهم] ، وكذّبوا الله عز وجل في كونه تاب على آدم وغفر له خطيئته، ونسبوه إلى أقبح الظلم؛ حيث زعموا أنّه سجن أنبياءه ورسله وأولياءه في الجحيم بسبب [خطيئة] أبيهم ونسبوه إلى غاية السفه؛ حيث خلّصهم من العذاب بتمكينه أعداءه من نفسه

حتى قتلوه وصلبوه وأراقوا دمه، ونسبوه إلى غاية العجز؛ حيث عجّزوه أن يخلِصهم بقدرته من غير هذه الحيلة، ونسبوه إلى غاية النقص؛ حيث سلّط أعداءه على نفسه وابنه ففعلوا به وا فعلوا.
وبالجملة ، فلا نعلم أمّة من الأمم سبّت ربّها ومعبودها وإلهها بما سبّت به هذه الأمّة كما قال عمر : (إنهم سبّوا الله مسبة ما سبّه إيّاها أحد من البشر)"
"وكان بعض أئمّة الإسلام إذا رأى صليبيا أغمض عينيه عنه، وقال : لا أستطيع أن أملأ عيني ممن سبّ إلهه ومعبوده بأقبح السبِّ".
"ولهذا قال عقلاء الملوك : إنّ جهاد هؤلاء واجب شرعاً وعقلا فإنهم عارٌ على بني آدم مفسدون للعقول والشرائع "[1101].
وقال النبهاني في رائيته الكبرى في الرد على النصارى:
وَأَنْتُمْ وَصَفْتُمْ رَبَّكُمْ بِمَعَايِبٍ * تُلا مُونَ لَو كُنْتُمْ وَصَفْتُمْ بِهَا هِرّاً[1102]

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها

·السبُّ : قال ابن فارس في معناه: "السين والباء حدّه بعض أهل اللغة وأظنه ابن دريد[1103] أنّ أصل هذا الباب القطع، ثم اشتق منه الشتم وهذا الذي قاله صحيح" إلى أن قال: "والسب: الشتم ولا قطيعة أقطع من الشتم "[1104]
وقيّده الأصفهاني بأنه : الشتم الوجيع "[1105]
والشتم" هو "وصف الغير بما فيه نقص وازدراء"[1106] ويكون بالأفعال كما يكون بالأقوال كما قال الشاعر :

وَتَجْهَلُ أيدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا * وَنَشْتُمُ بِالأ فْعَالِ لا بِالتَّكلُّمِ[1107]

(1101) "إغاثة اللهفان": (400-397/2). وانظر أيضا: "الجواب الصحيح" : 117-102/2).
(1102) "الرائية الكبرى" : (ص 45).
(1103) نعم إنه هو. قال في "الجمهرة": (30/1). (سبّ يسب سبًا. وأصل السب القطع ، ثم صار السب شتماً؛ لأنّ السب خرق الأعراض "إلخ:
(1104) "معجم مقاييس اللغة" : (3/ 63).
(1105) "مفردات القرآن" (ص: 391)
(1106) "التعريفات" (125) .
(1107) أورد هذا الشاهد الأصبهاني في "المفردات" كشاهد على أنّ الشتم بمعنى السبّ

وقد جاء اسعمال السب في القرآن والسنّة بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1108].

وقال عليه الصلاة والسلام: "مِنَ الكبَائِرِ شَتْمُ الرّجُلِ وَالِدَيهِ"! فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللّه ! وَهَلْ يَشْتُمُ الرّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: "نَعَمْ؛ يَسُبُّ أبَا الرّجُلِ، فَيَسُبُّ أبَاهُ، وَيَسُبُّ أمّهُ فَيَسُبُّ أمّهُ "[1109]

ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة من حيث الإجمال هو :أنّ عقائد النصارى فيها من سبّ اللّه عز وجل-أي من تنقيصه ورميه بالعظائم-ما لا يوجد في غير عقائدهم "فما قال قوم من أهل الملل قولا في الله إلا وقول النصارى أقبح منه"[1110]. وهذا يرد في الجملة جميع عقائدهم لأنّها من جنس السب لله وهو باطل مردود.

ولا شك أن من تأمل عقيدة التثليث وعقيدة الصلب والفداء النصرانيتين وغيرهما من العقائد الفاسدة عرف ذلك.

هذا وإن من أقبح أوجه السب لله عز وجل في عقائد النصارى انكارهم نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما قرّره ابن القيم رحمه اللّه في مناظرته مع أحد علماء أهل الكتاب[1111]

وكما جاء شرح ذلك وقرّره مرة أخرى في قوله: "ولذلك كان جحد نبوّة خاتم (الأنبياء والرسل) وتكذيبه إنكاراً للرب تعالى في (الحقيقة) وجحوداً له ، فلا يمكن الإقرار بربوبيته وإلهيته وملكه، بل ولا بوجوده مع تكذيب محمد بن عبداللّه صلى الله عليه وسلم فلا يجامع الكفر برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الإقرار بـ الرب تعالى وصفاته أصلا "

"فالرسول صلوات اللّه وسلامه عليه إنّما جاء بتعريف الرب تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله (والتعريف) بحقوقه على عباده فمن أنكر (رسالته) فقد أنكر الرب الذي دعا إليه وحقوقه التي التي أمر بها، بل نقول لا يمكن الاعتراف بالحقائق على ما هي عليه مع تكذيب

(1108) "سورة الأنعام" : (آية : 108).

(1109)رواه البخاري "كتاب الآداب" "باب لا يسب الرجل والديه" رقم: [5973] (7/12) مع الفتح. ومسلم "كتاب الإيمان" "بيان بيان الكبائر وأكبرها" رقم: [259] (2/274).

(1110) "الجواب الصحيح" : (4/457).

(1111) انظر : مطلب التطبيقات على هذه القاعدة

رسوله صلى الله عليه وسلم "[1112] اهـ ملخّصًا.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:

- إذا ذكر النصراني شيئا من عقيدته تتضمن سبًّا لله تعالى ذكراً مجرداً أو داعياً إليها رد عليه المسلم بأن هذه العقيدة سب لله وسب الله مردود (ثم يبين وجه كون تلك العقيدة سبًا لله)

-هنا يبدأ المسلم بالكلام فيقول للنصراني مثلا: "أنا تأملت في جميع النحل والأديان فلم أجد أصحاب دين سبّوا الله تعالى مسبّة ما سبّه إياها أحد من البشر" مثل النصارى، ولا شك أنّ النصراني سيقول له كيف ذلك ، فيذكر له بعض اللوازم الباطلة التي تلزمهم في عقائدهم الفاسدة (ويقرر وجه كون ذلك سبًّا لله.

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

هذه القاعدة يرد بها على جميع عقائد النصارى الباطلة.

المسألة الثالثة:

نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة

أولا: فيما يتعلق ببعض عقائدهم في دينهم

-استعمال القاعدة في نقض "مبدإ العدل " عند النصارى

استعمل شيخ الإسلام بن تيمية هذه القاعدة في نقض "مبدإ العدل" عند النصارى والذي بنوا عليه "الخطيئة الأولى وإنكار نبوّة النبي صلى الله عليه وسلم " قال رحمه الله:

"الوجه الرابع : أنّه من العجب أن تعد النصارى مثل هذا[1113] ظلماً خارجا عن العدل[1114] وهم قد نسبوا إلى الله من الظلم العظيم على

[1112] انظر : "هداية الحيارى " : (ص : 583-584).

[1113] أي مطالبتهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

[1114] قالوا لأنه ليس من عدله تعالى أن يطالب أمة يوم القيامة باتباع إنسان لم يأت إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داعٍ من قبله . "رسالة الأنطاكي " انظر: "الجواب الصحيح " : (2/ 102).

هذا الأصل[1115] ما لم ينسبه إليه أحد من الأمم كما سبّوه وشتموه مسبّة ما سبّه إياها أحد من الأمم فهم من أبعد الناس عن توحيده وتمجيده وحمده والثناء عليه" ثم حكى ما يذكره النصارى من تاريخ توارث الخطيئة الأولى وما بنوا على ذلك من عقيدة فاسدة (الصلب والفداء) ثم قال: "فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء، والتي لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل، ويجعلون من عدله أنّه لا يأمر الإنسان بتعلم ما يقدر على تعلمه وفيه صلاح معاشه ومعاده، ويجعلون مثل هذا موجباً لتكذيب كتابه ورسله والإصرار على تبديل الكتاب الأول وتكذيب الكتاب الآخر" إلى أن قال: "فمن هذا قوله فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحاً ما قدحه فيه أحد من وجوه" ثم ذكر اثني عشر وجها تبرهن على قوله رحمه الله[1116].

- استعمال القاعدة في الرد عليهم في دعوى ألوهية المسيح

استعمل الخزرجي رحمه الله هذه القاعدة في في الرد على النصارى ادعائهم ألوهية المسيح عليه السلام حيث قال: "ولو أنّ إنسانا نشأ ببعض الجزائر لا يعرف الأديان، ولا يخالط نوع الإنسان، فقيل له: إنّ لك ربا خلقك وأبدعك وهو رجل مثلك يغوط ويبول ويمخط ويبصق ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسى ويسهر وينام ويتنازع مع الأنام الكلام، وأن رجلا مثلك ومثله بغضه فضربه وسجنه ثم صلبه وقتله بعد أن حطم شعره ولطم نحره، فجاور الأموات وتعذرت عليه روح الحياة وفات، لاستنكف العقل السليم، والطبع المستقيم الاعتراف بوجود هذا الإله فضلا عن الاعتراف بربوبيته، وأبى أن يكون عبداً له، ويرى نفسه أفضل من هذا الإله لسلامته عن هذه الآفات "[1117] اهـ.

واستعملها الجعفري في الرد عليهم في دعوى ألوهية المسيح وفي عقيدة الصلب والفداء معا قائلا:

(1115) يقصد بـ"الأصل" هنا قول النصارى إن الله عدل وقد بنوا على قولهم هذا رفض الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما سبق آنفا، وبنوا عليه أيضا "عقيدة الخطيئة الأولى" كما سبق البيان بذلك.

(1116) "الجواب الصحيح": (2/109).

(1117) "بين الإسلام والمسيحية": (ص: 297-298). ونقله الجعفري وقرّره. انظر: "التخجيل" (1/279-275).

"فهذه بهديكم ثمان صلوات قد اشتملت على الكفر والبهت والفجر وقلة الحياء؛ وذلك أنّ أحدهم يقوم مضمخا ببوله فيتوجه إلى مشرق الشمس - وهي جهة كان المسيح وغيره من الأنبياء يتنكبها في صلاته - فيناجي رجلا من بني آدم فيقول في قراءته: يا من قتله اليهود وصلبوه وسمروا يديه على خشبة وتركوه على جذعة بين اللصوص حتى أسالت الشمس دمه وحتى لصق بالخشبة جسده بحرمة المسامير التي سُمِّرتَ بها في يديك ارحم من خلقتَ بيديك يالله".

وهذا- حوشيتم- لو خوطب به زعيم قرية أو رئيس مَحلة لتطيّر من سماعه وعجّل العقوبة لقائله، فكيف بمن يناجي بذلك إلهه وربه جل وعلا؟ "[1118] إلخ.

ثانيا: فيما يتعلق بعقيدتهم الفاسدة في الإسلام

-استعمال القاعدة في إثبات نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

استعمل ابن القيم رحمه الله هذه القاعدة في إثبات نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والرد على اليهود والنصارى في إنكارهم لها في مناظرة طريفة هذا نصّها:

قال رحمه الله بعد حكايته لمناظرة جرت بين جهمي وسني "وقريب من هذه المناظرة ما جرى لي مع بعض علماء أهل الكتاب فإنه جمعني وإياه مجلس خَلْوة أفضى بيننا الكلام إلى أن جرى ذكر مسبة النصارى لرب العالمين مسبة ما سبّه إياها أحد من البشر".

"فقلت له في أثناء الكلام: وأنتم بإنكاركم نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم قد سببتم الرب تعالى مسبّة ما سبّه إياها أحد من البشر!"

فعجب من ذلك وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟! "فكيف ذلك"؟

"قلت: لأنكم تزعمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم ملك ظالم ليس برسول صادق، وأنه خرج يستعرض الناس بسيفه فيستبيح أموالهم ونساءهم وذراريهم، ولا يقتصر على ذلك حتى يكذب على الله ويقول: الله أمرني بهذا وأباحه لي، ولم يأمره الله ولا أباح له ذلك، ويقول أوحي إلي ولم يوح إليه شيء، وينسخ شرائع الأنبياء من عنده، ويبطل منها ما شاء ويبقي منها ما شاء، وينسب ذلك كله

(1118) "التخجيل" (2 / 346)

إلى الله. ويقتل أولياءه وأتباع رسله، ويسترقّ نساءهم وذريتهم".
"فإمّا أن يكون الله سبحانه رائيا لذلك كله عالما به مطلعِا عليه أو لا، فإن قلتم إنّ ذلك بغير علمه واطلاعه نسبتموه إلى الجهل والغباوة وذلك من أقبح السب".
"وإن كان عالما به رائيا له شاهدا لما يفعله، فإما أن يقدر على الأخذ على يديه ومنعه من ذلك أو لا".
فإن قلتم إنّه غير قادر على منعه والأخذ على يده نسبتموه إلى العجز والضعف".
"وإن قلتم: بل هو قادر على منعه ولم يفعل نسبمتموه إلى السفه و الظلم والجور".
"هذا وهو من حين ظهر إلى أن توفّاه ربّه يجيب دعواته، ويقضي حاجاته، ولا يسأله حاجة إلا ّ قضاها له، ولا يدعوه بدعوة إلا ّ أجابها له، ولا يقوم له عدو إلا ّ ظفر به، ولا تقوم له رأية إلا نصرها ، ولا لواء إلا رفعه، ولا من يناوئه ويعاديه إلا بتره ووضعه، فكان أمره من حين ظهر إلى أن ثوفي يزداد على الأيّام والليالي ظهورا وعلواً ورفعة، وأمر مخالفيه لا يزداد إلا سفولا واضمحلالا، ومحبته في قلوب الخلق تزيد على ممر الأوقات، وربّه تعالى يؤيده بأنواع التأييدات، ويرفع ذكره غاية الرفع، هذا وهو عندكم من أعظم أعدائه وأشدهم ضرراً على الناس، **فأي قدح في رب العالمين ، وأي مسبّة له وأي طعن فيه أعظم من ذلك"؟**
"فأخذا الكلام منه مأخْذًا، وقال حاشا لله أن نقول فيه هذه المقالة؛ بل هو نبي صادق؛ كل من اتبعه فهو سعيد، وكل منصف منا يُقِرّ بذلك ويقول أتباعه سعداء في الدارين".
"قلت فما يمنعك من الظفر بهذه السعادة"؟
"فقال : وأتباع كل نبي من الأنبياء كذلك؛ فأتباع موسى أيضا سعداء". "قلت: فإذا أقررت أنّه نبي صادق، فقد كفّر من لم يتبعه واستباح دمه وماله وحَكم له بالنار، فإن صدقته في هذا وجب عليك اتباعه، وإن كذبّته فيه لم يكن نبيا فكيف يكون أتباعه سعداء"؟ فلم يحر جوابا.
"وقال حدثنا في غير هذا "[1119].

[1119] ذكر هذه المناظرة بالنص المذكور في "الصواعق المرسلة" (1/327-329) وهي موجودة أيضا في "مختصر الصواعق" (ص : 39-40) وذكرها أيضا في "زاد المعاد" (3/639-642) و في

-استعمال القاعدة في الرد عليهم في بعض طعونهم في الإسلام

قال الخزرجي رحمه الله: "وأمّا طعنكم في ملة الإسلام وتجرؤكم إلى خلق الأكاذيب [عليها] والنيل منها فغير بعيد على من كانت عقيدته وديانته ما تقدم من [إذلال الخالق] [1120] والتحقير لعظمته، ووصفه تعالى بغير صفاته الحسنى، وخليق بمن دان بمثل هذا كلّه أن يجري على سنن مثله من الطعن أيضاً في دين الله وكتابه الحكيم، ورسوله الكريم" [1121].

وقال أيضا:

في رده على النصراني قوله إنّ لمسيلمة الكذّاب كتاباً تحدى به لو رأته العرب لارتدت عن دينها إعجابا بنظمه ليتوصل بذلك إلى الطعن في القرآن وأنّه غير معجز [1122]

فحكى الخزرجي نبذاً من كلام مسيلمة ثم قال: "فهذه نُبذ من كلام مسيلمة كذاب اليمامة، وأجدر بكم معشر النصارى ألا يقع استحسانكم إلا ّ على مثل هذا الكلام؛ فمن كان قد ارتضى إلهه صليبا فهو خليق بأن يرضى بمسيلمة رسولا، وبكلامه هذا فرقانا" [1123]

"هداية الحيارى" (ص: 384-385) بألفاظ متقاربة.

(1120) هذا التعبير فيه نظر؛ فإنه لا أحد يستطيع إذلال الخالق.

(1121) "بين الإسلام والمسيحية": (ص: 184).

(1122) "بين الإسلام والمسيحية": (ص: 191).

(1123) "بين الإسلام والمسيحية": (ص: 192).

الفصل الثاني:
القواعد الواردة في مناقشة عقائد النصارى وإبطالها

وتحته ثمانية مباحث:

المبحث الأول: قاعدة:

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم

المبحث الثاني: قاعدة:

ما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر

المبحث الثالث: قاعدة:

كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا

المبحث الرابع: قاعدة:

المثلان اللذان يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب عليه ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ويجوز عليه ما يجوز عليه.

المبحث الخامس: قاعدة:

حكم الشيء حكم مثله

المبحث السادس: قاعدة:

تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور يخالفه.

المبحث السابع: قاعدة:

لو لم يكن محمد صادقاً لكان المسيح كاذباً

المبحث الثامن: قاعدة:

إذا كان محمد صادقا كان دين النصارى باطلا.



المبحث الأول:

قاعدة:

إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم

المطلب الأول:

صياغة القاعدة

صيغة هذه القاعدة مأخوذة مباشرة من قوله تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1124].

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة

قاعدة : "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ" قاعدة شرعية جاء التنصيص عليها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1125].

وعقلية أيضا حيث إنها مبنية على القياس الصحيح – قياس المسيح عليه السلام الذي خلق من غير أب بآدم عليه السلام الذي خلق من غير أب ولا أم بجامع عدم الأب، أو خروق العادة في كل – فمن تصوّر أمر آدم وحاله الغريبة، تصوّر من باب أولى أمر عيسى عليه السلام وحاله الخارقة . والقياس حكم عقلي.

ثانيا: مواضع ورودها:

وردت قاعدة "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ" بنصّها في قوله تعالى:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1126].

واستعملها كثير من العلماء الذين ردوا على النصارى في ردودهم عليهم منهم:

-ابن إسحاق[1127] في "السيرة"[1128]

(1124) "سورة آل عمران" : (آية: 59).

(1125) "سورة آل عمران" : (آية: 59).

(1126) "سورة آل عمران" : (آية: 59).

(1127) هو محمد ابن إسحاق بن يسار القرشي من أعلم الناس بالسير والمغازي، توفي: [سنة: 153].

-الجاحظ في "المختار "[1129]

-الطبري في "التفسير "[1130]

-الزمخشري في "الكشّاف "[1131]

-الباجي في "جوابه على راهب فرنسا "[1132]

-الرازي في "مفاتح الغيب "[1133]

-القرافي في "الأجوبة الفاخرة "[1134]

-ابن تيمية في "الجواب الصحيح "[1135]

-عبدالله الترجمان في "تحفة الأريب "[1136]

-ابن القيم في "هداية الحيارى "[1137] رحمة الله على الجميع.

(1128) (2/194-195). وانظر أيضا: "تفسير ابن أبي حاتم" (ص : 306) ، رقم : [668] ؛ "تفسير الطبري " (3 / 294) ، رقم : [7160].

(1129) (ص : 82).

(1130) (6 / 468).

(1131) (1 / 135).

(1132) (ص : 66).

(1133) (8 / 74).

(1134) (ص ك 102).

(1135) (4 / 143-144).

(1136) (ص : 152-153).

(1137) (ص : 498).

ثالثاً: أدلتها:

من أدلة القاعدة في القرآن الكريم

دل على صحة قاعدة: "إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنَدَ اللَّه ِ كَمَثَلِ آدَمَ" قوله تعالى: ﴿إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1138]

ودلالة الآية على المقصود ظاهرة لا تحتاج لتعليق.

من أدلة القاعدة من العقل:

وكذلك النظرة العقلية الصحيحة تدل على صحة القاعدة عند أدنى تأمل فإنه "ليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من خلق آدم بلا أنثى ولا ذكر " قاله ابن إسحاق رحمه الله[1139]

وقال ابن كثير رحمه الله : "والذي خلق آدم من غير أب قادر على أن يخلق عيسى بطريق الأ َوْلى والأحرى. و إن جاز ادعاء البُنوّة في عيسى لكونه مخلوقا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق ا لأولى. ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشدّ بطلا نا وأظهر فسادا " ً[1140] إلخ

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا ً: شرحها من حيث مفرداتها:

– مثل عيسى : أي شأنه وحاله الغريبة[1141]

(1138) "سورة آل عمران" : (آية ك 59).

(1139) انظر : "سيرة ابن هشام" (194/2-195) ؛ "تفسير ابن أبي حاتم" (ص : 306) ، رقم : [668] ؛ "تفسير الطبري" (3/294) ، رقم : [7160].

(1140) انظر : "تفسير ابن كثير" (49/2) وانظر أيضا "تفسير الطبري" : (293/3) .

(1141) "الكشاف" : (1/563).

- الكاف : للتشبيه [1142]
– عند الله: "عبارة عن الحق في نفسه. أي هكذا هو الأمر فيما غاب عنكم" [1143]

أولاً: شرح القاعدة إجمالا:

معنى هذه القاعدة من حيث الجملة هو: أنّ شأن عيسى عليه السلام وحاله الغريبة كشأن آدم؛ فكما أن آدم لم يكن ابنا لله أن لم يكن له من البشر أبٌ فكذلك المسيح عليه السلام.

وهذه الصفة – أعني وجود كل من آدم وعيسى عليهما السلام من غير أب – هي وجه الشبه المقصود ههنا في هذه القاعدة[1144]، وبهذا تعلم أن الصفات الأخرى التي اشتركا فيها غير مقصودة هنا[1145] كما أنه لا عبرة بالصفات التي افترقا فيها كمخالفة آدم عيسى عليهما السلام في أن المسيح له أم وآدم لا أبَ له ولا أم، أو في أن المسيح خرج من بطن بشر وآدم ليس كذلك "لأن الشيء قد يُشبّه بـ الشيء وإن كان بينهما فرق كبير بعد أن اجتمعا في وصف واحد" [1146]

قال الزمخشري[1147] "فإن قلت : كيف شُبّه به وقد وجد هو من غير أب ووُجد آدم من غير أب ولا أم؟ قلت: هو مثيله في إحدى الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به؛ لأن

(1142) "البحر المحيط": (2/500).

(1143) "المحرر الوجيز": (3/109).

(1144) في الكلام عن كون هذا المعنى هو المقصود في الآية انظر : "مفاتيح الغيب": (74/8) ؛ "البحر المحيط": (2/500).

(1145) قال أبو حيان: "وقال بعض أهل العلم: المشاركة بين آدم وعيسى في خمسة عشر وصفا؛ في التكوين، وفي الخلق من العناصر التي ركب الله منها الدنيا، وفي العبودية، وفي النبوة، وفي المحنة؛ عيسى باليهود وآدم بإبليس، وفي أكلهما الطعام والشراب، وفي الفقر إلى الله، وفي الصورة، وفي الرفع إلى السماء، والإنزال منها إلى الأرض، وفي الإلهام؛ عطس آدم فألهم فقال الحمدلله وألهم عيسى حين أخرج من بطن أمه فقال إني عبدالله، وفي العلم. قال:{وعلم آدم الأشياء} وقال {ونعلمه الكتاب والحكمة} وفي نفخ الروح فيهما {ونفخت فيه من روحي} {فنفخنا فيه من روحنا} وفي الموت، وفي فقد الأب" اهـ "البحر المحيط": (2/502).

(1146) "تفسير **القرطبي**": (4/109).

(1147) هو جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي من فطاحلة علماء اللغة ، ومن أئمة المعتزلة. ألف في تفسير القرآن "الكشاف" توفي: [538]. انظر ترجمته في"بغية الوعاة" للسيوطي: (2/279).

المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنّه شبّه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة، وهما في ذلك نظيران، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من الوجود بغير أب فَشبُّه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطع للخصم، وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه "[1148] اهـ.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:

الصورة الأولى:

إذا استدل النصراني لإلهية عيسى أو كونه ابنا لله والعياذ بالله بدليل أنه لا أبَ له، قال له المسلم: وآدم كذلك لا أب له فيكون على قولك إلهاً أو ابن إله أيضا وأنت لا تقول بإلهيته ولا ببنوته لله سبحانه وتعالى إذن فليكن الحكم واحدا؛ لـ"أنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ"

الصورة الثانية:

إذا استدل النصراني لإلهية عيسى أو كونه ابنا لله والعياذ بالله بدليل أنه لا أب له، قيل له: هناك مخلوقات أخرى مثل كثير من الحيوانات خُلقت من غير أب فهي على قياسك آلهة وأرباب من دون الله أو أبناء لله جل في عُلاه وأنت لا تقول بذلك فيجب توحيد الحكم في الحالين.

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

هذه القاعدة متخصصة في الرد على شبهة واحدة من أكبر شبهات النصارى التي رفعوا عليها قواعد دينهم ألا وهي "كون المسيح عليه السلام من غير فحل"[1149] فإنهم بنوا على هذه الشبهة القول بأن

(1148) "الكشاف" (1/ 365).

(1149) ثبت في موضعين في القرآن العظيم أن عيسى بن مريم عليه السلام ولد من غير أب قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ "سورة آل عمران" : (آية: 47).وقال أيضا: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِياً. قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِياً﴾ "سورة مريم" : (آية 21 - 23).

المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام "مولود غير مخلوق" و أنه ابن الله الوحيد، وأنه رب العالمين، وأنه إله الخلق أجمعين[1150].
فهذه القاعدة تسعف في الرد على تلك الشبهة وإسقاط دليل تلك العقائد الفاسدة من هذه الناحية.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة

قبل ذكر نماذج من ردود أهل العلم استنادا على القاعدة نستفتح بِرَدّ الباري سبحانه وتعالى بها عليهم تبركاً ولأنه أحق وأولى ما يبدأ به.

أثار وفد نصارى نجران وأوردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إيرادا في عيسى عليه السلام قالوا له "هل رأيت قط إنسانا خلق من غير أب؟"[1151] فرد الله تعالى عليهم قائلا ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1152].

وجاء ذكر ذلك أيضا في موضعين من العهد الجديد ؛ في "إنجيل متى" : (1/18-24) ، وفي "إنجيل لوقا : (1/26-38) . قال لوقا : "فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة من عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلِدين ابنا وتسمّينَه يسوع": (1/20-21) "فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوّة العلي تظللك فذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله". اهـ . (1/24-25) . "الكشاف" (1/ 365).

[1150] ثبت في موضعين في القرآن العظيم أن عيسى بن مريم عليه السلام ولد من غير أب قال تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ "سورة آل عمران" : (آية: 47).وقال أيضا: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ "سورة مريم" : (آية: 21-23).
وجاء ذكر ذلك أيضا في موضعين من العهد الجديد ؛ في "إنجيل متى" : (1/18-24) ، وفي "إنجيل لوقا : (1/26-38) . قال لوقا : "فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة من عند الله. وها أنتِ ستحبلين وتلِدين ابنا وتسمّينَه يسوع": (1/20-21) "فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا. فأجاب الملاك وقال لها الروح القدس يحل عليك وقوّة العلي تظللك فذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله". اهـ . (1/24-25) . "الكشاف" (1/ 365).

[1151] انظر : "سيرة ابن هشام" (2/194-195) ؛ "تفسير ابن أبي حاتم" (ص : 306) ، رقم : [668] ؛ "تفسير الطبري" (3/ 294) ، رقم : [7160].

[1152] "سورة آل عمران" : (آية : 59).

ولنذكر الآن بعض النقولات عن أهل العلم في ردهم على النصارى اعتمادا على القاعدة مع ملاحظة أنهم غالب ما يبينون ذلك بضرب من الأولى[1153]:

[1153] فيبيّنون أن آدم أولى من عيسى عليهما السلام لما يدعيه النصارى له من الألوهية و البنوة ونفي البشرية؛ لأنّ آدم شارك عيسى عليهما السلام في فقد الأب، وزاد عليه خصائص أخرى مثل كونه من غير أم مما يجعله أولى بتلك المنزلة من عيسى لو كانت الدعوى صحيحة عادلة، والحكم تصَقًا. لكن تلك الأوجه لا تهمنا بقدر ما يهمنا ذلك الوجه بعينه، وقد سبق أن اتفاق المشبَّه والمشبّه به إنما يكون في بعض الصفات التي اشتركا فيها، ولا يضر بعد ذلك اختلافهما أو افتراقهما في الصفات الأخرى . كما سبق.

قال القاضي أبو الوليد الباجي رحمه الله:
"وإن الله خلق عيسى – عليه السلام من غير أب كما خلق آدم صلى الله عليه وسلم من تراب، وقد حملت بعيسى أم، ولم تحمل بآدم أنثى ولا ذكر، فإذا لم يكن آدم إلها وهو الأب الأول بل مخلوق، فعيسى أولى ألا يكون إلها وهو من ذرية آدم وولده، بل هو عبد مربوب"[1154] إلخ
وقال عبدالله الترجمان رحمه الله:
"فإن قلتم إنما جعلناه إلها لعجب مولده وكونه من غير أب فليس ذلك بأعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم، ولا أعجب من كون الملائكة خُلِقُوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة[1155] ولا يسمّى شيء من الملائكة وآدم آلهة وأنتم تمنعون من ذلك فأخبرونا بينهم وبين عيسى وهم في حكمة الإيجاد أعجب منه؟"[1156] اهـ..
وقال ابن القيم رحمه الله:
"وإن قلتم إنّما استدللنا على كونه إلها بأنه لم يُولد من البشر ولوكان مخلوقا لكان مولودا من البشر، فإن كان هذا الاستدلال صحيحا فآدم إله المسيح، وهو أحق بأن يكون إلها منه لأنّه لا أمّ له ولا أب له والمسيح له أمّ "اهـ.[1157]

(1154) "جواب الباجي" : (ص: 66).
(1155) هذه التفاصيل لم ترد في النصوص ، إنّما الذي ورد أنهم خُلقوا من نور. فعن عائشة رضي الله عنها قالت : "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "خُلِقَتْ المَلَا ئِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمَ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ" رواه مسلم في "كتاب الزهد و الرقائق" "باب أحاديث متفرّقة" [رقم : 7420] (323/18)، مع المنهاج. فالأولى الاقتصار على ما ورد.
(1156) "تحفة الأريب" (ص : 152-153).
(1157) "هداية الحيارى" (ص :498) . وانظر أيضا : "الجواب الصحيح" (143/4-144) ، "والرد المختار" (ص : 82).

وجه استعمال القاعدة:

اعتمد **الباجي** و**الترجمان** و**ابن القيم** رحمهم الله على قاعدة : "**إنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**" في الرد على النصارى في دعوى إلهية المسيح عليه السلام بأن السبب الموجب لذلك عندهم – وهو فقد الأب – موجود في آدم وفي بعض المخلوقات مثل الملائكة، وطالبوا النصارى بتوحيد الحكم لتوحد سببه وموجبه.

وقال **القرافي**: "ومن العجب أنهم يحتجون على ضلالهم بأن الذي ألجأهم إلى أنه ابن الله تعالى الله عما يقولون كونه خُلِق من غير أب من البشر، فيتعين أن يكون أبوه هو الله تعالى، وآدم أولى منه بذلك لكونه خُلِق من غير أب ولم يباشر الأرحام ولا سقم الأطفال و لا تطوّر في أطوار البشر، وكم في العالم من الحيوانات خلقها الله تعالى من غير أب "ولقد بلغني أنّ بعض رسل المسلمين ناظر النصارى بصقلية[1158] لأنّ الانبروز آثر ذلك لما قدم عليه رسول ملك المسلمين ، فجمع أعيانهم له فقطهم[1159] بقدح من الفول المسوّس ، فكان يخرج لهم الفولة ، فيخرج سوستها ، ويقول أين أبو هذه ثمّ يخرج آخر ويقول أين أبو هذه فبُهتوا لعنهم الله" إلخ .[1160]

(1158) "صِقِلِّية" مدينة من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية . فُتحت في أيّام بني الأغلب على يد القاضي أسد بن الفرات المتوفي سنة : (213) انظر : "معجم البلدان" (417/3) .

(1159) أي غلبهم.

(1160) "الأجوبة الفاخرة" (ص : 102) . وقال - أعني **القرافي** - في تعليقه على القصة : "وناهيك من قطعهم فولة مسوّسة ؛ فإنّ سوس الحبوب بأسرها لا تتولد وإنّما تُخلق كل سوسة داخل الحبة ، والقشر متعلق عليها ، وإنّما تخرج من الحبّة بعد خلقها وقد ابتدأ الله تعالى العالم بأسره من غير مثال فأي آيات الله تنكرون " إلخ . المرجع السابق .

وجه استعمال القاعدة:

استعمل القرافي رحمه الله قاعدة : "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ"

في رده على النصارى في دعوى بنوة المسيح لله سبحانه وتعالى أنْ لم يكن له أب بأنّ هذه العلة بعينها موجودة في آدم عليه السلام فلِمَ يفرقون في القضاء مع أن المقضي واحد.

ثم أورد قصة الفولة المسوسة التي قطع بها أحد رسل المسلمين أولئك النصارى، وعلق عليها قائلا: "وناهيك من قطعهم فولة مسوّسة؛ فإنّ سوس الحبوب بأسرها لا تتولد وإنّما تُخلق كل سوسة داخل الحبة، والقشر متعلق عليها، وإنّما تخرج من الحبّة بعد خلقها وقد ابتدأ الله تعالى العالم بأسره من غير مثال فأي آيات الله تنكرون "[1161] إلخ.

(1161) المرجع السابق.

المبحث الثاني:

قاعدة:

ما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

هذه القاعدة مأخوذة بصيغتها من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أثناء إنكاره على النصارى احتجاجهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

"ولا يجوز أن تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد صلى الله عليه وسلم بشيء من كلام الأنبياء قبله، سواء صدقتم محمدا صلى الله عليه وسلم في جميع ما يقوله أو في بعضه، أو كذبتموه، فدليلكم باطل، فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير، **وما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر**، فيثبت أنه باطل في نفس الأمر،

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة:

قاعدة: "ما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر" قاعدة عقلية صحيحة ثابتة؛ لأنها مبينة على أصل عقلي ثابت صحيح ألا وهو: "السبر والترديد" وسيأتي بيانه في الفقرة ما بعد التالية.

ثانيا: مواضع ورودها:

وردت هذه القاعدة بصيغتها وتطبيقها في الجواب الصحيح[1162] وبتطبيقها فقط في "الرد على النصارى" للجعفري[1163] و في "تحفة الأريب"[1164]

ثالثا: أدلتها:

أظهر أدلة هذه القاعدة الأصل المتينُ الذي بنيت عليه وهو "السبر و الترديد"[1165]

"وضابط هذا الدليل العظيم أنه متركب من أصلين أحدهما حصر أوصاف المحل بطريق من طرق الحصر، وهو المعبر عنه بـ"التقسيم" عند الجدلين والأصولين".

"والثاني: اختبار تلك الأوصاف المحصورة وإبطال ما هو باطل منها وإبقاء ما هو صحيح منها وهذا هو المعبر عنه بـ"الترديد عند الجدلين"[1166]

"وقد تكون الأوصاف المحصورة كلها باطلة فيتحقق بطلان الحكم المستند إليها وقد يكون بعضها باطلا وبعضها صحيحاً"[1167]

المطلب الثالث:

شرحها:

معنى هذه القاعدة باختصار هو: أنّ ما ثحقق بطلانه على كل حال، فهو باطل حقيقة.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صور من التطبيق يجمعها استقصاء أوجه فساد عقيدة

[1162] في مواضع منها: (49/2)، (5-6/2)، (431-430/5)، (310-309/3)، (315-311/3)، (446/3)، (61/4)، (159/4)، (433/5).

[1163] في مواضع منها: (ص: 66)، (ص: 72)، (ص: 79).

[1164] في مواضع منها: (ص: 237).

[1165] هكذا يسميه الجدليون، ويسميه الأصوليون بـ"السبر والتقسيم" والمنطقيون بـ"الشرطي المنفصل". انظر: "أضواء البيان" (4/366).

[1166] "أضواء البيان" (4/366).

[1167] "المصدر السابق" (4/369).

النصراني أو أوجه بطلان دليله فيثبت بطلانه في نفس الأمر:
مثال ذلك: إذا ادعى النصراني اتحاد كلام الله سبحانه بالمسيح عليه السلام قال له المسلم:
"المتحد به إما الكلام مع الذات (وإما الكلام بدون الذات، فإن كان المتحد به الكلام مع الذات) كان المسيح هو الأب وهو الابن وهو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة. وهذا باطل باتفاق النصارى وسائر أهل الملل، وباتفاق الكتب الإلهية ، وباطل بصريح العقل"

"وإن كان المتحد به هو الكلام فقط فهو صفة، والصفة لا تقوم بغير موصوفها، والصفة ليست إلها خالقا، والمسيح عندك إله خالق، فبطلت دعواك على التقديرين، و"**ما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر**" [1168]

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى في المسائل التالية:
الإستدلال بالقرآن الكريم؛ فإن النصارى يستدلون بالقرآن الكريم على صحة دينهم، أو على الطعن في الإسلام فيرد عليه بالقاعدة، فإذا قدر أن النصراني يكذب بمحمد صلى الله عليه وسلم سقط استدلاله؛ لأنه ليس لأحد أن يستدل بكلام كذاب فيما يبلغه عن الله كما سيأتي، وإن قدر أنه مصدق به ليس له أن يستدل بكلامه أيضا على صحة دينهم لأن النبي عليه السلام أتى بإبطاله، والنبي لا يكذب , وعليه فلا يستطيع أن يستدل بكلامه على التقديرين وكذلك يرد بها على النصراني في دعوى الاتحاد والحلول كما سنرى ذلك جليا في التطبيقات إن شاء الله.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة:

-استعمال القاعدة في الرد على النصارى في استدلالهم بآيات من القرآن الكريم

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على النصارى بخصوص المسألة المذكورة:
"وقيل لهم ثانيا: المسلمون إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بما دلهم

(1168) هذه الصورة مقتبسة من "الجواب الصحيح " (3 / 309 - 310).

على صدق محمد صلى الله عليه وسلم، فإن لم يكن محمد صادقا لم يعرفوا صدق هؤلاء فيبطل دليلكم، وإن كان صادقا بطل دين النصارى فيبطل دليل صحته فثبت بطلان دليلهم على كل تقدير.

وقال أيضا

بعد أن قدّر تصديق النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وتكذيبهم له، ثم بين أنه على التقديرين لا يجوز لهم أن يستدلوا بما جاء به و لا بما جاء عن غيره من الأنبياء من قبله قائلا:

"ولا يجوز أن تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد صلى الله عليه وسلم بشيء من كلام الأنبياء قبله، سواء صدقتم محمدا صلى الله عليه وسلم في جميع ما يقوله أو في بعضه، أو كذبتموه فدليلكم باطل، فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير، وما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر، فيثبت أنه باطل في نفس الأمر، وذلك أنكم إذا كذبتم محمدا لم يبق لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الأنبياء، فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره، بل من اعتقد كذبه وصدق غيره لم يكن عالما بصدق غيره، بل يكون مصدقا لهم بغير علم، وإذا لم يكن عالما بصدقهم لم يجز احتجاجه قط بأقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم، ومحاجة فيما لا علم له بها"[1169] إلخ

-استعمال القاعدة في الرد على عقيدة النصارى في الاتحاد

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على النصارى في العقيدة المذكورة:

"فأما الطريق الأول فمن وجوه"

"أحدها: أن يقال: المتحد بالمسيح إما أن يكون هو الذات المتصفة بـ الكلام أو الكلام فقط"

"وإن شئت قلت: المتحد به إما الكلام مع الذات، (وإما الكلام بدون الذات. فإن كان المتحد به الكلام مع الذات) كان المسيح هو الأب وهو الابن وهو روح القدس، وكان المسيح هو الأقانيم الثلاثة. وهذا باطل باتفاق النصارى وسائر أهل الملل، وباتفاق الكتب الإلهية، وباطل بصريح العقل كما سنذكره إن شاء الله"

"وإن كان المتحد به هو الكلمة فقط فالكلمة صفة، والصفة لا تقوم بغير موصوفها، والصفة ليست إلها خالقا، والمسيح عندهم إله خالق،

(1169) "الجواب الصحيح" : (2 / 5 – 6).

فبطل قولهم على التقديرين " (1170) إلخ

(1170) "الجواب الصحيح " (3/309-310)

المبحث الثالث:

قاعدة:

كل شيئين اتحدا صارا شيئا واحدا

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

صياغة هذه القاعدة مستفادة من مجموع عبارات استخدمت في الرد على النصارى من قبل بعض فرسان هذا الميدان، كالجعفري في قوله:

"بل صار المسيح بالاتحاد الذي يدعيه أهل الإلحاد شيئا واحدا" (1171)

وكقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئا واحدا" (1172)

وقوله: "وكل شيئين اتحدا فإنهما يصيران جوهرا ثالثا وأقنوما ثالثا وطبيعة ثالثة" (1173)

وقوله: "فمن شأن الشيئين إذا اتحدا أن يستحيل كل منهما إلى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة" (1174)

(1171) "التخجيل" (1/130).

(1172) "الجواب الصحيح" (2/84).

(1173) "الجواب الصحيح" (4/52).

(1174) "الجواب الصحيح" (4/583).

المطلب الثاني:
مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة:

قاعدة: "كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا" قاعدة عقلية صحيحة كما هو واضح يدل على عقليتها وصحتها أدلة متعددة نقف على شيء منها إن شاء الله في الفقرة ما بعد التالية

ثانيا: مواضع ورودها:

ورد استعمال قاعدة : "كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا"

-عند الجعفري في "التخجيل " [1175]

-وعند شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح " [1176]

ثالثاً: أدلتها:

لا شك أن اتحاد الشيئين مع بقائهما على حالهما دون أن يستحيلا ويختلطا ويصيرا شيئا آخر مكونا من مجموع الأمرين شيء ممتنع في صريح العقل[1177] ويدل على صحة ذلك عدة أدلة عقلية منها:

أولا:

أنّ الشيئين إذا اتحدا ولم يصيرا شيئاً ثالثا لزم من ذلك اجتماع النقيضين، وفي تقرير ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأيضا فمع كون الجوهر واحداً يجب أن تكون مشيئته واحدة وطبيعته واحدة . فإنه لو كان مشيئتين لكان محل إحدى المشيئتين (إن كان هو محل الأخرى مع تضاد موجب المشيئتين) لزم اجتماع الضدين في محل واحد فإن الإراده الناسوتية تطلب الأكل والشرب وأن تعبد وتصوم وتصلي، واللاهوتية توجب امتناعه من إرادة هذه الأشياء، وإرادته أن يخلق ويرزق ويدبر العالم، و الناسوتية تمنع من هذه الإرادة، فإذا قامت الإرادتان والكراهتان بمحل واحد لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريدا للشيء ممتنعا من إرادته غير مريد له كارها للشيء غير كاره له وذلك جمع بين النقيضين من وجوه متعددة ".

[1175] في مواضع منه منها من سبق ، ومنها المواضع التالية : (148/1) ، (226/1) (479/1) ، (480/1).

[1176] في مواضع منها ما سبق ، ومنها : الموضعان التاليان: "الجواب الصحيح": (7-6/4)، (4/4-253).

[1177] انظر : "الجواب الصحيح " : (48/2).

"ويمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه، أو كراهتان جازمتان للشيء أو نقيضه، والفعل لا يقع إلا بإرادة جازمة مع القدرة".

"فاللاهوت ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومتى شاء شيئا مشيئة جازمة فإنّه على ما شاء قادر، والناسوت يمتنع لا يفعل شيئا من خصائص البشرية حتى يريد ذلك إرادة جازمة".

"والناسوت يمتنع أن يريد إرادة اللاهوت ويكره ذلك، فيصير الشيء الوحد مريدا للشيء إرادة جازمة، قادرا عليه ليس مريداً له إرادة جازمة، بل هو عاجز عنه"[1178] إلخ.

ثانيا:

عدم ثبوت مثال واحد صحيح موجود في الخارج يمكن أن يمثل به على شيئين اتحدا ولم يكونا شيئا آخر ثالثاً لذلك كان من أعظم قواعد الرد على النصارى بخصوص الاتحاد قاعدة: "**لا يَسْتَقِيمُ للنَّصَارَى فِي الاتِّحَادِ مِثَالٌ**"[1179] لأن "**الاتِّحَادَ مُمْتَنِعٌ عَقلا**

[1178] "الجواب الصحيح": (4/385-390).

[1179] فقد استفرغ النصارى وسعهم في ضرب الأمثلة لتوضيح الاتحاد كوسيلة من وسائل الإقناع على معقوليته وإمكان حدوثه لكن بيّن العلماء الذين ردوا على النصارى عدم استقامة تلك الأمثلة كلها. فمن الأمثلة التي ضربوها: محاولة توضيحه عن طريق ضرب **المثال بالنار مع الخشب** وبيّن تهافته **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (4/257)، (4/319-320)، (4/325). **وبالحديد مع النار** وبين وجه الفرق **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح":(4/24-25)، **وباللبن مع الماء** وبين خطأه **ابن تيمية** أيضا في "الجواب الصحيح" (4/26)، (4/59). **وبالماء مع اللبن والخمر**، وبين وجه الفرق **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (4/24-25). **وبالشمع مع الخاتم** وبين عدم استقامته الشهرستاني في "الملل والنحل": (ص: 252) **وابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (3/416)، (3/484) **وبالكلام من الشجرة** (في قصة موسى عليه السلام) وزيّفه **القرافي** في "**الأجوبة الفاخرة**": (ص: **90-91**) **وابن تيمية** في الجواب الصحيح (4/20-21)، (4/26). **وبالنفس مع الجسم** وبيّن خطأه **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (4/11). **وبما في العقل مع ما كتب في القرطاس**. وبيّن خطأه **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (4/329)، (4/340-359)، (4/362)، (4/3364). **وبالنار مع الحديد**. وبيّن عدم استقامته القرافي في "الأجوبة الفاخرة": (ص:39)، **وابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (4/16)، (4/26)، (4/114)، (4/203)، (4/366-367). **وبالشمس وضوءها** وبين زيفه الرسي في "الرد على النصارى" : (ص: 33)، والشهرستاني في "الملل والنحل": (ص: 252)، (ص: 254)، **والقرافي** في "الأجوبة الفاخرة": (ص: 36)، **وابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (4/16)، (4/250)، (4/325). **وبالروح مع الجسد**. وبين خطأه **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح": (3/323). لذلك انتهى شيخ الإسلام **ابن تيمية** إلى نتيجة مهمة تنم عن الاستقراء والتتبع يحسن تسجيلها هنا ألا وهي: "**أي مثل ضربه النصارى للاتحاد كان حجة عليهم وظهر به فساد قولهم**" "الجواب الصحيح": (4/391).

وَشَرْعًا " (1180)

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها:

الاتحاد: هو "تصيير الذاتين ذاتا واحدة"(1181) والمقصود بالاتحاد عند النصارى "اتحاد اللاهوت بالناسوت" أي : أنّ اللّه تبارك وتعالى اتخذ جسد المسيح له صورة وحل بين الناس بصورة إنسان هو المسيح (1182) وهو الذي يسمّونه أحيانا (التجسّد) (1183)

ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة إجمالا هو: أن كل شيئين امتزجا واختلطا تكوّن من مجموعهما شيء آخر ثالث وهذا الشيء الآخر ليس واحدا من الشيئين المذكورين.

مثال ذلك: إذ أتينا بخشب وأحرقناه بالنار فإنّه في النهاية يصير فحما. وهذا الفحم جوهر ثالث؛ ليس خشبا محضا، ولا نار محضة، إنما هو متولد وناشيء من الأمرين جميعا. وهكذا الأمر في اللبن مع الماء، والماء مع السكر وهكذا.

وتوضيحه في عقيدة النصارى أن يقال:

ما دام أن النصارى يعتقدون أن اللّه سبحانه وتعالى وهو المعبود الخالق اتحد مع المسيح وهو العبد المخلوق لزم أن ينشأ منهما جوهر ثالث لا خالقا محضا، ولا مخلوقا محضا لأنّ "كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا"

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:

(1180) "الجواب الصحيح " : (4 / 21)، (4 / 258).

(1181) "التعريفات" (ص : 8) . وانظر : "دائرة المعارف" (440/2) ؛ و "الموسوعة العربية الميسرة (1 / 45) ؛ و "الموسوعة الميسرة " (2 / 953).

(1182)"حقائق أساسية في الايمان المسيحي": (ص: 76-77). نقلا من "دراسات في الأديان" (ص: 218).

(1183) "دراسات في الأديان " (ص : 218).

إذا ادعى النصراني أن الله اتحد مع المسيح عياذاً بالله، قال له المسلم:
قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرا والناسوت جوهراً آخر. وإن شاء قال هذا شيء وهذا شيء، أو هذا عين قائمة بنفسها وهذا عين قائمة بنفسها، فبعد الاتحاد إمّا أن يكونا اثنين كما كانا، أو يصير الاثنان واحدا.
فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد بل هما متعددان كما كانا متعددين.
وإن كانا قد صارا شيئا واحدا، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عُدم، وهذا عدم لأحدهما لا اتحاد به.
وإن كان هذا الذي صار واحدا ليس هو أحدهما، فلا بد من تغييرهما واستحالتهما، لأن "**كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا**" وإلا ّ فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد[1184]

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:
تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى في القول بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة:
قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على النصارى ادعائهم اتحاد الله بالمسيح عياذاً بالله وفي إبطال بعض تمثيلاتهم في ذلك:
"الوجه التاسع عشر: أن اللاهوت إن كان متحدا بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت، فإنّهما إذا صارا شيئا واحدا كان كل ما فعله من عجز ومعجز هو ذلك الواحد، كالأمثال التي يضربونها لله سبحانه وتعالى فإنهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد، والماء مع اللبن والخمر".
"ومعلوم أن الحديدة إذا أدخلت النار حتى صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد، ليس لها فعلان متميزان أحدهما بالحديد والآخر بالنار، بل فيها قوة الحديد وقوة النار، **بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولا قوة النار، إذ ليست حديدا محضاً ولا ناراً محضا.**
"وكذلك الماء إذا اختلط باللبن والخمر فالمتحد منها شيء واحد،

(1184) هذه الصورة مقتبسة من "الجواب الصحيح" (4 / 6).

فعله فعل واحد، منه ما ليس ماء محضا ولا لبنا محضا، لا يقول عاقل: أنّ له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر؛ فعل بكونه لبنا محضا، وفعل بكونه ماء محضا، فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت وأن يصير فعل المتحد شيئا واحدا"

"وإن كان اللاهوت لم يتحد به فهما اثنان شخصان وجوهران وطبيعتان ومشيئتان، وليس هذا دين النصارى مع أن حلول الرب عز وجل في البشر ممتنع كما قد بسط في موضع آخر" [1185]

وقال أيضا:

"الثالث: أن مصير الشيئين شيئا واحدا مع بقائهما على حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل، وإنّما المعقول مع الاتحاد أن يستيحلا ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن، فإنهما إذا صارا شيئاً واحدا ، استحالا واختلطا ".

"الرابع: أنّه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئا واحدا، فيكون الإله هو الرسول والرسول هو الإله؛ إذ هذا هو هذا، وإن كان الإله غير الرسول ، فهما شيئان ، ومهما مثلوا به قولهم كتشبيههم ذلك بالنار في الحديد ، والروح في البدن، فإنه يدل على فساد قولهم، فإن الحديد متى طرق أو وضع في الماء كان ذلك مصيبا للنار، وكذلك البدن إذا جاع أو صلب وتألم، كان ذلك الألم مصيبا للروح، فيلزم أن يكون رب العالمين قد أصابه ألم الجوع والعطش وكذلك الضرب و الصلب على قولهم وهذا شر من قول اليهود : أنّه فقير، وأنّه بخيل، وأنه مسّه اللغوب " [1186]

وقال أيضا:

"وإذا قيل: فيه طبيعة الاثنين ومشيئة الاثنين كما في الماء واللبن قوة الماء وقوه اللبن قيل لا بد – مع ذلك – أن تتغير كل قوة عما كانت عليه فتنكسر الأخرى، كما يعرف في سائر صور الاتحاد، (إذا اتحدا هذا مع هذا كسر كل منهما) قوّة الأخرى عما كانت عليه.كما إذا اتحد الماء البارد بالماء الحار انكسرت قوّة الحر وقوة البرد عما كانت فيبقى المتحد مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض . وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد ".

"وعلى هذا، فيجب إذا اتحد أن تتغير قوّة اللاهوت وطبيعتة

(1185) "الجواب الصحيح " (4 / 24-25) .

(1186) "الجواب الصحيح " (2 / 48) .

مشيئته عما كانت، وتنكسر قوّة الناسوت وطبيعته ومشيئته عما كانت عليه، ويبقى هذا المتحد ممتزجا من لاهوت وناسوت، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان وبطلان كماله، كما أنّه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن ".

"فكل ما يصفون به الناسوت من اتحاد اللاهوت به فهو مستلزم من نقص اللاهوت كما كان، فلا اتحاد بوجه من الوجوه، بل الناسوت كما كان. ثم هما اثنان لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صارا شيئا واحدا"

ويلزم أيضا إذا كانا جوهرا واحدا وقد ولد وصفع وضرب وصلب ومات وتألم أن يكون نفس اللاهوت ضرب وصلب ومات وتألم ، كما تقوله اليعقوبية، وهذا لازم لجميع النصارى وهو موجب عقيدة إيمانهم ".

"فإن قالوا: بل هما جوهران مع كونهما عندهم شخصا واحدا لا تعدد فيه كما يقوله من يقوله من الملكية، كان هذا كلاما متناقضا، فإن الشخص الواحد الذي لا تعدد فيه جوهر واحد، ولهذا حد بأنّه جسم " إلخ[1187]

وقال الجعفري في الرد على النصارى في نفس المسألة:

"فإن قالوا: لا ننكر أن المسيح جاع وشبع واطمأن وجزع وناله النفع والضرر واعتورت عليه أحوال البشر غير أن هذه النقائص إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته"

"قلنا لَمْ يَدَعُ الاتحاد الذي تدعونه ناسوتا متييزا عن لاهوت حتى يخَص بالعطش والجوع والأرَق والهجوع ؟ بل صار المسيح بالا تحاد الذي يدعيه أهل الإلحاد شيئا واحدا، والشيء الواحد لا يقال إنّه جاع ولم يَجُع ومات ولم يمت "[1188] اهـ

وقال أيضا:

"الحجة التاسعة: إن كان الجوهران [والأقنومان] قد صارا واحدا بـ العدد فيجب أن يبطل فعل هذا وفعل هذا؛ لأنّ المختلفي الطباع إذا تركب منهم طبع آخر لم يبِن فعل الأول والثاني فكان يجب ألا يظهر المسيح لا فعلا إلهيا ولا فعلا ناسوتيا، ألا ترى أن الا ستقصات الأربع إذا تركب عنها جسم فلا شك أن ذلك الجسم ليس

(1187) "الجواب الصحيح " (4 / 385 - 390).

(1188) "التخجيل " (1 / 130).

بنار محضة، ولا هواء ولا ماء ولا تراب ".
"فعلى سياق هذا كان يلزم أن يكون المسيح بالاتحاد الذي يدعونه لا إله ولا إنسان " . ويؤول القول بالاتحاد إلى رفع ثمرته وفائدته " (9 8 1 1)

***

(9 8 1 1) "التخجيل " (1 / 0 8 4).

المبحث الرابع:

قاعدة:

المثلان اللذان يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب عليه ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ويجوز عليه ما يجوز عليه

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

هذه القاعدة مأخوذة بصيغتها من شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول رحمه الله بعد ذكره آيات من القرآن الكريم على أن الله ليس كمثله شيء:

"وقد دل على ذلك العقل ، فإن المثلين اللذين يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب على الآخر ، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، ويجور عليه ما يجوز عليه فلو كان للخالق مثل للزم أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع "اهـ.

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة

قاعدة: "المِثْلا َنِ اللَّذَانِ يَسُدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدّ الآ َخَرِ"إلخ. قاعدة عقلية؛ لأنّ الأحكام التي تسعى لتحقيقها أحكام عقلية لا يخالف في صحتها عاقل، وشرعية أيضا لأن كل حكم عقلي صحيح فالشرع لا يخالفه، ولأن هناك آيات في القرآن الكريم تشير إلى ما دلت عليه القاعدة بعينها يأتي بيانها في أدلة القاعدة.

ثانيا: مواضع ورودها:

ذكر هذه القاعدة بصيغتها التي صدّرت بها شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في "الجواب الصحيح"[1190] وجاء التطبيق عليها أيضا في نفس الكتاب[1191] ولم أقف عليها في غيره.

ثالثا: أدلتها:

من أدلة صحة القاعدة في القرآن الكريم:

دل على صحة هذه القاعدة قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1192]

الشاهد: في قوله: ﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لأنّ كلا من الإلهين مثل الآخر في كل شيء فقوتهما متكافئة، وقدرتهما متساوية، فيتجلى ذلك في أرضية الواقع وهو ذهاب كل إله بما خلق. وقوله تعالى:

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾[1193]

والشاهد في الاستفهام الانكاري الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ "أي مثلا يستحق أن يسمى بأسمائه"[1194] "فلو كان للخالق مِثْل للَزم أن يشتركا فيما يجب ويجوز ويمتنع"[1195].

(1190) (2/205-206).

(1191) "الجواب الصحيح" (4/145).

(1192) "سورة المؤمنون": (آية: 91).

(1193) "سورة مريم": (آية: 65).

(1194) "الجواب الصحيح" (2/205-206).

(1195) "المصدر السابق"

من أدلة صحة القاعدة في العقل:
مما يدل على صحة القاعدة من الناحية العقلية أنه لو لم يتحد المثلان اللذان يسد أحدهما مسد الآخر فيما يجب ويجوز ويمتنع لكان فيه تفريق بين المتماثلين في أبشع صوره وهو مرفوض غاية ونهاية في كافة العقول السليمة [1196]

المطلب الثالث:

شرحها:

أولاً: شرحها من حيث مفرداتها:

-اللذان يسد أحدهما مسد الآخر: أي يقوم أحدهما مقام الآخر.

ثانياً: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة من حيث الجملة هو: أنّ المثلين اللذين لا فرق بينهما من كل وجه، يجب أن يتفقا في جميع الأحكام التي تقتضيها تلك المثلية المطلقة من كل وجه.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:
أنه إذا ادعى النصراني ربوبية المسيح أو ألوهيته بأي شبهة من الشبه التي يعتمد عليها في ذلك قيل له : لكن المسيح عرضت عليه عوارض بشرية كثيرة من الأكل والشرب وغير ذلك، بل قد قتل وصلب على ما تعتقد، ولو كان "إله حق من إله حق مساويا له في الجوهر "إلخ لامتنع عليه ذلك؛ لأنّ "**المِثْلَانِ اللَّذَانِ يَسُدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدَّ الآخَرِ يَجِبُ لأَحَدِهِمَا مَا يَجِبُ عَلَيهِ وَيَمْتَنِعُ عَلَيهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيهِ وَيَجُوزُ عَلَيهِ مَا يَجُوزُ عَلَيهِ**"

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى في دعواهم ربوبية المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام وفي دعوى ألوهيته والعياذ بالله.

نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة

(1196) "انظر مزيدا من أدلة القاعدة" في أدلة قاعدة : "حكم الشيء حكم مثله" (ص: 413).

قال الحسن بن أيوب:
"وقد قال السيد المسيح في الإنجيل لتلاميذه لما سألوه عن الساعة والقيامة: (إن ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفه أحد ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن أيضا، ولكن الأب وحده يعرفه) [1197] قال فهذا إقرار منه بأنه منقوص العلم وأن الله تبارك وتعالى أعز وأعلم منه، وأنه خلافه وأعلا منه، وقد بين بقوله أحد عمومه بذلك الخلق جميعا ، ثم قال :(ولا الملائكة) وعندهم من علم الله ما ليس عند أهل الأرض ، ثم قال : (ولا الابن)، وله من القوة ما ليس لغيره، وشهد قوله هذا شهادة واضحة عليه بأنه لا يعلم كل ما يعلمه الله، بل ما علمه الله إياه وأطلعه على معرفته وجعله له، وأنه لقصور معرفته بكل الأشياء ليس بحيث يصفونه من الربوبية، وأنه هو الله ومن جوهر أبيه تعالى الله الخالق لكل شيء علوا كبيرا، ولو كان إلها كما يقولون لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء وسرائر الأمور وعلانيتها، إذ كان هذا المعنى ليس من الكلام الذي إذا سئلتم عنه تعلقتم بأنه قيل للناسوت دون اللاهوت "إلخ [1198]

(1197) انظر : "إنجيل متى" : (25 / 26).
(1198) "الجواب الصحيح" (4 / 145).

وجه استعمال القاعدة:

قول الحسن بن أيوب رحمه الله "ولو كان إلها كما يقولون لعلم ما يعلمه الله من سائر الأشياء، وسرائر الأمور وعلانيتها" هو معنى قولنا: "**المِثْلاَنِ اللّذَانِ يَسُدُّ أَحَدُهُمَا مَسَدّ الآخَرِ يَجِبُ لأَحَدِهِمَا مَا يَجِبُ عَلَيهِ وَيَمْتَنِعُ عَلَيهِ مَا يَمْتَنِعُ عَلَيهِ وَيَجُوزُ عَلَيهِ مَا يَجُوزُ عَلَيهِ**" لأن هذا مما يجب، لذلك استدل بقصور علمه على استحالة ربوبيته وإلهيته.

***

المبحث الخامس:

قاعدة:

حكم أحد الشيئين حكم مثله

المطلب الأوّل:

صياغة القاعدة:

تنوّعت عبارات العلماء في صياغة هذه القاعدة وتعددت ، فعبّر عنها كل واحد منهم بصيغة تخالف صيغة الآخر من حيث بعض الألفاظ أو شمولية المعنى لا من حيث المعنى الأصلُ والمؤدّى؛ ذلك لأنهم سلكوا في صياغتها مسلكين :

المسلك الأول:

مسلك مَن نظر في صياغتها إلى المعنى الكلي لها. ومن الصِّيَغ التي تمثل هذا المسلك، الصيغ الآتية:

"حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ " [1199]

"حُكْمُ الِمثْل حُكْمُ مِثْلِهِ " [1200]

"حُكْمُ أحَدِ الشّيْئَين حُكْمُ مِثْلِهِ " [1201]

"حُكْمُ النّظِير حُكْمُ مِثْلِهِ " [1202]

"حُكْمُ النّظِير حُكْمُ نَظِيره " [1203]

"مَا ثبَتَ لِلشّيء ثبَتَ لِنَظِيرِه " [1204]

فهذه الصيغ وأشباهها لم يُنظر فيها إلى شيء من تفاصيل القاعدة كحكم من أحكامها، أو نتيجة من نتائجها، أو تطبيق من تطبيقاتها بل الألفاظ التي استخدمت في صياغتها ألفاظ عامة تحمل معها كذلك معانٍ عامة غير مخَصّصَة بشيء مما ذكر أو بما يماثله.

المسلك الثاني:

مسلك مَن نظر في صياغتها إلى بعض تفاصيلها. ومن الصيغ المبنية

(1199) القاعدة بهذه الصيغة في: "بين الإسلام والمسيحية": (ص : 165)؛ "الأجوبة الفاخرة" (ص : 55) ؛ (إعلام الموقعين" (1/132) ، (1/133) ، (1/134) ، (1/186) في موضعين.

(1200) القاعدة بهذه الصيغة في : "إعلام الموقين " (1/191)

(1201) القاعدة بهذه الصيغة في : "الجواب الصحيح"

(1202) القاعدة بهذه الصيغة في : "إعلام الموقين " (1/191).

(1203) القاعدة بهذه الصيغة في : المصدر السابق (1/134) ، (1/137) ، (1/186) في موضعين.

(1204) القاعدة بهذه الصيغة في : "الجواب الصحيح " : (3/482).

على هذا المسلك الصيغ الآتية:

"لا يَجُوزُ التَّفْرِيقُ بَينَ مُتَمَاثِلَين " (1205)

"كُلَّمَا جَازَ عَلَى أَحَدِ المِثْلَين جَازَ عَلَى الآخَرِ " (1206)

"كُلُّ شَيْئَين مُشْتَبِهَين فَحُكْمُهُمَا مِنْ حَيْثُ اشْتَبَهَا وَاحِدٌ" (1207)

فالصيغة السابعة؛ "لا يَجُوزُ التَّفْرِيقُ بَينَ مُتَمَاثِلَين" نُظر في صياغتها إلى نتيجة من نتائج القاعدة وهي : عدم جواز التفريق بين المتماثلين ، ونُظر في صياغة الثامنة؛ "كُلَّمَا جَازَ عَلَى أَحَدِ المِثْلَين جَازَ عَلَى الآخَرِ" إلى بعض أحكام القاعدة، ونظر في صياغة التاسعة؛ "كُلُّ شَيْئَين مُشْتَبِهَين فَحُكْمُهُمَا مِنْ حَيْثُ اشْتَبَهَا وَاحِدٌ" إلى جهة حكم القاعدة ، وذلك عند قوله : "من حيث اشتبها"

(1205) القاعدة بهذه الصيغة في : المرجع السابق.

(1206) القاعدة بهذه الصيغة في : "الأجوبة الفاخرة " (ص : 92).

(1207) القاعدة بهذه الصيغة في : "قواطع الأدلة " (4/ 27) ، (4/ 29).

المطلب الثاني:
مصادرها:
أولا: الأصل العلمي للقاعدة:
قاعدة : "حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ" قاعدة فطرية عقلية شرعية وفي تقرير وجه كون هذه القاعدة عقلية يقول ابن السمعاني رحمه الله:
"إنّ من قضية العقل أنّ كلّ شيئين مشتبهين فحكمهما من حيث اشتبها واحد، ولولا أنّ الأمر في العقول كذلك لم يكن لنا سبيل إلى التمييز بين المتضادين، ولا عرفنا صادقا من كاذب، ولا محقّا من مبطل، ولا كاملا من ناقص، ولا قصيراً من طويل، ولذهب علم الحواس وبطلت فائدته".
"وذكر الله الأمثال في كتابه وضرب الشبه بين المثال والممثل به، وجرت عادة أهل العقل استعمالها في كلامهم وابتدالها في مخاطبتهم، وجمعوا بالمعنى بين الشيء وغيره[1208] وألحقوا حُكمه بحكمه، وهو كقول القائل "أيْنَمَا أتوَجّهُ ألقَ سَعْداً"[1209] و هو مَثَل مشهور من أمثال العرب وهو لرجل من بني سعد رأى من قومه جفاءا وسُوء جوار فرحل عنهم، وانتقل إلى قوم آخرين فرأى منهم مثل ذلك فأرسل هذه الكلمة مثلا؛ وذلك أنّ القوم الذين صار إليهم لمعناهم في جواره معنى بني سعد جعلهم منهم وألحقهم بهم وأجرى سنّتهم عليهم"
إلى أن قال: "فثبت أنّ الأمر في العقول الصحيحة على ما قلناه من أنّ كل مشتبهين فحكمهما من حيث اشتبها واحد ، وصحّ أنّ المعاني أدلة، وأنّها مَتَى وُجدت متفقة أوجبت اتفاق الأحكام، ومهما كانت مختلفة أوجبت اختلافها " اهـ[1210].
أمّا بالنسبة لتقرير فطرية هذه القاعدة وورود الشرع بها فأكتفي بهذا النقل عن ابن القيم حيث يقول رحمه الله:
"وقد فطر الله عباده على أنّ حكم النظير حكم نظيره، وحكم الشيء حكم مثله، وعلى إنكار التفريق بين المتماثلين ، وعلى إنكار الجمع بين المختلفين، والعقل والميزان الذي أنزله الله سبحانه

[1208] هكذا في المطبوع ، والأولى أن تكون : "ونظيره" ليستقيم المعنى. ولعله تصيحف.
[1209] انظر : "الأمثال " لأبي عبيد القاسم ابن سلاّم : (ص : 147).
[1210] "قواطع الأدلة " (4 \ 27 - 30).

شرعا وقدرا يأبى ذلك"
"لذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر؛ فمن ستر مسلما ستره الله، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن نفّس عن مؤمن كُربة من كُرَب الدنيا نفّس اللّه عنه كربة من كرب يوم اليوم القيامة، ومن أقَالَ نادِما أقال الله عَثرته يوم القيامة، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن ضَارّ مسلما ضَارّ الله به، ومن شَاقّ شَاقّ الله عليه، ومن خَذَل مسلما في موضع يجب نصرته فيه، خَذَله الله في موضع يجب نصرته فيه، ومن سَمَح سمح الله له، والراحمون يرحمهم الرحمن، وإنّما يرحم الله من عباده الرحماء، ومن أنفق أُنفق عليه، ومن أوعى أُوعي عليه، ومن عفا عن حقّه عفا الله له عن حقّه، ومن جاوز تجاوز الله عنه، ومن اسْتَقْصَى استقصى الله عليه".
"فهذا شرع الله وقدره وثوابه وعقابه كله قائم بهذا الأصل ، وإلحاق النظير بالنظير ، واعتبار المثل بالمثل "ا هـ[1211].

ثانيا: مواضع ورودها:

لا يكاد يخلو مصدر من مصادر الردّ على النصارى - مكتوبها وغيرُ مكتوبها - عن ذكر هذه القاعدة بإحدى صيغها، أو بالإشارة إليها، أو بـ التطبيقات وبناء الردود عليها وإن لم يصرحوا بلفظها.
وهذه جملة من أسماء الذين استعملوا هذه القاعدة في ردودهم على النصارى

-الرسي في كتابه : "الرد على النصارى "[1212]
-الجاحظ في كتابه : "المختار في الرد على النصارى "[1213]
- الباجي في جوابه على راهب فرنسا[1214]
-الخزرجي في كتابه "مقامع هامات الصلبان "[1215]
-أبو محمد ابن حزم في كتابه : "الفصل "[1216]

(1211) "إعلام الموقعين " : (1 \ 186-187).
(1212) في مواضع منها : (ص : 18) ، (ص :20) ، (ص : 30).
(1213) في مواضع منها : (ص : 82-83) ، (ص : 87) ، (ص : 89).
(1214) في "مواضع منها : (ص : 67)، (ص : 68)، (ص : 97).
(1215) في مواضع منها: (ص: 129)، (ص: 137) ، (ص: 165)، (ص: 166)، (ص: 185)، (ص: 210)، (ص : 285).
(1216) في مواضع منها: (51/1)، (56/1)، (57/1)، (102/1)، (103/1)، (108/1)، (24/2)، (63/2)، (74/2).

-القاضي عبدالجبار في كتابه : "تثبيت دلائل النبوة "[1217]

-الغزالي في كتابه "الرد الجميل "[1218]

-الرازي في "مناظرة في الرد على النصارى "[1219]

-الجعفري في كتابه : "التخجيل على من حرّف التوراة والإنجيل" وفي كتابه "الرد على النصارى"[1220]

-القرافي في كتابه : "الأجوبة الفاخرة "[1221]

-القرطبي في كتابه : "الإعلام "[1222]

-شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: "الجواب الصحيح "[1223]

-عبدالله الترجمان في كتابه "تحفة الأريب "[1224]

-ابن القيم في كتابه : "هداية الحيارى "[1225]

-الطوفي في كتابه "الانتصارات الإسلامية "[1226]

-رحمت الله الهندي في كتابه "إظهار الحق "[1227]

[1217] في مواضع منها: (119/1)، (120/1)، (181/1)، (185/1)، (186/1)، (187/1)، (188/1)، (190/1).

[1218] في مواضع منها : (ص : 28)، (ص : 65)، (ص : 70)، (ص : 72).

[1219] في مواضع منها : (ص : 21).

[1220] في مواضعها منها: (118/1) ، (123/1) ، (1/ 127) ، (1/ 138) ، (142/1) ، (175/1)، (179/1)، (201/1)، (204/1)، (223/1)، (224/1)، (231/1)، (235/1)، (145/1)، (247/1)، (257/1)، (261/1)، (264/1)، (401/1)، (408/1)، (430/1)، (431/1)، (456/1)، (462/1)، (2/ 619)، (634/2)، (644/2)، (645/2)، (797/2)، (778/2)، (804/2)، (806/2)، (813/2)، (814/2)، (848/2)، (889/2).

[1221] في مواضع منها: (ص :)، (ص : 10-11)، (ص : 36)، (ص :37)، (ص :55)، (ص :56)، (ص : 60)، (ص : 62)، (ص : 65)، (ص :66)، (ص : 67)، (ص: 88)، (ص : 90)، (ص : 92)، (ص : 102)، (ص : 114)، (ص : 141)، (ص : 143).

[1222] في مواضع منها: (ص : 59)، (ص : 73)، (ص : 86)، (ص :93)، (ص : 133)، (ص: 135)، (ص: 136)، (ص: 137)، (ص: 140)، (ص: 141)، (ص :204)، (ص: 221)، (ص: 222)، (ص: 223).

[1223] في مواضع منها: (84/1)، (184/2)، (49/2)، (52/2)، (100/2)، (130/3)، (134/3)، (135/3)، (136/3)، (145/3)، (157-158/3)، (194/3)، (224/3)، (226/3)، (227/3)، (234/3)، (239/3)، (271/3-274)، (296/3)، (350/3)، (361/3)، (365-366/3)، (370/3)، (390/3)، (409/3)، (455/3)، (482/3)، (24/4)، (104/4)، (111/4)، (124/4)، (134/4)، (137/4)، (164-165/4)، (277/4)، (320/4)، (417/4)، (420/4)، (489/4)، (494/4)، (236/5).

[1224] في مواضع منها: (ص: 135)، (ص: 143)، (ص: 153)، (ص: 154)، (ص: 158).

[1225] في مواضع منها : (ص : 241)، (ص : 341)، (ص : 498)، (ص : 499)، (ص : 500)، (ص : 502)، (ص : 523)، (ص : 505)، (ص : 522)، (ص : 533).

[1226] في مواضع منها : (255/1)، (317/1)، (496/1)، (/2)، (531/2)، (532/2)، (533/2)، (560/2)، (591/2)، (605/2)، (606/2)، (626/2)، (711/2)، (723/2)، (743/2).

[1227] في مواضع منها: (90/1)، (91/1)، (92/1)، (93/1)، (707/3)، (748/3)، (756/3)، (759/3)، (763/3)، (765/3)، (851/3)، (857/3)، (877/3)، (889/3)، (922/3)، (925/3)، (9033/4)، (954/3)، (1024/4)، (1026/4)، (1027/4)، (1035/4)، (1036)، (1090/4)، (1309/4)، (1338/4)، (1349/4).

-ابن معمر في كتابه : "منحة القريب المجيب "[1228]
-والشيخ أحمد ديدات

ثالثاً: أدلة القاعدة:

سبق بيان أن قاعدة : "حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ" قاعدة فطرية عقلية شرعية وقد تضافرت أدلة هذه الأنواع على تدعيم القاعدة وتقريرها وقد كفانا النقلان السابقان عن ابن السمعاني وابن القيم بيان أدلة القاعدة من الناحية الفطرية والعقلية.

أدلة القاعدة من القرآن:

أمّا أدلة القاعدة الشرعية من خلال كتاب الله ففي ذلك آيات كثيرة ذات دلالات متعددة على المقصود، وتجلية لتلك الدلالات، وتسهيلا للحصول على الآيات، أقسّمها مُورِدًا لها على الأنواع التالية[1229]:

النوع الأوّل:

الآيات الواردة بتعذيب المعيّنين الذين عذّبهم الله على تكذيب رسله وعصيان أمره بأنّ هذا الحكم شامل لكلّ من سلك سبيلهم، وتمرّغ في أرض خطيئتهم كما قال تعالى عقيب إخباره عن عقوبات الأمم المكذِّبة لرسلهم وما حلّ بهم ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾[1230] **فهذا محض تعدية الحكم إلى مَن عدا المذكور بعموم العلّة، وإلاّ فلو لم يكن حكم الشيء حكم مثله لمَا لزمت التعدية، ولمَا تمّت الحجّة.**

و من هذا النوع أيضاً قوله تعالى عقيب إخباره عن عقوبة قوم عاد حين رأوا العارض في السماء فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾ فقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾[1231]

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ

(1228) في مواضع منها: (218/1)، (239/1)، (311/1)، (327/1)، (391/1)، (403/1)، (404/1)، (457/2)، (2/305).

(1229) استفدت في هذا التنويع بابن القيم رحمه الله في كتابه: "إعلام الموقعين عن رب العالمين"

(1230) "سورة القمر" : (آية : 43).

(1231) "سورة الأحقاف" : (آية : 24-25).

كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.[1232]
فتأمّل قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكّنّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكّنّاكُمْ فِيهِ﴾ كيف تجد المعنى أن حكمكم كحكمهم، وأناّ إذا كنّا قد أهلكناهم بمعصيتهم لرسلنا ولم يدفع عنهم ما مكّنوا فيه من أسباب العيش، فأنتم كذلك؛ تسوية بين المتماثلين، وأنّ هذا محض عدل الله بين عباده.

النوع الثاني:

الآيات الواردة في بيان أنّ الجزاء من جنس العمل و أنّ الإنسان لا يجني من الشوك العنب ومن ذلك قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى. قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا. قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾.[1233]

وقوله تعالى: ﴿إِنّ الّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَالْيَوْمَ الّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ﴿هَلْ ثُوّبَ الْكُفّارُ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[1234]

فتأمّل كيف جسّدت هاتان المجموعتان من الآيات وأفصحت بالمعنى الذي اشتملت عليه هذه القاعدة.

(1232) "سورة الأحقاف" : (آية : 26).

(1233) "سورة طه" : (آية : 124 - 126).

(1234) "سورة المطففين" : (آية : 29 - 36).

النوع الثالث:

الآيات الواردة في الأمر بالسير في الأرض - سواء كان السير الحسي على الأقدام والدوّاب ، أو السير المعنوي بالتفكر والاعتبار ، أو كان اللفظ يعمّهما وهو الصواب- فإنه يدل على الاعتبار والحذر أن يحلّ بالمخاطبين ما حلّ بأولئك، ولهذا أمر سبحانه أولى الأبصار بالاعتبار بما حل بالمكذّبين، **ولولا أنّ حكم النظير حكم نظيره حتى تعبر العقول منه إليه لمَا حصل الاعتبار.**

ومن الآيات التي تمثّل هذا الجانب قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(1235)

وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾(1236)

فأخبر الله بكلّ تصريح أنّ حكم الشيء حكم مثله وأنّ النظير له ما لنظيره.

النوع الرابع:

الأمثال المضروبة في القرآن العظيم.

فقد ضرب الله الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة **وكلها أقيسَة عقلية ينبّه الله بها عباده على أنّ حكم الشيء حكم مثله؛ فإنّ الأ مثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به . وقد اشتمل القرآن على بضعة وأربعين مثلا كلها تتضمن تشبيه الشيء بنظيره، والتسوية بينهما في الحكم.**

وفي ذلك مجموعة من الآيات منها قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾(1237)

فدل سبحانه بالنظير على النظير، وقرّب أحدهما من الآخر جدا بلفظ الإخراج. أي يخرجون من الأرض أحياء كما يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي.

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ

(1235) "سورة آل عمران" : (آية : 137 - 138).

(1236) "سورة محمد" : (آية : 10).

(1237) "سورة الروم" : (آية : 19).

السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَأَنّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.[1238]
فجعل الله سبحانه إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور . ودلّ بالنظير على نظيره.

النوع الخامس:
الآيات الواردة في نفي الله سبحانه عن حكمه وحكمته التسوية بين المختلفين في الحكم.
ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيفَ تحْكُمُونَ﴾.[1239]
وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الّذِينَ اجْتَرَحُوا السّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.[1240]
﴿أَمْ نَجْعَلُ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتّقِينَ كَالْفُجّارِ﴾.[1241]
فأخبر سبحانه أنّ هذا حكم باطل في النظر والعقول لا تليق نسبته إليه سبحانه.
وانظر كيف ذكّر الفِطَر بما أَوْدَع فيها من إعطاء النظير حكم نظيره ، وعدم التسوية بين الشيء ومخالفه في الحكم.

المطلب الثالث:
شرحها:

أولاً: شرحها من حيث مفرداتها:
"الحكم" : هو "إسناد أمر إلى أمر إيجابا أو سلبا".[1242]
فقولك: "عيسى بن مريم عليه السلام نبي لله" أثبتّ بذلك أمراً-وهو "النبوّة" لأمر -وهو : "عيسى بن مريم عليه السلام".
وقولك: "عيسى بن مريم عليه السلام ليس بإله" نفيت بذلك أمراً- وهو "الألوهية" عن أمر -وهو "عيسى عليه السلام "وهكذا.
"الشيء" : معروف[1243]

(1238) "سورة الحج" : (آية: 5 - 7).
(1239) "سورة القلم" : (آية: 35 - 36).
(1240) "سورة الجاثية" : (آية: 21).
(1241) "سورة ص" : (آية: 28).
(1242) "التعريفات" (ص: 92).
(1243) وعرّفه الجرجاني في "التعريفات" (ص : 130) بأنّه: "الموجود الثابت المتحقق في

"المثل" -بكسر الميم- الشِّبْه أو الشَّبَه[1244] وإن كان أعمّ منه، ومن كلّ ا لألفاظ الموضوعة للمشابهة[1245] -يقال: "هذا مثل هذا" أي شبهه. و "هما يتماثلان " أي يتشابهان . وجمعه أمثال[1246]
وللتعبير عن المشابهة ألفاظ أخرى غير لفظ "المِثْل" منها "المَثَل" بـ التحريك و"الشّبه" و"النظير" و"المساوي" إلخ وهذا هو السرّ في ورود كثير من صيغ هذه القاعدة ببعض هذه الألفاظ كما سبق.
لكن في الحقيقة أنّ استعمال "المثل" أدق وأولى من استعمال أي من الألفاظ السابقة للفروق التي بينه وبينها عند الغوص في معانيها[1247]

ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة:
معنى هذه القاعدة إجمالا: أنه كلما كان شيئان فأكثر متماثلين في صفة من الصفات اشتركا في الحكم الذي تقتضيه تلك الصفة ، كما لو قلنا: قبلنا شهادة زيد؛ لأنه عدل . لزم من ذلك قبول شهادة كل عدل.
وإذا كان تماثلهما من كل وجه؛ بأن كان أحدهما يسد مسد الآخر اشتركا في كل الأحكام؛ إذا جاز شيء على أحدهما جاز على الآخر. وهكذا.
وقبل الشروع في التطبيقات على القاعدة أنبّه على الأمور التالية:

الخارج"
ا هـ .
(1244) انظر : "لسان العرب " : (13\21-22) ، (7\23).
(1245) انظر : "الكليات " : (ص : 85).
(1246) انظر : "لسان العرب " : (ص : 13\21-22).
(1247) قال أبو هلال العسكري رحمه الله: " (الفرق) بين "المثْل" و"المثَل" : أنّ المثلين ما تكافآ في الذوات. والمثل بالتحريك الصفة . قال تعالى: {مَثَلُ الجَنَّةِ التِّي وُعِدَ المُتَّقُونَ} "سورة الرعد " : (آية : 35) . أي صفة الجنة.
و (الفرق) بين "المثل" و"النظير" أنّ المثلين ما تكافآ في الذوات و "النظير" ما قابل نظيره في حنس أفعاله وهو متمكن منها كالنحوي نظير النحوي وإن لم يكن له مثل كلامه في النحو أو كتبه فيه. ولا يقال: النحوي مثل النحوي ؛ لأن التماثل يكون حقيقة في أخص الأوصاف وهو الذات.
و (الفرق) بين "الشبه" و "المثل" أنّ الشبه يستعمل فيما يشاهد فيقال : السواد شبه السواد، ويقال : القدرة كما يقال مثلها.
و (الفرق) بين "المساواة" و"المماثلة" أن "المساواة" تكون في المقدارين الذين يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص عنه. و"التساوي" التكافؤ في المقدار. و"المماثلة" هي أن يسدّ أحدهما مسد الآخر كالسوادين" ا هـ ملخصاً . انظر : "الفروق في اللغة" لأبي هلال العسكري (ص : 148).

الأمر الأول:

تنقسم المماثلة إلى مطلقة ومقيدة. فإذا قيل : "هذا مثل هذا" (على الإطلاق) فمعناه أنّه يسد مسده [1248]

وأمّا إذا قيل : "هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة"[1249] كأن تقول "عيسى بن مريم مثل داود عليهما السلام في ورود تسمية كلّ واحد منهما "بابن الله" في كتابهم المقدّس فهذه المثلية أو المماثلة مقيدة بشيء وهو "البنوة" لا الملك ولا شيء آخر غيره فالمقارنة تكون في تلك الصفة دون غيرها من الصفات. وفي هذه الحال قد يُفصح عن الحال المقصودة بالمثلية كما في مثالنا، وقد لا يُصرّح بها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1250]

وإنّما نُبّه على هذا لأنّ المثلية في أكثر التطبيقات التي ستأتي من باب المماثلة المقيدة وإن كان بعضها سيكون من باب المماثلة المطلقة.

الأمر الثاني:

إذا رأيت متماثلين اختلفا في الحكم فلا بدّ من أحد شيئين: إمّا أنّهما ليسا متماثلين ظاهرا وباطنا مثل خوارق الأنبياء مع خوارق السحرة، فإنهما ليسا متماثلين بوجه من الوجوه حتى يُعطى لأحدهما حكم الأخر.

وإمّا أنّهما متماثلان ظاهراً لا باطنا ؛ بمعنى أنّه ليس بينهما المثلية المطلوبة، أو وجدت ولكن فقد شرط من شروطها. وإنّما نُبّه على هذا حتى لا تظهر فروع هي في الحقيقة مختلفة لكنّها تظهر وكأنّها متماثلة فيفرق بينهما في الحكم فيُظَنّ أن في القاعدة خرماً.

الأمر الثالث:

قد تتحقق المثلية ومع ذلك يُخص أحدهما بحكم دون الآخر ففي هذه الحال لا بد من دليل مرجِّح يوجب اختصاص أحدهما بذلك الحكم دون صاحبه [1251]

(1248) "لسان العرب" (13/21) ؛ "كتاب الفروق في اللغة" (ص : 148) .

(1249) "لسان العرب" (13/21) .

(1250) "سورة آل عمران" : (آية : 59).

(1251) انظر : "الأجوبة الفاخرة" : (ص : 115).

وإنّما نُبّه على هذا حتى لا يختص أحد المتماثلين بحكم دون الآخر فيُظنّ أنّ في القاعدة تناقضاً.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى : صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صُوَر من التطبيق منها:

أنه إذا أتى نصرانيّ بما يراه دليلا عنده يُثبت به عقيدته الباطلة، أو يطعن به في الإسلام وأهله ، ففي هذه الحال ، لا ينشغل الرادّ، لا بفحص صحة ذلك الدليل أو سقمه، ولا بتوجيهه وتصحيح الاستدلال به في حال سلامته، ولا بقوّة الإيراد أو ضعفه، بل يُسلِّم له تسليما جدليا لكن يُعارضه في نفس الوقت بمثل ما جاء به من كتابه الذي يؤمن به أومن الحقائق التي لا تتوقف صحتها وصدقها على اعترافه.

وأوضح ذلك بضرب مثالين اثنين:

المثال الأول:

-إذا قيل للنصراني : لماذا اعترفت بنُبُوّة موسى ، وأنكرت نبوّة محمّد عليهما الصلاة والسلام ؟ أليس "**حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ** " ؟

-قال : بلى، ولكن موسى عليه السلام جرت على يديه الآيات، وبشّرت به الأنبياء قبله في النبوّات.

-قيل له: فمحمّد صلى الله عليه وسلم جرت على يديه الآيات، وبشّرت به الأنبياء قبله في النبوّات . فلماذا نفيتها عن محمّد عليه السلام، وأثبتها لموسى عليه السلام وقد علمت أن "**حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ**" ؟

(فإنه في هذه الحال إمّا أن يثبت النبوّة للجميع لأنّ "**حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ**" أو يتراجع عن كون الآيات والبشارات من أدلة إثبات النبوّة-وهذا باطل عنده-فينكر نبوّة الجميع لأنّ "**حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ**"وهذا ما لا يقبله ولا يرضاه).

المثال الآخر:
إذا قال النصراني : عيسى ابن الله.
قيل له : وما الدليل على ذلك؟
قال: الدليل على ذلك أنّه وُصف في الكتاب المقدّس بأنّه ابن الله.
(وهنا بدل ما يُشتغل ببيان عدم صحّة الاستدلال بالكتاب المقدس أو بتبيان المقصود الصحيح من تلك البنوّة، اعترض عليه من نفس الكتاب المقدّس بمن جاء وصفهم فيه بأنهم أبناء الله كذلك مثل داود عليه السلام).
فيقال له: وداود عليه السلام وردت تسميته في الكتاب المقدّس بأنه ابن الله. فهو إذن ابن لله بنوّة كبنوّة عيسى عليه السلام. لأنّ "حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ" وهو ينفي أن يكون داود كذلك.
فإن قال : بينهما فرق.
قيل له : بيّنه!
(فإن بينه- وهذا شيء ما له إليه من سبيل- وإلاّ لزمه الإقرار بأحد أمرين كل واحد منها يحمل نقضا لدليله وإبطالا لعقيدته؛ أحدهما: جعل بُنوّة داود لله كبنوّة المسيح له سبحانه كما سبق؛ لأنّ "حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"وهذا-أي التسوية بين داود وعيسى عليهما السلام في هذه البنوّة -باطل عنده، والأمر الآخر: جعل بنوّة عيسى لله سبحانه كبُنوّة داود عليهما السلام وهذا هو الحق الذي لا حق سواه وإن كان باطلا عنده أيضا لكنه صحيح في نفس الأمر وأنه لم يكن واحد منهما ولا من غيرهما ابنا لله بالمعنى الذي يقصدون، وأنّ مجرّد التسمية بذلك لا تستلزم المعنى الباطل الذي توّهمه، وأنّ ذلك الإطلاق له معنى لائق بنقص المخلوق وكمال الخالق).

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

سيتبين لنا بعد عرض التطبيقات أنّ قاعدة "حُكْمَ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ" هي قاعدة القواعد؛ حيث إن مجالات تطبيقها تغطي أمهات المسائل المتنازع فيها بين المسلمين وبين النصارى.[1252]

وهذه المسائل هي:

القول بعصمة الحواريين وأصحاب المجامع[1253]،

القول بربوبية المسيح وألوهيته والعياذ بالله،

القول بِبُنُوّة المسيح لله وأُبُوّة الله له سبحانه وتعالى،

التثليث،

الطعن في النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأعظمه إنكار نبوته،

الطعن في القرآن الكريم . وأعظمه إنكار كونه من عند الله تعالى،

الطعن في الإسلام وأهله . وأعظم من يطعنون فيه الصحابةّ رضوان الله عليهم

الصلب والفداء -الدينونة - التحريف - النسخ

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة

أولا ً: فيما يتعلق ببيان بطلان عقائد النصارى في دينهم

استعمال القاعدة في الرد على ادعاء النصارى ربوبيّة المسيح وألوهيته وبنوّته لله سبحانه بناءاً على ما ظهر على يديه من الآيات.

زعم النصارى أنّ مما يدل على ربوبية المسيح وألوهيته وبنوته لله سبحانه ما جاء به عليه السلام من الآيات[1254] وما أتى به من البينات ، فاستدلوا بمجموع تلك الآيات وبأفرادها على تلك العقيدة الفاسدة. فانبرى لهم علماء المسلمين في رد مزاعمهم، وتخييب مراميهم

[1252] نبّه الشيخ رحمت الله الهندي على بعض هذه المسائل . انظر: "إظهار الحق" (6/1).

[1253] ذكر شيخ الإسلام بن تيمية أنّ القول بعصمة الحواريين وأهل المجامع هو أخطر مسألة في النصرانية وعلل ذلك بأن النصرانية كلها مأخوذة من هولاء والقول بعصمتهم يعني الطاعة العمياء لهم وقبول كل ما صدرمنهم اهـ بمعناه .

[1254] وقد جاء ذكر هذه الآيات في ثلاث سور من القرآن الكريم ، وهي في سورة آل عمران (آية: 16) و في سورة المائدة من (آية :42 إلى 61) ، وفي سورة مريم من (آية: 110 إلى (آية: 115). ووردت في الكتاب المقدس كذلك سوى آيتن اثنتين هما : كلامه فى المهد ، ونزول المائدة ، كما أن في الكتاب المقدس مما ذكر من آياته لم يرد منها شيء في الكتاب والسنّة وسيأتي التنبيه على كلّ ذلك في محلّه.

معتمدين على أدلة راسخة وقواعد ثابتة ومن أقوى ما اعتمدوا عليه في تلك الردود العَمْلاقة قاعدتنا قاعدة **"حُكْمُ الشَّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"**

وقد ورد استعمالهم للقاعدة في تلك الردود على وجهين:

الأول:

استعمالهم لها في رد زعم النصارى في أنّ جريان الآيات على يد المسيح عليه السلام دليل لباطلهم في الجملة:

ومن ذلك قول أبي محمد ابن حزم رحمه الله حيث يقول: "فإن قالوا أتى بالعجائب قيل لهم والحواريون أيضا عندكم أتوا بالعجائب وموسى قبله وإلياس وسائر الأنبياء قد أتوا بمثل ما أتى به من إحياء الموتى وغيره فأي فرق بينه وبينهم" [1255] اهـ.

ومن ذلك أيضا قول القاضي **أبي الوليد الباجي** رحمه الله: "وقد ظهر على أيدي سائر الرسل عليهم السلام من الآيات الواضحة والمعجزات الباهرة مثل ما ظهر على يدي عيسى عليه السلام وأكثر ؛ فلو جاز أن يدعى لعيسى عليه السلام بشيء مما ظهر على يديه من إحياء ميت وإبراء أكمه ، وأبرص بأنه ابن الله تعالى لجاز أن يدعى ذلك لإبراهيم لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد أن قذف فيها، ولم ينج عيسى من عدد يسير من البشر راموا بزعمكم صلبه وقتله، ولجاز أن يُدعى ذلك لموسى عليه السلام لما ظهر على يديه من قلب العصا حيّة ، وفلق البحر، ولجاز أن يدعى ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم لما ظهر على يديه من انشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه، وتسبيح الحصى في يده، وحنين الجذع إليه، وغير ذلك من الآيات . **لكنّ الآيات لا تقتضي تجويز المحال وإحالة الجائز** [1256] إلخ

الثاني:

استعمالهم لها في رد زعم النصارى في أنّ آية بعينها دليل لباطلهم. وهو على الأصناف الآتية:

الصنف الأول:

-استعمال القاعدة في رد زعمهم أن كون المسيح عليه السلام

(1255) "الفصل" (1/ 57) .

(1256) "جواب القاضي على رسالة راهب فرنسا" : (ص: 67).

من غير فحل دليل على ألوهيته وبنوته لله سبحانه وقد سبقت تطبيقات هذا الصنف في قاعدة: "إِنّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّه ِ كمَثَلِ آدَمَ " فلا حاجة إلى إعادته هنا [1257]

الصنف الثاني:

-استعمال القاعدة في رد استدلال النصارى بإحياء المسيح عليه السلام للموتى على ألوهيته وربوبيته [1258]

قال الجعفري رحمه الله:

"وإن قال النصارى ذلك - أي إحياء الميت - دليل على ربوبيته؛ إذ لا قادر على إحياء الموتى إلا ّ الله تعالى: قال الله ·{وَالمَوْتى يَبْعَثُهُمُ اللّه ُ}· [1259]

قلنا : فيلزم على ذلك أن تعتقدوا ربوبية كلّ من أحيا ميتا وتتخذوه رباً، وقد كان عندكم في كتاب سفر الملوك أن إلياس [1260] أحيا ابن الأرملة [1261] وأنّ اليسع [1262] أحيا ابن الإسرائيلية [1263] وأنّ حزقيال [1264] أحيا بشرا كثيرا يقال إنهم ستون ألفاً أحياهم في ساعة

(1257) انظر : (ص : 384).

(1258) وردت هذه الآية في موضعين في القرآن الكريم؛ في قوله تعالى: ·{وَأُحْيِ المَوتى بِإِذْنِ اللّه}· "سورة آل عمران" : (آية: 49) وفي قوله تعالى: ·{وَإِذْ تخْرِجُ المَوتى بِإِذْنِي}· "سورة المائدة " : (آية : 110) . وفي الكتاب المقدس أنه أحيا ثلاثة أموات"

(1259) "سورة الأنعام " : (آية : 36).

(1260) ثبتت نبوته في القرآن العظيم . قال تعالى{وإن إلياس لمن المرسلين} "سورة الصافات " (آية : 123).

وهو نبي كذلك عند أهل الكتاب ؛ ففي "قاموس الكتاب المقدّس" : (ص : 144) "إيليّا اسم عبري معناه "إلهي يهوه" والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي "إلياس" وتستعمل أحيانا في العربية (وهو) نبي عظيم عاش في المملكة الشمالية " . اهـ مقتطفا

(1261) "الملوك الأوّل " (17/17-24) .

(1262) قال ابن كثير : "وذكره الله مع الأنبياء في سورة الأنعام في قوله تعالى: ·{وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين}· "سورة الأنعام" (آية: 86). وقال تعالى في "سورة ص" (آية: 48). ·{واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الأخيار}· "البداية و النهاية " (2/285).

وهو نبي كذلك عند أهل الكتاب؛ ففي "قاموس الكتاب المقدّس" (111-112) : "أليشع اسم عبري معناه "الله خلاص" وهو خليفة إيليا في العمل النبوي في المملكة الشمالية". اهـ مقتطفا .

(1263) " الملوك الثاني " (4/18-37) .

(1264) لم يكن من الأنبياء المذكورين في الكتاب والسنة لكن قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ·{ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم

واحدة[1265] وهذا أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة[1266] [1267]

وقال الحسن بن أيوب رحمه الله

"فإنّ قلتم إنّ الخشبة التي صلب عليها المسيح على زعمكم ألصقت بميت فعاش فإنّ هذا دليل على أنّه إله"

"قلنا لكم: فما الفرق بينكم وبين من قال إنّ اليسع إله واحتج في ذلك بأن كتاب سفر الملوك يخبر بأن رجلا مات فحمله أهله إلى المقبرة فلمّا كانوا بين القبور رأوا عدوّا لهم يريد أنفسهم فطرحوا الميت عن رقابهم وبادروا إلى المدينة، وكان الموضع الذي ألقوا عليه الميت قبر اليسع، فلمّا أصاب ذلك الميتَ ترابُ قبر اليسع عاش وأقبل يمشي إلى المدينة. فإن زعمتم أن المسيح إله لأن الخشبة التي ذكروا أنه صلب عليها ألصقت بميت فعاش ، فاليسع إله لأن تراب قبره لصق بميت فعاش اهـ.

"فهلا اتخذ النصارى من ذكرنا من الأنبياء آلهة وأربابا، وقد أربوا على ما صدر من المسيح عليهم السلام "[1268]

أحياهم فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إنّ الله لذو فضل على النّاس ولكن أكثر النّاس لا يشكرون﴾ "سورة البقرة": (آية: 243). "وذكر غير واحد من السلف أنّ هؤلاء القوم كانوا من أهل بلدة في زمان بني إسرائيل" إلى أن قال : "فلمّا كان بعد دهر مرّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل فسأل الله أن يحييهم على يديه فأجابه إلى ذلك" إلخ انظر : "تفسير ابن كثير " (1 / 661) وانظر أيضا "تفسير الطبري " (5 / 266).
وأمّا عند أهل الكتاب ففي "قاموس الكتاب المقدّس" (ص :301-305) : "حزقيل اسم عبري معناه "الله يقوي" وهو أحد الأنبياء الكبار وله سفر في "العهد القديم" باسمه اهـ. مقتطفا ولعل هذه القصة الواردة في القرآن هي المشار إليها في "سفر حزقيال" التي ذكرها المؤلف والله أعلم.

[1265] "سفر حزقيال" (37/1-10) وليس فيه ذكر عددهم في النسخة التي بين يدي .

[1266] "التخجيل" (1 / 179) .

[1267] قال الشيخ **رحمت الله الهندي** رحمه الله: "يُفهم من هذه أن عيسى علي السلام إلى زمان عروج السماء أحيا ثلاثة أموات :
الأول : ابنة الملك كما نقله الإنجيليون الثلاثة الأوّلون . (متى 18/9-26، مرقس 21/5-42 ، لوقا 8 / 40 - 56) .
الثاني : الميت الذي نقله لوقا فقط في كتاب الحادي عشر من إنجيله (7/11-17) .
الثالث : العازار كما نقله يوحنا فقط في كتاب الحادي عشر من إنجيله" (11/1-44) . اهـ "إظهار الحق " (1 / 219)
و قال في موضع آخر "واختلف علماء المسيحية في موت الابنة المذكورة أكانت ميتة في الحقيقة أم لا" إلى أن قال" ويؤيد قول من قال إنها ما كانت ميّتة بل كانت في حالة الغشي ظاهرُ قول المسيح عليه السلام : إنّ الصبية لم تمت لكنّها نائمة، وعلى قولهم لا يكون ههنا معجزة إحياء الميت " . اهـ "إظهار الحق " (1 / 211) .

[1268] "الجواب الصحيح " (1 / 236).

وقال **القرافي** رحمه الله:
"وثانيها سلمنا أنّ الإماتة والإحياء أنفسهما كان يفعلهما لكن قد شهد الإنجيل أنّ الحواريين كانوا يفعلون ذلك بل نصّ الإنجيل على أنّ كلّ من استقام على شريعة عيسى عليه السلام أحيا ميّتا بعد مائتي سنة وأنّ إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم كانوا يحيون الموتى ، فإنْ كان هذا يدل على الربوبية والألوهية فاليكن الحواريون كلهم وداود عليه السلام آلهة مساويين للمسيح عليه السلام في الإلهية وجميع ما ينسب إليه، ولمّا لم يقل بذلك أحد دل على بطلان ما اعتمدوا عليه في إلهية عيسى عليه السلام " إلخ [1269]
وبمثله رد **الجزرجي** [1270] ، و**الترجمان** [1271] ، ورحمت **الله الهندي** [1272]

الصنف الثالث:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بخلق المسيح عليه السلام للطير على ألوهيته وربوبيته

قال **ابن القيم** رحمه الله:
"وإن جعلتموه إلها لأنّه صنع من الطين (كهيئة الطير أي) صورة طائر ثمّ نفح فيها وصارت لحما ودما وطائراً حقيقية ولا يفعل هذا إلا الله. قيل فاجعلوا موسى بن عمران إله الآلهة فإنه ألقى عصاه فصارت ثعباناً عظيما، ثمّ أمسكه بيده فصارت كما كان" [1273] اهـ

الصنف الرابع:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بإبراء المسيح عليه السلام للأبرص على ألوهيته وربوبيته

قال **الجعفري** رحمه الله:
"فأمّا تطهير الأبرص فليس فيه دلالة على ربوبية عيسى عليه السلام وألوهيته، بل ينتهض ذلك دليلا على تقريبه من ربّه ومزيته، ولو جاز أنْ يتخذ المسيح بذلك ربا لجاز ذلك في حق اليسع عليه السلام؛ إذ قد روى النصارى واليهود في كتاب سفر الملوك من كتبهم "أن

(1269) "الأجوبة الفاخرة " (ص: 65).
(1270) انظر : "بين الإسلام والمسيحية " : (ص: 137).
(1271) انظر : "تحفة الأريب " (ص: 153).
(1272) "إظهار الحق " : (1/ 91).
(1273) "هداية الحيارى " (ص: 55).

نعمان الرومي برص فرحل إلى اليسع من بلده واستأذن عليه فلم يأذن له، بل قال لرجل من أصحابه: قل له ينغمس في الأردن سبع مرّات ففعل الرجل فبرأ من برصه لوقته ورجع إلى بلده معافى فاتبعه غلام لأليسع يقال له حِجزَى وأوهمه أنّ اليسع أرسله يطلب منه مالا ففرح نعمان بذلك وأعطاه مالا وجوهراً ثمينا فأخفاه الغلام وجاء إلى اليسع فقال له اليسع: تبعت نعمان وأوهمته عنّي كذا وكذا وأخذت منه كذا وخبّأته في موضع كذا، إذْ فعلت ذلك فاليصر برصه عليك وعلى نسلك . فبرص الغلام مكانه "[1274]

"فهذا نبي الله اليسع قد فعل ما هو أعجب من فعل المسيح لأنّه أبرأ نعمان وبرّص الغلام، ونطق بالغيب، وقد أشار الإنجيل إلى طرف من القصة"

"فأمّا التوراة فهي تنطق "أنّ مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون تغَرّبت على موسى في أمر من الأمور فلمّا صعدوا إلى قبّة الزمان وكلمهم الله سبحانه تهدد مريم جداً وغضب عليها، فلمّا خرجت من القبّة نظر إليها هارون أخوها فإذا هي قد ضربت بالبرص من قرنها إلى قدمها، فرقّ لها هارون وسأل موسى أن يدعو الله لها فشفيت "[1275]

"وهذه الأنبياء قد فعلت ما هو مثل فعل المسيح وأعجب منه"[1276]اه

-.

الصنف الخامس:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بإبراء المسيح عليه السلام للأكمه على ألوهيته وربوبيته.

قال الجعفري أيضا:

"وإنْ قال النّصارى ذلك- أي إبراء المسيح للأعمى-دليل على ربوبية المسيح، قلنا لهم: لو جاز ادعاء ربوبيته بذلك لجاز للآل يوسف أن يدّعوا ربوبيته بمثله ؛ إذ التوراة تشهد بأنه أبرأ عيني والده يعقوب بعد ذهابهما ولماّ لم يجز التمسك بذلك في الربوبية لم يجز هذا. و المسيح أمر بستر ذلك ويوسف لم يأمر به ، فيدل هذا على أنه أقوى

(1274) انظر سفر "الملوك الثاني " : (5 / 20 - 27).

(1275) انظر : "سفر العدد " : (الإصحاح الثاني عشر كله).

(1276) "التخجيل " (1 / 469) .

حالا وأعظم تمكينا من غيره "(1277) اهـ.

الصنف السادس:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بإخبار المسيح عليه السلام بالمغيبات على ألوهيته وربوبيته

قال الجعفري رحمه الله:

"فإن قيل فالمسيح أخبر بالمغيبات وعرّف تلاميذه بما سيحدث في المستقبل ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه ".

"قلنا: التعلق بذلك يصلح لإثبات النبوّة والرسالة، أمّا أنّه يصلح لما تدّعونه فلا ".

"والدليل على ذلك : أنّ يوحنا وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسى وجماعة من الأصفياء قد أخبروا بالمغيبات فوقعت على وفق خبرهم؛ فأخبر نوح بالطوفان وهلاك الخلق بأسرهم إلا ّ من ركب سفينته ، وأخبر إبراهيم بأنّ ذريته يكونون في العبودية والسخرة بمصر المدة الطويلة ، وأخبر يعقوب بأنّ الله سيذكر بني إسرائيل ويخرجهم من مصر إلى بلادهم بيدٍ منيعة عزيزة قوية وأخبر موسى بشتات أمر اليهود وعبادتهم الأصنام والأوثان وإعراضهم عن طاعة الله الذي أنقذهم من سخرة فرعون وأخبر يوسف بالغلاء و المجاعة التي تعم الأرض سبع سنين وأخبر دانيال بختنصر بمغيبات كثيرة فلم يخرم مما قالوا ولم يخلف كما شهد بذلك كله التوراة والنبوّات وأربوا على المسيح في ذلك. وذلك كلّه بتعريف الله عالم الغيب فلا يظهر على غيبِه أحداً إلا ّ من ارتضى من رسول

الصنف السابع:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بتحويل المسيح عليه السلام الماء خ ُبزاً على ألوهيته وربوبيته

قال الجعفري رحمه الله:

"لو جاز أن يُدّعى في المسيح الربوبية بتحويل الماء خمرا لجاز أن يُدعى ذلك في اليسع بتحويله زيتا. فقد جاء في سفر الملوك من كتب أهل الكتاب (أن اليسع عليه السلام نزل بامرأة من بني إسرائيل فأضافته وأكرمته فلما عزم على الانصراف قال لها: هل لك

(1277) "التخجيل" : (1/180).

من حاجة؟ قالت: يا نبي الله إنّ على زوجي دَينًا قد فَدَحه وإنْ رأيت أن تدعو الله تعالى لنا بقضاء ديننا. فقال اليسع: أحضريني ما عندك من الأواني واستعيري من جيرانك ما قدرت عليه من الآنية ففعلت ذلك فأمرها فملأتها كلها ماء ثم قال اتركيها ليلتك هذه. وتركها ومضى فأصبحت المرأة وقد تحوّل ذلك كله زيتا فباعوه وقضوا دينهم)[1278]
"فهذه الآية أعجب وأغرب ولم ينقل أن اليسع امتهن وغلب وقتل وصلب، بل لم يزل آمنا في سربه إلى أن لحق بالله ربّه"[1279]
وقال أيضا:
"ولقد فعل موسى ما هو أعجب من ذلك كلّه وهو (أنه ضرب بعصاه بحر النيل بمصر فتحوّل الماء بسائر أرض مصر دما عبيطا)[1280] وكذلك (ألقى عصاه بين عصي بني إسرائيل فاهتزت شجرة ذات أغصان وأفنان وأورقت وأثمرت لوزا، فبينا هي خشبة إذ صارت شجرة خضراء مثمرة) فبطل ما عوّل النصارى عليه، فما أجابوا به عن آيتي موسى واليسع فهو جواب لنا عن آية المسيح"[1281]

الصنف الثامن:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بتكثير المسيح عليه السلام القليل من الطعام على ألوهيته وربوبيته.

قال: ابن القيم: رحمه الله:

"وإن جعلتموه إلها لكونه أطعم من أرغفة يسيرة آلافا من الناس[1282]

(1278) انظر: "سفر الملوك الثاني" : (4 / 1 - 7).

(1279) "التخجيل" (1 / 220 - 223).

(1280) انظر: "سفر الخروج" : (7 / 14 - 21).

(1281) "التخجيل" (1 / 224).

(1282) "متى" (14/13ـ21) ؛ "مرقس" (6/ 30ـ44) ؛ "لوقا" (9/ 10ـ17) ؛ "يوحنا" (6/1ـ14) قال "يوحنا" (6/8ـ15) : (قال له واحد من تلاميذه وهو أندراوس أخو سمعان بطرس . هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء . فقال يوسع اجعلوا الناس يتكئون . وكان في المكان عشب كثير . فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف . وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء فجمعوا وملأوا اثنتي عشرة قـ ُقة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التي فضلت عن الآكلين ، فلما رأى الناس الآية التي صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم).

فهذا موسى قد أطعم أمته أربعين سنة من المنّ والسلوى[1283] وهذا محمّد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم أطعم العسكر كله من زاد يسير جدا حتى شبعوا وملأوا أوعيتهم وسقاء هم كلهم من ماء يسير (لا يغمر) اليد حتى ملأوا كل سقاء العسكر وهذا منقول عنه بـ التواتر"

وبنحوه رد **الجعفري**[1284] و**الترجمان**[1285] وشيخ الإسلام **ابن تيمية**[1286]

الصنف التاسع:

-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بمشي المسيح عليه السلام على الماء على ألوهيته وربوبيته.

قال **الجعفري** رحمه اللّه:

"فأما مشيه على الماء فليس فيه مستروَحٌ في دعوى ربوبيته، فغايته أن التحق في ذلك بموسى وإلياس واليسع صلوات اللّه عليهم".

"والتوراة تنطق أن موسى ضرب البحر فانفرق طرقا وفرقا فكان كل فرق لفريق من بيت إسرائيل، حتى عبره ستمائة ألف رجل من بني إسرائيل سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان)[1287] وهذا أعجب من مشي عيسى وصاحبه على الماء إذ السفن تساويهما في ذلك فلو كان عيسى ربا بذلك لكان موسى أولى؛ لما ظهر من عظيم فعله وجسيم نبله".

"وقد جاء في سفر الملوك من كتبهم: (أن إلياس عليه السلام انتهى إلى الأردن ومعه صاحبه اليسع فنزع إلياس عمامته وضرب بها الأردن فيبس له الماء وناول عمامته اليسع صاحبه فلما رجع الآخر ضرب بها الماء فيبس أيضا حتى مشى عليه راجعاً)[1288] فلم يكن واحد من هؤلاء ربا بذلك"[1289]

[1283] "سفر الخروج" ن (الإصحاح السادس) وكان عددهم نحو ستمائة رجل عدا النساء و الصبيان وجمع غفير من الناس ممن خرج معهم . انظر "سفر الخروج" (12/37-42).

[1284] "التخجيل" (1/470).

[1285] "تحفة الأريب": (ض : 154).

[1286] "الجواب الصحيح" : (4/124).

[1287] انظر : "سفر التكوين" : (الإصحاح 14-15).

[1288] انظر : "سفر الملوك الثاني" : (2/1-8).

[1289] "التخجيل" : (1/138-139).

وبنحوه رد ابن القيم والترجمان
الصنف العاشر:
-استعمال القاعدة في ردّ استدلال النصارى بصعود المسيح عليه السلام إلى السماء على ألوهيته وربوبيته.
قال ابن القيم : رحمه الله:
"وإن قلتم إنّما جعلناه إلها لأنّه صعد إلى السماء فهذا أخنوخ وإلياس قد صعدوا إلى السماء وهما حيان مكرمان لم تشكهما شوكة ولا طمع فيهما طامع ".
"والمسلمون مجمعون على أن محمدا صلى الله عليه وسلم صعد إلى السماء هو عبد محض ، وهذه الملائكة تصعد إلى السماء وهذه أرواح المؤمنين تصعد إلى السماء بعد مفارقتها الأبدان ولا تخرج بذلك عن العبودية ، وهل كان الصعود إلى السماء مخرجا من العبودية بوجه من الوجوه " اهـ .
وبنحوه رد الجعفري والترجمان
استعمال القاعدة في الرد على استدلال النصارى بورود تسمية المسيح عليه السلام بـ"الرب" و"الإله" في كتبهم على ألوهيته وربوبيته.
زعم النصارى أنّ مما يدل على ربوبية المسيح وألوهيته ورود تسميته بذلك في العهد الجديد فبين لهم علماء المسلمين خطأهم في ذلك معتمدين في بيان ذلك على أدلة متعددة منها قاعدة :
"حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"
نقل شيخ الإسلام بن تيمية عن الحسن بن أيوب قوله رحمه الله:
"فإن قلتم إنّ الفرق بين المسيح وسائر الأنبياء من قِبل أنّ الله سمّاه ربّا فقال "ابن البشر رب السبت[1290] قلنا : قد سمّى الله جلّ ثناؤه يوسف ربا ، قال داود في مزمور مائة وخمسة : "وللعبودية بيع يوسف وشدوّا بالكبول رجليه وبالحديد دخلت نفسه حتى صدقت كلمته قول الرب جربه بعث الملك فخلا ّه وسيّره مسلطا على شعبه وربا على بنيه ومسلطا فتيانه " [1291]
فإن كان المسيح إلها لأنّه سمّي ربا فيوسف ومن سمّي في كتبهم

(1290) انظر : "إنجيل لوقا " : (6 / 5).
(1291) انظر : "سفر المزامير " : (105 / 17 - 21).

بذلك إذاً آلهة لأنّهم سمّوا بمثل ذلك "[1292]
ونقل عنه أيضا قوله:
"فإن قلتم إن الأنبياء قد تنبأت بإلهية المسيح فقال أشعياء " العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعى اسمه "عمانويل " وتفسيره معنا إلهنا"[1293] قلنا إنّ هذا الاسم يعاره السيد الشريف من الناس وإن كان الله عز وجل المنفرد بمعنى الإلهية جل ثناؤه فقد قال في التوراة لموسى عليه السلام " (قد جعلتك لهارون إلها وجعلته لك نبيا)[1294] وقال في موضع آخر (قد جعلتك يا موسى إلها لفرعون)[1295] وقال داود في الزبور لمن عنده حكمة: (كلكم آلهة ومن العلية تدعون). فإن قلتم إنّ الله عز وجل جعل موسى إلها لهارون على معنى الرياسة عليه، قلنا وكذلك قال أشعيا في المسيح أنه إله لأمتّه على هذا المعنى وإلا ّ فما الفرق؟ "[1296] اهـ.
وقال **ابن القيم** رحمه الله :
"وإن جعلتموه إلها لأنّ الأنبياء سمته إلها وربا وسيدا ونحو ذلك فلم تزل كثير من أسماء الله عز وجل تقع على غيره عند جميع الأمم وفي سائر الكتب وما زالت الروم والفرس والهند والسريانيون (و العبرانييون) والقبط وغيرهم يسمّون ملوكهم آلهة وأربابا. وفي السفر الثاني من التوراة قصة المخرج من مصر "إني جعلتك إلها لفرعون"[1297] وقد قال أشعيا: "عرف الثور من اقتناه، والحمار من مربط ربّه ولم تعرف بنو إسرائيل "[1298] يعني خالقهم. وقد سمّى الله عبده بالملك كما سمّى نفسه بذلك وسمّى نبيّه بـ الرؤوف الرحيم كما سمّى نفسه بذلك ، وسمّاه العزيز، وسمّى نفسه كذلك. واسم الرب واقع على غير الله تعالى في لغة أهل التوحيد كما يقال: (هو رب الدار) ورب المنزل ورب الإبل ورب المتاع"[1299] اهـ.

(1292) "الجواب الصحيح " (4 / 134) ، (4 / 139).
(1293) انظر : "سفر أشعياء " : (7 / 14).
(1294) انظر : "سفر الخروج " : (4 / 14 - 17).
(1295) انظر : "سفر الخروج " : (7 / 1).
(1296) "الجواب الصحيح " (4 / 140).
(1297) انظر : "سفر الخروج " : (7 / 1).
(1298) انظر: "سفر أشعياء": (3/1). لكن في النسخة التي بين يدي عبارة: "والحمار معلف صاحبه " بدلا من "النص الذيذكره المؤلف "والحمار مربط ربه"
(1299) "هداية الحيارى " (ص : 505)

استعمال القاعدة في الرد على ادعاء النصارى أبوّة الله للمسيح لورود تسميته "بالأب" وبنوّة المسيح له سبحانه لورود تسميته بـ"بابن الله" في كتبهم

زعم النصارى أنّ مما يدل على ربوبية المسيح وألوهيته ورود تسميته بذلك في العهد الجديد فبين لهم علماء المسلمين خطأهم في ذلك معتمدين في بيان ذلك على أدلة متعددة منها قاعدة :

"حُكمُ الشّيءِ حُكمُ مِثْلِهِ"

قال الجعفري رحمه الله:

"فليعلم اللبيب أنّ قول المسيح يا (أبت) إن صح ذلك عنه كقول بطرس للمسيح (يا أبت) وكقول التلاميذ لبطرس (يا أبت) . وعند الوقوف على هذه المواضع تنحل عقود النصارى في دعوى بنوّة المسيح وينفصم عراهم فلا يحاولون انفصالا إلا ّ وينعكس عليهم في بنوّة المسيح .

ويقال لهم : هل أبوّة يوسف لأخيه بنيامين ولملك مصر إلا ّ كأبوّة الله للمسيح ؟! وهل بنّوة المسيح لله إلا ّ كبنوة إسرائيل وداود وأولاد الشهيد من ابني آدم كما حكوا عن التوراة والكتب القديمة "[1300]

وقال أيضاً :

"قلّ ما رأيت لفظة الابن في كتبهم إلا ّ مقرونة بالعبودية والعبد كقول التوراة: (إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني)[1301] إلى أن قال: "فإذا كان إسرائيل ابن الله وبكره فأي مزية للمسيح عليه وعلى غيره في هذه البنوة وقد نقلوا في كتبهم أن الله سمى الصالحين من عباده، والمتقين من خلقه أبناء فما نرى المسيح إلا نسج له على منوال من تقدّمه من صلحاء عباد الله **فإن لم يصحّ هذا النقل فلا بنوّة وإن كان صحيحا فلا مزية**. فإن كان ذلك كذلك فلا معنى لإ طنابهم في بنوّة المسيح. وتخصيص التأويل بمن وردت تسميتهم بذلك كداود وإسرائيل وغيرهما ما إليه من سبيل.

وقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدعي بنانا في البيان ، فأفضى الحديث إلى ذكر الابن والبنوّة ، فألزمته قول التوراة (ابني بكري) وقلت له : لعل البكر يكون أحظى عند والده وأولى بطريف برّه

(1300) "التخجيل" (1/ 257)

(1301) انظر : "سفر الخروج" : (22-23).

وتالده فما تقول في بنوّة إسرائيل؟ فقال إسرائيل وغيره ابن النعمة ، والمسيح ابن على الحقيقة فعكّست عليه كلامه فتبلّد واختزى ولجأ إلى ضعف العبارة واعتزى "[1302] اهـ.

وإنّما آل أمر الراهب إلى هذا لأنه محجوج بقاعدة: "حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"

وقال القرافي رحمه الله:

"ومنهم"ـ أي النصارى ـ "من قال: بل لأنه سمّاه ابنه. وهو باطل لما في التوراة من أنّ الله قال لموسى عليه السلام (ابني بكري إسرائيل) والبكر أجل الأولاد فيعقوب عليه السلام أولى بالبنوّة"[1303] اهـ.

وممن اعتمد على هذه القاعدة في رد هذا الزعم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع[1304]

استعمال القاعدة في الرد على ادعاء النصارى الحلول والاتحاد في المسيح عليه السلام بناءا على تأييده بروح القدس

زعم النصارى أنّ مما يدل على اتحاد المسيح بالله وحلوله فيه سبحانه وتعالى تأييده بروح القدس فرد عليهم علماء المسلمين بما يشفي مريضهم ويروي غليلهم معتمدين في بيان ذلك على عدّة أدلة منها قاعدة : "حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"وهذا الذي تسميه الأنبياء روح القدس لم يختص به المسيح باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل قد أنزله على غيره من الأنبياء و الصالحين كما هو موجود في كتبهم إنّ روح القدس كانت في داود وغيره وكانت أيضا عندهم في الحواريي وهكذا خاتم الرسل كان يقول لحسان بن ثابت "إنّ رُوحَ القُدُسِ مَعَكَ مَا دُمْتَ تُدَافِعُ عَنْ نَبِيِّه "[1305]

ويقول: "اللهُمّ أيّدْهُ بِرُوحِ القُدُسِ"[1306] وقد قال الله تعالى عن عباده المؤمنين ﴿لا تجدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ

(1302) "التخجيل" : (1/245-259) .

(1303) "الأجوبة الفاخرة" : (ص 141) .

(1304) انظر : الجواب الصحيح" : (3/454) ، (3/133-134) ، (3/193-194) .

(1305) رواه البخاري بلفظ متقارب "البخاري" (3/1176)، رقم: [3040]، ومسلم (4/1932)، رقم: [2485].

(1306) "المصدر السابق"

يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ}.[1307]

فروح القدس لا اختصاص للمسيح عليه السلام بها بل ما يفسر به اسم الابن واسم روح القدس ، وغير ذلك مما وصف به المسيح ، فهو مشترك بينه وبين غيره من الرسل وإذا فسروا الحلول بظهور نور الله وعلمه وهداه في الأنبياء فهذا حق وهم مشترك بين المسيح وغيره . وأمّا ذات الله فلم تحلّ في أحد من البشر"[1308]

وقال **الجعفري** رحمه الله:

"والدليل على مساواة المسيح غيره في هذه الروح والتأييد بها قول لوقا في إنجيله "قال يسوع لتلاميذه : إن أباكم السماوي يعطي روح القدس للذين يسألونه"[1309] والدليل عليه من التوراة قول الله لموسى (اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك، فيحملوا عنك ثقل هذا الشعب. ففعل موسى فأفاض عليهم من روحه فتنبؤا لساعتهم)[1310]

وقال في التوراة أيضا في حق يوسف الصديق (يقول الملك هل رأيتم مثل هذا الفتى الذي روح الله حال فيه)[1311]

والدليل عليه من نبوّة دانيال (أن روح الله حلت على دانيال) وفي التوراة أيضا (أن موسى لمّا توفي امتلأ يوشع خادمه من روح القدس ؛ لأنّ موسى قد كان وضع يده على رأسه)[1312]

فقد استوت الحال بين المسيح وبين من ذكرنا في تشريفه بهذه الروح. وقد قال الله في الكتاب العزيز في حق إخواننا المسلمين :{وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}.[1313]

فما أجاب النصارى به عن حلول الروح على هؤلاء فهو جواب لنا عن حلوله على من يدّعونه[1314]

(1307) سورة المجادلة : (آية : 22).

(1308) "الجواب الصحيح" : (135 / 136 - 135).

(1309) انظر : "إنجيل لوقا" : (11 / 13).

(1310) انظر : "سفر العدد" : (11 / 16 - 25).

(1311) انظر : "سفر التكوين" : (41 / 38).

(1312) انظر : "سفر التثنية" : (34 / 9).

(1313) "سورة المجادلة" : (آية : 22).

(1314) "التخجيل" : (1 / 127).

وفي إنجيل لوقا : (إن يوحنا المعمدان امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمّه)[1315] وقال لوقا في إنجيله (كان في بيت المقدّس رجل يقال له سمعان ينتظر عزاء إسرائيل كانت روح القدس تحل فيه)[1316]

وقال يوحنا التلميذ في إنجيله (كل إنسان لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت اللّه)[1317]

وقال فولس الرسول في رسالته الأولى لإخوانه: (أولا تعلمون أنكم هياكل اللّه وأنّ روح اللّه حال فيكم، ومن يفسد هيكل اللّه يفسد اللّه)[1318] وذلك كله مساواة المسيح غيره من الأنبياء والأولياء في حلول هذه الروح التي هي إمّا الملك أو العلم الحكمة فما أجاب به النصارى عن حلول الروح على ذكرنا وامتلائهم منها فهو جواب لنا عن قول جبريل لمريم روح (القدس تحل عليك)[1319][1320] اهـ .

استعمال القاعدة في الرد على استدلالات النصارى الفاسدة

لقد حمّل النصارى كثيرا من نصوص القرآن ومن كتابهم المقدّس ما لا تحتمل من احتمالات فاسدة ليتعلقوا بها في إثبات عقائدهم الباطلة فردّ عليهم علماء المسلمين استدلالاتهم السقيمة منطلقين من عدة أدلة ومن أكبر منطلقاتهم في ذلك قاعدة: "**حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ**"

فقد نقل الطيبي رحمه اللّه في شرح المشكاة: "أن مسلما كان يتلو القرآن فسمع قسيس هذا القول: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ ([1321])

فقال : (إن هذا القول يصدّق ديننا ويخالف ملة الإسلام؛ لأن فيه اعترافا بأنّ عيسى عليه السلام روح . هو بعض من اللّه). فكان علي بن حسين بن الواقد مصنف كتاب (النظير) حاضرا هناك، فأجاب بأن اللّه قال مثل هذا القول في حق المخلوقات كلها ﴿

(1315) انظر : "إنجيل لوقا " : (1 / 41).
(1316) انظر : "إنجيل لوقا " : (2 / 25).
(1317) انظر : "إنجيل يوحنا " : (3 / 3).
(1318) انظر : "رسالة بولس إلى أهل كورنثوس " : (6 / 16 - 17).
(1319) انظر : "إنجيل لوقا " : (1 / 35).
(1320) "التخجيل " : (1 / 407 - 408) .
(1321) "سورة النساء " : (آية : 171).

وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأ َرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ}.[1322]
فلو كان معنى روح منه روح بعض منه، أو جزء منه، فيكون معنى {جَمِيعًا مِنْهُ} أيضا على قولك مثله، فيلزم أن تكون جميع المخلوقات آلهة، فأنصف القسيس وآمن"

(1322) "سورة الجاثية" : (آية : 13).

وجه اسعمال القاعدة:
فقد ألزمه بحمل معنى {جميعا منه} على ما حمل عليه {وروح منه} فيكون جميع المخلوقات آلهة تسوية بين المتماثلين لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ" وهذا يقطعه لذلك لم يملك أمام هذا الإلزام المتين -بعد هداية الله -إلا ّ الدخول في الإسلام.
ونقل شيخ الإسلام عن الحسن بن أيوب رحمهما الله قوله: "فإن قلتم: إنّ المسيح قد قال في الإنجيل : (أنا قبل إبراهيم)[1323] فكيف يكون قبل إبراهيم وإنما هو من ولده ؟ ولكن لمّا قال إبراهيم علمنا ما أراد أنّه قبل إبراهيم من جهة الإلهية .
قلنا : هذا سليمان بن داود يقول في حكمته (أنا قبل الدنيا وكنت مع الله حيث بدأ الأرض)[1324] فما الفرق بينه وبين من قال إنّ سليمان ابن الله ، وأنه إنما قال أنا قبل الدنيا بالإلهية ، وقد قال داود أيضا في الزبور: (ذكرتك يا رب من البدء وهديت بكل أعمالك)[1325] فإن قلتم إن كلام سليمان بن داود متأول لأنهما من ولد إسرائيل وليس يجوز أن يكونا قبل الدنيا.
قلنا : وكذلك قول المسيح أن قبل الدنيا متأول لأنه من ولد إبراهيم ، ولا يجوز أن يكون قبل إبراهيم فإن تأولتم تأولنا، وإن تعلقتم بظاهر الخبر في المسيح تعلقنا بظاهر الخبر في سليمان وداود، وإلا ّ فما الفرق؟ "[1326]

وجه استعمال القاعدة:
فقد استدل بمعني قاعدة : "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ" وإن لم يستعمل لفظها في منع الفرق بين المتأولَين
وقال الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله:
"استدل البعض من الفرقة المسيحية في بلدة دهلي في إثبات التثليث بقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم بأنه أخذ فيه ثلاثة أسماء ، فيدل على التثليث فأجاب بعض الظرفاء : إنّك قصرت ، عليك أن تستدل بالقرآن على التسبيع ووجود سبعة آلهة بمبدأ سورة المؤمن، وهو هكذا {حَم تنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّه ِ العَزِيزِ

(1323) انظر : إنجيل يوحنا " : (8 / 58).
(1324) انظر : "سفر الأمثال " : (8 / 21 - 31).
(1325) انظر : "سفر المزامير " : (119 / 52 - 56).
(1326) نقله عنه شيخ الإسلام في "الجواب الصحيح " (4 / 141-142) .

العَلِيمِ غَافِرِ الذّنْبِ وَقَابِلِ التّوبِ شَدِيدِ العِقَابِ ذِي الطّولِ}.[1327]
بل عليك أن تقول إته يثبت وجود سبعة عشر إلها من القرآن بثلاث آيات من آخر سورة الحشر التي ذكر فيها سبعة عشر اسما من أسماء الذات والصفات متوالية "[1328]

استعمال القاعدة في الرد على عقيدة التغطيس

قال الترجمان رحمه الله:
"اعلموا رحمكم الله أن لوقا قال في إنجيله : (إن عيسى عليه السلام قال: من تغطس دخل الجنة، ومن لم يتغطس فله جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا)[1329] فمن أجل هذا النص يعتقد النصارى أنه لا يمكن دخول الجنة إلا بالتغطيس فيقال لهم : ما تقولون في إبراهيم وإسحاق ويعقوب وجميع الأنبياء أفي الجنة هم أم لا؟ فلا بد أن يقولوا هم في الجنة .
فيقال لهم ما تقولون في آدم ونوح وذريته لصلبه ، فإنهم ما اختتنوا ولا تغطسوا قط وهم في الجنة بنص أناجيلكم وإجماع علمائكم ، وليس لهم عن هذا جواب البتة .[1330] " اهـ.

استعمال القاعدة في إثبات بشرية المسيح لمساواته لغيره في عوارضها

قال الرسي رحمه الله:
فأمّا إن جعلوها-أي مريم عليها السلام-من طريق ما يعقل أُمًا له–أي المسيح عليه السلام-فقد جعلوها في الطبيعة لا محالة مثله، وإذا كان ذلك فيهما كذلك جعلوه صاغرين كأمّه إنسانا لا ربًا ولا إلها، إذ هو منها ومن نسلها؛ آباؤه آباؤها، وغذاؤها غذاؤه، فاليُقْهم هذا من أمره وأمرها.
وكان الناس كلهم إذ هو مثلهم في ذلك له أمثالا ً وأشباهاً لا افتراق بينه وبينهم في الإنسية، ولا تفاوت بينه وبين جميعهم في الجنسية؛ ولذلك كان يطعم صلى الله عليه كما يطعمون، ويألم مما يؤلمهم كما يألمون، ويقيمه كما يقيمهم الطعام والشراب، ويعرض له الحزن والغموم.

(1327) "سورة غافر" : (1-3).
(1328) "إظهار الحق" : (1/93).
(1329) النص في "إنجيل مرقس" : 16/16).
(1330) "تحفة الأريب" : (ص: 137).

وفيما قلنا به والحمد لله من ذلك، وأن عيسى صلى اللّه عليه كذلك ما يقول اللّه سبحانه: ﴿مَا المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبَلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كانَا يَأْكُلا نِ الطَّعَامَ انْظُرْ كيفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الآ يَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (1331)

فأي آية أدل لهم على أنه مثلهم من أكله الطعام لو كانوا يعقلون! فقد جهلوا من هذا وَيْلَهم ما لم يجهل قوم نوح إذ يقولون: ﴿مَا هَذَا إلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ. وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إنَّكُمْ إذاً لَخَاسِرُونَ﴾ (1332) (1333)

وقال الجاحظ:

"وسنسألهم " – أي النصارى - "إن شاء اللّه ، ونجيب عنهم ، ونستقصي لهم في جواباتهم ، كما سألنا لهم أنفسنا ، واستقصينا لهم مسائلهم . فيقال لهم:

هل يخلو المسيح أن يكون إنسانا بلا إله، أو إلها بلا إنسان، أو يكون إلها وإنسانا؟

فإن زعموا أنه كان إلها بلا إنسان، قلنا لهم : فهو الذي كان صغيرا ، فشبّ، والتحى ، والذي كان يأكل ، ويشرب، وينجو، ويبول ، وقتل ـ بزعمكم ـ وصلب ، وولدته مريم ، وأرضعته ، أم كان غيره هو الذي كان يأكل ، ويشرب على ما وصفنا ؟

فأي شيء معنى الإنسان إلا ما وصفنا وعددنا ؟ وكيف يكون إلها بلا إنسان وهو الموصوف بجميع صفات الإنسان ؟ وليس القول في غيره ممن صفته كصفته إلا كالقول فيه كاشتمالها على غيره" الخ (1334)

ثانيا:

فيما يتعلق بعقيدتهم الفاسدة في الإسلام

نتج عن بطلان عقائد النصارى وكفرانهم بالمسيح عليه السلام فسادُ عقيدتهم في الإسلام وإطلاق عنان ألسنتهم ، ومداد أقلامهم في الطعن فيه وفي أهله ، فحشدوا آلافا مؤلفة من الشبهات وركاما هائلا من

(1331) "سورة المائدة " : (آية : 75).

(1332) "سورة المؤمنون " : (33 - 35).

(1333) انظر : "الرد على النصارى " للإمام القاسم بن إبراهيم الرسي . (20-22) .

(1334) "الرد على النصارى " لعمرو بن بحر الجاحظ . (ص : 89)

الطعنات يصوبونها تجاه الإسلام والمسلمين.
وهذه الطعون والشبهات كلها ترجع إلى أصل واحد ليس إلا . ألا وهو: إنكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم متنوعِين في التعبير عن ذلك الإنكار.
-فتارة يطعنون في صلاحيته بمقام النبوة عن طريق الطعن في عصمته وشخصه.
-وتارة يطعنون في القرآن الكريم ليتوصلوا بذلك إلى القول بأنه من افتعاله ، وما كان له ليفتعله إلا لأنه غير صادق في دعوته ونبوته .
-وتارة يطعنون في أصحابه كهدف أساس ؛ وهو أنه فشل في تربية أقرب الناس إليه وألصقهم به ، وما ذلك إلا لأنه غير موحى إليه في سياسته وتدبيره وإذا عجز عن تربية من هم عنده بتلك المنزلة فنحن الذين لم نكن في زمنه من باب أولى.
وهدف مساعد وهو الطعن في نقلة دينه وكتابه وسنته ليشككوا أتباعه في أمره.
-وتارة يطعنون في عقيدة الإسلام وشريعته؛ ليتوصلوا بذلك إلى أن سبب توجّه الطعن إليهما كونهما ليسا من عند الله، بل من افترائه وانتحاله.
إذًا ، فمسألة المسائل في هذا الباب من جانبهم إنكار نبوته صلى الله عليه وسلم، ومن جانبنا إثباتها ، وإن كانت ثابتة ثبوتا ذاتيا لا تحتاج إلى محاولات خارجية ذلك لأن تلك الشبهات التي يدندن حولها النصارى شبهات باطلة ، ما من شبهة منها إلا وتحمل دليل بطلانها معها لكن ليس كل الناس يهتدي لذلك؛ فنهض علماء المسلمين لرضها، وتفننوا في ردّها، وتفنيدها كما تفنن آلئك في إثارتها وإيرادها.
ومن أساليبهم في ذلك معارضة ما يثيرون من الشبهات ضد الإسلام بمثلها في ديانتهم ليثبتوا بذلك ضرورة إلحاق دينهم بدين الإسلام في قفص تلك الاتهامات الباطلة أو تبرئته منها إن كان دينهم عن ذلك براء ؛ لأنّ "حُكْمَ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ" والنظير يأخذ حكم نظيره فغدت ردودهم قوية راسخة تروي الغليل وتشفي العليل . وهذه نماذج من ردودهم في ذلك.
-استعمال القاعدة في الاستدلال بآيات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على صحة نبوته
يعتقد النصارى أن من أدلة إثبات النبوة ظهور المعجزات على يد

مدعيها؛ وعليه فيلزم إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث إنه قد جاء بالمعجزات كما جاء بها غيره وحكم دلالة معجزات غيره كحكم دلالة معجزاته غيره فإن **"حُكْمَ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"** قال الرازي:

"إنه جاء نصراني من أكابر علماء النصرانية يدّعي التحقيق والتقرير لدينه ، فذهبت إليه، وشرعنا في الحديث .
فقال لي : ما الدليل على نبوة محمد؟
فقلت كما نقل إلينا ظهور الخارق على يد موسى وعيسى وغيرهما من ا لأنبياء عليهم السلام ، نقل إلينا أيضا ظهور الخارق على يد محمد عليه السلام . فإن رددنا التواتر أو قبلنا لكن قلنا إن المعجزة لا تدل على الصدق فحينئذ تبطل نبوة سائر الأنبياء ، وإن اعترفنا بصحة التواتر ، واعترفنا بدلالة المعجزة على الصدق ، ثم إنهما حاصلان في حق محمد عليه السلام ، وجب الاعتراف قطعيا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ضرورة أن عند الاستواء في الدليل لا بد من الاستواء في حصول المدلول "[1335] اهـ.

وجه استعمال القاعدة:

استعمل الرازي معنى قاعدة : **"حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"** ومفهومها وإن لم يستعمل لفظها وصيغتها ليثبت نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وليرد على النصارى إنكارهم لها من خلال هذا المقتطف من مناظرته مع هذا النصراني فبين فيها:
-أن محمدصلى الله عليه وسلم جاء بالآيات كما جاءت بها الأنبياء قبله مثل عيسى[1336] وموسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام
-وأن نقل آيات محمد صلى الله عليه وسلم نقل متواتر كما أن نقل ذلك عن موسى وعيسى عليهما السلام كذلك، وعليه فإنه إذا كانت المعجزة دليل الصدق في دعوى النبوة ، والتواتر دليل صحيح ، ثبتت نبوة موسى وعيسى عليهما السلام ، ولا يصوغ إنكارها . ويلزم من إثباتها

[1335] "مناظرة في الرد على النصارى " : (ص : 21).
[1336] لكن سيعترض النصراني على الرازي بأنه لا يقول بنبوة المسيح إنما يقول بألوهيته وقد اعترض عليه بهذا بالفعل أنظر المناظرة : (ص :22) لكن مع ذلك تبقى الحجة لازمة ذلك لأنه يعترف بنبوة موسى كما ألزم من ناحية أخرى وهي أن هذه الآيات بما أنها وجدت في حق موسى ومحمد عليهما السلام فإن أثبت ألوهيته بذلك فليثبت إلهية كل منهما وكل من وجد فيه مثل هذه الآيات كما مر قريبا.

فيهما بهذا الدليل إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن إنكارها فيه إنكارها فيهما ، لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ" فالدليل الموجود في موسى وعيسى ، هو نفسه الموجود في محمد عليهم السلام . ومن المتقرر عند كافة العقلاء المنصفين أنه إذا استوى شيئان في سبب الحصول على شيء معين استويا في الحصول على ذلك الشيء لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ".

والشيء الذي يُسعى في تحصيله في مسألتنا هو النبوة ، ودليل الحصول عليها نقل المعجزة علي سبيل التواتر، وقد وجد ذلك في محمد صلى الله عليه وسلم كما وجد في موسى و عيسى عليهما السلام، فاليكن الحكم واحدا كما كان الدليل واحدا؛ تسوية بين متماثلين ؛ لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"

وقال ابن تيمية:

"فإن من جعل المعجزات دليلا على نبوة نبي ، وقال : المعجزة هي الفعل الخارق للعادة المقرون بالتحدي ، السالم من المعارضة ، ونحو ذلك مما يذكر في هذا المقام ، وجعلوا ذلك دليلا على نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء.

قيل له : إن كان هذا دليلا ، فهو دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن دليلا لم يكن دليلا على نبوة موسى وعيسى ؛ فإنه قد ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره" (1337)

إلى أن قال : "فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر ، مع أن دلالة الصدق فيهما واحدة ، بل هي في الذي كذبتموه أظهر؟ فإن كانت حقا لزم تصديق من كذبتموه وفسد دينكم . وإن كانت باطلة ، بطل استدلالكم بها على دينكم فيمتنع التصديق بآياته مع التكذيب بآيات محمد صلى الله عليه وسلم " إلخ (1338)

وجه استعمال القاعدة:

استعمل شيخ الإسلام هذه القاعدة العظيمة في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : الوجه الذي أثبت الرازي نبوته عليه السلام في النص

(1337) "الجواب الصحيح " (2 / 44-45) .

(1338) "المصدر السابق " (2 / 49) ، (5 / 146) .

المذكور آنفا مع ضرب من الأولى وذلك في قوله : "فإنه قد ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره" وفي قوله : "بل هي في الذي كذبتموه أظهر؟" أي دلالة الصدق وهذا سيأتي في قاعدة الأولويات.

الوجه الثاني: توبيخ النصارى في تفريقهم بين المتماثلين في قوله "فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر ، مع أن دلالة الصدق فيهما واحدة" وهذا توبيخ متجه للغاية ، ويرجع توجّهه لا إلى أن شيخ الإسلام ذكره ، بل لأنه مخالف لمدلول قاعدة: **"حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"** وحسبك بها دليلا.

الوجه الثالث: عدم إمكانية تصديق آية من آيات نبي من الأنبياء مع تكذيب آيات النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأنهما متماثلين و"حكم الشيء حكم مثله"وهو وإن لم يستعمل لفظ القاعدة ونصها في الأوجه السابقة لكنه استدل بمعناها ومؤداها وهما في النتيجة سواء . وبنحوه رد القرافي (1339)

استعمال القاعدة في الرد على أنواع شبهات النصارى في إنكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

تنوعت شبهات النصارى في إنكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إنكارا مباشراً وتعددت حتى لا تكاد تدخل تحت حصر، وهي متفاوتة في ظلماتها، متهاوية في دركاتها فمجرد حكاية بعضها يكفي في إبطالها ولكن بعضها يحتاج إلى مناورة قبل أن يجهز عليه وهذه بعض من هذه الشبهات مع نماذج من ردود العلماء عليها معتمدين على القاعدة:

-استعمال القاعدة في الرد على إنكار النصارى نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بناء على أنه لم تبشر به الأنبياء قبله حسب زعمهم

مما يعتمد عليه كثير من النصارى في إثبات النبوة البشارات فمن ادعى النبوة وقد بشرت به الأنبياء كان نبيا صادقا ومن ادعاها ولم تبشر به كان متنبئا كاذبا ، فبين لهم علماء المسلمين أنه صلى الله عليه وسلم بشرت به الأنبياء قبله كما بشرت بالذين يعتقدون صحة نبوتهم، فيلزم على هذا الأساس أن يعترفوا بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأ

(1339) "الأجوبة الفاخرة " (ص: 143)

أن دليل غيره كدليله، و "حُكمُ الشّيء حُكمُ مِثلِهِ"
قال شيخ الإسلام ابن تيمية:
"ومما ينبغي أن يعلم أن كثيرا من النصارى إنما يعتمدون في النبوات على بشارة الأنبياء بمن يأتي بعدهم ، فيقولون : إن المسيح عليه السلام بشرت به الأنبياء قبله ، بخلاف محمد فإنه لم يبشر به نبي ، وجواب ذلك من وجهين:
أحدهما : أن يقال : بل البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة أعظم من البشارة بالمسيح عليه السلام
وإن تألوا تلك البشارات بمحمد عليه السلام بما يمنع دلالتها. قيل لهم: و اليهود يتألون بشارات المسيح بما يمنع دلالتها على المسيح
فإذا قالوا : تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة ، بُين لهم أن هذه باطلة أيضا بمثل تلك الوجوه وأقوى . فما من جنس من الأدلة يدل على نبوة موسى والمسيح ، إلا ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أوقوى وأكثر، فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن الطعن في نبوة محمد الطعن في نبوة موسى والمسيح .
الجواب الثاني : أن يقال : ليس من شرط النبي أن يبشر به من تقدمه ، كما أن موسى كان رسولا إلى فرعون ، ولم يتقدم لفرعون به بشارة وكذلك الخليل عليه وسلم أرسل إلى نمرود ولم يتقدم به بشارة إليه ، وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم هؤلاء بشارة إلى قومهم بهم مع كونهم أنبياء صادقين " إلخ (1340)

وجه استعمال القاعدة:

استعمل شيخ الإسلام هذه القاعدة بمفهومها في رد هذه الشبهة وذلك في مقامين:

المقام الأول:

مقام التسليم الجد لي على أنه لا بد لمن يبعث نبيا أن تبشر به الأ نبياء من قبله فاستعمل القاعدة في الرد عليهم من خمسة أوجه:

1. أن البشارة قد ثبتت في حقه كما ثبتت في حق غيره فيجب إثبات النبوة فيه كما وجب إثباتها في ذلك الغير لأن **"حكم الشيء حكم مثله "** وقرر ذلك بضرب من الأولى.

(1340) "المصدر السابق " (2 / 30 ، 44 - 45) .

2. أن ما يؤلون به تلك البشارات ليصرفوا النبوة عنه عليه السلام معارَض بما يؤول به اليهود بشارات المسيح عليه السلام ليمنعوا دلالتها عليه .فإذا كانت تأويلاتكم في محمد يا معشر النصارى مقبولة فلتكن تأويلات اليهود في المسيح كذلك فإن " حكم الشيء حكم مثله "ولا يجوز التفريق بين متماثلين.
3. أن إبطالهم لتلك التأويلات اليهودية في المسيح عليه السلام مقابل بإبطال المسلمين تأويلاتهم النصرانية في محمد صلى الله عليه وسلم وبنفس الوجوه فإذا ثبت بطلان تأويلات اليهود في المسيح ثبت بطلان تأويلاتهم في محمد حكما تصَقًا منبثقا من قاعدة "حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"
4. ما من جنس من الأدلة يدل على نبوة موسى وعيسى إلا ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم ، فمهما ثبتت نبوة هذين ثبتت نبوته عليهم السلام لأن الدليل واحد .ويجب عند استواء الدليل استواء المدلول لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ".
5. كل ما يطعنون به في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم موجود ذلك الشيء بعينه في موسى وعيسى عليهم السلام فيمتنع إفراده عليه السلام بالطعن في النبوة دونهما ؛ لأن في ذلك تفريقا بين المتماثلين ، ولا يجوز فإن موجب الطعن المزعوم الموجود فيه موجود فيهما أيضا فيلزم من الطعن في نبوته الطعن في نبوتهما ؛ لأن "حُكْمُ الشّيئ حُكْمُ مِثْلِهِ"

المقام الثاني:

منع أن تكون البشارة شرطا في النبوة ، والتسليم تنزلا بأنه صلى الله عليه وسلم لم تبشر به الأنبياء من قبله فإن الحكم بإنكار نبوته لهذا الوجه يلزم الحكم به في نبوة مثل موسى ونوح وهود وغيرهم ممن لم تبشر بهم الأنبياء قبلهم فيكون الحكم بإنكار نبوتهم جميعا لأن "حُكْمَ الشّيئ حُكْمُ مِثْلِهِ".

-استعمال القاعدة في الرد على إنكارهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى اتفاق أهل الكتاب على عدم الإيمان به

استدل بعض النصارى بأن اتفاق أهل الكتاب على عدم الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يدل على كذبه وعدم صحة نبوته[1341]. فرد عليهم

(1341) انظر دعوى النصراني في "هداية الحيارى " (ص : 239) .

ابن القيم في ما ملخصه:
أن القول بأن أهل الكتاب، أطبقوا على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كذب ظاهر فقد آمن به كثير منهم وعلى فرض إطباقهم على كفرانهم به فإن ذلك لا يكون قادحا في نبوته كما لم يكن قادحا في نبوة غيره مثل نوح وهود وصالح وموسى وعيسى، فقد تعرض كل واحد منهم بمثل ما تعرض به من التكذيب فكذب نوحا قومه إلا قليلا منهم ، وأطبق قوم هود وصالح على تكذيبهما ، ولم يؤمن بموسى من آل فرعون إلا رجل واحد فقط، وأطبق اليهود على تكذيب المسيح، وجحد نبوته حتى آمن به الحواريون ، ولم يكن ذلك قادحا في نبوة واحد منهم ، فكيف يكون تكذيب بعض أمة محمد عليه السلام به قادحا في نبوته ودالا على عدم صحة نبوته أليس **"حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"؟**

-استعمال القاعدة في الرد على إنكارهم نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بدعوى دلالة ما لحقه من المشاق في الدنيا على ذلك عياذا بالله.

زعم بعض النصارى أن ما ابتلى الله به رسوله صلى الله عليه وسلم من المصائب والمنغصِّات في الدنيا تدل على عدم صحة نبوته[1342]، فعارضهم علماء الإسلام بما ابتلي به أنبياؤهم؛ فتكون الحال سواء .إمّا أن يتراجعوا عن طعنهم فيه بذلك ، وإما أن يعمموا ذلك ليشمل أنبيائهم الذين تعرضوا بمثل ما تعرض له لأن **"حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"**

قال **حاطب ابن أبي بلتعة** رضي الله عنه:
لما سأله المقوقس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
"أخبرني عن صاحبك أليس هو بنبي؟"
قال قلت بلى هو رسول الله.
قال فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلده إلى غيرها؟ قال فقلت له فعيسى بن مريم تشهد بأنه رسول الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يصلبوه ألا يكون دعى عليهم بأن يهلكم الله حتى رفعه الله إليه في السماء الدنيا؟
فقال أنت حكيم جئت من عند حكيم[1343]

وجه استعمال القاعدة:

(1342) انظر تفصيل هذه الشبهة في رسالة النصراني الذي رد عليه **الطوفي** في "الانتصارات" (2 / 227 - 517).

(1343) سبق تخريجها (ص: 163).

فانظر كيف أقام رضي الله عنه الحجة على المقوقس بإلزامه الحكم على ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من المشاق في الدنيا بالحكم نفسه على ما وقع لعيسى عليه السلام منها، وهذه هي قاعدة "حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ" وقد لاحظ المقوقس هذا المعنى الجليل الذي اشتملت عليه القاعدة فلم يملك إلا أن يقول "أنت حكيم جئت من عند حكيم"

وقال الطوفي:
راداً على النصراني استدلاله بما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد وبما عانى من سكرات الموت بأنه يستحق ذلك وأن ذلك جزاء افترائه على الله؟!
"ثم لو كان لحوق المشقة في الدنيا عقوبة لوجب أن يكون إلقاء إبراهيم في النار ، وعمى إسحاق ويعقوب ، وما جرى ليوسف ، وحزن أبيه عليه ، وبلاء أيوب وما قاساه موسى وهارون من بني إسرائيل وقوم فرعون، وقتل يحى وزكريا وغيرهم من الأنبياء ، وإهانة اليهود للمسيح ، ثم قتله وصلبه وما جرى لتلاميذه بعده وقتل "جرجيس"[1344] أربع مرات ثم يعيش ، وحبس يونس في جوف الحوت ونحو ذلك عقوبات في حقهم. واحد لا يقول ذلك[1345]

وجه استعمال القاعدة:
دحض الطوفي هذه الشبهة على ضوء قاعدة "حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ" من وجهين:
1. أن لحوق المشاق في الدنيا لا يعني بالضرورة عقوبة على من لحقت به فذكر ثلاثة عشر نوعا من المشاق والمحن التي وقعت على أنبياء الله وخيرته ولم تكن عقوبة في حقهم ، فكيف تكون عقوبة في حق محمد صلى الله عليه وسلم أليس "حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"؟ فإذا كانت عقوبة في حقه فهي ولا بد عقوبة في حقهم وإلا فلا ؛ فإن "حُكْمَ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"
2. منع دلالة لحوق المشاق بالنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا على عدم صحة نبوته، فأتى بعشرة من أنبياء الله أصابهم مثل ما

(1344) "الأجوبة" (ص 143).
(1345) "الانتصارات" (2/742)، (2/722).

أصابه أو أشد وتلاميذ المسيح الذين هم رسل الله عند النصارى، وجرجيس الذي هو نبي أيضا عندهم فليطعن النصارى في أولئك وفي نبوتهم كما فعلوا في محمد صلى الله عليه وسلم لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"

-استعمال القاعدة في الرد على ادعائهم عدم كونهم مخاطبين برسالة النبي صلى الله عليه وسلم

لما رأى النصارى تدفق سيل الأدلة القاطعة على نبوة محمد ورأوا أنه لا قبل لهم به، ولن يقف على وجهه شيئ من نفايات التشكيك في صحتها، لجأ كثير منهم إلى اعتراف جزئي غير مباشر بنبوته عليه السلام ، فيقولون إنه نبي إلى العرب، أو إنه لم يرسل إليهم هم إلى آخر ما هنالك من الشبهات العنكبوتية التي لا تقي حرا ولا تدفع مطرًا. ويستدلون لتلك الشبهات بثلاثة أمور:

الأمر الأول:

أن القرآن عربي كما جاء فيه :{إِنّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلّكُمْ تَعْقِلُونَ}.[1346] وقوله :{بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُبِينٍ}[1347] والعربية ليست بلسانهم.

الأمر الثاني:

أن في القرآن بيان أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أرسل إلى العرب الذين لم يأتهم رسول من قبله كما قال تعالى :{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقّ مِنْ رَبّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلّهُمْ يَهْتَدُونَ}.[1348] وقوله : {لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ}.[1349]

قالوا "فلما رأينا هذا علمنا أنه لم يأت إلينا، بل إلى جاهلية العرب ، الذين قال إنه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله ، وإنه لا يلزمنا اتباعه ؛ لأننا نحن قد أتانا رسل من قبله خاطبونا بألسنتنا ، وأنذرونا بديننا " إلخ

الأمر الثالث:

أن ما يدل في القرآن على أن الله لا يقبل غير الإسلام دينا مثل قوله: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.[1350]

(1346) "سورة يوسف" : (آية : 2).

(1347) "سورة الشعراء" : (آية : 195).

(1348) "سورة السجدة" : (آية : 3).

(1349) "سورة يس" : (آية : 6).

(1350) "سورة آل عمران" : (آية : 85).

يقتضي العدل أن يكون خاصا بمن أرسل إليهم محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم قالوا: "ونعلم أن الله عدل وليس من عدله أن يطالب يوم القيامة أمة باتباع إنسان لم يأت إليهم، ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم، ولا من جهة داع من قبله "[1351]

فنسف علماء المسلمين هذه الشبهات نسفا بأدلة كثيرة لا تقف هذه الشبهات على وجهها منها قواعد كثيرة مثل قاعدة "**حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ**"[1352] وهذه نماذج من ردود العلماء عليها اعتمادا على القاعدة.

-استعمال القاعدة في الرد على أنهم ليسوا مخاطبين برسالة النبي صلى الله عليه وسلم إذ قد جاءهم رسول من قبله

رد شيخ الإسلام على هذه الشبهة قائلا:

"فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أن إثبات رسول من قبله إليكم لا يمنع إتيان رسول ثان، فإن بني إسرائيل قد بعث الله إليهم موسى عليه السلام وكانوا على شريعة التوراة ثم بعث الله تبارك وتعالى إليهم المسيح عليه السلام ووجب عليهم الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافرا وإن قال إني متمسك بالكتاب الذي أنزل إليّ فكذلك إذا أرسل الله رسولا بعد المسيح وجب الإيمان به ومن لم يؤمن به كان كافرا كما أن من لم يؤمن بالمسيح من بني إسرائيل كان كافرا[1353]

وجه استعمال القاعدة:

تدبركيف أثبت شيخ الإسلام على ضوء هذه قاعدة "**حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ**" ثلاثة أمور كل واحد منها معول عملاق يكفي لوحده في هدم هذه الشبهة وهي:

1. كما أنه لم يمتنع إرسال عيسى بعد موسى لا يمتنع إرسال محمد بعد عيسى عليهم السلام أجمعين فلا فرق بين الإمكانين فإذا كان ممكنا هناك لا يمكن أن يكون ممتنعا هنا لأن "**حُكْمَ الشّيء حُكْمُ**

[1351] انظر: رسالة "الأنطاكي" التي نقلها شيخ الإسلام في الجواب الصحيح" (1/120-123) والقرافي في "الأجوبة الفاخرة" (ص: 9).

[1352] ومنها قاعدة: " ليس للنصارى أن يستدلوا بشيء من القرآن ما داموا نصارى" ومنها قاعدة: " القرآن يؤخذ كله" ومنها قاعدة: "تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له دليل يقتضي ذلك التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور يخالفه". وهذا كله سيأتي في موضعه.

[1353] "الجواب الصحيح" (2/86-87)، (2/100).

مِثْلِهِ"

2. أنه كما وجب على أتباع موسى أن يؤمنوا بعيسى ، كذلك يجب على أتباع عيسى أن يؤمنوا بمحمد عليهم السلام فكلهم رسل الله متماثلون في أصل الرسالة فتجب التسوية بينهم في الإيمان بهم واتباعهم ؛ لأن "حُكْمَ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"
3. كما أن من لم يؤمن بعيسى بعد موسى كان كافرا ، فكذلك من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى وهذا ناتج عن الوجه الثاني فإنه حكم من أحكامه وإنما كان الحكم كما ذكر لثبوت النبوة في كل منهم ، وكل من لم يؤمن بنبي من أنبياء الله وجب عليه الإيمان به كان كافرا ولا فرق في ذلك بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين وغيره؛ لأن "حُكْمَ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"

-ثانيا استعمال القاعدة في الرد على أن كون القرآن عربيا مما يدل على أنهم ليسوا مطالبين بالإيمان به.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وأما كون القرآن أنزل باللسان العربي وحده فعنه أجوبة : أحدها : أن يقال : والتوراة إنما أنزلت باللسان العبري وحده، وموسى عليه السلاملم يكن يتكلم إلا بالعبرية، وكذلك المسيح لم يتكلم بالتوراة والإنجيل إلا وغيرهما إلا بالعبرية، وكذلك سائر الكتب لا ينزلها الله إلا بلسان واحد بلسان الذي أنزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم أولا، ثم بعد ذلك تُبلغ الكتب وكلام الأنبياء لسائر الأمم إما بأن يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب، وإما بأن يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه، وإما بأن يبين للمرسل إليه معاني ما أرسل به الرسول إليه بلسانه وإن لم يعرف سائر ما أرسل به "(1354)

إذا "لا توجد قط توراة ولا إنجيل معرب من زمن الحواريين، وإنما عربت في الأزمان المتأخرة فإذا كانت النصارى من العرب تقوم عليهم الحجة قبل محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم فكيف لا تقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم "(1355)

وجه استعمال القاعدة:

(1354) "الجواب الصحيح" (2 5).

(1355) "المصدر السابق" (2 / 9 8).

بين شيخ الإسلام فساد هذه الشبهة من أساسها على ضوء هذه القاعدة العظيمة من ثلاثة أوجه:

الأول:

القول بأن القرآن أنزل باللسان العربي مقابل بأن التوراة والإنجيل أنزلا باللسان العبراني فكما أن من خوطب بهما ممن لا يعرف لغتهما لا يكون معذورا في عدم الإيمان بهما فكذلك من خوطب بالقرآن ولا يعرف لغته لا يكون في عدم الإيمان به بذلك معذوراً بل عليه معرفة ما اشتمل عليه عن طريق تعلم تلك اللغة أو الترجمة أو التفسير كما يجب وكما حصل واقعيا من الذين خوطبوا بالتوراة والإنجيل ولا يعرفون لغتهما إذ أن **"حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"**

الثاني:

أن كون النبي صلى الله عليه وسلم لا يتكلم إلا بالعربية لا يكون عذرا لمن لا يعرف العربية في عدم الإيمان به ، شأنه شأن موسى وعيسى عليهما السلام ؛ فإنهما لم يتكلما إلا بالعبرية ولم يكن من لا يعرف لغتهما ممن خوطب بالإيمان بهما معذورا في عدم الإيمان بهما فالحالان مستويتان فيجب تسويتهما في الحكم لأن **"حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"**

الثالث:

أن الحجة تقوم على من خوطب بكتاب من كتب الله وإن لم يعرف تلك اللغة ووضح حجته رحمه الله بقوله " فإذا كانت النصارى من العرب تقوم عليهم الحجة قبل محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم فكيف لا تقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم" وفي كل هذا استعمال وذكر القاعدة بمعناها ودلالاتها وإن لم تذكر بألفاظها.

وقال **القرافي:**

" وثانيها : أن التوراة نزلت باللسان العبراني والإنجيل باللسان الرومي[1356]، فلو صح ما قاله لكانت النصارى كلهم مخطئين في اتباع التوراة فإن جميع فرقهم لا يعلمون هذا اللسان إلا " كما يعلم الروم اللسان العربي بطريق التعليم ، وأن تكون القبط كلهم والحبشة مخطئون في اتباعهم التوراة والإنجيل ، لأن الفريقين غير العبراني و الرومي ، ولو لم ينقل هذان الكتابان بلسان القبط ، وترجما كما ترجما بـ

(1356) ليس هناك دليل يجب التسليم له على أن الإنجيل منزل باللغة الرومية.

العربي لم يفهم قبطي، ولا حبشي، ولا رومي شيئا من التوراة ولا قبطي ولا حبشي شيئا من الإنجيل إلا أن يتعلموا كما يتعلمون العربي "[1357]

وجه استعمال القاعدة:

في هذا النقل رد بالقاعدة على هذه الشبهة من الوجه الأول والثالث من الأوجه الثلاثة المذكورة في كلام شيخ الإسلام لكن بطريق عكسية إلزامية . وفي كل هذا استعمال لمعنى القاعدة كما سبق .

-استعمال القاعدة في الرد على طعونهم في بعض نصوص الكتاب والسنة

إن فكرة الطعن في آيات القرآن العظيم من قبل النصارى فكرة عفا عليها الزمن ، فقد مر بنا اعتراض نصارى نجران على نسبة مريم رضي الله عنها إلى عمران كما في حديث **المغيرة ابن شعبة** وإجابة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بأنهم كانوا يتسمون بأسماء الصالحين منهم[1358] وكما أرسل هرقل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بمجموعة من الأسئلة منها قوله : أنك تعد من اتبعك بجنة عرضها السماوات والأرض فأين النار؟ فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم قائلا : سبحان الله فأين الليل إذا جاء النهار؟[1359]

وقد اتبع النصارى أسلافهم في هذا المنهج حذو القذّة بالقذة إلى يومنا هذا ، وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وكانت طعونهم الموجهة نحوها مصبوبة في قوالب متعددة ، فتارة يستدلون بها على عقائدهم الفاسدة ، وتارة يضربون بعضها ببعض ليتوصلوا إلى القول بأن فيه تناقضا وهكذا . وشأنهم مع الآيات القرآنية كشأنهم مع الأحاديث النبوية سواء بسواء وكان للعلماء في دحض هذه المزاعم والمفتريات مسالك متعددة ، منها مسلك الاعتماد على قاعدة "**حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ**" وبما أن الردود عليهم بخصوص هذه المسألة ستأتي في قاعدة مستقلة ، أكتفي هنا بضرب مثالين اثنين أحدهما من الكتاب والثاني من السنة.

من الأمثلة المتعلقة بالقرآن الكريم:

شنع بعض النصارى على نسبة مريم أم المسيح عليهما السلام إلى عمران بنتا وإلى هارون أختا في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي

(1357) " الأجوبة الفاخرة " (10).
(1358) انظر الحديث في (ص : 113) من هذا البحث.
(1359) سبقت هذه القصة (ص : 112) من هذا البحث.

أحْصَنَتْ فَرْجَهَا}. الآية (1360)

وقوله: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً}. (1361)
بأنه خطأ محض ، إذ كيف تكون أخت هارون ابنة عمران هي أم المسيح وبينهما مئات السنين (1362)

فرد عليهم القرافي بوجوه منها قوله:

"سلمنا إن اسم أبيها ليس عمران[1363]، إلا أن عمران أبو موسى عليه السلام جدها من بني إسرائيل ، والإنسان يضاف لجده القريب ولولا ذلك لبطلت التوراة والإنجيل في تسمية البطون والأشعاب المتأخرة عن يعقوب عليه السلام لأن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل ولم يلدهم ، بل بينه وبينهم المئون من السنين ، ومع ذلك فكل من جاء إلى يوم القيامة يسمى من بني إسرائيل . وهذا لا غرو فيه وإنما ينكر ذلك من هو جاهل بوضع اللغات وموارد الاستعمالات ، وكذلك كل إنسان يولد إلى يوم القيامة يسمى ابن آدم عليه السلام ولم تزل العرب وغيرها من الأمم تضيف الإنسان إلى أجداده دون أبيه إذا كان أشرف أو أشهر ، وعمران عليه عليه السلام كان في غاية الشهرة، فلذلك أضيفت إليه ليتحقق مورد الثناء ، ومحل الابتلاء فيها دون غيرها (1364)

وجه استعمال القاعدة:

تأمّل كيف ألزم القرافي النصارى بتخطئة بني إسرائيل عن بكرة أبيهم في انتسابهم إلى يعقوب والذي هو إسرائيل بل وبني آدم من أولهم إلى آخرهم في انتسابهم إلى أبيهم آدم عليه السلام ، و النصارى لا يقولون بخطأ هذه النسبة بل يسلمون صحتها فإذا كان ذلك كذلك فلِم لا يسلمون صحة نسبة مريم إلى عمران والعلة فيهم واحدة وهي نسبة الابن إلى الأشهر أو الأشرف من أجداده وفي هذا إلزام النصارى بحكم من أحكام قاعدة **"حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"** وهو

(1360) "سورة التحريم" : (آية : 12).
(1361) "سورة مريم" : (آية : 28).
(1362) جاء في العهد القديم أن لموسى وهارون عليهما السلام أختا تسمى مريم . انظر: "سفر أخبار الأيام الأول": (6:3). وقد أورد نفس الإشكال على المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هلا أخبرتهم بأنهم كانوا يتسمون بأسماء الصالحين منهم " سبق الحديث (ص : 113).
(1363) سلم القرافي رحمه الله هذا القول جدلا وإن كان التسليم هنا غير مناسب؛ لأن فيه تنازلا عن ما في القرآن الكريم . والله أعلم.
(1364) "الأجوبة الفاخرة" (ص : 62) .

عدم جواز التفريق بين المتماثلين ووجوب التسوية بينهما.
من الأمثلة المتعلقة ببعض الأحاديث النبوية
اعترض بعض النصارى على حديث المعراج ، واستبعدوا ما جاء فيه من الغيبيات التي اطلع الله عليها رسوله صلى الله عليه وسلم.
فرد عليهم **الطوفي** قائلا:
"وحديث المعراج، وما جرى فيه مما يجب تسلمه عن صاحب الشريعة إذ لا طريق إليه إلا من جهته، كما كان يخبر موسى بما يجري له مع ربه على الطور ، وكما أخبر المسيح أنّه يصعد إلى أبيه فيكون عن يمينه ، وأنه في آخر الزمان يأتي في مجد أبيه والأملاك حوله "[1365].

وجه استعمال القاعدة:
فهنا سوّى **الطوفي** بين ما يخبر به موسى وعيسى عليهما السلام من المغيبات بما يخبر به محمد في وجوب التصديق لأن طريقة إثبات الكل واحدة ؛ وهي الإخبار عن صاحب الشريعة ؛ فإن "**حُكْمَ الشَّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ**"

-استعمال القاعدة في الرد على طعونهم في بعض عقائد الإسلام وشرائعه

إن من أكبر ما يثير النصارى نحوه الشبهات عقيدة الإسلام النقية وشرائعه الحكيمة فيحاولون النيل والطعن فيهما بكل وسيلة ، وبما أن هذا سيأتي في قاعدة مستقلة أيضا أكتفي هنا بضرب مثالين اثنين مع ذكر نموذج من رد العلماء عليها اعتمادا على القاعدة.

أولا : في العقيدة

-استعمال القاعدة في الرد عليهم رميهم المسلمين بالتجسيم
رمى بعض النصارى المسلمين وبالأخص أهل السنة والجماعة بـ التجسيم لأنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات فرد عليهم.
شيخ الإسلام قائلا :
"وهذا يتبين بالوجه الثالث : وهو أن يقال ما في القرآن والحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وصف الله بهذه الصفات التي يسميها بعض الناس تجسيما، هو مثل ما في التوراة وسائر كتب الأ

(1365) "الانتصارات" (1/496).

أنبياء[1366] وإذا ثبت أن مثل هذه النصوص في التوراة والكتب المتقدمة باتفاق أهل الكتاب ، وبما يشهد على ذلك من أخبار الرسول بنظير ذلك ، وترك إنكاره لما في التوراة، وتصديقه على ما كانوا يذكرونه من ذلك لم يكن المسلمون مختصين بذكر ما سمّوه تجسيما ، بل يلزم أهل الكتاب -اليهود والنصارى -من ذلك نظير ما يلزم المسلين[1367] ا .هـ ملخصاً

وجه استعمال القاعدة:

بين رحمه الله أنه إذا كان اشتمال القرآن والسنة على هذه الصفات تجسيما ويستحق المسلمون الذم بهذا فاليهود والنصارى يستحقون مثل ما يستحق المسلمون لوجود مثل ذلك في كتبهم، وهذا معنى قاعدة "حُكْمُ الشّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"

ثانيا: في بعض شرائع الإسلام

-استعمال القاعدة في الرد على طعونهم في الجهاد

كثير من النصارى يعير المسلمين بالهمجية والوحشية لمشروعية الجهاد في الإسلام فقضى علماء المسلمين على هذه الشبهة من خلا ل مسالك متعددة منها مسلك قاعدة "حُكْمُ الشّي

قال القرافي:

"السؤال العاشر : قال الفريقان الملعونان اليهود والنصارى: إن دين المسلمين في غاية الضعف ، وإنما ظهر بسبب القتال والقهر والغلبة والإخافة، وسلب الذراري والأموال، ولو سلكوا العدل والإ نصاف لما ظهر في دينهم حق.

والجواب من وجوه " : وذكر منها قوله :

"أن الكتب التي بأيديهم شاهدة بقتال الأنبياء عليهم السلام ، مع طوايف من الطاغية كداود عليه السلام مع جالوت وسليمان صلى الله عليه السلام مع طوايف من أهل الكفر ، ولم يقدح ذلك في صحة

(1366) قال رحمه الله "وهذا الذي في التوراة وكتب الأنبياء ـ أي من أسماء الله تعالى وصفاته ـ ليس مما أحدثه أهل الكتاب . ولو كانوا هم ابتدعوا ذلك ، ووصفوا الخالق بما يمتنع عليه من التجسيم لكان النبي صلى الله عليه وسلم ذمهم على ذلك ، كما ذمهم على ما وصفوه من النقائص في مثل قوله تعالى :﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ "سورة آل عمران": (آية: 181). وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ "سورة المائدة": (آية: 64). وقوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ "سورة ق " : (آية : 38) . إلخ انظر : "الجواب الصحيح " (4 / 418) .

(1367) " الجواب الصحيح " (4 / 420) .

أديانهم إلخ" (1368)

وجه استعمال القاعدة:

بين القرافي أنه إذا كانت مشروعية الجهاد تدل على الطعن في الدين الذي شرع فيه فدين أنبيائكم مثل داود مطعون فيه لأن الجهاد مشروع فيه أيضا ولا يمكن أن يستقل دين محمد صلى الله عليه وسلم بذلك دونهما لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

"ومنهم من يجعل الجهاد" من معايب محمد صلى الله عليه وسلم وأمتّه ويغفلون ما عندهم من أن الله أمر موسى بقتال الكفار، فقاتلهم بنو إسرائيل بأمره، وقاتلهم يوشع ، وداود وغيرهما من الأنبياء ، وإبراهيم الخليل قاتل لدفع الظلم عن أصحابه" (1369) ا . هـ

وجه استعمال القاعدة:

بين شيخ الإسلام أنه كما جاهد محمد صلى الله عليه وسلم وأمته فقد جاهد غيره من الأنبياء الذين جاءوا من بعده وأممهم كذلك ، فإذا كان الجهاد طعنا فيه وفي أمته فاليكن كذلك في الذين جاءوا قبله مثل موسى ويوشع ؛ لأن "حُكْمَ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"

-استعمال القاعدة في الرد على بعض طعونهم في الصحابة رضوان الله عليهم

الطعن في صحابة رسول الله من أكبر متكآت النصارى في الطعن في الإسلام ليتوصلوا من خلال ذلك إلى الطعن في صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحة دينه بإسقاط عدالة نقلته . ومن أحسن الطرق التي سلكها العلماء في الدفاع عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلك قاعدة : "حُكْمُ الشّيء حُكْمُ مِثْلِهِ"

قال الجعفري:

"فضيحة أخرى : ربما عرّض بعض النصارى بردة ابن أبي السرح عن الإسلام وقال : كيف يكون نبيا يوحى إليه ولا يعلم بحال من يرشحه ويختاره لكتابة الوحي ، فيقال له يا أخرق! النبي لا يعلم من المغيبات إلا القدر الذي أعلمه الله به وكونه لا يعلم بفساد نية من يصحبه لا يقدح ذلك في نبوته . فإن أبيت إلا القول بذلك

(1368) "الأجوبة الفاخرة" (ص: 90) .

(1369) "الجواب الصحيح" (5/ 236) .

فارغب بنفسك عن اتباع المسيح فإنك رويت وروى أصحابك وأهل دينك أن المسيح اختار رجلا من تلاميذه الاثني عشر الذين شهد لهم بإدانة بني إسرائيل يوم القيامة وولا ّه صندوق مال الصدقات وقدمه على غيره من أصحابه ورشحه لأمانته وهو يهوذا الأ سخريوطي كفر وفجر وواطأ اليهود على المسيح وارتشى منهم على المسيح ثلاثين درهما وزاد على ابن السرح بأن قتل نفسه كافرا ، فأما ابن أبي السرح فإنه راجع الإسلام ومات مؤمنا فإذًا كفر من كفر من أتباع النبي لا يقدح في نبوته بدليل أن اليهود كفروا بعد موسى. وفي حياته عبدوا العجل ، ولم يقدح ذلك في نبوة موسى وصحة رسالته " (1370) ا .هـ.

وجه استعمال القاعدة:

بين الجعفري أن كفر أو ردة من كفر من أتباع نبي ما لا يقدح أبدا في صحة نبوة ذلك النبي وهذا يشمل محمداً صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء لأن "حُكْمَ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ"

في الحقيقة إن قاعدة: "حُكْمُ الشّيءِ حُكْمُ مِثْلِهِ" تصلح للرد على النصارى في جميع هذه المسائل كما سبقت الإشارة بذلك في "المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد" وكما جاء بيان ذلك عمليا في مجموعة من التطبيقات في النقول السابقة عن العلماء، ولا شك أن التطبيقات كثيرة جداً يصعب استقصاءها لكن في الإشارة ما يغني عن الإطالة وحكم الشيء حكم مثله فليقس ما لم يذكر على ما ذكر.

***

(1370) "التخجيل" (2 / 620).

المبحث السادس:

قاعدة:

تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور يخالفه

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

استفدت هذه الصيغة من شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقد نص عليها أثناء ردّه على النصارى احتجاجهم بالقرآن على عدم مخاطبتهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول: "الرابع : أن نبيّن أنّ ما فيه - أي القرآن - من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أرسل إلى العرب، كما أنّ ما فيه من إنذار عشيرته الأقربين وأمر قريش لا ينافي ما فيه من دعوة سائر العرب؛ فإن **تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفه**[1371] وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب "[1372] ا.هـ.

لكني سأعدل عنها إلى صيغة قريبة منها وهي **"تخصيص بعض العام بالذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه"** لأنها أقل لفظًا وأوضح معنىً.

(1371) هكذا في المطبوع ولعله "يخالفه"

(1372) "الجواب الصحيح " (1 / 379 - 380).

المطلب الثاني:
مصادرها:
أولا: الأصل العلمي للقاعدة:
قاعدة: "تخصيص بعض العام بالذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه" قاعدة عقلية ثابتة.
وفي تقرير وتوضيح عقليّتها، وكونها من سَنن الخطاب، يقول القرافي رحمه اللّه:
"وما زالت العقلاء في مخاطباتهم يتكلمون فيما يوجد سببه ويسكتون عما لم يتعين سببه، وإن كان المذكور والمسكوت عنه حقّين واقعَين، فكذلك الرسالة عامّة، ولما كان المقصود إظهار المنّة على العرب خُصّوا بالذكر، ولما كان أيضا المقصود تنبيهَ بني إسرائيل وإرشادَهم خُصّوا بالذكر، وخُصّصَت كلٌّ فرقة من اليهود و النصارى بالذكر، ولم يذكر معها غيرَها في القرآن في تلك الآيات المتعلقة بهم، وهذا هو شأن الخطاب أبدا ، فلا يغتر جاهل بأنّ ذكر زيد بالحكم يقتضي نفيَه عن عمروٍ، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1373] ليس فيه دليل على أنه لا ينذر غيرهم" "كما أنه إذا قال القائل لغيره: (أدّب ولدك) لا يدل على أنه أراد أنه لا يؤدب غلامه بل ذلك يدل على أن مراد المتكلم في هذا المقام تأديبُ الولد؛ لأن المقصود مختص به، ولعله إذا فرغ من الوصية على الولد يقول له: وغلامك أيضا أدبه، وإنما بدأت بالولد لا هتمامي به، ولا يقول عاقل إن كلامه الثاني مناقض للأول، وكذلك قرابته عليه السلام هم أولى الناس ببرّه عليه السلام وإحسانه وإنقاذه من الهلكات، فخصّهم بالذكر كذلك، (لا)[1374] لأن غيرهم غير مراد كما ذكرنا في صورة الولد والعبد"[1375] ا هـ.
وقال أيضا:
"وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1376]

(1373) "سورة الشعراء" : (آية : 214).
(1374) غير موجودة في المطبوع وزدتها لاقتضاء المقام لها.
(1375) "الأجوبة الفاخرة" (ص : 11-12).
(1376) "سورة الجمعة" : (آية : 2).

لا يقتضي أنّه لم يبعثه لغيرهم؛ فإن المَلِك العظيم إذا قال: بعثت إلى مصر رسولا من أهلها لا يدل ذلك على أنه ليس على يده رسالة أخرى لغيرهم، ولا أنّه لا يأمر قوما آخرين بغير تلك الرسالة، وكذلك قوله تعالى:
﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[1377] ليس فيه أنه لا ينذر غيرهم، بل لما كان الذي يتلقى الوحي أولاهم العرب، كان التنبيه عليه بالمنّة عليهم بالهداية أولى من غيرهم ".
"وإذا قال السيّد لعبده: (بعثتك لتشتري ثوبا لا ينافي أنه أمره بشراء الطعام، بل تخصيص الثوب بالذكر لمعنى اقتضاه ويسكت عن الطعام لأنّ المقصد الآن لا يتعلق به "[1378] إلخ.
فقد أكّد القرافي في النقلين السابقين كون تلك القاعدة عقلية من خلال عدّة أمور منها:
1. كون ذلك من عادة العقلاء في كلامهم،
2. اعتبار من ينكر ذلك من الجاهلين،
3. توضيح ذلك وتبيينه بأمثلة عقلية مسلمة، كما في صورة العبد والولد وفي صورة الملك والرسول ، وفي صورة العبد والسيّد.

وقد تخلل ذلك بعض التطبيقات على القاعدة، ثمّ أشار إلى بعض فوائد التخصيص مثل زيادة الاهتمام بالمخصص وأحقيّة ذكره في ذلك الموضع حتى لا يقول قائل وما فائدة التخصيص، ثم بين في الآخير بعضا من أسباب عدم ذكر بعض ما يشتمل عليه اللفظ في ذلك الموضع وهو عدم تعلق مقصد الكلام به في ذلك المكان.
وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى مثل ذلك حيث بين رحمه الله أنّ ذلك التخصيص لا بدّ له من مناسبة وذلك في قوله: "ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله؛ إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى ، لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبة "[1379]

ثانيا: مواضع ورودها

نبّه على هذه القاعدة واستعملها في ردّه على النصارى حسب ما وقفت عليه كلّ من:

(1377) "سورة يس " : (آية : 6).
(1378) "الأجوبة الفاخرة " (ص : 11).
(1379) "الجواب الصحيح " (1 / 439).

- شيخ الإسلام ابن تيمية "في الجواب الصحيح "[1380]
-شهاب الدين القرافي في "الأجوبة الفاخرة" [1381] ولم أقف على غيرهما.

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها:

التخصيص هو : "إفراد بعض الجملة بالذكر "[1382]
العامّ هو: "كل لفظ ينتظم جمعا من الأفراد إما لفظاً كقولنا (مسلمون) و (نصارى)، وإما معنى كقولنا (مَنْ) و (ما) "[1383]
الضمير المتصّل في "يقتضيه" راجع على "التخصيص" والذي في "سواه " وفي "يخالفه " راجع على المخصّص بالذكر.

ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة من حيث الإجمال هو : أنّ تخصيص بعض أفراد العام بالذكر لسبب يقتضي ذلك لايدل على تجريد حكمه عن بقيّة ا لأفراد المسكوت عنها ، بل يبقى حكم العام منطبقا على جميع أفراده ويكون ذلك المخصص بالذكر مرتبطا بعلته التي أوجبته.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صوَر من التطبيق منها:
إذا أنكر النصراني رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إليهم قائلا : محمّدلم يرسل إلينا بدليل ما جاء في قرآنه من قوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1384].
فقد أفادت هذه الآية تخصيص أمّ القرى برسالته، ونحن لسنا منها، ولا من أهلها، ولا ممن حولها، إضافة إلى أنّ أهلها ومَن حولها من العرب، ونحن لسنا عربا؛ فثبت بهذا أننا لسنا مخاطبين برسالته، ولا

(1380) في مواضع فيه منها: (380/1) ، (429/1) ، (430/1) ، (440/1) ، (152/3).
(1381) في مواضع فيه منها : (ص : 11) ، (ص : 12) ، (ص : 15).
(1382) "المنهاج في ترتيب الحجاج " (ص : 12)
(1383) انظر : "أصول الشاشي " (ص : 17) .
(1384) "سورة الشورى " : (آية : 7).

نحن من أهل دعوته.
قال له المسلم: استدلالك هذا سقيم وغيرمستقيم فإنّه كما أنّ قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1385]لم يدلّ على أنّ غير أقربائه من العرب ليسوا مخاطبين برسالته – لذلك لا قائل به-فكذلك تخصيصه أمّ القرى ومن حولها بالذكر في النص السابق وأمثاله لا يدلّ على أنّ من سواهم من غير أهلها ومن حولهالم يكونوا مخاطبين بذلك لأنّ "تخصيص بعض العام بالذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه"[1386]

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى في مسألتين اثنتين:
المسألة الأولى:
استدلالات النّصارى على إنكار رسالة نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم إليهم وتخصيصها بالعرب بدليل الآيات القرآنية التي خصّتهم بالذكر.
المسألة الثانية:
استدلالات النّصارى على ادعاء ألوهية عيسى عليه السلام بدليل النصوص التي خصّت روحه بالإضافة إلى الله.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة

أولا: فيما يتعلق ببعض عقائدهم الفاسدة في دينهم

ادّعى بعض النصارى أن قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[1387] يدل على أنّ المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بعض من الله والعياذ بالله؛ فجعلوا "مِنْ" الواردة في الآية تبعيضية. فرد عليهم بعض العلماء بأدلة قوية منها قاعدة: "حُكْمُ الشَّيْءِ حُكْمُ مِثْلِهِ" ومنها القاعدة التي نحن بصدد دراستها وهي قاعدة: "تخصيص بعض العام بالذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه"
وقد نقل شهاب الدّين القرافي ردّ بعض العلماء على تلك الشبهة

(1385) "سورة الشورى" : (آية : 214).
(1386) هذا بغضّ النظر عن خطأه في تفسير الآية.
(1387) "سورة النساء" : (آية : 171).

اعتمادا على قاعدتنا قائلا:
"وكذلك يقول بعض الفضلاء لما سُئل عن هذه الآية فقال : نفخ الله تعالى في عيسى عليه السلام روحا من أرواحه، أي جميع أرواح الحيوان أرواحُه، وأما تخصيص عيسى عليه السلام بالذكر فللتنبيه على شرف عيسى عليه السلام، وعلوّ منزلته بذكر الإضافة إليه، يقال : كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾[1388] ﴿إِنّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1389] مع أنّ الجميع عبيده، **وإنما التخصيص لبيان منزلة المخصّص**، وأمّا الكلمة فمعناها أن الله تعالى إذا أراد شيئا يقول له: (كن فيكون) فما من موجود إلا وهو منسوب إلى كلمة (كن) فلمّا أوجد الله تعالى عيسى عليه السلام قال له: (كن في بطن أمك فكان) وتخصيصه بذلك للشرف كما تقدم ، **فهذا معنى معقول متصوّر ليس فيه شيء كما يعتقده النصارى من أن صفة من صفات الله حلت في ناسوت المسيح عليه السلام، وكيف يمكن** في العقل أن تفارق الصفة الموصوف "[1390] إلخ .

وجه الاستعمال

استعمل هذا الفاضل مفهوم قاعدة: **"تخصيص بعض العام بالذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه"** ومؤداها في الرد على تلك الشبهة فاستدل بها في الرد عليهم من وجهين:

الوجه الأول:

الاستدلال بتخصيص إضافة العباد إلى الله وعدم إفادة ذلك شيئا سوى شرف المخصّص ، على تخصيص إضافة روح عيسى عليه السلام إلى الله وأنّ ذلك لا يقتطف له شيئا من الألوهية، بل إنما يدل على شرف مقامه ، وعلوّ مرتبته،

(1388) "سورة الأنفال " : (آية : 141).
(1389) "سورة الحجر " : (آية : 42).
(1390) "الأجوبة الفاخرة " (ص : 15) .

الوجه الثاني:
الاستدلال بالكلمة التي خلق منها كل شيء وهي (كن) على التي خلق منها عيسى بن مريم عليه السلام ، فكما أنها لا تفيد حلول صفة من صفات الله في جميع الخلق في الحال الأولى ، فكذلك لا تفيد في حق المسيح عليه السلام كما يعتقده النصارى.
وأكد ذلك بشيئين اثنين:

1. كون هذا معنى معقولا متصوّرا ليس فيه شيء باطل
2. الاستفهام الإنكاري في قوله "وكيف يمكن في العقل أن تفارق الصفة الموصوف"

ثانيا: فيما يتعلق ببعض عقائدهم الفاسدة في دين الإسلام

ادّعى بعض النصارى أن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[1391]
وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1392]
وقوله تعالى: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾[1393] وأشباه هذه الآيات تدلّ على اختصاص العرب برسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم دون غيرهم؛ لأنهم هم الذين لم تنذر آباؤهم، أمّا أهل الكتاب من اليهود النصارى فقد أنذر آباؤهم بالرسل والكتب، فليس هو مرسلا إليهم[1394] فردّ العلماء رحمة الله عليهم على هذه الشبهة بأساليب متعددة وطرق متنوعة منها استعمال قاعدة:
"تخصيص بعض العام بالذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه"

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:**

"الرابع : أن نبيّن أن ما فيه - أي القرآن - من عموم رسالته لا ينافي ما فيه من أنه أرسل إلى العرب ، كما أنّ ما فيه من إنذار عشيرته الأ

(1391) "سورة القصص" : (آية : 46).
(1392) "سورة السجدة" : (آية : 3).
(1393) "سورة يس" : (آية : 6).
(1394) انظر : "رسالة الأنطاكي" التي نقلها **ابن تيمية** في "الجواب الصحيح" (121/1) . وانظر أيضا "الإشارات الإلهية" للطوفي (98/3) ، (151/3) فقد نقل ثمّ أن بعض أهل الذمة استدل بذلك في كتاب له.

أقربين وأمر قريش ، لا ينافي ما فيه من دعوة سائر العرب؛ فإن تخصيص بعض العام إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور مخالفة " وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب "[1395] ا .هـ.

وقال أيضا في الرد على نفس الشبهة ما ملخصّه: "ذكر تعالى في هذه الآيات الثلاث[1396] نعمته على هؤلاء وحجتّه عليهم بإرساله ، وذكر بعض حكمته في إرساله ، وذلك لا يقتضي أنه لم يرسل إلا لهذا ، بل مثل هذا كثير معروف في لسان العرب وغيرهم ومما يبين ذلك أنه قال في الآية التي احتجوا بها ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[1397] ومعلوم أنّه لم يبعث لمجرد الإنذار، بل وليبشِّر من آمن به، ولأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر، وتحليل الطيبات، وتحريم الخبائث، وغير ذلك من مقاصد الرسل كما قال تعالى : ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[1398]

ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله ؛ إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى ، لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبة ، وهذا ك المناسبة في قوله:﴿لِتُنْذِر قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾[1399] فإن هؤلاء كانوا أولّ المنذرين، وأحقّهم بالإنذار، فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إنذار من سواهم "[1400]

وجه استعمال القاعدة:

استعمل شيخ الإسلام ابن تيمية قاعدة: "تخصيص بعض العام بـ الذكر لسبب يقتضيه لايدل أن ما سواه يخالفه " في ردّ زعم النصارى عدم مخاطبتهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم اعتماداً على شبهة التخصيص من خلال النصين المنقولين عنه وذلك من وجهين:

الوجه الأول:

(1395) "الجواب الصحيح " (1/ 379 - 380) .
(1396) يقصد رحمه الله : الآيات الثلاث المذكورة آنفا
(1397) "سورة يس " : (آية : 6).
(1398) "سورة النساء " : (آية : 165).
(1399) "سورة يس " : (آية : 6).
(1400) انظر :"الجواب الصحيح" (1/428 - 444) وانظر كذلك : (3/152- 135) .

قياس تخصيص العرب بالذكر في بعض الآيات لسبب اقتضى ذلك وعدم إفادة ذلك خروجَ غيرهم من اليهود والنصارى وسائر أمم الأ رض ، على تخصيص عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بـ الذكر في بعض الآيات وعدم إفادة ذلك خروجَ غيرهم من سائر قبائل العرب.

الوجه الثاني:

قياس تخصيص العرب بالخطاب في بعض الآيات لسبب اقتضى ذلك على تخصيص بعض مهمّة النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر (وهو الإنذار) مع أنّ له مهاما أخرى لم تذكر في الآية – مثل التبشير- ولم يدلّ عدم ذكرها على أنها ليست من وظيفته، فكذلك الحال في حالة تخصيص العرب بالذكر، فإن ذلك التخصيص لا يدلّ على أن من سواهم لا يدخل تحت ذلك الخطاب أيضا. ومن ذلك ما سبق ذكره في كلام **القرافي** السابق.

***

المبحث السابع:

قاعدة:

لو لم يكن محمد (ص) صادقا لكان المسيح (ص) كاذبا

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

نص على القاعدة بالصيغة المذكورة الطوفي في "الانتصارات"[1401]

المطلب الثاني:

مصادرها

أولا: المصدر العلمي للقاعدة:

قاعدة: "لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا" قاعدة عقلية صحية؛ لأنّ عدم صدق النبي محمد صلى الله عليه وسلم في دعوى النبوّة يؤدي إلى كذب عيسى بن مريم عليه السلام في بشاراته به وفي بعض أخباره كما سيأتي تفصيل ذلك في شرح القاعدة وهذا قادح في عصمته.

ثانيا: مواضع ورودها

استعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى كل من

-الطوفي في "الانتصارات"[1402] وهو الذي ذكرها بلفظها كما سبق

-الجعفري في "التخجيل"[1403]

-شيخ الإسلام بن تيمية في "الجواب الصحيح"[1404]

[1401] (2 / 755).

[1402] في مواضع منها الموضع السابق، ومنها: (1 / 382).

[1403] في مواضع منها: (2 / 704)؛ (2 / 714).

[1404] في مواضع منها: (5 / 299)؛ (5 / 293)؛ (5 / 294)؛ (5 / 298).

ثالثاً: أدلتّها

من أدلّة صحة القاعدة في القرآن الكريم:

دلّ على صحة قاعدة "**لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا**" آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[1405] فهذه الآية دلت على صحة القاعدة من وجهين:

الوجه الأول:

أن الآية نصت تنصيصا صريحا قاطعا بأنّ عيسى عليه السلام بشّر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد استخرج كثير من العلماء جمعا من بشارات الإنجيل بنبينا محمد عليه السلام كشواهد على صحة ما أخبر به القرآن فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في نبوّته ورسالته للزم كذب عيسى عليه السلام وحاشاه أن يكذب.

الوجه الثاني:

أن الله تعالى بيّن بصريح من القول في هذه الآية أنّ عيسى عليه بشّر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن ذلك كذلك لكان فيه قدح في أخبار الله تعالى وهو باطل.

من أدلّة صحة القاعدة في السنّة النبوية

أمّا ما يدل على صحة القاعدة في السنّة النبوية فمن ذلك قوله عليه السلام "أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى " الحديث.

فهذا الحديث دلّ على صحة القاعدة من وجهين أيضا:

(1405) "سورة الصف" : (آية : 6).

الوجه الأول:
أن الحديث نص تنصيصا صريحا قاطعا بأنّ عيسى عليه السلام بشّر بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد استخرج كثير من العلماء جمعا من بشارات الإنجيل بنبينا محمد عليه السلام كشواهد على صحة ما أخبره به النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن محمد عليه السلام صادقا في نبوّته ورسالته للزم كذب عيسى عليه السلام وحاشاه أن يكذب.

الوجه الثاني:
أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بيّن في هذا الحديث أنّ عيسى بن مريم عليه السلام بشّر به، وقد جاء في القرآن الكريم في حق النبي عليه السلام: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}[1406] فلو لم يكن محمّد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى النبوّة للزم أحد الأمرين: إمّا أن يكون محمدٌ صلى الله عليه وسلم كاذبا في قوله بشّر به عيسى عليه السلام وحاشاه أن يكذب، وإمّا أن يكون المسيح عليه السلام كاذبا في بشارته بمحمد صلى الله عليه وسلم وحاشاه أن يكذب.

من أدلة صحة القاعدة من العقل:

إنّ مما يدل على صحة القاعدة من الناحية العقلية أنّ المسيح عليه السلام بشّر بمخلص سيأتي بعده وبيّن أوصافه وأعماله والتي لا تنطبق إلا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان صدق النبي عليه السلام في دعوى الرسالة لا بد منه وإلا قدح ذلك في صدق عيسى عليه السلام.

المطلب الثالث:

شرحها:
معنى هذه القاعدة باختصار هو: أنه لو لم يكن نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى النبوّة لكان المسيح كاذبا في بشاراته به و في بعض أخباره؛ لأنّ ما ورد في بشارة المسيح وأخباره هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة

(1406) "سورة النجم": (آية 3 - 4).

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:
إذا أنكر النصراني نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مستندا إلى أي شيهة من الشبه التي يعتمدون عليها في إنكارها، قال له المسلم:
إذا لم يكن محمّد صلى الله عليه وسلم صادقا في دعوى الرسالة ، كان المسيح كاذبا في بشارته به؛ فإنّه عليه السلام بشّر بنبينا صلى الله عليه وسلم بما لا يترك مجالا للشك من أنّه المقصود (ثم يذكر بعضا من تلك البشارات) فإمّا أن تصدّق محمداً صلى الله عليه وسلم وذلك أيضا تصديق للمسيح عليه السلام، وإمّا أن تكذّبه وهو تكذيب للمسيح أيضا.

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى إنكارهم نبوّة نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم وفي دعواهم أنّ المقصود بمن بشّر به عيسى عليه السلام شخص آخر غير محمد صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة:

قال الطوفي رحمه الله في الرد على النصارى إنكارهم نبوّة نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم ما ملخّصه:
"فلنختم هذا الكتاب بذكر حجج واضحة على صحة دين الإسلام وصدق محمد صلى الله عليه وسلم
" إلى أن قال : "الحجة التاسعة: **لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا،** لكن ليس بكاذب فمحمد صادق ".
"بيان الملازمة أنّ المسيح عليه السلام قال في الإنجيل: (ما من خفي إلا سيظهر ، ولامكتوم إلا سيعلن) وهذه نكرة في سياق النفي فتقتضي العموم وأنّ كل خفي لا بد أن سيظهر، فعدم صدق محمد في دعواه ، إمّا أن يكون [1407] ظاهرا أو خفيا، فإن كان ظاهرا كان يجب أن لا يتابعه أحد ، وإن تابعه لرهبته أو رغبته فبالظاهر دون الباطن، حتى إذا زالت رهبته أو رغبته بزواله رجع عنه، لأنّ عاقلا لا يختار الباطل على الحق ، ولا الكذب على الصدق ، فكيف بهذا الجمع الكبير، والجمّ الغفير ، في أقطار الأرض يختارون ذلك؟ هذا

(1407) في الأصل "أن كان " فلعل ما أثبته هو الصحيح.

محال . وإن كان خفيا وجب أن يظهر، لا سيما مع دهاء العرب وذكائهم وفطنتهم وصحة طبعهم وفطرتهم، وقد كانوا يستخرجون بأذهانهم ما هو أخفى من ذلك. فمن المحال عادة أن يخفى عليهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم لو كان باطلا، فدلّ على أنهم ما انهرعوا إليه، وكونه أول الإسلام في نفر قليل ضعيف مستضعف إلا وقد علموا صدقه، فصحّ قولنا : **لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا** في قوله: (ما من خفي إلا سيظهر) وأمّا أن المسيح ليس بكاذب فبالاتفاق منّا ومنكم . ولو نازعتمونا في صدقه أنتم أو غيركم ، لما وافقناكم على ذلك ، لأنّا نحن أحق به منكم"[1408].

وجه استعمال القاعدة:

استعمل الطوفي قاعدة : "**لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذباً**" في إثبات نبوّة نبينا محمّد صلى الله عليه وسلم والرد على النصارى في إنكارها، وقد بين كيفية استعماله لها والنتيجة التي توصل إليها بما لا يحتاج لتعليق.

وقال أيضا:

في معرض ذكره للنصوص التي بشّرت بنبينا محمّد صلى الله عليه وسلم من صحف أهل الكتاب:

"وأمّا في الإنجيل فحيث يقول في بشارة يوحنا: (والفارقليط روح القدس ، الذي يرسله أبي باسمي ، وهو يعلّمكم كل شيء، وهو يذكركم كلّما قلت لكم) وحيث يقول: (إنّه خير لكم أنّي أنطلق لأني إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط ، فإذا انطلقتُ أرسلته إليكم ، وإذا جاء ذلك ، فهو يوبّخ العالم على الخطية وعلى الحكم . أمّا على الخطية فلأنهم لم يؤمنوا بي ... وأمّا على الحكم فلأن أركون هذا العالم يدان)[1409] ثم قال (إذا جاء روح الحق ذلك فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنّه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ، ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني لأنه يأخذ مما هو فيّ ويخبركم)[1410]

قلت – أي **الطوفي** - "وإذا تأملنا هذه الإشارات وجدناها مطابقة لصفات محمد صلى الله عليه وسلم لأنّه لم يأت بعد المسيح من

(1408) "الإنتصارات" (2 / 557) .

(1409) انظر : "الإصحاح السادس عشر " من (إنجيل يوحنا).

(1410) انظر : الإصحاح السابق ".

ادعى النبوة ومجّد عيسى وبالغ في تمجيده ، وصدّقه في نبوته ، ووبّخ العالم على خطية الكفر وقتَل اليهود وغيرهم على تكذيب المسيح وعبادة الأوثان ، وأخبر بأن الناس يدانون يوم القيامة ويحاسبون، وعلم الناس محاسن الآداب ، ومكارم الأخلاق، وظهر ناموسه واشتهر في البدو والحضر كظهور نواميس الأنبياء قبله إلا محمد صلى الله عليه وسلم وإن لم يكن محمد هو الذي أشار إليه لزم القدح في صدق وعده بالبارقليط، لأنّ من المحال عادة أن يأتي (1411) أحد يظهر بما ظهر به محمد ويتم له" (1412) اهـ.

(1411) في الأصل "أن عاد " ولعل الصحيح ما أثبته.

(1412) "الإتنصارات " (1 / 381 - 382).

وجه استعمال القاعدة:

استعمل **الطوفي** مفهوم قاعدة **"لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا"** في الرد على النصارى إنكارهم نبوّة نبينا محمد فإن قوله "وإن لم يكن محمد هو الذي أشار إليه لزم القدح في صدق وعده بالبار قليط ، لأنّ من المحال عادة أن يأتي[1413] أحد يظهر بما ظهر به محمد ويتم له" هو مفهوم قاعدة: **"لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا"**

وقال **الجعفري رحمه الله** أثناء تبيينه دلالة النص السابق الذي استشهد به الطوفي على البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

"قد نقلنا تفسيرهم (للفارقليط) وأنّه على صحيح أقوالهم ((المخلِّص)) وقد ذكر المسيح أنه لا بد من فارقليط آخر يثبت إلى ا لأبد ، وثبوت النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأبد ممتنع ، فلم يبق إ لا حمل الكلام على الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وهذه شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم باقية على أُسّ قويم ، ومنهج من الحق مستقيم ، لا تنقض بوفاته ولا تنقرض ، ولا يتخلل الخلل خلالها ولا يعترض ، وذلك نظير قوله تعالى ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[1414] وقوله عليه السلام: (لا نَبِيّ بَعْدِي) فالنصارى في ذلك بين أمرين وهو إما أن يقولوا إنه محمد رسول الله ، وإمّا أن يقولوا إنّ المسيح أخلف قوله ، ولم يفِ بوعده ، وتركهم أيتاما بغير نبي يتكفل بأمورهم ، ولم يأتهم عن قريب كما وعد بل إنّما أراد أنّ هذا النبي المخلِّص هو الذي يأتيهم عن قريب "إلخ[1415]

(1413) في الأصل "أن عاد " ولعل الصحيح ما أثبته.

(1414) "سورة الأحزاب " : (آية : 40).

(1415) "التخجيل " : (2 / 407).

وجه استعمال القاعدة:

هذا النقل عن **الجعفري** فيه ردّ على النصارى بقاعدة : "**لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا** " وإن كان ذلك بمفهومها لا بمنطوقها؛ فإنّ قوله: "فالنصارى في ذلك بين أمرين وهو إما أن يقولوا إنه محمد رسول الله وإمّا أن يقولوا إنّ المسيح أخلف قوله، ولم يفِ بوعده ، وتركهم أيتاما بغير نبي يتكفل بأمورهم ، ولم يأتهم عن قريب كما وعد " هي القاعدة بعينها معنى لا لفظا.

وقال أيضا :

"قال متى التلميذ: (سأل التلاميذ المسيح فقالوا يامعلم لماذا تقول الكتَبَة إن إلياء يأتي؟ فقال عليه السلام إن إلياء يأتي ويعلمكم كل شيء : وأقول لكم إن إلياء قد جاء فلم يعرفوه بل فعلوا به كالذي أرادوا). وقد فسروا إلياء بأنه نبي ، وقد ذكر (إلياء قد أتى ولم يعرفوا قدره)، فلا بد من الوفاء بقول المسيح إن إلياء يأتي ويعلم الناس كل شيء، ولم يأت بعد المسيح من علم الناس كل شيء من أمر الدنيا والآخرة سوى محمد رسول الله عليه السلام ".

وجه استعمال القاعدة:

قول **الجعفري** "فلا بد من الوفاء بقول المسيح إن إلياء يأتي ويعلم الناس كل شيء، ولم يأت بعد المسيح من علم الناس كل شيء من أمر الدنيا والآخرة سوى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" فكأنه بهذا التقرير يقول وإن لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم هو المقصود لزم الخلف في كلام المسيح، وهذا معنى قولنا في القاعدة "**لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا**" وينبغي التنبيه إلى أن الاستدلال بهذه القاعدة على إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ليس من القوة بمكان؛ لأن النصراني ينكر أن في إنجيله بشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم، لكن كما ذكر من قبل، يقرر الراد المسلم أن صفات المخلص الذي وعد المسيح به لا تنطبق إلا على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك يستدل بالقاعدة.

المبحث الثامن:

قاعدة:

إذا كان محمّد (ص) صادقا كان دين النصارى

باطلا

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

هذه الصياغة مستقاة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: "فيلزم إذا كان رسولا صادقا أن يكون دين النصارى باطلا"[1416] وذلك أثناء ردّه على النصارى إنكارهم نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: الأصل العلمي للقاعدة:

قاعدة "إذا كان محمّد صادقا كان دين النصارى باطلا" قاعدة عقلية صحيحة ؛ لأن الجمع بين صدق النبي صلى الله عليه وسلم وبين صحة دين النصارى الذي هم عليه الآن جمع بين النقيضين وهو مما حكمت جميع العقول السليمة ببطلانه واستحالته.

ثانيا: مواضع ورودها:

ورد استعمال هذه القاعدة عند

-شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح "[1417]

-ابن قيم الجوزية في "الصواعق المرسلة "[1418]

(1416) "الجواب الصحيح " (1/143).

(1417) في مواضع منها : (1/143) وفيه ذكر الصيغة . ومنها : (2/45-46).

(1418) سبق تخريجه (ص : 114).

ثالثا: أدلة القاعدة:

أدلتها من الكتاب:

من الأدلة التي تدل على صحة هذه القاعدة من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1419]

ووجه الدلالة من الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم قد فسّر الضالين بأنهم النصارى، وقد ضلوا بنصرانيتهم، فتكون باطلة حيث أدّت إلى ضلال وكان أتباعها من أجل ذلك ضالين.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[1420]

ووجه دلالة هذه الآية على المقصود هو أنّ النصارى – وهم من جملة أهل الكتاب- ليسوا على شيء لأنّهم لم يقيموا ما أنزل إليهم من ربهم وهو القرآن ولا يمكن أن يكون من على دين صحيح ثم يقول الله تعالى في حقه ليس على شيئ.

أدلتها من السنّة:

أمّا ما يدل على صحة القاعدة في السنّة النبوية فمن ذلك رسالاته صلى الله عليه وسلم إلى ملوك النصارى دعوة لهم إلى اعتناق الإسلام ونبذ النصرانية حتى قال لقيصر: "وَإِنْ تَوَلَّيتَ فَإِنّمَا عَلَيكَ إِثمُ الأَرِيسِيِّينَ"[1421] فلو كان ما هم عليه صحيحا لما دعاهم إلى غيره.

ومن ذلك أيضا قوله عليه السلام "والذي نفس محمد بيده لا يَسْمَعُ بِي أحدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمّةِ يَهُودِيٌ وَلا نَصْرَانِيٌ ثمّ يموت ولم يُؤْمِنُ بالذي أرسلت به إلا كانَ من أصحاب النّارِ"[1422]

فكان كل من اليهود والنصارى من أهل النار ولو كان ما هم عليه صحيحا لما كان سببا في دخولهم النار. وهذا في غاية الجلاء و الوضوح.

(1419) "سورة الفاتحة" : (آية : 6 - 7).

(1420) "سورة المائدة" : (آية : 68).

(1421) "سورة المائدة" : (آية : 68).

(1422) رواه مسلم "كتاب الإيمان" باب: "وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . رقم : [384] (3/364).

المطلب الثالث:
شرحها:
معنى هذه القاعدة من حيث الإجمال هو أنه: إذا كانت نبوّة نبينا محمّد صلى اللّه عليه وسلم حقاً – وهي كذلك – كان دين النصارى بكل ما اشتمل عليه من العقائد الفاسدة، والشرائع المبتدعة دينا باطلا ؛ فيجب تركه والتبريّ منه.

المطب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة التطبيق على القاعدة:
إذا قال النصراني : قبلت أن محمد رسول اللّه لكن لا أترك النصرانية ؛ لأنّها من عنداللّه أيضا
قال له المسلم : إذا كان محمد صادقا كان دين النصارى باطلا؛ لأنّه جاء بنسخه وإبطاله ورسول اللّه لا يكذب

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد
تستعمل هذه القاعدة في الردّ على النصارى في مسألتين عُظُميين:
المسألة ألأولى:
الردّ على القول بصحة دين النصارى المحرّف (ولا يوجد الآن إلا هو)،
المسألة الثانية:
الردّ على نظرية الخلط بين الأديان والتوحيد بينها؛ حيث إنّ مجرّد اعتقاد صحّة الإسلام يقضي على النصرانية بالبطلان.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على القاعدة
قال ابن القيم رحمه اللّه
ففي مناظرة لابن القيم رحمه اللّه مع أحد علماء أهل الكتاب في نبوّة نبينا محمد صلى اللّه عليه وسلم بعد أن قررها وبالغ في تقريرها بأسلوب رصين . قال رحمه اللّه:
"فأخذا الكلام منه مأخذًا وقال حاشا لله أن نقول فيه هذه المقالة ؛ بل هو نبي صادق ، كل من اتبعه فهو سعيد وكل منصف منا يقر بذلك ويقول أتباعه سعداء في الدارين ".
"قلت فما يمنعك من الظفر بهذه السعادة "؟
"فقال : وأتباع كل نبي من الأنبياء كذلك. فأتباع موسى أيضا

سعداء". "قلت: فإذا أقررت أنّه نبي صادق، فقد كفّر من لم يتبعه واستباح دمه وماله وحكم له بالنار، فإنْ صدّقته في هذا وجب عليك اتباعه، وإن كذّبته فيه لم يكن نبيا، فكيف يكون أتباعه سعداء ؟ فلم يحر جوابا، وقال حدثنا في غير هذا "[1423]

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله:

أثناء ردّه على النصارى استدلالاتهم من القرآن العظيم "وإنما المقصود هنا أن احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه ؛ فإنّه إن كان رسولا صادقا في كل ما يخبر به عن الله عز وجل فقد علم كل واحد أنّه جاء بما يخالف دين النصارى، **فيلزم إذا كان رسولا صادقا أن يكون دين النصارى باطلا** "[1424] إلخ

وقال أيضا:

"ومتى ثبت أن محمداً رسول الله بطلت إلهية المسيح ، فإنّه كفّر من قال إنّه الله أو ابن الله "[1425] إلخ .

وجه استعمال القاعدة:

وجه استعمال شيخ الإسلام للقاعدة في النقل الأول أظهر من أن يعلق عليه.

وأمّا وجه استعماله لها في النقل الثاني ففي قوله "ومتى ثبت أن محمداً رسول الله بطلت إلهية المسيح" فهذا بعينه هو مفهوم قاعدة : "**لو لم يكن محمّد صادقا لكان المسيح كاذبا**" إلا أنّه اقتصر ردّه هنا على جزئية من أهم جزئيات دينهم ألا وهي ألوهية المسيح ، وأمّا إذا نظرنا إلى نتيجة انهدام هذه المسألة ، وعرفنا أنّ هدمها يستلزم انهيار غيرها من المسائل التي بنيت عليها تبين أنّه لم يردّ بهذا التقرير المتضمن لمعنى قاعدة: "**لو لم يكن محمّد صادقا لكان المسيح كاذبا**" فقط بل ردّ على جميع عقائدهم الفاسدة وشرائعهم المبتدعة.

***

[1423] ذكر هذه المناظرة في "الصواعق المرسلة" (1/327-329) وهي موجودة في "مختصر الصواعق" (ص : 39-40) وذكرها أيضا في "زاد المعاد" (3/639-642) و في "هداية الحيارى" (ص : 384-385) بألفاظ متقاربة.

[1424] "الجواب الصحيح" (1/143).

[1425] "الجواب الصحيح" : (2/45-46).

الفصل الثالث
القواعد الواردة في الأصول المعتمدة في الرد على النصارى

(المقصود بالقواعد الواردة في الأصول المعتمدة في الرد على النصارى: القواعد التي تبين الأسس التي ينطلق الراد منها في رده على النصارى).

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: قاعدة:
"لا يصدق النصارى ولا يكذبون فيما يحتمل الصدق والكذب"

المبحث الثاني:قاعدة:
"لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن ما داموا نصارى"

المبحث الثالث:قاعدة:
"القرآن يؤخذ كله"

المبحث الرابع:قاعدة:
"الكتب السابقة على ما هي عليه الآن مما لا تقوم به حجة على المسلمين"

المبحث الخامس: قاعدة:
"ما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول"

المبحث السادس:قاعدة:
"يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأصل"



المبحث الأول:

قاعدة:

لا يصدق النصارى ولا يكذبون فيما يحتمل الصدق والكذب

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

استفدت هذه الصياغة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : "كَانَ اليَهُودُ يَقْرَؤُونَ التّوراةَ بِالعِبْرِيّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَسَئَلُوا رَسُولَ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلّمَ فَقَالَ: لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنّا بِالّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيكُمْ" [1426]

وأما قيد "فيما يحتمل الصدق والكذب" فمخصوص بالاجماع وقد أفادته نصوص أخرى كذلك كما سيأتي التنبيه على ذلك في "شرح القاعدة، وفي "أدلة القاعدة".

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة:

قاعدة "لا يصدّق النصارى ولا يكذبون فيما يحتمل الصدق والكذب" قاعدة شرعية لأن الشرع أمر بمضمونها كما سبق ولما سيأتي في أدلة القاعدة.

ثانيا: مواضع ورودها:

وردت الإشارة إلى هذه القاعدة في عديد من آيات القرآن الكريم[1427] والتنبيه عليها في بعض الأحاديث النبوية[1428] وأهل العلم مجمعون على مقتضاها

ثالثا: أدلتها:

[1426] سبق تخريجه (ص: 288)

[1427] مثل الآية (136) من سور ة البقرة ، والآية (84) من سورة آل عمران ، والآية (46) من سورة العنكبوت)

[1428] مثل حديث أبي هريرة المذكور في أول القاعدة ، ومثل الحديث الذي سيأتي في التطبيقات.

من أدلتها في القرآن الكريم

دل على صحة هذه القاعدة آيات من كتاب الله منها قوله تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[1429]

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِم لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[1430]

وقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ . قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.[1431]

وجه الاستشهاد من الآيات السابقة:

مما يدل على صحة هذه القاعدة في السنة النبوية ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: "كَانَ الْيَهُودُ يَقْرَؤُونَ التَّوراةَ بِالْعِبْرِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ فَسَئَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَينَا وَأُنْزِلَ إِلَيكُمْ "[1432]

وقد أكد العلماء رحمهم الله ما دلت عليه النصوص السابقة، وفي ذلك يقول ابن حزم رحمه الله معلِقا على الحديث السابق: "وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين؛ ما نزل القرآن والسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم بتصديقه صدقنا به، وما نزل النص بتكذيبه أو ظهر كذبه كذبنا به، وما لم ينزل نص بتصديقه أو تكذيبه وأمكن أن

(1429) "سورة العنكبوت" : (آية : 46).

(1430) "سورة البقرة" : (آية : 135).

(1431) "سورة آل عمران" : (آية : 84).

(1432) سبق تخريجه (288)

يكون حقاً أو كذباً لم نصدقهم ولم نكذبهم وقلنا ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقوله كما قلنا في نبوة من لم يأتنا باسمه نص والحمد لله رب العالمين"[(1433)]

وقال ابن معمر: "والمقصود من هذا كله أن كتب اليهود والنصارى وما عندهم من العلم قد اختلط فيه الحق بالباطل، والصدق بالكذب فلا نقبل منه إلا ّ ما وافق الحق الذي بأيدينا عمن شهدت بصدقه المعجزات والأدلة القاطعات، فما وافقه فهو الحق، وما خالفه فهو الباطل، وما أخبروا به مما لم يشهد له بصدق ولا كذب فهذا لا يقدم على تكذيبه؛ لأنّه قد يكون حقّا، ولا على تصديقه؛ فلعله أن يكون باطلا، ولكن يؤمن به إيمانا مجملا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا "[(1434)]

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها:

لا يُصدّق النصارى : أي لا يحكم بصدق ما أخبروا به.
لا يُكذّبون : أي لا يحكم بكذب ما أخبروا به.
فيما يحتمل الصدق والكذب: أي فيما تردد بين الصدق والكذب من أخبارهم ونصوص كتبهم، وهو ما لم يرد نص في شرعنا يجزم بصدقه أو بكذبه سواء كان هذا الجزم بذكر لفظ ما عندهم أو بالأصل العام.

ثانيا: الشرح الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة من حيث الإجمال هو أن ما أخبرت به النصارى منه ما نصدقه – وهو ما ثبت عندنا صدقه، ومنه ما نكذبه – وهو ما ثبت عندنا كذبه - ومنه ما نتوقف فيه فلا نحكم عليه بشيء لأنّه محتمل للأمرين ولا نص يجزم بأحدهما.
قال ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث السابق: "قوله : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم) أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذبوه، أو كذبا فتصدقوه؛ فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما

(1433) "الفصل" : (2/216).
(1434) "منحة القريب المجيب" : (1/244).

ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه. نبّه عليه الشافعي رحمه الله "[1435] اهـ.

ويظهر بجلاء من خلال المطلب السابق في شرح القاعدة أن أخبار النصارى ونصوص كتبهم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول:

ما يحكم عليه بأنه حق وصدق دون تردد ، ويمكن التعرف على مثل هذه الأخبار والنصوص من كتبهم من خلال الضابطين الآتيين:

الضابط الأول:

أن يوافق ما جاء في القرآن الكريم ؛ فإن القرآن هو الكتاب المهيمن على غيره من الكتب، كما قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ}[1436]

أي حافظا وشاهدا وأمينا وحاكما على جميع الكتب التي جاءت قبله[1437]

قال ابن عباس رضي الله عنهما :"المهيمن : الأمين؛ القرآن أمين على كل كتاب قبله "[1438]

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ} وهو القرآن شاهد على التوراة والإنجيل مصدقا لهما {وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} يعني : أمينا عليه ، يحكم على ما كان قبله من الكتب "[1439]

الضابط الثاني:

أن يوافق ما جاء به نبينا محمد- وهذا الوجه أعم من الذي قبله – قال عليه الصلاة والسلام "الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَشَرَائِعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ "[1440]

فهذا يدل على أن كل خبر أو نص من أخبارهم ونصوصهم وافق ما

[1435] "الفتح" : (9/ 323).

[1436] "سورة المائدة" : (آية: 48).

[1437] "انظر : تفسير الطبري" (10/ 48) ؛ "تفسير ابن كثير" (1/ 128).

[1438] "رواه البخاري "كتاب الفضائل (66) باب (1) كيف نزل الوحي ، وكتاب التفسير (65) سورة المائدة (5) باب (1)

[1439] "تفسير الطبري" (10/ 279).

[1440] سبق تخريجه (ص: 76)

جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق نحكم عليه بذلك دون تردد.

القسم الثاني:

ما يحكم عليه بأنه كذب ومين دون تردد سواء كان خبرا أو نصا ويعرف من خلال الضابطين التالين أيضا:

الضابط الأول:

أن يخالف ما ثبت في القرآن الكريم. وهو مستفاد من الآية السابقة وأشباهها؛ فإن القرآن الكريم كما سبق هو المهيمن على غيره من الكتب وعليه فلا شك في كذب ما خالفه كما أنه لا ريب في صدق ما وافقه.

قال الشيخ رحمت الله الهندي رحمه الله في رده على النصراني بعض شبهه تجاه القرآن الكريم:

"الشبهة الثانية: (أن القرآن مخالف لكتب العهد العتيق والجديد في مواضع فلا يكون كلام الله) "والجواب أولا: أن هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدها المتصلة إلى مصنفيها، وكذا لم يثبت أن كل كتاب منها إلهامي . وقد ثبت أنها مختلفة اختلافا معنويا في مواضع كثيرة ومملوءة بالأغلاط الكثيرة يقينا كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول ، وقد ثبت التحريف فيها أيضا كما عرفت في الباب الثاني؛ فلا تضر مخالفتها القرآن في المواضع المذكورة ، بل تكون دليلا على كون المواضع المذكورة غلطا أو محرفة في الكتب المذكورة ، كسائر الأغلاط والتحريفات التي عرفتها في البابين الأ ولين ، وقد عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من هذا الباب أن هذه المخالفة قصدية لأجل التنبيه على أن ما خالف القرآن غلط أو محرف لا أنها سهوية " (1441)

الضابط الثاني:

أن يخالف ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الصحيحة وهو مأخوذ كذلك من الحديث المذكور آنفا ، فإن قوله عليه السلام: "دِينُهُمْ وَاحِدٌ" يدل على أن كل ما خالف ما جاء به عليه السلام فقد خالف جميع ما جاءت به بقية الأنبياء ، ولا شك في كذب وبطلان كل ما خالف ما جاءت به الأنبياء كلهم.

(1441) إظهار الحق : (3 / 850).

القسم الثالث:
ما يتوقف فيه فلا يعارض بتصديق ولا بتكذيب وهو المحتمل للأمرين معاً ولا يوجد ما يرجح أحد الجانبين على الآخر في الكتاب و السنة.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:
إذا ذكر النصراني شيئا مصدره من كتبهم ويحتمل الصدق والكذب، ولا يوجد في كتابنا ما يحكم عليه بأحد الحكمين توقف المسلم في أمره وقال لا أجزم بتصديق ولا بتكذيب بل آمنت بما أنزل إلينا وأنزل إليكم.
مثال ذلك: إذا قال النصراني للمسلم: أتعلم أن :ميخا" نبي الله؟ قال له "الله أعلم" ذلك وإن أخبرنا الله أن هناك أنبياء بعثهم لكن لم يبين لنا أسماء كثير منهم، ولعل منهم ذلك المذكور، ولعله ليس منهم، وهكذا دواليك.

السمألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد

قاعدة: "**لا يصدق النصارى ولا يكذبون فيما يحتمل الصدق والكذب**" قاعدة تتناول عدة مسائل بالرد، وهي باختصار كل مسألة ليس للمسلم جزم فيها من قِبَل الله ورسوله وذلك مثل تفاصيل بعض الأخبار، وأسماء بعض الأنبياء وبعض التفاصيل في الشريعة والعقيدة في الديانة النصرانية وما أشبه ذلك.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتماداً على هذه القاعدة

جاء في الحديث أنّ يَهُودِيًا قَالَ لِلنّبِيِّ صَلَى اللّٰه ُ عَلَيهِ وَسَلَمَ هَلْ تتَكلَمُ هَذِهِ الجَنَازَةِ؟
فَقَالَ رَسُولُ اللّٰه ِ صَلَى اللّٰه ُ عَلَيهِ وَسَلَمَ "اللّٰه ُ أعْلَمُ"
قَالَ اليَهُودِي : أنَا أشْهَدُ أنّهَا تتَكلَمُ.
فَقَالَ رَسُولُ اللّٰه ِ صَلَى اللّٰه ُ عَلَيهِ وَسَلَمَ إِذَا حَدّثكُمْ أهْلُ الكِتَابِ فَلا َ تُصَدِّقُوهُمْ وَلا َ تُكذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنّا بِاللّٰه ِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ؛ فَإِنْ كانَ حَقًا لَمْ تكذِّبُوهُمْ، وَإِنْ كانَ بَاطِلا ً لَمْ تُصَدِّقُوهُمْ" (1442)

وقال القرطبي رحمه الله رادا على بعض النصارى بعض النصوص التي استدل بها على عقيدته قائلا:
"وأما قولك: (إن المسيح لمّا بعث الحواريين إلى جميع الأجناس)

(1442) أخرجه الإمام أحمد "في المسند " (4 / 136).

فكلاما نقلته مدعيا أنك رويته، ونحن يجب علينا أن نتوقف في أخباركم، ولا نقطع بتصديقكم ولا بإكذابكم، بل نقول ما أمرنا به الرسول وبلغنا على ألسنة النقلة العدول (آمنا بالله ورسله)[1443] فإن صدقتم لم نكذبكم، وإن كذبتم لم نصدقكم "[1444] إلخ

وقال أيضا:

"وأما قولك (في الإنجيل يقعد ابن الإنسان في مجلس عظمته، وتقدم جميع الأمم بين يديه ، ويميزهم كما يميز الراعي الغنم) فنقول : آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله "[1445] [1446]

(1443) هذه المسألة لا يحتاج إلى التوقف فيها لأن فيها مخالفة لقول النبي صلى الله عليه وسلم "وبعثت على الناس عامة" لأن في كلام النصراني دعوى أن رسالة المسيح عليه السلام عامة

(1444) "الإعلام" : (ص : 46).

(1445) "الإعلام" : (ص : 421).

(1446) هذا أيضا لا يحتاج إلى التوقف فيه؛ لأن فيها أن المسيح هو الذي يحاسب الناس ، وهذا يخالف ما عندنا من أن الله وحده الذي يحاسب الناس يوم القيامة.

المبحث الثاني:

قاعدة:

لا يصح احتجاج النصارى بالقرآن الكريم

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

هذه الصيغة مستنتجة من مجموعة عبارات استعملها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ردوده على النصارى اعمتادا على المعنى الذي تقرره القاعدة. منها العبارات التالية:

"لا يصح احتجاجهم-أي النصارى- بشيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم" [1447]

"لا يصح احتجاجهم بشيء من القرآن على صحة دينهم بوجه من الوجوه" [1448]

"أن احتجاجهم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه" [1449].

"لا يجوز أن يحتج تجرد المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم من يكذبه في كلمة واحدة مما جاء به " [1450].

" أهل الكتاب لا يصح احتجاجهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم" [1451]

"أن احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه" [1452].

"لا يصح استشهادهم بهذا الكتاب-القرآن-واستدلالهم به بوجه من الوجوه" [1453]

المطلب الثاني:

مصادرها:

(1447) "الجواب الصحيح" : (1/130).

(1448) المصدر السابق.

(1449) "الجواب الصحيح" (1/131).

(1450) المصدر السابق.

(1451) " الجواب الصحيح " (1/132).

(1452) " الجواب الصحيح " (1/142 - 143) .

(1453) " الجواب الصحيح " (3/ 495) .

أولا: المصدر العلمي للقاعدة:

هذه القاعدة عقلية شرعية. عقلية لأنها مبنية على أصلين أحدهما عقلي موافق للشرع، والثاني شرعي وهذان الأصلان هما:

1. أنّ النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان وهو أصل عقلي، وشرعي أيضا ؛ لأنه موافق للشرع لا يعارضه.
2. عصمة الأنبياء في التبليغ ، وهو أصل شرعي ؛ لأنّ الشرع جاء به، وعقلي أيضا لأنّ العقل يقتضيه ويحكم به ويؤكده. وسيأتي مزيد من التفصيل في بيان هذين الأصلين في أدلة القاعدة

ثانيا: مواضع ورودها:

جاء استعمال هذه القاعدة عند كل من:

-القرطبي في كتابه "الإعلام"[1454]

- شيخ الإسلام ابن تيمية فقد توسّع في استعمالها بل هو الذي أصّلها وبالغ في تأصيلها واستدل لها وبالغ في الاستدلال لها وأكثرَ من التطبيقات عليها وتوظيفها في ردوده على النصارى. وقد جاء ذلك في مواضع متعددة من كتابه "الجواب الصحيح"[1455]

[1454] في مواضع منها : (ص: 106) ، (ص: 170) ، (ص: 122- 123) ، (ص: 137).

[1455] في مواضع منها: (1/130)، (1/ 131)، (1/132)، (1/ 137)، (1/ 138) ، (1/ 139 -140)، (1/140) ، (1/ 143)، (1/ 144)، (1/448 - 449)، (3/ 495ـ 504).

ثالثا: أدلة القاعدة:

هذه القاعدة مبنية على أصلين متينين كما سبق وهذان الأصلان هما:

- النقيضان لا يجتمعان ولا يفترقان.
- عصمة الأنبياء في التبليغ.

والآن أعرّف بهذين الأصلين ، ثم أبَيّن وجه بناء القاعدة عليهما.

الأصل الأول: النقيضان لا يجتمعان ولا يفترقان

النقيضان: صفتان وجوديّتان يتعاقبان في موضع واحد يستحيل اجتماعهما وارتفاعهما[1456]

وبعبارة أخرى: هما ما لا يجتمعان ولا يرتفعان في شيء واحد، وحال واحدة [1457] كقولك: (محمد رسول الله وليس هو رسول الله) ، أو (القرآن كتاب الله وليس هو كتاب الله) ، أو (دين النصارى دين صحيح وليس هو بصحيح).

ولماً كان كل من النقيضين يُبطل حكمَ الآخر، أُطلق على ما بينهما : "التناقض" على صيغة التفاعل [1458]

وعرفه الجرجاني - أي التناقض - بقوله :" هو اختلاف القضيتين بالإيجاب والسلب بحيث يقتضي لذاته صدق إحداهما كذب الأخرى، كقولنا : زيد إنسان، زيد ليس بإنسان[1459].

فالتناقض إذاً إثبات الشيء ورفعه سواء كان بين مفردين كقولك في عيسى عليه السلام (بشر ولا بشر) ، وكقولك في محمد صلى الله عليه وسلم (رسول ولا رسول) أو بين قضيتين، كقولك (القرآن قرر صحة النصرانية وبطلانها).

"ولا يمكن أن تكون القضيتان صادقتين معا، وإلا لزم اجتماع النقيضين، ولا كاذبتين معا، وإلا لزم ارتفاع النقيضين، وكلا الأمرين باطل" [1460].

"وعلى هذا، فإن التسليم بصدق إحداهما يستنتج منه كذب الأخرى، و

(1456) انظر : "التعريفات" : (ص : 137).

(1457) انظر: "المعجم الوسيط " (2/ 947). والفرق بين النقيضين والضدّين : أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كما سبق ، والضدان لا يجتمعان ، ولكن يرتفعان كالسواد والبياض . انظر : "التعريفات" (ص : 137) ، "المعجم الوسيط" (947/2) "دستور العلماء " (1/ 244) ؛ " الكليات " (ص : 574).

(1458) انظر:" حاشية العطار على شرح التهذيب" للخبيصي: (ص: 156)، نقلا من "طرق الاستدلال " لباحسين (ص : 215).

(1459) " التعريفات " (ص: 68) واقرأ تعريفه أيضا في : " الكليات " : (ص : 305) و "دستور العلماء " لأحمد نكري (1 / 241)

(1460) قواعد الاستدلال " (ص : 215).

التسليم بكذب إحداهما، يستنتج منه صدق الأخرى"[1461]اهـ.

الأصل الثاني: عصمة الأنبياء في التبليغ:

المقصود بعصمة الأنبياء في التبليغ هو أنّه لا يطرأ عليهم كذب ولا نسيان ولا خطأ فيما يبلغونه عن الله ولا يكتمون منه شيئا عن الخلق.

ويدل على هذا النوع من العصمة أدلة الكتاب والسنة والإجماع والعقل.

أما من الكتاب فمن ذلك قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام :{إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائيلَ}[1462].

الشاهد: الآية الثانية كلها. وهي من قوله: {حقيق} إلخ

وجه الاستشهاد: حيث بين عليه السلام أنه واجب عليه ألا يخبر على الله إلا الحق[1463]

وقول موسى عليه السلام هو قول غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ؛ فإن الأنبياء إخوة لعلات كما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[1464].

الشاهد في قوله : من قوله: {وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا} إلى قوله: {لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ}.

وجه الاستشهاد: حيث " أوجب الله الإيمان بكل ما أوتوه" مما يدل على أن كل ما أوتوه حق وصدق وصواب ولا يمكن أن يكون كلٌ ما يقوله بشر على هذه الصفة إلا إذا كان معصوما أو ناقلا عن معصوم.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ، إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ

(1461) المرجع السابق : " (ص : 215 - 216) .

(1462) "سورة الأعراف " : (آية : 104 - 105).

(1463) وهذا على القراءة الثانية - بتشديد الياء في (علي) ، وأما القراءة الأولى ، وهي بإرسال الياء في (على) فمعناه: حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، أي جدير بذلك حري به . وقال بعض المفسرين : معناه : حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق ، وكلاهما قراءتان مشهورتان . أنظر : " تفسير الطبري " (9/ 13- 14) ؛ " تفسير ابن كثير " (3/ 454) . وحتى على القراءة الثانية لا تزال الدلالة موجودة ، وإن كانت في القراءة الأولى أظهر وأقوى.

(1464) "سورة البقرة " : (آية : 136).

يُوحَى}.[1465]

ودلالة هذه الآية على المقصود ظاهرة لا تحتاج لتعليق.

وأمّا ما يدل على إثبات هذا النوع من العصمة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك:

ما روى موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم على رؤوس النخل فقال "مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ" فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَ؛ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ "مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا" قَالَ فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالَ "إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ؛ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"[1466].

ومن ذلك أيضاً ما روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال "كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟! فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ وقَالَ "اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ"[1467]

أما ما يدل على وجوب ثبوت عصمة الأنبياء في التبليغ من الناحية العقلية فمن ذلك:

أولا:

أنّه لا يمكن حصول مقصود النبوة والرسالة بدونها[1468]. "ومقصود الرسالة تبليغ رسالات الله على وجهها [1469]

(1465) "سورة النجم" : (3 - 4).

(1466) رواه مسلم "باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل الرأي" رقم : [2361] (15 / 95).

(1467) رواه أبو داود في "السنن" في "كتاب العلم" (60/4) وأحمد في "المسند" (192/2)؛ وصححه الألباني في "صحيح أبي سنن داواد" (408/2) ، وفي "سلسلة الأحاديث الصحيحة" (4 / 45 - 46) ، رقم : [1532].

(1468) أنظر : " مجموع الفتاوى " (10 / 290) ، " الجواب الصحيح " (1/ 141) ، " الإرشاد " (ص: 356).

(1469) " الجواب الصحيح " (1 / 446) .

ثانياً:
أنّه لو جاز عليهم في التبليغ الخطأ أو النسيان أو الكذب أو كتمان ما أُمروا بتبليغه لارتفعت الثقة بالشرائع.
وقد اتفقت الأمة قاطبة على أنّ الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معصومون في التبليغ[1470] وأنهّم لا يكتمون شيئا مما أرسلهم الله به، ولا يزيدون فيه، ولا ينقصون منه، ولا يغيرونه، ولا يبدّلونه ، ولا يحرّفونه ، ولا يكذِبون فيه عمدا ولا خطأ.
ويجب التنبيه ههنا إلى أن هذا الاتفاق لم يقتصر فيما بين المسلمين بل حتى اليهود والنصارى متفقون على ذلك[1471]
وفي ذلك يقول شيخ الإسلام **ابن تيمية**: "فإن كلّ من أرسله الله لا بد أن يكون صادقا في كل ما يبلغه عن الله؛ لا يكذب فيه عمدا ولا خطأ، وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم؛ المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم، اتفقوا على أن الرسول لا بد أن يكون صادقا معصوما فيما يبلغه عن الله ؛ لا يكذب على الله خطأ ولا عمدا؛ فإن مقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك"[1472].
وقال في مكان آخر:
"ولهذا أجمع أهل الملل قاطبة على أن الرسل معصومون فيما يبلغون عن الله تبارك وتعالىلم يقل أحد قط أنّ من أرسله الله يكذب عليه"[1473]إلخ.

من أحكام عصمة الأنبياء في التبليغ:

إذا ثبت أن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين معصومون فيما يخبرون عن الله ، ويبلغون عنه بدليل الشرع والعقل وا لإجماع، وأنّ اليهود والنصارى يعتقدون ذلك بلا خلاف فيما بينهم أيضا ، فهذه بعض الأحكام التي اقتضتها تلك العصمة وحكمت بها، وهي من أعظم مثبّتات القاعدة ودعائمها:

أولا: إنما الحجة في كلام المعصوم:

إن الحجة لا تكون إلا في كلام المعصوم ، وأما غيره فلا حجة في كلامه

(1470) انظر : " الإرشاد في قواطع الأدلة " للجويني ، (ص/ 356) ؛ " عصمة الأنبياء " للرازي (ص / 26) ؛ " مجموع الفتاوى " (10 / 289) ؛ " شرح الفقه الأكبر " للقاري ، (ص / 93).
(1471) انظر : " الميزان في مقارن الأديان للطهطاوي (ص : 33).
(1472) " الجواب الصحيح " (2 / 141).
(1473) " المصدر السابق " (3 / 446) ، ومثله في (3 / 498).

كائنا من كان؛ ذلك لأن الحجة لا تكون في كلام يحتمل أن يكون حقا أو باطلا، صدقا أوكذبا، خطأ أو صوابا، وهذا لا خلاف فيه، إنما الخلاف في من هم المعصومون؟ هل هم الأنبياء فقط أو يشركهم في ذلك فئة معينة.

ثانيا:الرسول لا يكذب فيما يبلغه عن الله إطلاقا

كلّ من كان رسولا لله حقا لا بدّ أن يكون صادقا في كلّ ما يبلغه عن الله، لا يكذب فيه عمدا ولا خطأ [1474]. وهذا من أعظم أحكام هذه العصمة .

ثالثا: كل من ثبتت رسالته امتنع أن يتناقض خبره.

كل من ثبت أنه رسول الله حقا لا يمكن أن يناقض بعضُ خبره بعضا [1475]، لأنّ ذلك يقضي على أحد الخبرين بالتكذيب ضرورة الحكم على أحدهما بالتصديق؛ فالنقضيان لا يجتمعان كما سبق[1476] فيلزم أن يكون الرسول كاذبا في أحد خبريه. وهذا مناف للعصمة.

رابعا: لا يمكن الاحتجاج ببعض ما أخبر به الرسول عن الله دون بعض

إنّ الاحتجاج ببعض ما أخبر به الرسول عن الله دون بعض ليس بالإ مكان ؛ لأنّ كل ما أخبر به عن الله لا يكون إلا حقا.

والتفريق بين إخباراته في الاحتجاج بها يلزم الحكم على بعضها بـ الخطأ أو الكذب ، والرسول معصوم عن ذلك فيما يبلغه عن الله ، بخلاف الاحتجاج بكلام غيره ، فإنّ ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض [1477] ؛ لأ نه غير معصوم .

خامسا: قضاء الله وحكمته تأبى أن يرسل نبيا يكذب عليه لا عمدا ولا خطأ:

يجوز على الآدمي أن يرسل من يكذب عليه لعجزه ، أو عدم علمه بكذبه ، أو عدم حكمته في إرساله.

وأما الربّ تعالى فلا يقع منه أن يرسل نبيا يكذب عليه لا عمدا ولا خطأ؛ لأنّ الله عالم بعواقب الأمور، والرسالة صادرة من علمه وحكمته وهو عليم حكيم.

(1474) انظر : " الجواب الصحيح " (1/ 138) ، (1/ 141) ، (1/446) ، (3/ 495) ، (3/ 499) ، (3/
0 0 5).

(1475) انظر : " الجواب الصحيح " (1/ 379) ، (3/ 502) ، (3/ 503) .

(1476) انظر : " ص : 508) من هذا المبحث.

(1477) أنظر : " الجواب الصحيح " (1/ 131 ـ 132) .

وإرسال الله للرسول يتضمن شيئين:

1. إنشاؤه للرسالة، والله حكيم، وهو أعلم حيث يجعل رسالته لا يجعلها إلا فيمن هو من أكمل الخلق وأصدقهم.
2. إخبار الله عنه بأنه صادق عليه فيما يبلغه عنه مما يقول إن الله أرسله ؛ فكما صدّقه بالآيات المعجزات في قوله إنه أرسلني ، فقد صدّقه بما يقول إنه أرسلني به، إذ التصديق بكونه أرسله من غير معرفة بصدقه فيما يخبر به لا فائدة فيه، ولا يحصل به مقصود الإرسال[1478].

وبعد هذا التقرير لبعض أحكام هذه العصمة ومقتضياتها والتي هي أسس أدلة القاعدة إضافة إلى ما سبق ذكره من عدم جواز الجمع بين النقيضين . يأتي بيان الأدلة المباشرة للقاعدة وهي على النحو التالي:

أولا:

" قد عرف بالنقل المتواتر الذي يعلمه جميع الأمم من جميع الطوائف أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم قال إنه رسول الله إلى جميع الناس ، وأنّ الله أنزل عليه القرآن ، فإنْ كان صادقا في ذلك وجب الإيمان بكل ما جاء به ، ومن كذّبه في كلمة واحدة فقد كذب رسول الله ، ومن كذّب رسول الله فهو كافر ، وإن لم يكن صادقا في ذلك لم يكن رسولا لله ؛ بل كاذبا . ومن كان كاذبا على الله يقول : الله أرسلني بذلك ، ولم يرسله به لا يجوز أن يحتج بشيء من أقواله "[1479] أهـ.

ثانيا:

لا يمكن أن يتم مراد النصارى - وهو الاستدلال بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم على شيء من عقائدهم الفاسدة أو على أنه لم يرسل إليهم - إلا ّ بتكذيبهم ببعض ما أنزل الله ، ومتى كذب بكلمة واحدة مما أخبر به من قال إنه رسول الله بطل احتجاجه بسائر كلامه كما سبق[1480].

فعلم بهذا أن استدلالهم بما جاء به عليه السلام على صحة دينهم الذي خالفوا فيه ما ثبت عنه في غاية الفساد - سواء اعترفوا بنبوته أم لم يعترفوا بها - فإنّه جمعٌ بين النقيضين ، واستدلال بما في الكتاب على ما يوجب بطلان الاستدلال بشيء مما فيه وإذا كانت النتيجة تستلزم فساد بعض مقدمات الدليل ،

(1478) انظر : " الجواب الصحيح " (1/ 498) (1/ 501) .
(1479) " الجواب الصحيح " (1/ 144) .
(1480) انظر : (ص : 508) من هذا المبحث .

بطل الاستدلال بذلك الدليل الذي لا يصح إلا بصحة مقدماته ، فإذا كانت مقدمته لا تصح إلا مع فساد نتيجته ، ونتيجته مستلزمة لفساد مقدمته كان الجمع بين صحة المقدمة والنتيجة جمعا بين النقيضين[1481]

ولنضرب على ذلك مثالا لتتضح الصورة أكثر:

"قال النصارى نحن سنظل على نصرانيتنا لأنّها حق ؛ ودليلنا ما جاء في القرآن وهو قوله تعالى :

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.[1482] قالوا فوعد اللّه بجعل الذين اتبعوا المسيح فوق الذين كفروا به ولم يتبعوه ولم يؤمنوا به ، وهذا دليل على صحة ما نحن عليه لأننا متبعون له[1483]

فهذا الاستدلال في غاية الفساد حيث إنه تكذيب لقوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[1484]

وقوله صلى اللّه عليه وسلم: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِي مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لا يُؤْمِنُ بِي إلا كَانَ مَأْوَاهُ النَّارَ"[1485]

وغير ذلك من الآيات والأحاديث الدالّة على كفر النصارى ، إذن لم يتمّ استدلالهم بما جاء به الرسول إلا بتكذيبهم ببعض آخر مما جاء به، ومتى كذب أحدٌ بكلمة واحدة مما أخبر به من قال إنه رسول اللّه بطل احتجاجه بسائر كلامه كما سبق. هذا وجه.

ووجه آخر: أنّه على فرض ثبوت مدح دينهم فيما جاء به الرسول لا يصح أن يحتجوا به أيضا؛ فإن ثبوت مدح دينهم عنه مع ذمه له في وقت واحد تناقض، وهذا قادح في رسالته؛ فإنّ الرسول لا يناقض بعض خبره بعضا، ومن كان كذلك لم يصحّ الاحتجاج بشيء مما جاء به

(1481) أنظر : " الجواب الصحيح " (3 / 502 ـ 503) .

(1482) "سورة آل عمران " : (آية : 55).

(1483) انظر : "رسالة الأنطاكي " في "الجواب الصحيح"

(1484) "سورة المائدة " : (آية : 17).

(1485) سبق : (ص :)

لأنّه متنبؤ كاذب [1486]

وبهذا يتبين أنّ استدلال النصارى بآيات من القرآن على صحة دينهم فيه تناقض، فإنّه إن صحّ ذلك الدليل بأنه مدح دينهم مع ذمه كان متناقضا والكتاب المتناقض لا يكون كتاب الله.

وإن فسد أحدهما إما فساد دينهم، وإما فساد مدحه، فالكتاب الذي فيه فساد لا يكون كتاب الله، فيلزم ألا يكون كتاب الله على التقديرين، فلا يصح الاستدلال به من جهة كونه خبرا لله.

وأما الاستدلال به من جهة كون المتكلم به رجلا عالما حكيما -وهذا لا يفيد العلم إذ ليس معصوما إلا ّ الأنبياء عليهم السلام و إن كان النصارى يجوزوّن أن يكون معصوما غير الأنبياء- فهو حجة عليهم أيضا [1487].

وهذا كما سبق بغض النظر عن تصديقهم لرسالته أو تكذيبهم لها.

ثالثا:

وإذا بنينا المسألة على اعترافهم برسالته أو عدم اعترافهم بها يكون التقرير كالآتي:

لا يخلو حال النصارى مع محمد صلى الله عليه وسلم من ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يعترفوا بأنه رسول الله.

الحال الثانية: أن يدعوا أنّه كاذب في دعوى الرسالة.

الحال الثالثة: أن يتوقفوا فلا يحكمون بشيء.

وفي كل من هذه الحالات لا يصح لهم أن يستدلوا بما جاء عنه عليه السلام وفيما يأتي بيان لوجه ذلك.

الحال الأولى: حالة اعترافهم بنبوته:

لا يصح للنصارى أن يستدلوا بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى لوا اعترفوا بنبوته ورسالته سواء كان ذلك الاعتراف عامًّا بأن صدقوا برسالته إلى الناس كافة ، أو اعترافا خاصا بأن استثنوا أنفسهم من عموم رسالته ، أو خصصوها بقومه.

أمّا عن عدم صحة احتجاجهم بما جاء عنه في حالة اعترافهم بعموم رسالته فلأنهم مخاطبون بالإيمان به ، وتصديقه في كل ما جاء به، وتكفير من كفر به مثل من يعتقد التثليث وألوهية عيسى بن مريم عليه السلام، وغير ذلك من مقتضيات الإيمان به، فإذا كان مما يوجب

(1486) انظر : "الجواب الصحيح " (3 / 502).

(1487) انظر : " الجواب الصحيح " (3 / 503) .

عليهم اعترافهم برسالة النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان به وبطلان دينهم وعقائدهم ، وتكفير من ظل متدينا به ، ومعتقدا تلك العقائد الباطلة التي فيه ، فكيف يصح لهم مع ذلك أن يستدلوا بنفس الخبر الذي يحتّم عليهم الحكمَ بهذه الأحكام على صحة ما هم عليه من العقائد الفاسدة ، والشرائع المبتدَعة، وهذا راجع إلى الأصل الثاني وهو عدم جواز الجمع بين النقيضين حيث يلزم هنا أن يتوارد الكفر والإيمان والصحة والبطلان على شيء واحد في آن واحد، وقد سبق أن من أحكام النقيضين أنهما لا يجتمعان ولا يرتفعان[1488].
وأما عن عدم صحة احتجاجهم بما جاء عنه في حالة اعترافهم برسالته اعترافا خاصا (تخصيص رسالته عليه السلام بالعرب فقط)، فلأن كل من اعترف بأنه رسول الله لزمه الاعتراف بأنه رسول إلى جميع الخلق ، وقد نقل عنه عليه السلام نقلا متواترا أنه مبعوث إلى الناس عامة كما سبق ، فإن اعترفوا بذلك ورد عليهم ما سبق تقريره في الجزئية السابقة وإن استمروا على إنكار رسالته إليهم فهذا تكذيب له في أنه أرسل إليهم فيريد عليهم ما سيأتي تقريره في (الحال الثانية والثالثة).

الحال الثالثة : أن يدعوا أنه كاذب في دعوى الرسالة:
وفي هذه الحال لا يصح أن يحتجوا بما جاء عنه السلام أيضا سواء كذبوه تكذيبا عاما بأن قالوا لم يرسله الله إلى أحد ، أو تكذيبا خاصا بأن ادعوا أنه لم يرسل إليهم إنما أرسل إلى غيرهم فادعى ذلك من عند نفسه [1489] ومهما يكن من أمر فإنه تكذيب.

الحال الرابعة: أن يتوقفوا فلا يحكمون بشيء:
سواء كان هذا التوقف عامّا بأن تشككوا في أصل رسالته أو توقفا خاصا بأن ترددوا في تصديقه في قوله إنه أرسل إليهم.
فثبت بذلك تكذيبهم له في الوجه الثاني من الحال الأولى، وفي الحال الثانية بوجهيها وتشككوا في الحال الثالثة بوجهيها ، فيمتنع احتجاجهم بشيء مما جاء به بسبب ذلك ، لأنهم متى كذبوه عليه السلا م في كلمة واحدة أو تشككو في صدقه فيها امتنع مع ذلك أن يقروا بأنه رسول الله ، وإذا لم يقروا بأنه رسول الله، وأن القرآن الذي جاء به كلام الله ، كان احتجاجهم بما قاله كاحتجاجهم بسائر ما يقوله من ليس من ا لأنبياء بل من الكذابين أو من المشككوك في صدقهم ، وهؤلاء لا يجوز أن

[1488] انظر: " الجواب الصحيح " (1/ 139-140)، (1/ 142-143)، (1/ 497).
[1489] انظر : "الجواب الصحيح " (1 / 448 - 449).

يصدّقوا فيما يبلغون عن الله فضلا عن أن يكون حجة [1490] كما سبق [1491]
،
ولأنّه لا يمكن لعاقل أن يحتج لنفسه أو لغيره بما يعتقد أنه كذب أو مشكوك فيه [1492].

تنبيهات:

التنبيه الأول:

هنا سؤال ملِحّ يطرح نفسه ، وهو: من المعلوم أنّ من علماء المسلمين من ينقل ويستخرج من الكتاب المقدّس نصوصًا كثيرة يستدلون بها على عدة أمور منها: صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنها عقيدة التوحيد، ومنها إبطال العقائد النصرانية أنفسها إلخ. فكيف صحّ وساغ لنا نحن المسلمين أن نستدل بكتابهم على مرادنا ، ولا يصحّ لهم هم أن يستدلوا بكتابنا على مرادهم ؟

والجواب من وجهين:

الوجه الأول:

" لأن المسلمين مقرون بنبوة موسى ، وعيسى ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم من الأنبياء -عليهم السلام-وعندهم يجب الإيمان بكل كتاب أنزله الله ، وبكل نبي أرسله الله ، وهذا أصل دين المسلمين ؛ فمن كفر بنبي واحد ، أو كتاب واحد ، فهو عندهم-كافر، بل من سبّ نبيا من الأ نبياء فهو-عندهم-كافر مباح الدم ، كما قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1493].

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[1494].

وأما النصارى فإنهم لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم إيمانا

(1490) انظر: "الجواب الصحيح" (1/ 139-141)، (1/131)، (1/ 142 -144)، (1/496).

(1491) أنظر: "ص: 518) من هذا المبحث.

(1492) أنظر: " الأعلام " (ص: 106) ، (ص: 136) ، (ص: 137) .

(1493) "سورة البقرة" : (آية: 136 - 137)

(1494) "سورة البقرة" : (آية: 285).

حقيقيا ، فهو كاذب عندهم، والكاذب لا يجوز لأحد أن يستدل بكلامه فيما يبلّغه عن الله[1495].

الوجه الثاني:

أن مراد المسلمين ـ وهو الاستدلال من كتبهم ـ يمكن أن يتم دون أن يكذّبوا بشيء مما أنزل الله ، وأمّا النصارى فلا يمكنهم ذلك .

ووجه ذلك : أن المسلمين لا يجيز أحد منهم التكذيب بشيء مما أنزل الله على من قبل محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا كانوا لا يردون شيئا من الحجج بتكذيب أحد من الأنبياء في شيء قاله ، ولكن قد يكذبون الناقل عنهم ، أو يفسرون المنقول عنهم بما أرادوه أو بمعنى آخر على وجه الغلط . وإن كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل ، أو تأويل بعض المنقول عنهم ، فهو كما يغلط من يغلط منهم ومن سائر أهل الملل في التكذيب على وجه الغلط ببعض ما ينقل عمن يقر بنبوته أو في تأويل المنقول عنه .

وهذا بخلاف تكذيب نفس النبي ، فإنه كفر صريح ، بخلاف أهل الكتاب ، فإنه لا يتم مرادهم إلا بتكذيبهم ببعض ما أنزل الله ، ومتى كذب بكلمة واحدة مما أخبر به من قال إنه رسول الله بطل احتجاجه بسائر كلامه[1496] .

التنبيه الثاني:

عدم جواز استدلالهم بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقتصر على القرآن فقط ، بل يشمل القرآن والحديث ، وإنما كثر الكلام عن الآيات لأنهم يكثرون الاستدلال بها أكثر من الأحاديث .

التنبيه الثالث:

لا يزال النصارى يحاولون الاستدلال بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حتى الآن، بل كانوا في العصر الحاضر أكثر انتهاجا لهذا الأسلوب من ذي قبلُ وإن كان جل الاستدلالات المعاصرة رجْع صدًى للاستدلالات القديمة.

التنبيه الرابع:

بواعث استدلال النصارى بالقرآن والسنة على باطلهم كثيرة من أخطرها:

1. محاولة تنصير المسلمين أو تشكيكهم في دينهم، وزعزعة قناعتهم

(1495) " الجواب الصحيح " (1/ 132 ـ 132) .

(1496) أنظر : " الجواب الصحيح " (1/ 137 _ 138) ، (3/ 497) .

ببطلان دين النصارى ، وهذا الباعث في غاية الظهور في النصراني الذي رد عليه **الطوفي** .

2. قصد إلزام المسلمين، وهذا ظاهر في النصراني الذي ردّ عليه **القرافي** وابن **تيمية** .

وهذان المقصودان أكثر وجودا من المقاصد التي تأتي بعدهما.

3. مجرّد الطعن في الإسلام والتشفي.

4. محاولة إثبات صحة كتبهم، وتعزيز ثقة أتباعهم من النصارى بدينهم، وصدهم عن دين الإسلام ، فكأنهم يقولون لهم ما دام أن في القرآن تناقضا-كما يدعون-أو هو شاهد لصحة دينهم وأفضليته-كما يتخيلون-فلماذا إذاً يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير.

5. الدعوة إلى وحدة الأديان، فلا يكاد ناعق بهذه الدعوة الخبيثة إلا ويستشهد بالآيات والأحاديث على مقصده . مثل استدلالهم بآية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1497] على عدم التعرض عليهم في دينهم حتى ولو بالرد ، وقوله صلى الله عليه وسلم:
"المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ " على بناء العلاقة بين المسلم والنصراني ما دام أن كل واحد منهما مؤمن حسب زعمهم . ومعلوم أن رائدة هذه الدعوى في هذا العصر هي الديانة النصرانية.

6. الاستشكال والمقصود به أن يعتقد نصراني أن آية أو حديثا ما يدل على ما هو عليه دون أن يقصد وراء ذلك شيئا آخر كما حدث لطبيب الرشيد النصراني[1498] وهذا أخف البواعث السابقة، وقد يوفّق بعد التأمل والاسترشاد إلى الإسلام كما وُفق طبيب الرشيد المذكور لأنه ليس معاندا إنما هو مستشكل ناشد للحق .

التنبيه الخامس:

للنصارى طرق متعددة في الاستدلال بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا أو سنة لكن يمكن إرجاعها إلى أصل واحد وهو تأويل النصوص على غير وجهها، وحملها على معان توافق اعتقاداتهم الفاسدة ولهذا الأصل صورتان

الأولى : تنزيل النصوص الواردة في النصرانية الصحيحة على النصرانية المحرفة

(1497) "سورة البقرة " : (آية : 256).

(1498) سبقت القصة (ص :).

وذلك مثل استدلالهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدىً وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾.(1499).
على صحة ما اشتملت عليه التوراة حيث كان فيها الهدى والنور، وقد حكم بها الأنبياء، وكذلك قوله في حق الإنجيل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإنجيل فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.(1500)

ومثل استدلالهم بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.(1501)
على صحة ما هم عليه قالوا : فإذا كان ما هم عليه باطلا فكيف يحيله عليهم ليسألهم عن ما أحي إليه.
الثانية: حمل النص على تأويل فاسد يوافق اعتقاداتهم الفاسدة عن طريق تقديرات أو تفسيرات مبنية على هوى مجرد.
وفي هذه الصورة يقدرون ما شاءوا من الضمائر حتى تتمشى النصوص مع هواهم وذلك مثل قوله تعالى:
﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.(1502) قالوا في قوله بإذن الله أي بإذن اللاهوت المتحد بالناسوت حسب زعمهم(1503)
ومثل تفسيرهم لقوله تعالى:
﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾.(1504) بأن المقصود بالكتاب "الإ

(1499) "سورة المائدة " : (آية : 44).
(1500) "سورة المائدة " : (آية : 46).
(1501) "سورة يونس " : (آية : 94).
(1502) "سورة آل عمران " : (آية : 49).
(1503) "رسالة الأنطاكي " انظر : "الجواب الصحيح"
(1504) "سورة البقرة " : (آية : 2).

إنجيل"[1505]

وتفسيرهم لقوله تعالى:

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[1506] بأنّ المقصود بالذكر "التوراة" و"الإنجيل"[1507]

ومثل تأويلهم لقوله تعالى:

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}[1508] بأن المقصود بالرسل الحواريون.

ومثل استدلالهم بقوله تعالى: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}[1509] على الحلول؛ قالو: لأن اللّه حلّ في شجرة وقامت هي بدورها بمخاطبة موسى عليه السلام والعياذ باللّه[1510]

وكاستدلالهم بـ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}[1511] على التثليث.

واستدلالاتهم من هذا النوع في غاية السقوط حتى لا تكاد تحتاج إلى رد ، وإن كانت بقيّة استدلالاتهم أيضا مثلها إلا أنّ هذه وأمثالها في الدرك الأسفل من السقوط

(1505) "رسالة الأنطاكي" : انظر : "الجواب الصحيح"

(1506) "سورة الحجر" : (آية : 9).

(1507) "رسالة الأنطاكي" : "الجواب الصحيح"

(1508) "سورة الحديد" : (آية : 25).

(1509) "سورة طه" : (آية 12).

(1510) انظر : "الأجوبة الفاخرة" ففيه اعتراض النصراني بذلك.

(1511) "سورة الفاتحة" : (آية : 1)

التنبيه السادس

للنصارى مناهجُ معينة في الاستدلال بما جاء عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على عقائدهم الباطلة أو على الطعن في الإسلام ومن أبرز هذه المناهج ما يأتي:

1. التلقين وفي هذه المسألة يلقنون أتباعهم ، وخاصة المنصيرين منهم ما يُخَيّل إليهم أنها حُجج لهم مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ليستدلوا بذلك عند دعوتهم الناس إلى النصرانية أو يحتجوا بها عند الحاجة في المناظرة . وقد ارتد كثير من المسلمين الجهال نتيجة هذا المكر الخدّاع [1512] .
2. حشر الآيات

وهو نوعان:

النوع الأول : حشر أكبر قدر ممكن من الآيات التي يرون فيها تأييدا لما هم عليه ، وتبادلها فيما بينهم ليتسنّى لهم الاحتجاج بها متى ما دعت الحاجة إلى ذلك فقد كانت الصحيفة التي رد عليها شيخ الإسلا م بن تيمية و**القرافي** رحمهما الله متداولة بين النصارى منذ قرون ، كما قال شيخ الإسلام بن تيمية

النوع الثاني: حشر الآيات أو الأحاديث الواردة في موضوع واحد في مكان واحد ودراستها ومحاولة ضرب بعضها ببعض أو تفسير بعضها ببعض تفسيرا يشهد على صاحبه بالجهل أو الهوى، وقد سلك النصراني الذي رد عليه **الطوفي** في الانتصارات هذا المسلك أكثر من غيره ، وهو منهج ماكر للغاية يستطيع من خلاله تشكيك المسلمين العوام .

3. استغلال خلافات علماء المسلمين التفسيرية، وهنا يختارون من الأ قوال التي قيلت في تفسير آية مما يتفق وهواهم ، فيستدلون بالآية على باطلهم ويستشهدون بذلك القول المنقول عن أحد علماء التفسير ، وذلك مثل احتجاجهم بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الذِينَ اتبَعُوكَ فَوْقَ الذِينَ كفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ ثمّ إِلَيّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تخْتَلِفُونَ﴾ [1513] على حادثة الصلب وأنه وقع فع

(1512) شاهد شريط فيديو " بلغة حوسا " بعنوان (مقابلة مع سليمان) حيث يتكلم أحد النصارى ممن هداهم الله للإسلام ويكشف عن هذا المنهج ، ويبن أنه بنفسه ارتد على يديه عدد غير قليل من المسلمين من بينهم إمام مسجد .

(1513) "سورة آل عمران " : (آية : 55).

لا لأن الآية نصت على التوفي ويؤيدون ذلك بأحد الأقوال المنقولة عن السلف في الآية من أن الله تعالى أمات عيسى صلى الله عليه وسلم موتا حقيقيا فترة من الزمن.

4. تقمّص شخصية مسلمة وهذه مكيدة أخرى ، وفيها يؤلفون كتابا على لسان مسلم يدعي أن المسيح أنار بصيرته فتنصّر، ويبين أنّ ما جره إلى التنصر والردة عن الإسلام آيات وأحاديث فيها التناقص و التكاذب وهكذا.

التنبيه السابع:

للنصارى عدّة وسائل في نشر استدلالاتهم بالقرآن والسنة في الآفاق منها:

1. التأليف ، وهو أكبر وسيلة يستعملونها في قذف شبهاتهم باستدلالات من الكتاب والسنة ، فيؤلفون كتبا خاصة في نصرة عقيدتهم أو الطعن في الإسلام أو فيهما معا محتجين في ذلك بالآيات القرآنية وا لأحاديث النبوية.

فممن ألف نصرة لعقيدته مستشهدا بالآيات بولس الأنطاكي الذي رد عليه **ابن تيمية والقرافي**، وكذلك النصراني الذي ردّ عليه **القرطبي**. وقد ألف جيمس منرو النصراني كتابا بعنوان " الشهادات القرآنية إلى الملة المسيحية "ورد عليه الشيخ أحمد اللبّان.

وممن ألف للطعن في الإسلام النصراني الذي رد عليه **الطوفي** وهو أخبثهم فيما وقفت عليه.

وممن ألف في المجالين القسيس فندر في كتابه "ميزان الحق" الذي رد عليه **رحمت الله الهندي** في كتابه "إظهار الحق"

2. إفرازها في المناظرات، فيستغلون ساحات المناظرات لسرد بعض من الآيات التي يستشهدون بها على دينهم ، والتي قد لا يحسن الرد على تلك الاستدلالات الطرف الآخر (المسلم) وخاصة إذا لم يستعمل هذه القاعدة فينصرف العامة وقد تعلق بأذهان كثير منهم إمكان صحة ما عليه النصارى ما دام أن آيات من القرآن تشهد له أو ضعف اليقين في الإسلام لما يثيره ذلك النصراني من الشبهات ضده منطلقا في ذلك من مصادره الموثقة الكتاب والسنّة وقد اتبع هذه الطريقة "جيمي سواغت" في مناظرته مع الشيخ **أحمد ديدات** (المناظرة الكبرى) .

3. إنشاء مواقع على الإنترنت، فهناك آلالاف مؤلفة من المواقع

النصرانية بلغات عديدة من لغات العالم مما بُني أساسا لهذا الغرض أو لغرض آخر ولكنّ هذا من أهم أغراضها. وذلك مثل موقع: Answering Islam

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها:

لا يصح: أي لا يكون صحيحا.

و"الصحيح" هو "ما يُعتمد عليه" [1514] فإذا قيل هذا شيء لا يصحّ أي كان باطلا غير مقبول.

الاحتجاج: أي إقامة الحجة بشيء مما جاء به الرسول ، أو اتخاذه حجة.

يقال: احتَجّ عليه : أي أقام عليه الحجة [1515]، واحتجّ به : اتخذه حجة [1516]

الحجّة: هي الدليل والبرهان" [1517] و "ما دلّ على صحة الدعوى" [1518].

ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم: المقصود به ما بلّغه عليه الصلاة والسلام عن الله.

وضابط ما بلّغه عليه السلام عن الله أن يكون : شريعته التي يلزم الناس اتباعها.

بوجه من الوجوه: أي بحال من الأحوال.

والأوجه المتصوّر فيها احتجاج النصارى بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اثنان وثلاثون وجها[1519]، لكنّ مردّها إلى أصلين هما:

الأصل الأول:

أن يحتجوا بشيء مما جاء به عليه السلام لصحة ما هم عليه من العقائد الفاسدة، والشرائع المبتدعة مثل الاتحاد، والحلول، والقول بـ

(1514) " التعريفات " (ص / 132) .

(1515) " المعجم الوسيط " (1 / 156) .

(1516) " لسان العرب " (3 / 54) .

(1517) " المصدر السابق " " المعجم الوسيط " (1 / 157) .

(1518) " التعريفات " (ص / 82) .

(1519) لأنّهم إمّا أن يحتجوا بما جاء عنه عليه السلام لصحّة دينهم أو للطعن في الإسلام ، وفي كلتا الحالتين إمّا أن يصدّقوا بنبوّته ورسالته ، أو يكذّبوه فيها ، أو يتشكّووا أو يتوقفوا . وهذا التصديق ، أو التكذيب ، أو التشكك ، أو التوقف إمّا أن يكون كل واحد منها جزئيا أو كليا ، وهذا ينتج عنه ستة عشر وجها . وهذا في نبوّته ورسالته . ومثاله يقال في أحوالهم مع ما بلّغه عن الله، فينتج عنه ستة عشر وجها أيضا . فيكون المجموع اثنين وثلاثين وجهاً.

التثليث، وعصمة الحواريين، والرهبانية، سواء صدقوه أم كذبوه أم ترددوا في أمره أو توقفوا.

الأصل الثاني:

أن يحتجوا بشيء مما جاء به عليه السلام للطعن في شيء من رسالته وهذا على وجهين:

1. أن يحتجوا بشيء مما جاء به عليه السلام لإنكار رسالته إنكارا كليا أو جزئيا أو التشكك فيها كذلك (أي تشككا كليّا أو جزئيا).
2. أن يحتجوا بشيء مما جاء به عليه السلام للطعن في شخصه، أو في بعض ما نقل عنه من العقائد، والشرائع، والأخبار طعنا كليا أو جزئيا سواء صدقوه أو كذبوه أو ترددوا في أمره أو توقفوا.

ففي كل هذه الأوجه لا يصح لهم أن يحتجوا بما جاء به صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: الشرح الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة إجمالا هو:

أن استدلال النصارى بما بلغّه النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه من الكتاب والسنة لصحة دينهم، أو الطعن في الإسلام استدلال باطل سواء ادعوا الإيمان به أم لا.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى:صورة تطبيق القاعدة

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:

إذا قال نصراني مثلا:

"إنجيلنا صحيح وكل ما جاء فيه حق وصدق حيث شهد له بذلك محمد في قرآنه في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1520]

قال له المسلم:

"ليس لك أن تستدل بشيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله؛ لأنّه إن كان عندك نبيّا صادقا، فقد بيّن أن الإنجيل الذي بأيديكم مبدل ومحرف، والنبي الصادق لا يتناقض قوله ، فلا يمكن أن يمدح

(1520) "سورة المائدة" : (آية : 46).

شيئا ويصدّقه ، ثمّ يذمّ نفس ذلك الشيء ويكذبّه في آن واحد ومن جهة واحدة وعليه، فتكون تلك الشهادة الزكية منصبّة على إنجيل آخر؛ وهو الذي جاء به عيسى عليه السلام"
"وإن كان عندك متنبئا كاذبا فكل ما بلغّه عن الله فهو فيه من الكاذبين ، وأي عاقل يستدل بما هو كذب من أقاويل كذّاب" ؟!.

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:
تتناول هذه القاعدة بالرد كل مسألة احتج فيها نصراني بآية أو حديث لتقرير باطل.
وأما الطعن المجرد بادعاء التناقض والتكاذب بين ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم دون قصد الاحتجاج به على شيء من عقائدهم، أو على أنّ الرسول لم يرسل إليهم، أو على أي غرض من الأغراض ذات العلاقة بما ذُكر، بل لمجرد التشفي والاعتداء، فليس من متناول القاعدة بل من مشمولات قواعد أخرى مثل:
قاعدة: "حكم الشيء حكم مثله"
وقاعدة: " ما من مطعن ما مطاعن أعداء الأنبياء في محمد صلى الله عليه وسلم إلا ويوجد مثله وأعظم منه في موسى وعيسى"
وقاعدة: " ما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء على القرآن إلا وفي كتبهم مثلها وأعظم منها ".

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة:
قال القرطبي في معرض ردّه على النصراني احتجاجه ببعض آيات القرآن على معتقده الفاسد:
"وأمّا قولك وإن كتابكم يقول : (إن موسى سمع كلام الله ، وكلّمه تكليما) فكيف يسوغ لك أن تجنح[1521] بما أنت منكر لأصله ، و لا تعترف بأنّه كلام الله ، وأنت منكر لتصديق من جاء به ، فلا يحل لك أن تحتج لنفسك ولا لغيرك بما تعتقد أنّه كذب"[1522]
وقال أيضا في غضون ردّ استدلال قرآني آخر من قِبَل النصراني على عقيدته الباطلة "وأمّا استدلالهم بما في كتابنا من قوله تعالى: {إنّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ

(1521) هكذا في المطبوع ولعل الصواب "تحتج " ويدل عليه آخر الكلام.
(1522) "الإعلام " (2/106).

}.[1523] فلا حجّة لهم في ذلك لوجوه: أحدها أنّهم لا يصدقون بكتابنا ، فلا يستدلون به على شيء"[1524]

(1523) "سورة النساء" : (آية : 171).
(1524) "الإعلام" (1/137) .

وجه استعمال القاعدة:

استعمل القرطبي مفهوم قاعدة "**لا يصح احتجاج النصارى بشيء مما بلغّه محمد عن الله بوجه من الوجوه**" وإن لم يستعمل لفظها في دحض استدلال النصراني كرد إجمالي على شبهته ، فمنعه من الاستدلال بالقرآن ، وذكر تعليلا من تعليلات القاعدة وهو أنّه مكذّب لأصل الدليل الذي استدل به ، وذلك في قوله "فلا يحل لك أن تحتج لنفسك و لا لغيرك بما تعتقد أنّه كذب" وهذا في النقل الأول .

وقال في النقل الثاني : "أنهم لا يصدقون بكتابنا فلا يستدلون به على شيء" فكأنّه يقول كيف يستقيم استدلال أحد بما يعتقد أنّه كذب.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية**:

أثناء ردّه على النصراني تبرئة أنفسهم من عبادة ثلاثة آلهة، وأنّهم مع قولهم بالتثليث موّحدون مؤكدا دعواه بآيات من القرآن حتى قال في آخر الدعوى": ولا سيما أن لنا هذه الشهادات البينات والدلائل الواضحات من الكتاب الذي أتى به هذا الرجل"[1525]

فردّ عليه شيخ الإسلام **ابن تيمية** قائلا: "فصل: وأما قولهم : ولنا هذه الشهادات والدلائل من الكتاب الذي في أيدي هؤلاء القوم ".

"فيقال : لا يصح استشهادهم بهذا الكتاب ، واستدلالهم به بوجه من الوجوه"[1526] إلخ.

وجه استعمال القاعدة:

منع شيخ الإسلام النصراني الاستدلال والاستشهاد بآيات القرآن وذلك استنادا إلى قاعدة : "**لا يصح احتجاج النصارى بشيء مما بلغّه محمد صلى الله عليه وسلم عن الله بوجه من الوجوه**"؛ فإنّ قوله "لا يصح استشهادهم بهذا الكتاب، واستدلالهم به بوجه من الوجوه" هو مفهوم القاعدة ومؤداها.

المبحث الثالث:

قاعدة:

القرآن يؤخذ كله

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

(1525) انظر الجواب الصحيح " : (3 / 477).

(1526) (3 / 495) .

استنتجت هذه القاعدة من فحوى ردود علماء قرروا معناها واستعملوها في ردودهم كثيرا أمّا الصيغة التي صدرتها بها فلم أقف على أحد منهم نص عليها تنصيصا[1527]

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: الأصل العلمي للقاعدة:

قاعدة: "القرآن يؤخذ كلّه" قاعدة شرعية كما سيأتي تقريره قريبا وعقلية أيضا لأنّ إعمال آية وإهمال أخرى تفريق بين متماثلين، وقد سبق بإسهاب أنّ جميع العقلاء متفقون على وجوب الجمع بين المتماثلين وحتَمِيّة التفريق بين مختلفين بما يغني عن إعادته هنا[1528]

ثانيا: مواضع ورودها:

لم أقف على من نص على القاعدة بصيغة معينة وأمّا من حيث الا ستعمال لمعناها والتطبيقات عليها فقد عثرت عليها عند عدد من العلماء الذين ردوّا على النصارى منهم:

-القرطبي في "الإعلام"[1529]

-الجعفري في "التخجيل"[1530]

-شيخ الإسلام ابن تيمية "في الجواب الصحيح"[1531] وهو أكثر من استعملها

-الطوفي في "الانتصارات"[1532]

ثالثا: أدلتها:

من أدلتها في الكتاب:

بما أنّ قاعدة "القرآن يؤخذ كلّه" قاعدة لها علاقة وطيدة بقاعدة "حكم الشي حكم مثله" وقاعدة "لا يصح احتجاج النصارى بشيء

(1527) والصيغة التي صدرت بها استفدتها من العنوان الجانبي الذي وضعه محقق كتاب الجواب الصحيح، (3/495).

(1528) انظر: (ص: 518) من هذا البحث

(1529) في مواضع منها: (1/137).

(1530) في مواضع منها: (2/540).

(1531) في مواضع منها: (201/2)، (224/2- 256)، (276/2- 286)، (346/2)، (53/3) (63/3)، (107/3)، (3/121)، (3/164).

(1532) في مواضع منها: (1/456).

مما بلغّه محمد صلى الله عليه وسلم عن الله بوجه من الوجوه" كما سبق بيانه آنفا ؛ فإنّ كثيرا من أدلتهما تصلح أن تكون لها دليلا وإن كانت لها أدلتها الخاصة منها قوله تعالى:
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ. وكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.[1533]
الشاهد في الآية الأولى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾.
وجه الاستشهاد:
حيث عاب الله تعالى على اليهود والنصارى (الأحزاب)[1534] إنكارهم بعض القرآن، وجعله هوى متبعا لا دينا مشروعا ولا مأخذا معقولا، وحكم على متبعهم في إنكار بعض القرآن بالوعيد الشديد، فهذا يدل على أنّ إنكار بعض القرآن لا وجه له، وهو من أدلة أنّ "القرآن يؤخذ كله"
وفي الآية الثانية قوله:
﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾.
وجه الاستشهاد:
حيث بيّن سبحانه وتعالى أنّ إنكار بعض القرآن من الهوى الذي يوبق صاحبه ويقوده إلى عذاب النار حتى لو كان نبيا، بل أفضل الأنبياء. ولا شك أنّ في هذا تقريراً لقاعدة "القرآن يؤخذ كله"
ومن ذلك أيضا قوله تعالى:
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾.[1535]
ودلالة هذه الآية على المقصود ظاهرة لا تحتاج لبيان.
قال ابن القيم رحمه الله في معرض تقرير حجة الله على اليهود في الآية المذكورة:
"وهذا الاحتجاج[1536] والذي قبله[1537] مفحمان للخصم لا جواب له

(1533) "سورة الرعد" : (آية : 36 - 37).
(1534) هكذا فسّر "الأحزاب" في الآية جمع من السلف . انظر : "تفسير الطبري" (16/473-474).
(1535) "سورة البقرة" : (آية : 85).
(1536) يعنى بذلك الاحتجاج الذي تضمنّه قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا

عليهما البتة؛ فإنّ الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه"[1538] إلخ

من أدلتها العقلية:

أمّا ما يدل على صحة القاعدة من الناحية العقلية فمن ذلك أنّ القرآن الكريم مصدره واحد وبعضه يصدّق بعضا، والإيمان الواجب به كلّه لا بجزء منه، فبأي مبرر يؤخذ ببعضه ويهمل البعض الآخر.

لا تهْوَى أنْفُسُكُمُ اسْتَكبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كذّبْتُمْ وَفَرِيقاً تقتُلُونَ﴾. "سورة البقرة": (آية: 87).

(1537) يعنى بذلك الاحتجاج الذي تضمنّه قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾. "سورة البقرة": (آية: 87).

(1538) "بدائع الفوائد" (4/ 143).

المطلب الثالث:
شرحها:

معنى القاعدة من حيث الإجمال:
معنى هذه القاعدة باختصار هو صريح ما دلت عليه وهو أنّ القرآن لا يجوز و لايمكن أن يؤخذ ببعضه ويترك البعض الآخر، بل لا بدّ من الأخذ بالجميع أو ترك الجميع.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة
لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:
إذا قال نصراني: ما جاء في قرآنكم من قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1539] يدلّ على أنّنا معشر النصارى على الحق وذلك من ثلاثة أوجه:

1. وعد الله لنا بالفوقية والأفضلية ؛ وما ذلك إلا لصحة اعتقادنا ، واستقامة ديننا؛ حيث اتبعنا السيّد المسيح.
2. نفي الكفر عنّا في قوله ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. فدلّ هذا على أننا لسنا كفاراً.
3. أننا لا نزال على الهداية والحق حيث قال: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. فهذا دليل على أننا لن نضل أبداً.

فيقول له المسلم:
أين أنت من قوله تعالى:
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1540]
وقوله تعالى:
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ

(1539) "سورة آل عمران" : (آية : 55).
(1540) "سورة المائدة" : (آية : 72).

وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[1541]

فإن قبل دلالة مثل هذه الآيات انتقض عليه استدلاله بالسابقة لكون هذه مبينة للفرق بين أتباع المسيح الذين كانوا على دينه المقصودين بالآية التي استدل بها وبين المحرّفين لدين المسيح المنتسبين إليه.
وإن لم يقبل انتقض عليه استدلاله بتلك ، لأنّه يكون بذلك قد نقضَ حجيّة القرآن ، ويجب عليه أن يأخذ به جميعا، وإلاّ فليتركه جميعا؛ لأنّ "القرآن يُؤخذ كله".

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:
يرد بقاعدة "القرآن يُؤخذ كله" على النصارى في الوجوه التالية

1. إذا استدل النصارى بآية وثمّة غيرها إمّا مقيّدة للعموم الموجود في الآية الأولى هو موضع احتجاج النصراني، أو ناسخة للتي احتج بها أو مفصّلة لإجمال في الآية الأولى احتج به ثمّ هو يأبى إلاّ الأخذ بتلك الآية دون الأخرى التي تنقض عليه استدلاله[1542].
2. إذا استدل النصراني ببعض آية وسياق الآية ينقض عليه صحّة مااستدل له ببعضها ثمّ هو يأبى الأخذ بسياق الآية مقتصرا على بعضها الذي يجد فيه بغيته[1543].
3. إذا استدل النصراني بآية ووجه استدلاله فيها مردود أو ثمّة أوجه أخرى فيها تعارض أو ترد الوجه الذي تمسك به ، أو هناك عموم فيها يشمل ما استدل له النصراني ويشمل غيره على حد سواء ، ثم هو يأبى إلا التمسك بالوجه الذي يريد أن يحقق من ورائه هدفَه[1544].

المسألة الثالثة:نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة:

(1541) "سورة المائدة": (آية: 73).
(1542) انظر: "الجواب الصحيح" (2/277)؛ (3/63).
(1543) انظر: "الجواب الصحيح"؛ (2/201) (3/53)؛ (3/154)؛ (3/107).
(1544) انظر: "الجواب الصحيح": (2/224-227)؛ (2/256)؛ (3/121-122)؛ (2/201-202)؛ (2/354)؛ (3/68).

قال الجعفري:
أثناء ردّه على العيسوية إيمانهم الأبتر بنبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم "أمّا العيسوية المعترفون بنبوّة محمد عليه السلام ورسالته إلى العرب خاصّة ، فنقول لهم : إذا صدقتم محمداً في قوله (إنّه نبي) لزمكم تصديقه في كل ما أخبر به ، ومن جملة ما أخبر به أنّه رسول الله إلى النّاس أجمعين ، قال الله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً } (1545) (1546)

وجه استعمال القاعدة:
استعمل الجعفري مفهوم قاعدة "القرآن يؤخذ كله" في الرد على الفرقة اليهودية العيسوية في إنكار عموميّة نبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم فإنهم أعملوا النصوص المثبتة لنبوته دون أن تنصّ على عموم رسالته تنصيصا مثل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ} (1547)
وقوله تعالى : {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ} (1548)
وقوله صلى الله عليه وسلم "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ" (1549) الحديث.
وأغضّوا الطرَف عن الآيات الناصة على عموم رسالته مثل الآية التي استشهد بها رحمه الله ، ومثل قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} (1550)
وقوله عليه السلام "أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي" إلى أن قال: "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً" (1551)
فكأنّه يعني بقوله : "إذا صدقتم محمداً في قوله (إنّه نبي) لزمكم تصديقه في كل ما أخبر به ومن جملة ما أخبر به أنّه رسول الله إلى

(1545) "سورة الأعراف" : (آية : 158).
(1546) "التخجيل" (2 / 420).
(1547) "سورة التوبة" : (آية : 73).
(1548) "سورة الفتح" : (آية : 29).
(1549) رواه البخاري " : (4 / 1641)، رقم : [4243].
(1550) "سورة سبأ" : (آية : 28).
(1551) "سبق تخريجه (ص : 72).

النّاس أجمعين " إذا كنتم مؤمنين حقاً بقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه﴾[1552] وأمثالها فأثبتم بذلك نبوّة النبي صلى اللّه عليه وسلم ورسالته لزمكم الإيمان بقوله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[1553] وأشباهها فتثبتوا بها عموم رسالته لأن "القرآن يؤخذ كلّه"

وإنما صلح الاستشهاد بقول **الجعفري** في الرد على النصارى هنا وإن كان كلامه في الأصل ردّ على بعض اليهود لمشاركة بعض النصارى لهم في هذا المعتقد (وهو ادعاء خصوصية رسالة النبي صلى اللّه عليه وسلم بالعرب).

من ردود شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم بالقاعدة

استدل بعض النصارى بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1554]

وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[1555]

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[1556] على أنّ الحواريين رسل اللّه، وأنهم المقصودون بـ"برسلنا" في الآية الأولى، وبـ"مبشرين ومنذرين" في الآية الثانية، وبـ"مرسلين" في الآية الثالثة.

قالوا في وجه استدلالهم من الآيتين الأوليين: أنّه قال معهم "الكتاب" بالإفراد ولم يأت جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين إذ لو أراد بذلك مثل إبراهيم وداود وموس ومحمد صلى اللّه عليه وسلم لقال معهم "الكتب"؛ لأنّ كلّ واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ، ومن ثمّ ادعوا أن لفظ "الكتاب" الوارد في الآيتين مقصود به الإنجيل.

وقالوا في وجه استدلالهم من الآية الثالثة أنه قال "مرسلين" ولم

(1552) "سورة الفتح" : (آية: 29).
(1553) "سورة الأعراف" : (آية: 158).
(1554) "سورة الحديد" : (آية: 25).
(1555) "سورة البقرة" : (آية: 213).
(1556) "سورة يس" : (آية: 20).

يقل "رسول " قالوا فعُلم بذلك أنّه يعني الحوارين [1557].
فردّ عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية بأوجه منها ما مبناه على قادعتنا قاعدة "القرآن يؤخذ كله " هذه بعضها [1558]
قال رحمه الله:
"إنّ قولهم عن الحواريين أنّهم الرسل الذين عظّموا في هذا الكتاب وأنّ المقصود بـ"الكتاب" في الآيتين السابقتين مقصود به الإنجيل قول باطل فسّروا به القرآن تفسيرا باطلا من عدّة وجوه منها:
أنّه قال ·{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}· [1559]
فذكر أنّه أنزل الحديد أيضا ليتبيّن من يجاهد في سبيل الله ، و النصارى يزعمون أن الحواريين والنصارى لم يؤمروا بقتال أحد بـ الحديد .
ومنها:
أنه قال: ·{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}· [1560] أي فاختلفوا ·{فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}· [1561] و الحواريون ليسوا من النبيين وإن كان المسيح أرسلهم ولا يلزم من إرساله لهم أن يكونوا أنبياء ، كمن أرسلهم موسى ومحمد وغيرهما؛ ولهذا تسميهم عامة النصارى رسلا ولا يسمونهم أنبياء.
والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله ليس المراد به كتابا معينا كما قال تعالى:
·{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}· [1562]

(1557) "رسالة الأنطاكي " انظر "الجواب الصحيح " (2 / 224 - 225).
(1558) انظر تفصيل رده على الشبهة بما فيها الأوجه المذكورة في "الجواب الصحيح" (224/2 – 244).
(1559) "سورة الحديد " : (آية : 25).
(1560) "سورة البقرة " : (آية : 213).
(1561) "سورة البقرة " : (آية : 213).
(1562) "سورة البقرة " : (آية : 177).

ولم يرد بهذا أن يؤمن بكتاب معين واحد ، بل و هذا يتضمن الإيمان بالتوراة والإنجيل، والقرآن ، وكل ما أنزله الله من كتاب ، كما قال في سورة الشورى:
{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كمَا أُمِرْتَ وَلا تتبِعْ أهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأمِرْتُ لِأعْدِلَ بَيْنَكُم} (1563)
فأمره الله-تعالى-أن يؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب، وأن يعدل بين من بلغتهم رسالته كما قال:
{لِأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} (1564)
وجه استعمال القاعدة:
استعمل شيخ الإسلام قاعدة "القرآن يؤخذ كله" في رد استدلال النصارى السقيم ، من خلال رجوعه إلى سياق الآيتين فبين في الأولى أنّه يجب الأخذ بدلالة قوله تعالى {وَأنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأسٌ شَدِيدٌ} لأنّ "القرآن يؤخذ كله" فإن قبلوا سقط استدلالهم بالآية حيث إنهم يقولون إن الحواريين والنصارى لم يؤمروا بالقتال بالحديد، وإن أبو إلا ّ الأخذ بالجزء الذي استدلوا به سقط استدلالهم أيضا ؛ لأنّ "القرآن يؤخذ كله"
ثمّ بيّن أنّ اعتبار "النبيين" في الآية الثانية كاعتبار "مبشرين ومنذرين" فكلٌّ من ألفاظ القرآن فيجب إعماله لأن "القرآن يؤخذ كله" فإن سلموا سقط استدلالهم بها كما سقط الذي قبله لأنّ الحواريين عندهم ليسوا أنبياء، وإن أبَوا إلا ّ الأخذ بالجزء الذي استدلوا به انتقض عليهم استدلالهم أيضا؛ لما سبق مرارا من أنّ "القرآن يؤخذ كله"
وأمّا بالنسبة لقولهم إن المقصود بـ"بالكتاب" في الآتين السابقتين هو الإنجيل ردّ عليهم بقاعدة "القرآن يؤخذ كله" أيضا حيث بيّن أنّ دلالة لفظ " الكتاب" عامّة تشمل كل كتاب أنزله الله من التوراة والإنجيل والقرآن وغيرها ويجب التسليم لذلك وقبوله ؛ حيث دل على الكلّ القرآنُ و "القرآن يؤخذ كله"، فإن سلم النصراني فسد دينه المحرّف الذي هو عليه ، لأنّ القرآن جاء بإبطاله ، وإن لم يسلم ، وأبى إلا تخصيص دلالته انتقض عليه استدلاله لأنّ "القرآن يؤخذ كله"

(1563) "سورة الشورى" : (آية : 15).
(1564) "سورة الأنعام" : (آية : 19).

واستدل الأنطاكي للنصارى بقوله تعالى: ﴿الم. ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾(1565) على صحة دينهم وطهارة كتابهم المقدّس.
قالوا المقصود بـ"الكتاب" في الآية الإنجيل ، والمعنييون بالمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقهم اللّٰه ينفقون النصارى، قالوا : وسمّاهم المؤمنين بالغيب لأنّهم آمنوا بالمسيح ولم يروه"

قالوا:

"فثبت بهذا ما معنا ونفى عن إنجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم و التبديل والتغيير لما فيها بتصديقه إيّاها "

فردّ عليهم شيخ الإسلام **ابن تيمية** قائلا:

وأمّا تأويلهم قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ إنّه الإنجيل وأنّ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ عنى بهم النصارى، فهو من تحريف الكلم عن مواضعه، وتبديل كلام اللّٰه. وقد قال: ﴿هُدىً لِلْمُتَّقِينَ .الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.
وقد وصف النصارى بأنهم لا يؤمنون باللّٰه ، ولا باليوم الآخر ، وأنهم كافرون ظالمون ، فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بـ الغيب.

قال تعالى :

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(1566)

"وأول التقوى تقوى الشرك ، وقد وصف النصارى بالشرك في قوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(1567)

وقال تعالى لمّا ذكر المسيح:

﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ . أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ

(1565) "سورة البقرة " : (آية : 1 - 3).
(1566) "سورة التوبة " : (آية : 29).
(1567) "سورة التوبة " : (آية : 31).

مُبِين}.[1568]

وقال تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}.[1569]

وقوله تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ}.[1570]

ونهى عن موالاتهم فقال:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}.[1571]

"وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال:

{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ. إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِين}.[1572]

فلو كان النصارى من المتقين فضلا عن أن يكونوا هم المتقين لكان الله وليّهم ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين ، وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولا ّهم ظالماً ، وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

وأيضا فإنّه قال تعالى:

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ}.[1573] وهي الصلاة التي أمر بها في قوله:

{أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً}.[1574]

"وقد قال صلى الله عليه وسلم: "لا َ يَقْبَلُ اللَّه ُ صَلا َةً بِغَيرِ طَهُورٍ "[1575] والنصارى يصلّون بغير طهور.

(1568) "سورة مريم " : (آية : 37 - 38).
(1569) "سورة المائدة " : (آية : 17).
(1570) "سورة المائدة " : (آية : 73).
(1571) "سورة المائدة " : (آية : 51).
(1572) "سورة الجاثية " : (آي ’ : 18 - 19).
(1573) "سورة البقرة " : (آية : 3).
(1574) "سورة الإسراء " : (آية : 78).
(1575) رواه مسلم "كتاب الطهارة " "باب وجوب الطهارة للصلاة " : (1 / 204).

وقال صلى الله عليه وسلم "لا صَلَاةَ إلا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ"[1576] وهم لا يقرؤونها.

"والصلاة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة على استقبال الكعبة، وعلى ركوع وسجدتين في كل ركعة، وغير ذلك مما لا يفعله النصارى فكيف يمدحهم بإقامة الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي أمر بإقاتها".

"وأمّا قول النصارى : نحن الذين آمنّا بالسيّد المسيح وما رأيناه، فهكذا اليهود آمنوا بموسى عليه السلام وما رأوه، بل المسلمون آمنوا بموسى وعيسى وسائر النبيين وما رأوهم، بخلاف اليهود و النصارى الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

ثمّ الغيب ليس المراد به صورة النبي عليه السلام فإنّ صورة النبي ليست من الغيب فإن النّاس يرونها وليس في رؤيتها ما يوجب إيمانا ولا كفراً، ولكن الغيب ما غاب عن مشاهدة الخلق وهو ما أخبرت به الأنبياء من الغيب، فيدخل فيه الإيمان ب الله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، وهو الإيمان بأنهم رسل الله وسواء رؤيت أبدانهم أو لم تُر فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم ، وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم".

"والمقصود الإيمان برسالتهم لا بنفس صورهم حتى يقول القائل : (آمنّا بنبي ولم نره) وقد يعلم من دلائل نبوته وأعلام رسالته من لم يرَه أكثر مما يعلمه من رآه "[1577] اهـ .

وجه استعمال القاعدة:

رد شيخ الإسلام على النصارى بمفهوم قاعدة **"القرآن يؤخذ كله"** حيث بيّن أنّه على التسليم بأنّ في القرآن آيات تمدحهم وتصوّبهم فإنّ فيه آيات تذمّهم وتكّفرهم فليأخذوا بهذه كما أخذوا بتلك لأن: **"القرآن يؤخذ كله"** وقرّر ذلك من خلال تفسيره لتلك الآيات بآيات من القرآن تأكيدًا على أنّ القرآن يُفسّر بالقرآن وهو وسيلة من وسائل تقرير القاعدة.

واستدل الأنطاكي للنصارى بقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنّ أَشَدّ النّاسِ عَدَاوَةً لِلّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدّةً لِلّذِينَ آمَنُوا الّذِينَ قَالُوا إِنّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنّهُمْ لا

[1576] رواه مسلم "كتاب الصلاة" "باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. (295/1).

[1577] "الجواب الصحيح " (2/ 268 - 290).

يَسْتَكْبِرُونَ}[1578] على صلاح أحبارهم ورهبانهم وصحة معتقدهم. قالوا : "فذكر القسيسين والرهبان ، لئلا يقال : إن هذا قيل في غيرنا ، ودل بهذا على أفعالنا وحسن نياتنا، ونفى عنا اسم الشرك بقوله اليهود والذين أشركوا أشد الناس عداوة للذين آمنوا ، والذين قالوا إنّا نصارى أقربهم مودة ".
فرد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قائلا: "والجواب أن يقال:
تمام الكلام: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ . وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ}[1579] فهو سبحانه لم يعد بالثواب في الآخرة إلا لهؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الذين قال فيهم: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[1580]
والشاهدون هم الذين شهدوا له بالرسالة فشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الشهداء الذين قال فيهم {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[1581] ولهذا قال ابن عباس وغيره في قوله: {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}[1582] قال مع محمد صلى الله عليه وسلم وأمته "[1583].

وجه استعمال القاعدة:

كمّل شيخ الإسلام الآية التي استدل بها النصارى بعد أن بترها كأنه يقول بلسان حاله ما دام أنك استعملت تلك الألفاظ من الآية واستدللت بها فهذه الألفاظ منها فاستدل بها أيضا لأن "القرآن

(1578) "سورة المائدة" : (آية : 82).
(1579) "سورة المائدة" : (آية : 83 - 85).
(1580) "سورة المائدة" : (آية : 83).
(1581) "سورة البقرة" : (آية : 143).
(1582) "سورة آل عمران" : (آية : 53).
(1583) "الجواب الصحيح" (3 / 107 - 109) .

يؤخذ كله" ثم بيّن ضرورة تكملة الآية لتؤدِّي رسالتها وتدلّ على معناها الصحيح.

المبحث الرابع:

قاعدة:

كتب أهل الكتاب التي بأيديهم
لا تقوم بها الحجة على المسلمين

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

هذه الصيغة من حيث أصلها مأخوذة من الطوفي في كتابه "الا نتصارات"[1584] وقد جاء ذكره لها أثناء بيانه للمقدمات الثلاث التي اعتمد عليها في ردّه على النصراني قال رحمه اللّٰه:

"الأولى : أنّ هذا النصراني رأيته يعتمد في طعنه على الإسلام، على التوراة والإنجيل التي بيد اليهود والنصارى ، وعلى كتب الأنبياء الأ وائل كنبوة أشعياء ، وأرمياء ، ودانيال والأنبياء الإثني عشر ، ومزامير داود ، ونحوها. **واعلم أنّ هذه الكتب مما لا تقوم الحجة علينا بها**" إلخ[1585]

فاستبدلت "هذه الكتب" بـ"بكتب أهل الكتاب" ولفظة علينا بـ"على المسلمين لتكون أوضح؛ فالصيغة التي أعتمدها من الآن إذاً هي **"كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين"**

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: المصدر العلمي للقاعدة:

قاعدة: "الكتاب المقدس لا تقوم به الحجة" قاعدة شرعية ومما يدل على شرعيتها أن كتب النصارى منسوخة بالقرآن، والكتاب المنسوخ لا يستدل به، والنسخ حكم شرعي، وهناك أدلة أخرى تدل على شرعية القاعدة تأتي مفصلة في "مطلب مصادر القاعدة" إن شاء اللّٰه.

وعقلية أيضا؛ لأنّ هذه الكتب كما سيأتي انهدم أصلها، وانخرمت الثقة بها، فأنّى تكون أدلة صحيحة تصلح لبناء شيء عليها؟

(1584) "الانصارات" (1 / 230).

(1585) المصدر السابق . (1 / 230 - 231).

والعاقل إذا أراد أن يبني شيئا خاصّة إذا كان هذا الشئ خطيراً بحَث له عن أساس متين وركن ركين ليكون في حصن رصين.

ثانيا: مواضع ورودها:

ورد استعمال هذه القاعدة عند أغلب من وقفت عليه ممن ردّ على النصارى منهم:

-القرطبي في "الإعلام"[1586]

-الجعفري في "التخجيل "[1587]

-القرافي في "الأجوبة الفاخرة "[1588]

-ابن تيمية في "الجواب الصحيح "

-ابن القيم في "هداية الحيارى"[1589]

- الطوفي في "الانتصارات "

-ابن معمر في "منحة القريب المجيب"[1590]

-رحمت الله الهندي في "إظهار الحق "

-أحمد ديدات في كتابه : "هل الكتاب المقدس كلام الله"

[1586] في مواضع منها : (2/624)، (1/283-280)

[1587] في مواضع منها (ص: 85)، (ص: 34)، (ص: 183).

[1588] في مواضع منها : (3/137-140)، (2/239).

[1589] في مواضع منها: (1/304)، (1/350)، (1/313)، (1/508)، (2/625)، (2/729).

[1590] في مواضع منها : (3/850).

ثالثا: أدلة القاعدة:

تواردت أدلة كثيرة على صحة هذه القاعدة العظيمة ، وهي باختصار نفس الأدلة التي تثبت أن هذه الكتب ليست كلام الله ، وليست هي التي أنزلها الله وليست مكتوبة بالإلهام ، بل هي محرّفة مبدلة متناقضة منسوخة.

وكل ما دل على نسخ هذه الكتب أو تحريفها، فهو دليل على عدم حجيتها ، لأنه لا حجة في المحرّف والمنسوخ.

قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}(1591).

فهذا يدل على أن ما بأيدي النصارى الآن ليس بحجة لأنه ليس بشيء فإن كتبهم التي أمرهم الله تعالى بإقامتها حتى يكونوا على شيء فقدت وانتهى أمرها.

وفي خلال الأسطر التالية أبين شيئا من أدلة القاعدة:

من أدلتها من القرآن الكريم:

قال سبحانه وتعالى: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(1592).

وقال تعالى أيضا: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ}(1593).

فهتان الآيتان تصرحان بأن أهل الكتاب يحرفون كتبهم، وهذا راجع إلى الطعن في متنها.

وقال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}(1594).

فهذه الآية تصرح بأنّ هناك كتبا يدعى نسبتها إلى الله تعالى مع أنّها في الحقيقة من إيحاءات أهوائهم، سوّدت بها الأوراقَ أقلامُهم(1595) وهذا يرجع إلى الطعن في سندها ومتنها معاً.

(1591) "سورة المائدة" : (آية : 68).

(1592) "سورة البقرة" : (آية : 75).

(1593) "سورة النساء" : (آية : 46).

(1594) "سورة البقرة" : (آية : 79).

(1595)رواه البخاري "كتاب الإعتصام" باب "قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل

من أدلتها من السنة:
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال "كانَ أَهْلُ الكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّورَاةَ بِالعِبْرَانِيَّةِ وَيُفَسِّرُونَهَا بِالعَرَبِيَّةِ لأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ (لاَ تُصَدِّقُوا أَهْلَ الكِتَابِ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ" [1596]
فهذا يدل على أنّ هذه الكتب ليست حجة حيث إنها لو كانت كذلك لما احتيج إلى التوقف في أمرها.
وعلى عدم اعتبار هذه الكتب حجة مضى مذهب السلف عليهم رحمةالله.
قال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما:
"يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدث، تقرؤونه محضا لم يُشَب [1597] وقد حدّثكم أن أهل الكتاب بدّلوا كتاب الله وغيرّوه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، لا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم " [1598]
وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:
"لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل " [1599]
وقال ابن زيد رحمه الله في قوله تعال: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [1600] "التوراة التي أنزل عليهم يحرفونها ، يجعلون الحلال فيها حراما، والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا ، والباطل فيها حقا ، إذا جاءهم المحق برشوة أخرجوا له كتاب الله ،

الكتاب " رقم [7362] . (15/136 9).
(1596) "سورة البقرة" : (آية: 79).
(1597) أي لم يختلط "فتح الباري" (5/ 629 6)
(1598) رواه البخاري "كتاب الإعتصام" "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب " رقم [7363] (15/ 9136-9137).
(1599) قال ابن حجر رحمه الله: "رواه البغوي في شرح السنة، وعبدالرزاق في شرح مشكل الآثار " وسنده حسن "فتح الباري " (15/ 9136).
(1600) "سورة البقرة" : (آية: 75).

وإذا جاءهم المبطل برشوة أخرجوا له ذلك الكتاب[1601] فهو فيه محق ، وإن جاء أحد يسألهم شيئا ليس فيه حق ولا رشوة ولا شيء ، أمروه بالحق ، فقال لهم ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[1602][1603]
وقال الإمام الشافعي رحمه الله في مقدمة رسالته: "وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، بعثه والناس صنفان : أحدهما أهل الكتاب ، بدّلوا من أحكامه ، وكفروا بالله فافتعلوا كذبا صاغوه بألسنتهم ، فخلطوه بحق الله الذي أنزل إليهم ، فذكر تبارك وتعالى لنبيه من كفرهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1604] ثم قال ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1605] إلخ[1606]

وعلى مذهب السلف سار بقية أهل العلم فقرر غير واحد منهم تحريفها وتناقضها وتكاذبها وتزويرها ومنحوليتها . منهم ابن حزم[1607] **والجعفري**[1608] **والقرافي**[1609] **وابن تيمية**[1610] **وابن القيم و الطوفي**[1611] **ورحمت الله الهندي**[1612] **وأحمد ديدات**[1613] وقد سبق **أن كل ما دل على تحريف هذه الكتب فإنّه يدل على عدم حجيتها.**

(1601) أي ذلك الكتاب المحرف.
(1602) "سورة البقرة" : (آية : 44).
(1603) "تفسير الطبري" (2/ 246).
(1604) "سورة آل عمران" : (آية : 78).
(1605) "سورة البقرة" : (آية : 79).
(1606) "الرسالة" للشافيعي (8 - 10).
(1607) انظر : "الفصل" (1/ 116) وانظر أيضا : (1/ 2).
(1608) انظر : "التتخجيل" (2/ 624) ، (1/ 283-285).
(1609) انظر : "الأجوبة الفاخرة" : (85).
(1610) انظر : "الجواب الصحيح" (3/ 137-140).
(1611) انظر : "الانتصارات" : (1/ 229 - 233).
(1612) انظر : "إظهار الحق" : (2/ 578).
(1613) في كتابه "هل الكتاب المقدس كلام الله" وفي مناظراته في هذا الموضوع.

واعلم أن تقرير تحريف هذه الكتب ، وأنها ليست من عند الله ، وأنّها غير مكتوبةبالإلهام لم يقتصر على علماء المسلمين فحسب ، بل حتى كثير من علماء النصارى بين هذه الحقيقة، وممن صرّح بذلك: رودلف سميند[1614] Rudolf Smend و ر . إلليوت فريدمن[1615] Elliott Friedman والدكتور جراهام سكرجي[1616] : Dr.W.Graham Scroggie

(1614) "المعتقدات الدينية لدى الغرب" للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن (ص : 107) وانظر الإحالة إلى كتاب سميند هناك.

(1615) انظر : "مصادر النصرانية " للدكتور عبد الرزاق ألارو (1 / 72 - 73).

(1616) انظر كتاب : "هل الكتاب المقدس كلام الله " لأحمد ديدات (ص / 103).

ويوهان سملر[1617] Johann و هانز كينج[1618] Hans Kung

من أدلتها من الناحية العقلية:

لا شك أنّ العقل والواقع يقضيان وبكل وضوح بأن هذه الكتب ليست هي الكتب التي أنزل الله سبحانه وتعالى ولا هي مكتوبة بالإلهام لما فيها من التحريف نقصا وزيادة، ولما أحاط بها من الأخطاء من جميع النواحي من تناقضات وتعارضات، وتهافتات، وتكاذبات ، ناهيك عن المعاصي والشركيات والتنقصات لله سبحانه، والافتراءات على أنبيائه ورسله ما يستحيل معه أن تكون هي الكتب التي أنزلها الله تعالى ، وإن وجد فيها شيء منه وإذا ثبت أنّها ليست من عند الله ، وأنها ليست منقولة عن رسل الله بطريق القطع فلا تصلح أن تكون دليلا شرعيا يعتمد عليه النصارى في كفرهم وضلالهم.

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحهها من حيث مفرداتها:

كتب النصارى: الأسفار التي احتوى عليه الكتاب المقدس بعهديه القديم الجديد

لا تقوم بها الحجة: الحجة هي الدليل والبرهان. ومعنى لا تقوم به الحجة،

أي لا تكون دليلا صحيحا معتبرا يسوّغ للنصارى البقاء على دينهم المحرّف،

أو على رفضهم وطعنهم في الإسلام.

ثانيا:المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة من حيث الإجمال هو : أنّ ما يسمى بالكتاب المقدّس اليوم لا يصلح للاحتجاج.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

(1617) انظر : "المعتقدات الدينية " (ص / 237).

(1618) "المصدر السابق " (ص / 286).

لهذه القاعدة صور في التطبيق منها:
إذا استدل النصراني على عقيدة من عقائده الفاسدة بشيء من نصوص الكتاب المقدس قيل له: "كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين" ثم ذكر له شيئا من أدلة التحريف كدليل على عدم الحجية.

ومنها:

إذا استدل النصراني لطعنه على النبي صلى الله عليه وسلم أو على القرآن الكريم بأنّ شيئا مَا ذُكر في الكتاب المقدس ولم يذكر في القرآن أو العكس ليتوصل بذلك إلى الطعن في نبوته عليه السلام قيل له: "كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين " ثم ذكر له شيئا من أدلة ذلك وهكذا وإن نازع في الحجية في الصورتين وأصرّ على دعواه، فإن كان النص الذي استدل به من العهد القديم طُولب بالمقدمات الآتية[1619]:

1. إثبات نبوة من نسب إليه الكتاب الذي نقل منه،
2. إثبات العلم اليقيني بإملاء النبي المذكور ذلك الكتاب الذي استدل بجزء منه على أنّه وحي إلهي،
3. إثبات السند المتصل المتواتر لذلك الكتاب الذي استدل به حتى وصوله إلينا،
4. إثبات نقل المتن أو النص الذي استدل به دون تغيير أو تبديل،
5. إثبات صحة الترجمة من لسان النبي المعين إلى اللغة التي كان النص الذي استدل به مكتوبا بها،
6. إثبات وجه استدلال النص المذكور على المقصود، وأنّ ذلك النبي أراد ذلك.

وإن كان النص الذي استدل به من أسفار العهد الجديد وبما أن النصارى لا يعتقدون أن أسفاره من كلام نبي، فإنّه يجاب عنه بجوابين:

1. أن يطالب بإثبات عصمة ناقلي ذلك النص الذي استدل به وإلهاميته، وأنّى له ذلك،
2. أن يبين له أن هذا استدلال بمحل النزاع ولا يصح. فيكتفي بالمنع

[1619] هذه المقدمات التي ستأتي نبه عليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عدة مواضع في الجواب الصحيح"

والمطالبة[1620] ولا شك أنّه لا يستطيع أن يثبت ذلك فلا تقوم الحجة بها إذاً.

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:

تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى في أي استدلال جاءوا به لتبرير عقيدتهم مهما كانت تلك العقيدة، أو للطعن في الإسلام سواء كان ذلك فيما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يتعلق بالقرآن الكريم فالقاعدة شاملة لجميع المسائل التي يمكن أن تطرح بين المسلمين والنصارى ويستدل فيه النصارى بشيء من الكتاب المقدس.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة

قال القرافي رحمه الله:

أثناء ردّه على النصراني استدلاله بشيء من الكتاب المقدس على عقيدته الفاسدة "وأما ما اعتمد عليه من نص الإنجيل فقد تقدم أن إنجيلهم ليس شيئا يعتمد عليه، ولا هو مضبوط النقل، ولا مضبوط العين ولا يوثق منه بشيء في الدين، وقد تقدم ذلك في تناقضه "[1621] اهـ.

[1620] انظر: "الجواب الصحيح": (2/239).

[1621] الأجوبة الفاخرة: (34).

وجه استعمال القاعدة:
اقتصر القرافي في رده على النصراني استدلاله بالكتاب المقدس بـ الجواب العام دون أن يدخل في التفاصيل بأن هذه الكتب لا تصلح أن تكون أدلة وذكر بعض الأدلة في ذلك بأنّه غير مضبوط النقل ، و لا مضبوط العين ، وأنّه كتاب متناقض، وكل هذا رد بقاعدة: "كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين" بمعناها وإن لم يكن بحروفها وألفاظها
وقال الطوفي رحمه الله
في ردّه على النصراني طعنه في القرآن الكريم حيث جاء فيه ·{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ}·[1622] قال هذا خطأ فادح فإنّ اسم أبي مريم حسب ما في الكتاب المقدس "يعقيم" فرد عليه الطوفي قائلا : "وأما قوله : إن اسم أبي مريم : "يعقيم" فجوابه من وجهين: أحدهما: أن هذا لم أعلمه ولا رأيت أحدا ذكره ممن أثق به من علماء المسلمين. وعلماء اليهود والنصارى غير مأمونين عندنا ، ولا وثوق لنا بما عندهم على ما سبق في مقدمات الكتاب "[1623] اهـ
وقال أيضا:
في رده على النصراني طعنه في القرآن الكريم فيما يتعلق بقصة يوسف عليه السلام حيث قال : (ومن ذلك[1624] قوله في سورة يوسف ·{فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيهِ}·[1625] إلى قوله: ·{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدا}·[1626]
(قال وتقرير السؤال من وجهين أحدهما: أنّه أخبر أنّ أبوي يوسف حضرا عنده ذلك الوقت ، وقد ثبت في التوراة أنّ راحيل أم يوسف ما تت في نفاسها ببنامين ودفنت ببيت لحم قبل أن يطرأ ليوسف ما طرأ عليه)
فردّ عليه الطوفي بجوابين عام وخاص.
قال رحمه الله: "والجواب عن الأول من وجوه :أحدهما : الجواب العام ، وهو : عدم الوثوق بالتوراة ، وقد بينت في التعليق عليهامن

(1622) "سورة التحريم " : (آية : 12).
(1623) الانتصارات : (1/ 304).
(1624) أي من الأخطاء الموجودة في القرآن كما يدّعي.
(1625) "سورة يوسف " : (آية : 99).
(1626) "سورة يوسف " : (آية : 100).

التناقض والتهافت ما تبين لكل عاقل أنها مما لا يعتمد عليه"[1627] اهـ.

وقال أيضا:

في رده على النصراني تعلقه ببعض النصوص من كلام "أشعياء" و "دانيال" وإنجيل "متى" على أن المسيح صلب ومات وقبر وقام حيا في اليوم الثالث وظهر لتلاميذه مرات كثيرة.

فرد عليه **الطوفي** قائلا:

"وأما ما ذكره من نص الكتب المقدسة ككتاب " أشعياء " و " دانيال " وإنجيل ومتى فجوابه من وجوه:

أحدها : الجواب العام . من عدم الوثوق بهذه الكتب لتقادم عهدها ونقلها من لغة إلى لغة وتهمة اليهود والنصارى عليها خصوصا الإنجيل فإنا قد بينا في التعليق عليه ما يقيم عذرنا في عدم الوثوق به من الاختلاف والتناقض[1628]

وقال أيضا:

في رده على النصراني طعنه في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم في قوله:

"مَا دُفِنَ نَبِيٌّ قَطُّ إِلا فِي مَكَانِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ" قال (هذا افتراء وقول باطل؛ فإن "يعقوب" توفي بمصر ، وحمل إلى مقبرة أبيه إبراهيم فدفن فيها) إلخ

فقال **الطوفي** رحمه الله والجواب عن هذا من وجوه:

"أحدها: أن ما ذكره من دفن يعقوب في غير موضع موته، مأثور عن التوراة، والتوراة فيها من التحريف والتهافت والتناقض ما يمنع الوثوق بها كما سبق "[1629] اهـ.

وقال أيضا:

في رده على النصراني تشنيعه على مشروعية الطلاق في الإسلام بناءاً على ما جاء في الإنجيل (وأقول لكم من طلق امرأته من غير زنا فقد ألجأها إلى الزنا ومن تزوج مطلقة فقد زنا) فقال رحمه الله في رده عليه : "لكن الجواب عنه من وجوه:

(1627) الانتصارات : (1/ 313).

(1628) الانتصارات : (1/ 350) .

(1629) الانتصارات : (1/ 508).

أحدها : الجواب العام ، وهو عدم الوثوق بالإنجيل "[1630]

وقال أيضا:

في رده على النصراني طعنه في نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأنه من المعنيين بقول المسيح في الإنجيل (تحذروا عن الأنبياء الكذابين الذين يأتون في لباس الضأن وهم في الباطن ذئاب خاطفة ، ومن ثمراتهم تعرفهم) فقال رحمه الله "وأما ما حكاه عن سيده المسيح في إنجيله الطاهر: فقد بينا في أول الكتاب: أنه لا حجة فيه، ولعمري أن في الإنجيل الذي يعتمد عليه من التناقض والمحال ما يمنعه أن يتصف بصفة الطهارة"[1631] اهـ

وجه استعمال القاعدة:

استعمل الطوفي في المواضع الستة المتقدمة قاعدة **"كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين"** في ردوده على النصراني، وهي كما ترى ردود قوية عامة أوقعت النصراني في مأزق اليأس والقنوط في الحصول على بغيتة من تدعيم عقيدته الفاسدة ، أو الطعن في الإسلام من خلال استدلالاته بالكتاب المقدس.

وقال **رحمت الله الهندي** رحمه الله:

أثناء ذكره لمغالطات النصراني صاحب ميزان الحق "المغالطة الثانية: (أن المسيح عليه السلام شهد بحقية كتب العهد العتيق، ولو كانت محرفة لما شهد بها، بل كان عليه أن يلزم اليهود على التحريف).

قال رحمت الله "فأقول في الجواب:

"أولا: إنه لما لم يثبت التواتر اللفظي لكتب العهد العتيق والجديد ، ولم يوجد سند متصل لها إلى مصنفيها ـ كما عرفت في الفصل الثاني من الباب الأول"

إلى أن قال: "وقد ثبت جميع أنواع التحريف فيها ، وثبت التحريف من أهل الدين والديانة أيضا لتأييد المسألة أو دفع الاعتراض كما عرفته قريبا في القول الثلاثين ، فصارت هذه الكتب مشكوكة عندنا فلا يتم الاحتجاج علينا ببعض آيات هذه الكتب "[1632] إلخ

وجه استعمال القاعدة:

قول الشيخ رحمت الله "فصارت هذه الكتب مشكوكة عندنا فلا يتم

(1630) الانتصارات (2 / 625).

(1631) الانتصارات : (2 / 729).

(1632) "إظهار الحق : (2 / 579).

الاحتجاج علينا ببعض آيات هذه الكتب"[1633] هو نفسه مفاد قاعدة "كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين"

وقال أيضا:

في سلسلة مناقضاته لطعون النصراني في القرآن الكريم قال -أي النصراني- "الشبهة الثانية : (أن القرآن مخالف لكتب العهد العتيق و الجديد في مواضع فلا يكون كلام الله). فرد عليه قائلا: "والجواب أولا: أن هذه الكتب لما لم تثبت أسانيدها المتصلة إلى مصنفيها ، وكذا لم يثبت أن كل كتاب منها إلهامي . وقد ثبت أنها مختلفة اختلافا معنويا في مواضع كثيرة ومملوءة بالأغلاط الكثيرة يقينا كما عرفت هذه الأمور في الباب الأول ، وقد ثبت التحريف فيها أيضا كما عرفت في الباب الثاني؛ فلا تضر مخالفتها القرآن في المواضع المذكورة ، بل تكون دليلا على كون المواضع المذكورة غلطا أو محرفة في الكتب المذكورة كسائر الأغلاط والتحريفات التي عرفتها في البابين الأولين ، وقد عرفت في الأمر الرابع من الفصل الأول من هذا الباب أن هذه المخالفة قصدية لأجل التنبيه على أن ما خالف القرآن غلط أو محرف لا أنها سهوية "[1634]

وجه استعمال القاعدة:

نبه الشيخ **رحمت الله الهندي** في النقل السابق على وجه من التطبيق مهم للغاية وإن أشار إليه **الطوفي** في بعض الأوجه السابقة، وهو أنه كما لا يسوغ للنصارى أن يستدلوا بشيء من الكتاب المقدس على عقائدهم الفاسدة فكذلك لا يسوغ أن يطعنوا في القرآن بدليل أن شيئا ما مما ذكر في الكتاب المقدس لم يذكر فيه ، أو أنّ شيئا ما ذكر في الكتاب المقدس ولم يذكر فيه وهذا انطلاقا من معنى قاعدة **"كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين"** لأنّ النصارى حين يستدلون بكتبهم على الطعن في القرآن فإنهم يحتجون بها على شيء من مقاصدهم الفاسدة، فبينت القاعدة حتى هذا لا يسوغ لهم وهذا جانب مهم من جوانب التطبيقات على القاعدة.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله

أثناء ردّه على النصراني استدلالاته ببعض النصوص في العهد

(1633) "إظهار الحق : (2 / 579).

(1634) إظهار الحق : (3 / 850).

القديم على أن قرابينهم وذبائحهم مقدسة مقبولة لدى الله عز وجل:

والجواب من وجوه:

أحدها : أن ما يحتجون به من النقل عن الأنبياء صلوات الله عليهم يحتاجون فيه إلى أربع مقدمات؛ إلى أن تُعلم نبوة المنقول عنه، وإلى أن يعلم لفظه الذي تكلم به ، وإلى أن يعلم ما ذكروه ترجمة صحيحة عنده، فإن أؤلئك الأنبياء لم يتكلموا بالعربية، بل ولا بـ الرومية والسريانية واليونانية، وإنما تكلموا بالعبرية، كالمسيح عليه السلام[1635]، والرابع: أن يعلم أن ما ذكروه من كلام الأنبياء دليل على مادعوه من قبول قرابينهم في هذا الزمان، ونحن في هذا المقام نقتصر على منازعتهم في هذه المقدمة، فليس فيما ذكروه دليل على مدح قرابينهم وذبائحهم بعد التبديل والنسخ، ولكن غايته أن يدل على مدحها قبل النسخ والتبديل ، وهذا مما لا ينازع فيه المسلمون "[1636] اهـ

وقال في موضع آخر:

"وليس مع النصارى حجة عن الأنبياء تثبت فيها هذه المقدمات الثلاث[1637] ونحن في هذا المقام يكفينا المنع والمطالبة لهم بتصحيح هذه المقدمات فإنهم ادعوا أن التثليث أخذوه عن الأنبياء ، فنحن نطالبهم بتصحيح هذه المقدمات "[1638]

وجه استعمال القاعدة:

استعمل شيخ الإسلام رحمه الله معنى هذه القاعدة **"كتب أهل الكتاب.... النصارى لا تقوم بها الحجة"** في الرد على النصارى في النقلين السابقين لكن بأسلوب مغاير وهو أسلوب المنع والمطالبة فكأنه يقول **"كتب أهل الكتاب الموجودة بأيديهم لا تقوم بها الحجة على المسلمين"** وإن كنت في شك مما أقول أيها النصراني فأثبت لي هذه المقدمات لتدلل على صحتها ، ومن ثم تستدل بها. وهذا الأسلوب أقوى من الأسلوب السابق حيث إنّ فيه جوابا وإلزاما.

(1635) اللغات التي تكلموا بها غير معلومة على التحقيق.

(1636) "الجواب الصحيح " (3 / 140 - 137).

(1637) لأنه إنما ذكر ثلاث مقدمات لا أربع في ذلك الموضع

(1638) "الجواب الصحيح " (2 / 239)

تنبيهان:

التنبيه الأول:

هذه القاعدة لا تقتصر على الكتاب المقدس فقط ، بل يسري مفعولها حتى إلى قرارات المجامع ، وقرارات البابا حيث إنها من مصادر التلقي عند النصارى من حيث الجملة ، لكن أهملت ذكرهما في صياغة القاعدة للأمور التالية:

1. أنّهمالم يكونا منزلين من عند الله يوماً ما ،
2. أنّهما باطلان عند المسليمن جملة وتفصيلا كمصدرين من مصادر التلقي،
3. أنّ المسلمين لم يؤمنوا ولم يعترفوا حينا من الدهر بشرعية قرارات المجامع ، وقرارات البابا بخلاف الإنجيل والتوراة الدّين كانا كتابين إلهيين معتبرين لهما وزنهما واعتبارهما بكل ما اشتملا عليه قبل التحريف والنسخ،
4. أنّ النصارى أنفسهم مختلفون في حجيتها،
5. أن من احتج بها منهم ليس له على احتجاجه بها دليل سوى ادعاء أن أعضاء المجامع ملهمون ويتكلمون عن الله وإن لم يكونوا من الأنبياء، وهذا الادعاء لا دليل عليه، بل الدليل على خلا فه حيث ذكروا عنهم أنهم كلما عقدوا مثل تلك المجامع يختلفون اختلافات جذرية مما يؤدي إلى التلاعن فيما بينهم والتشاتم، بل والتضارب أحيانا.

التنبيه الثاني:

لا شك أن النصارى سيعترضون علينا ويقولون كيف لا يصح لنا الا ستدلال بكتابنا، ويصح لكم أنتم الاستدلال به . وقبل ذكر الجواب على هذا الاعتراض ينبهه إلى أنّ استدلالنا بشيء من كتب أهل الكتاب على ضربين:

الضرب الأول : إمّا أن نستدل بشيء منها على فسادها وبطلانها – كما نستدل بالأغلاط والتعارضات والتكاذبات التي فيها على أنها محرفة وأنّ دعوى الإلهام فيها مرفوضة ، أو على فساد بعض ما اشتملت عليه من العقائد والأحكام الفاسدة مثل مسألة التثليث و الصلب وإنكار الختان – بأن هذه المسائل إنمّا أقحمت فيها إقحاماً لندلل بذلك على أنّها محرفة أيضا ، وأنّها غير محفوظة عن الأيادي العابثة كما حفظ القرآن الكريم .

الضرب الثاني : أن نستدل بشيء منها على عقيدة صحيحة مثل التوحيد ونبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا الاعتراض منصب على الضرب الثاني ولا شك حيث إنّ الضرب الأول فيه تأييد لما ذهبنا إليه من أنّ هذه الكتب ليست هي التي أنزل الله ولا هي مكتوبة بالإلهام ، ولا أنّ الكاتبين لها معصومين وبالتالي لا تكون أدلة معتبرة تسوّغ للنصارى البقاء على دينهم المحرّف.

إذا ثبت هذا فالجواب عن هذا الاعتراض من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : أن المسلمين لا يقولون بتحريف هذه الكتب كلها وإنّما يقولون بتحريف بعضها وبقاء البعض الآخر على ما هو عليه وإن أُوّل المعنى وحتى تلك النصوص التي يرون عدم تحريفها فهم في الوقت نفسه لا يقطعون بأنها هي بعينها النصوص المنزلة من عند الله إنما هو حكم بغلبة الظن فلا مانع إذا استشهدوا بشيء مما غلب على ظنهم أنه من عندالله.

الوجه الثاني : أننا لما نستدل بشيء من كتبهم إنما نستدل في الحقيقة بالقرآن والسنة الذيّن أخبرانا بذلك الشيء فلا نستدل بشيء مما فيها كأدلة أساسية مستقلة، بل إنما نستأنس ونستشهد بها.

مثال ذلك: لما نقول البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم موجودة في التوراة والإنجيل، فإن عمدتنا في ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾[1639] وأشباهها من الآيات التي تبين لنا أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم موجود في تلك الأسفار ثم نستشهد بما في كتبهم من البشارات به عليه السلام مجرد استشهاد، أما نفس العقيدة فهي ثابتة سواء جاء ما يدل عليها في كتبهم التي بأيديهم الآن أم لا.

الوجه الثالث: أننا إنما نستدل بتلك الكتب إلزاماً لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها كلها.

قال القرافي رحمه الله: "فإن قالوا: كيف تتمسكون بهذه الكتب وهي غير صحيحة عندكم ، قلنا : نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ثابتة بالمعجزات غنية عن هذه الكتب ، وإنما نذكر ما فيها من الدلا

(1639) "سورة الأعراف" : (آية : 157).

الة على نبوته صلى اللّٰه عليه وسلم إلزاما لأهل الكتاب الذين يعتقدون صحتها ، وهي مثل جميع كتبهم في الصحة فإن كان يحسن الإشكال[1640] بها تم مقصودنا ، وإن كانت لا يحسن بها الا ستدلال بطل جميع ما بيد أهل الكتاب ، لأن جميعه مثلها"[1641] إلخ.

(1640) هكذا في المطبوع ، ولعل الصواب : الاستدلال .

(1641) "الأجوبة الفاخرة " (ص / 183) .

المبحث الخامس:

قاعدة:

ما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول

المبحث الأول:

صياغة القاعدة:

تستفاد صياغة هذه القاعدة من بعض عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على النصارى منها قوله: "فما علم يقينا أنهم أخبروا به يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه ، وما علم يقينا أن العقل حكم به يمتنع أن يكون في أخباره ما يناقضه "[1642]

ومنها قوله:

"وقول أهل الاتحاد من النصارى وغيرهم - سواءً ادعوا الاتحاد العام أو الخاص – قد علم بصريح العقل بطلانه ، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء "[1643] إلخ

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: الأصل العلمي للقاعدة:

قاعدة : "ما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول" قاعدة شرعية لأنها مبنية على مسألة عصمة الأنبياء من جانب، وعقلية أيضا لصلتها بقاعدة عدم جواز الجمع بين النقيضين من جانب آخر.

(1642) "الجواب الصحيح " (4 / 400).

(1643) المصدر السابق .

ثانيا: مواضع ورودها:

استعمل شيخ الاسلام بن تيمية هذه القاعدة في ردوده على النصارى في معرض بيانه عدم معقولية عقيدتهم وخاصة عقيدة الاتحاد في "الجواب الصحيح "[1644]

ثالثا: أدلتها:

يدل على صحة هذه القاعدة عدّة أدلة منها بعض ما سبق ذكره في قاعدة: "لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن ما داموا نصارى" من أنّ كلّ من كان رسولا لله حقا لا بدّ أن يكون صادقا في كلّ ما يبلّغه عن الله ، لا يكذب فيه عمدا ولا خطأ [1645]. وما كان ممتنعا في صريح العقل لا يكون إلا كذبا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون لا يقولون على الله إلا الحق ، ولا ينقلون عنه إلا الصدق . فمن ادعى في أخبارهم ما يناقض صريح المعقول كان كاذبا ، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح ، أو ذلك المنقول ليس بصحيح .

فما علم يقينا أنهم أخبروا به ، يمتنع أن يكون في العقل ما يناقضه ، وما علم يقينا أن العقل حكم به ، يمتنع أن يكون في أخبارهم ما يناقضه.

وقول أهل الاتحاد من النصارى وغيرهم - سواءً ادعوا الاتحاد العام أو الخاص - قد علم بصريح العقل بطلانه ، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء ، بل الأنبياء - عليهم السلام - قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته لا بما يعلم العقل بطلانه ، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول "[1646] إلخ

[1644] في مواضع منها : (4 / 264)، (4 / 292)، (4 / 294)، (4 / 400).

[1645] انظر: "الجواب الصحيح" (1/ 138)، (1/ 141)، (446/1)، (3/ 495)، (3/ 499) (3/ 500).

[1646] "الجواب الصحيح " (4 / 400).

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرح القاعدة من حيث مفرداتها:

صريح العقل: المقصود به المعقول الصريح، وهو: "الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فطروا عليها من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض[1647] كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد والتباين"[1648]

ثانيا: شرح القاعدة إجمالا:

معنى هذه القاعدة إجمالا هو: أن كل خبر ادُعِيَ صدوره من نبي من أنبياء الله وكان هذا الخبر يخالف صريح المعقول فهو كذب يقينا لأن الأنبياء لا تأتي بمحالات العقول بل بمحاراتها.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:

لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:

إذا جاء أو ذكر النصراني أي عقيدة من عقائدهم المخالفة لصريح المعقول مثل الاتحاد أو التجسد وادعى أن المسيح أو غيره من الأنبياء جاء بها قال له المسلم هذا كذب؛ لأنّه ممتنع في صريح العقل و"ما علم أنّه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول"

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:

تستعمل هذه القاعدة في الرد على النصارى على كل عقيدة من عقائدهم التي تخالف صريح المعقول وما أكثرها في الديانة النصرانية مثل عقيدة الصلب والفداء وعقيدة التغطيس وعقيدة الاتحاد و

[1647] قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "وأما ما يسميه بعض الناس "معقولات" ويخالفه فيه كثير من العقلاء ، مثل القول بتماثل الأجسام ، وبقاء الأعراض وأن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة التي لاتقبل القسمة ، أو المادة والصورة" إلى أن قال : "ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظار ، أنه عقليات وينازعهم فيه آخرون فليس هذا هو العقليات التي لا يجب لأجلها رد الحس والسمع ، وتبنى عليها علوم بني آدم بل المعقولات الصحيحة الدقيقة الخفية ترد إلى معقولات بديهية أولية بخلاف العقليات الصريحة مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد معا فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها " ا . هـ "الجواب الصحيح " (4 / 397) .

[1648] انظر : "الجواب الصحيح " (4 / 396) .

الحلول وإنكار نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيرها من العقائد الباطلة التي يمجّها العقل، ويتبرأ منها النقل.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة:

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في معرض ردّه على النصارى عقيدتهم في الاتحاد: "وقول أهل الاتحاد من النصارى وغيرهم - سواءً ادعوا الاتحاد العام أو الخاص – قد علم بصريح العقل بطلانه ، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء " (1649) إلخ

وجه استعمال القاعدة:

اكتفى شيخ الإسلام **ابن تيمية** في هذه القطعة من نصه في رده على النصارى بقاعدة **"ما علم أنّه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول "** وتكفي في الرد عليهم وإن لم يدخل في تفاصيل الرد ؛ لأن مجرّد كون ما نسبوا إلى أنبياء الله وكتبه مخالفا لصريح المعقول يحكم عليه بالكذب والافتراء فتسقط شرعيته ويفقد اعتباره.

(1649) "الجواب الصحيح " (4 / 400).

المبحث السادس:

قاعدة:

يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأصل

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

صيغة هذه القاعدة مستفادة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية أثناء رده على النصارى احتجاجهم على المسلمين بنبوات أنبياء العهد القديم وذلك في قوله: "ولا حجة لهم أيضا على المسلمين الذين يُقرّون بنبوة هؤلاء الأنبياء؛ فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد صلى الله عليه وسلم أنهم أنبياء، فيمتنع أن يصدقوا الفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم "[1650]

المطلب الثاني:

مصادر ها:

أولا: الأصل العلمي للقاعدة:

قاعدة "يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأصل" قاعدة عقلية لأنه ليس من المعقول أن يصدق الإنسان فرعا لم يثبت عنده أصله فإذا قدح في الشاهد مثلا ينبغي أن يطعن في شهادته التي كان بها شاهداً كذلك وإلا آل أمره إلى التناقض.

ثانيا: مواضع ورودها:

وردت هذه القاعدة إشارة واستعمالها تطبيقا في "الجواب الصحيح"[1651] ولم أقف عليها في غيره من الكتب التي ردت على النصارى.

(1650) "الجواب الصحيح" (2/29).

(1651) "الجواب الصحيح" (2/29).

ثالثا: أدلتها:
إن تصديق الفرع مع القدح في أصله تناقض ، إذ كيف يعتمد على شيء لا يسلم عنده أصله وهذا من أدلة القاعدة.

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرح القاعدة من حيث مفرداتها:
يمتنع : لا يجوز.
الفرع : ما يبني على غيره.
القدح : الطعن.
الأصل : ما يبنى عليه غيره.

ثانيا: معنى القاعدة إجمالا:
معنى هذه القاعدة إجمالا هو: لا يُعترف بالفرع إذا كان أصله مطعونا فيه.

المطلب الرابع:

تطبيقاتها

المسألة الأولى: صورة تطبيق القاعدة:
لهذه القاعدة صور من التطبيق منها:
إذا استدل نصراني بمنقول عن أحد الأنبياء على عقيدته الفاسدة قال له المسلم: أنا لا أعرف صحة نبوة هذا النبي الذي استدللت بكلامه إلا عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم المطعون في صحة نبوته عندك فـ "يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأصل"
والأصل في مسألتنا هو النبي صلى الله عليه وسلم والفرع هو ثبوت نبوة ذلك النبي الذي استدللت بكلامه فإذا تعذر إثبات نبوته، تعذر الا عتماد على قوله.
ومنها : إذا استدل النصراني لعقيدة من عقائدهم الفاسدة بالكتاب المقدس قيل له هذا الكتاب مطعون فيه، فيكون ما بُنِيَ عليه مما لا يعرف إلا من جهته مطعونا فيه أيضا . وهكذا

المسألة الثانية: المسائل التي تناولتها القاعدة بالرد:
تتناول قاعدة : "يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأصل" بالرد استدلال النصارى على المسلمين بما يستدلون به من كتبهم وما ينقولونه عن أنبيائهم.

المسألة الثالثة: نماذج من ردود أهل العلم اعتمادا على هذه القاعدة:

استدل بعض النصارى على المسلمين بما نقلوه عن أنبيائهم فرد عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:

"وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الأنبياء، فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الأنبياء من المشركين والملاحدة، لم يكن فيما ذكروه حجة لهم، ولا حجة لهم أيضا على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء الأنبياء؛ فإن جمهور المسلمين إنما عرفوا صدق هؤلاء الأنبياء بإخبار محمد صلى الله عليه وسلم أنهم أنبياء، فيمتنع أن يصدقوا الفرع مع القدح في الأصل الذي به علموا صدقهم "[1652]

***

(1652) "الجواب الصحيح" (2/29).

الفصل الرابع:
القواعد الفاسدة في الرد على النصارى

وفيه مبحثان:

المبحث الأول:

قاعدة:

إن النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت ظواهرها وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب ردها إذ ذاك إلى المجاز

المبحث الثاني:

قاعدة:

إنّ الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية



المبحث الأول:

قاعدة:

إن النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت ظواهرها
وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها
واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة
فيجب ردها إذ ذاك إلى المجاز

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

أخذت صيغة هذه القاعدة مباشرة من أبي حامد الغزالي في كتابه "الرد الجميل" حيث يقول:"وقبل الشروع في ذكرها[1653] فلا بد من تقديم أصلين متفق عليهما بين أهل العلم ، أحدهما: **إن النصوص إذا وردت فإن وافقت المعقول تركت ظواهرها وإن خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن حقائقها ليست مرادة فيجب ردها إذ ذاك إلى المجاز**"[1654] إلخ

وأشار إليها الألوسي في كتابه "الجواب الفسيح" حيث يقول:

"الفصل الثالث في التأويل"

"وإذ قد علمت بالبراهين العقلية القطعية والنقلية أن التثليث الحقيقي ممتنع في ذات الله سبحانه فلو وجد قول من الأقوال المسيحية دالا بحسب الظاهر على التثليث يجب تأويله؛ لأنه لا يخلو إما أن نعمل بكل واحد من دلالة البراهين ودلالة القول وإما أن نتركها، وإما أن نرجح النقل على العقل، وإما أن نرجح العقل على النقل".

"والأول باطل قطعا وإلا لزم كون الشيء الواحد ممتنعا وغير ممتنع في نفس الأمر، والثاني أيضا محال وإلا يلزم ارتفاع النقيضين، و الثالث أيضا لا يجوز؛ **لأن العقل أصل النقل**، فإن ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلا للرسل وثبوتها بـ الدلائل العقلية، **فالقدح في العقل قدح في (العقل) والنقل معا، فلم يبق إلا أن نقطع بصحة العقل، ونشتغل بتأويل النقل**" .

(1653) أي في ذكر النصوص المصرحة بإنسانية عيسى عليه السلام.

(1654) "الرد الجميل" : (ص: 32).

ولقد أحسن ((أبو الفضائل المالكي)) في قوله :

إِذَا مَا النّقلُ خَالَفَ حُكمَ عَقلٍ * تَأوّلَهُ فَنُكَسِبَهُ رُجُـوعًـا
لأ َنّ العَقلَ أصلُ النّقلِ مَهْمَـا * يُخَالِف أصْلَهُ سَقَطَا جَمِيعًا"[1655]

المطلب الثاني:

مصادرها:

أولا: الأصل العلمي للقاعدة:

قاعدة: "إن النصوص إذا وردت"إلخ قاعدة يرى أصحابها أنها عقلية صحيحة بل متفق عليها بين أهل العلم، لذلك اعتمدوا عليها في تأصيلاتهم وردودهم.

أما كونها عقلية فنعم، وأما الحكم بصحتها، وأن أهل العلم متفقون على ذلك، فليس بصحيح؛ لأنّ أئمة السلف من الصحابة والتابعين و التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين لا يرون صحة هذه القاعدة، بل يرون أنها قاعدة فاسدة معارضة للشرع والعقل السليم، فهل هناك علماء أعلم من أولئك، وهل يمكن أن يثبت حكم الصحة لشيء وهو معارض للشرع ولفهم أولئك أجمعين[1656]

(1655) "الجواب الفسيح " : (1 / 201).

(1656) انظر: "الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية " لدكتور عبد القادر عطا صوفي (1 / 125).

ثانيا: مواضع ورودها:

ذكر هذه القاعدة بلفظها وتطبيقاتها الغزالي في كتابه "الرد الجميل" وأشار إليها **الألوسي** في "كتابه الجواب الفسيح" والجعفري في "التخجيل"[1657] كما سبق ، ولم أقف عليها عند غيرهم، وإن كان حري لكل من على مذهبهما -تقديم العقل على النقل-أن يعتمد عليها لأن ذلك مقتضى مذهبه.

ثالثا: دليلها:

أشار **الألوسي** إلى ما يراه دليلا وتعليلا لها في النقل السابق حيث يقول:

"والثالث **أيضا لا يجوز؛ لأن العقل أصل النقل**، فإن ثبوت النقل موقوف على ثبوت وجود الصانع وعلمه وقدرته وكونه مرسلا للرسل وثبوتها بالدلائل العقلية، **فالقدح في العقل قدح في (العقل) والنقل معا**[1658]

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرح القاعدة من حيث مفرداتها:

المعقول: هو ما يُدرك بالعقل

تُركت ظواهرها: أي أُبقيت على حالها دون تأويل

صريح المعقول: قال شيخ الإسلام **ابن تيمية** في تعريفه: هو الذي يعرفه الناس بفطرهم التي فُطِروا عليها من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد والتباين[1659]

وقال أيضا: "وأما ما يسميه بعض الناس "معقولات" ويخالفه فيه كثير من العقلاء، مثل القول بتماثل الأجسام، وبقاء الأعراض وأن الأجسام مركبة من الجواهر المنفردة التي لا تقبل القسمة، أو المادة والصورة" إلى أن قال : "ونحو ذلك مما يعده من يعده من النظّار أنه عقليات وينازعهم فيه آخرون **فليس هذا هو العقليات التي لا يجب لأجلها رد الحس والسمع**، وتُبنى عليها علوم بني آدم بل المعقولات الصحيحة

(1657) (1/241).

(1658) انظر بطلان هذا الدليل وبقية الأدلة التي بعتمدون عليها في تقديم العقل على النقل في "المصدر السابق".

(1659) انظر : "الجواب الصحيح" : (4/396).

الدقيقة الخفية ترد إلى معقولات بديهية أولية بخلاف العقليات الصريحة مثل كون الجسم الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد معا فإن هذا معلوم بفطرة الله التي فطر الناس عليها"[1660] ا.هـ.

وبما أن الغزالي من المتكلمين فلعل المعقول الذي يقصده في قاعدته هو هذا الذي رده شيخ الإسلام رحمهما الله.

التأويل: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى يحتمله.

الحقائق: جمع حقيقة. والحقيقة هي "كل لفظ يبقى على موضوعه"[1661]

المجاز: "اسم لما أريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما"[1662]

ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة إجمالا هو: إن المعنى الظاهر البين للنص إذا وافق العقل قبل، وإن خالفه رُد (ذلك المعنى) وأُوِّل النص بتأويل يتناسب مع العقل.

المطلب الرابع:

فسادها وإفسادها:

يظهر فساد هذه القاعدة من خلال فساد أصلها الذي بنيت عليه ألا وهو تقديم العقل على النقل بناءاً على توهم التعارض بينهما.

ولا شك في فساد هذا الأصل وقد أسهب شيخ الإسلام **ابن تيمية** رحمه الله في رده في كتابه "درء تعارض العقل والنقل"[1663]

أما إفسادها فيظهر في عدة أمور منها[1664]

-رد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة بدعوى أنها مخالفة لصريح العقل

-فتح الباب للنصارى وبقية الملاحدة للطعن في نصوص الكتاب و السنة وعلى أمور غيبية مبنية على نصوص الكتاب والسنة التي يزعم

(1660) "الجواب الصحيح": (4/397).

(1661) "التعريفات": (ص: 90).

(1662) "التعريفات": (ص: 202).

(1663) انظر الكتاب المذكور. وانظر أيضا: "الأصول التي بني عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات": (1/125).

(1664) ما يذكر هنا من إفساد هذه القاعدة متعلق بالرد على النصارى، وأما إفسادها في عموم الشرع فيراجع في ذلك "الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات": (1/281-295).

مخالفتها للمعقول

-اضطراب الرد الذي بني على هذا الأصل الفاسد وعدم صموده في وجه النصراني، بل وعدم إمكانية الرد عليه أحيانا؛ فإنه لما يعتمد على المجاز في نفي أدلته دائما فسيعتمد هو أيضا في هدم أدلتنا في الرد عليه أو في الدفاع عن ديننا وعقيدتنا؛ لأن قضية المجاز كما هو معروف قضية غير منضبطة يستطيع كل أحد من خلالها أن يدعي وينافح عن ما يريد.

لذلك الأولى عدم استعمال هذه القاعدة في الرد على النصارى والا ستغناء بغيرها عنها وهي كثيرة ولله الحمد فإن كثيرا من قواعد هذا البحث تغني عنها.

***

المبحث الثاني:

قاعدة:

إن الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية

قبل الخوض في بيان هذه القاعدة أريد أنبه على أنّ هذه القاعدة بعد الدراسة والتحقيق تبين أنها ليست من القواعد الفاسدة بل هي من القواعد الصحيحة النافعة وإنما الفساد في بعض تطبيقاتها إذا أسيء استغلالها لكن مع ذلك أجد نفسي مضطرا إلى إبقائها تحت هذا الفصل لسببين:

السبب الأول: الإلتزام بالخطة المرسومة قبلا ً وهو أهم السببين

السبب الثاني: ما تحمله بعض تطبيقاتها من:

تنبيه هام:

ألا وهو استغلال بعض الناس لبعض "قواعد الرد على النصارى" في إبطال حق أو تقرير باطل كما سيتبين جليا فيما بعدُ. وهذ التصرف الخاطيء لا يمس صحة القاعدة بأدنى أذى بل إنما يدل على فساد ذلك الفرع الذي أريد تخريجه عليها.

المطلب الأول:

صياغة القاعدة:

هذه القاعدة نصّ عليها الطوفي في كتابه "الانتصارات"[1665] وذلك في معرض كلامه عن منهجه في كتابه المذكور آنفا حيث يقول: "وقدمت على ذلك مقدمات كلية ، تتضمن مباحث جلية ، عليها ينبني معظم الجواب ، وبها يتيسر ظهور الصواب ، وعلى الله توكلي ، وإليه المآب . وتلك المقدمات ثلاث" إلى أن قال: المقدمة الثالثة : إن الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية "[1666] إلخ

المطلب الثاني:

مصادرها:

قاعدة "إنّ الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية" قاعدة عقلية صحيحة قعّدها واستعملها الطوفي في مواضع من كتابه "الا

(1665) "الانتصارات" (1 / 241).

(1666) "الانتصارات" (1 / 229 - 241) .

انتصارات"[1667] ولم أقف على أحد غيره نص عليها أو استعملها في ردّه.

المطلب الثالث:

شرحها:

أولا: شرحها من حيث مفرداتها:

الأحكام جمع حكم، و"الحكم" هو "إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه"[1668]

الحكم العقلي هو "ما يعرف عنه فيه (العقل) النسبة إيجابا أو سلبا. نحو الكل أكبر من الجزء إيجابا، والجزء ليس أكبر من الكل سلبا[1669]

الحكم الحسي هو الذي يدرك بإحدى الحواس الخمس وهي " الطعم، والشمّ ، والبصر والسمع واللمس"

ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة:

معنى هذه القاعدة إجمالا : هو أنّ كل أمر خطير عقلي أو غيره لا بد أن يكون مبناه ودليله في غاية من القوّة والمتانة شأنه شأن البناء (وهوشيء محسوس) "فإنه يختاط لأسّه بتخير الآلة الجيدة القوية الثابتة ما لا يحتاط لحشوه وأعلاه ، لأنّ ثبوت أعلاه بأسه "[1670]

"ولهذا إذا أشكل على العقلاء أمر عقلي ، ضربوا له مثالا ليتصوّر له. وصور ذلك كثيرة جداً في سائر العلوم ، يعرف ذلك من له أدنى نظر في العلم "[1671]

المطلب الرابع:

فسادها وإفسادها

سبق أنّ هذه القاعدة من القواعد الصحيحة إنما الفساد في سوء استغلالها لذلك ما سيأتي ذكره من التنبيهات والتقريرات سيكون منصبا على ذلك الاستغلال السيء لا على ذات القاعدة. وسأجعل كلام الطوفي -مقعّد هذه القاعدة- بوّابة للوصول إلى المقصود وهو فساد بعض تطبيقات هذه القاعدة ، وكيف يسيء بعض الرادين استعمال بعض قواعد الرد على النصارى في تقرير باطل (وهذا هو الأهم)

(1667) منها المواضع السابقة ، ومنها (1/257-258) ، (1/470) ، (2/519)

(1668) "مذكرة الشنقيطي" (ص: 9) .

(1669) "المصدر السابق"

(1670) "الانتصارات" (1/243).

(1671) "الانتصارات" (1/241).

قال رحمه الله:
"المقدمة الثالثة: إن الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية. ولهذا إذا أشكل على العقلاء أمر عقلي ، ضربوا له مثالا حسيا ليتصوّر لهم. وصور ذلك كثيرة جدا في سائر العلوم، يعرف ذلك من له أدنى نظر في العلم"
"وإذا عرفت ذلك، فاعلم أن الأدلة الشرعية لها مراتب مختلفة بحسب اختلاف مدلولاتها، فيثبت ببعضها فروع الشريعة دون أصولها، كالخبر المستفيض، وخبر الواحد، والقياس الظني، والا ستحسان، والاستصلاح، وقول الصحابي ونحوه، ولا تثبت أصول الشريعة إلا بقاطع كالبديهيات والنظريات والمتواترات ، ونحوها".
"ووزانه من المحسوسات، البناء؛ فإنّه يُحتاط لأسّه بتخيُّر الآلة الجيدة القوية الثابتة ما لا يحتاط لحشوه وأعلاه، لأنّ ثبوت أعلاه بأسّه"
"وفائدة هذه المقدمة، أن يستند إليها في كل ما أورده علينا-أي النصراني من الأخبار التي حقها أن لا تثبت بمثلها الأصول لا ترد علينا، ولا تلزمنا؛ لأن تلك أخبار توجب العمل دون العلم ؛ لكونها مظ نومة الثبوت ، وإن كانت في البخاري ومسلم، لاحتمال وقوع علة قادحة في طريقها، فلا تقوى على إثبات أصل، ولا أن يقدح بها في أصل، خصوصا وقد دخلها تصرف الرواة في الرواية بالمعنى، وقد أورث ذلك إشكالا عظيما في أحكام الفروع ، واختلافا جمّا بين أهل العلم"
"فنقول في مثل تلك الأحاديث: هذه لا تثبت بها أصلا ولا ترد علينا نقصا، وإنما المعتمد على ما يثبت به ذلك"
"وإذا فهمت مقاصد هذه المقدمات تيّسر عليك الجواب، فإنّ ما أراده هذا الخصم، إن كان من كتبهم كالتوراة، والإنجيل ونحوها، منعنا كون ذلك حجة بما قررناه في المقدمة الأولى. ثمّ قد نسلّم له على جهة التنزل ونجيب عنه بالتزام أو فساد بوجه ما ".
"وإن كان من كتبنا، فإن كان (مما يقصر العقل عن فهمه أجبنا عنه بما حكى هو عن "أرسطو"[1672] كما تقرر في المقدمة الثانية، وإن

(1672) وهو قوله: "العلة الأولى أعلى من أن توصف، ولا تعجز الألسة عن وصفها إلا لأنها فوق كل علة" نقله النصراني في ما حكاه عنه الطوفي في "الانتصارات" (1 / 8 3 2).

كان) مما يصل العقل إلى فهمه أجبنا عنه إمّا بأنّه مما لا يثبت بمثله أصل بناء على ما قرر في المقدمة الثالثة، أو بتوجيهه وهو يسير بطريق من طرق الأجوبة الجدلية " (1673)
والآن حان وقت بيان أوجه "فساد القاعدة بهذه الصورة التي قررها الطوفي من خلال كلامه السابق:

(1673) "الانتصارات " (1/ 241 - 244).

الوجه الأول:

إنكار حجية أخبار الآحاد في العقيدة[1674]

وقد صرّح به **الطوفي** في النقل السابق في أكثر من موضع وهذا رأي فاسد من نتائجه السيئة أنه يؤدي إلى التناقض وإنكار كثير من المسائل العقدية التي ثبتت أدلتها بأخبار الآحاد وقد وقع **الطوفي** مقرّر القاعدة في كلا المحذورين في رده على النصارى كما سيأتي قريبا لأنه إذا كان من يرد على النصارى لا يعتقد حجية أخبار الآحاد في العقيدة فسيَرد أحاديث كثيرة في إثبات بعض العقائد الإسلامية تقرير تلك العقائد وإثباتها خير من رده على النصارى في كثير من عقائدهم الفاسدة.

فكيف يرضى من هو ناصح لله ورسوله ولنفسه كذلك أن ينكر عقيدة ثابتة في سبيل ردّ وإنكار عقائد هي فاسدة في نفسها تنوء بِالأدلة الدالة على بطلانها صارخة بكل ذلك بلسان حالها ومقالها حتى لو لم يتفوه ذلك الراد ولا غيره ببنت شفّة ولا وضع سوداء في بيضاء!

الوجه الثاني:

إعطاء فصحة للنصراني للتجني على بعض العقائد الإسلامية

لا شك أن النصراني سيقوم برد أحاديث كثيرة من أخبار الآحاد في العقيدة الإسلامية التي تثبت بعض صفات الباري عز وجل وعقائد أخرى غيرها، كما أنّه يستغل هذه الفرصة الذهبية في ردّ كثير من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث إن تواتر كثير منها معنوي لا لفظي.

والراد على النصارى في مثل هذه الأحوال من الذي بنى رده على القاعدة السابقة حسب تقرير الطوفي لها بين أمرين:

-إمّا أن يمكن النصراني مما ذكرنا طردا للدليل، وإنصافا للخصم، وفي ذلك من تمكين الخصم لإثبات باطله، والجناية على الإسلام وعقيدته ما لا يخفى.

-وإمّا أن يمنعه من ذلك، فيكون من المطففين الذين إذا اكتالوا على

[1674] مسألة حجية أخبار الآحاد في العقيدة مسألة كثر فيها الخوض لكن الحق والصواب فيها إن شاء الله أنها حجة في أبواب الاعتقاد كما هي حجة في أبواب الفقه ، وقد قرر هذا غير واحد من العلماء قديما وحديثا وممن أشبع المسألة بحثا **ابن القيم** رحمه الله في "الصواعق المرسلة": (442-232/2). وللشيخ الألباني رحمه الله رسالة جيدة في المسألة. اسمها : "الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام"

الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون، وهذان الوجهان من الأوجه الكثيرة التي تؤكد ضرورة بناء الرد على النصارى على منهج أهل السنة والجماعة وأنّ الردّ إذا لم يبن على منهجهم سينشل نصفه، ويحيط به التناقض من كل جانب، ويفتح الباب على مصراعيه لكل مفسد وحاقد.

الوجه الثالث:

التناقض والاضطراب في المنهج

فالذي يبني رده على النصارى على ضوء هذه القاعدة بصورتها الطوفية السابقة سيعاني كثيراً من الاضطراب والتناقض الشديد في منهج الا ستدلال والرد، كما سيتضح من خلال الأمثلة الآتية قريبا إن شاء الله.

وأختم الكلام في هذه القاعدة بل في البحث ككل بنماذج من تطبيقات الطوفي على هذه القاعدة منبها في ذلك على المحاذير التي وقع فيها لأمرين:

الأمر الأول: التأكيد على ضرورة صحة العقيدة وسلامة المنهج في الرد على النصارى.

الأمر الثاني: التنبيه على أن البعض قد يستغل بعض هذه القواعد في إبطال حق أو تقرير باطل وهذا لا يضر القاعدة في نفسها ولا يخدش في صحتها، وأن الفرع الذي طُبّق عليها لا يستقيم عند النظر والتأمل.

وهاك بعض هذه النماذج:
ادعى النصراني الذي رد عليه الطوفي أن من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل على القدح في صدق رسالته عليه السلام.
وذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةِ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ يَا وَيْلَهَا، أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا يَسْمَعُ صَوتَهَا كُلُّ شَيءٍ إِلَّا الإِنْسَانُ وَلَوْ سَمِعَهُ لَصَعِقَ"
قال النصراني: "وهذا أبين من أن يتكلم على بطلانه، إذ كيف يكون لميت صوت تسمعه البهائم والجمادات دون الإنسان، لأنّ شرط المسموع أن يكون صوتا خارجا يتموّج به الهواء فيقرع صماخ الأذن، فهل للبهائم والجمادات أسماع فضلا عن أن تكون أفضل فيها من الإنسان" (1675)
فردّ عليه الطوفي بناءاً على قاعدة "إنّ الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية" قائلا:
"قلت الجواب العام عن كل حديث ذكره في هذا الكتاب: أنه من أخبار الآحاد التي توجب العمل لا العلم، فلا يثبت بها أصل، ولا يقدح بها في أصل، وإنما يقدح في الشرائع ما تثبت بمثله الشرائع، وقد قرر هذا في المقدمات وفي آخر شرط الصدق بعد هذا، ولكنا نتبرع بالجواب" (1676) إلخ.

وجه سوء استعمال الطوفي للقاعدة في النص المذكور

وجه سوء استعمال القاعدة من خلال النص المذكور إنكار حجية أخبار الآحاد في العقيدة كما هو واضح في النص والتلكأ أو رفض ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب (وهو كلام الميت) وهذا نتيجة حتمية للطامة الأولى وهي إنكار حجية أخبار الآحاد في العقيدة.
ولما اعترض النصراني على حديث أنس رضي الله عنه الذي قال فيه: "خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ كَادَتْ الشَّمْسُ أَنْ تَغِيبَ فَقَالَ "مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى إِلَّا كَمِثْلِ مَا بَقِيَ مِنْ هَذَا اليَومِ فِيمَا مَضَى" وقال "إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ

(1675) "الانتصارات" (1/470).
(1676) "الانتصارت" (1/470).

أُمّتِي إِلَى نِصْفِ يَوم"
رد عليه الطوفي معتمدا على قاعدة "إنّ الأحكام العقلية على وزان الأحكام الحسية " قائلا:
"هذا حديث له أصل في الرواية لكنا لا نحقق صحته كغيره، لكن قد رواه النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه، فلا يلزمنا الجواب عنه ، بل الأحاديث الثابتة في الرواية كأحاديث البخاري ومسلم لا يلزمنا الجواب عنها في هذا المقام؛ لأنّها آحاد، والآحاد غايتها أن تثبت بها أحكام الفروع لا أن تورد نقضا على أصول الشرائع ، لهذا قال أكثر طوائف المسلمين : (لا تثبت بأخبار الآحاد صفة له ، لأنّ مسائل الأصول القطعية لا تثبت إلا بقاطع) وإنما نحن تبرعنا بـالجواب عن تفاصيل هذه الأحاديث تبرعا ".
"وهذه قاعدة نافعة في هذا الباب- وقد سبقت في أول الكتاب- ثم إن تبرعنا بالجواب عن هذا كما تبرعنا به عن غيره"[1677]إلخ.

وجه سوء استعمال الطوفي للقاعدة في النص المذكور

وجه سوء استعمال الطوفي للقاعدة من خلال النص المذكور هو إنكار حجية أخبار الآحاد في العقيدة كما هو واضح فيه والتلكأ أو رفض ما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب (وهو الإخبار بما بقي من مدّة الدنيا) وهذا نتيجة حتمية للطامة الأولى وهي إنكار حجية أخبار الآحاد في العقيدة.

(1677) "الانتصارات" (2 / 519).

واستدل النصراني صاحب **الطوفي** بردّ الشمس ليوشع كدليل على صحة نبوّته حيث جاء بهذه المعجزة العظيمة "[1678]
فذكر **الطوفي** جملة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كبعض من أدلة صحة نبوّته وكان مما قال:
"ومن معجزاته رد الشمس لابن عمّه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان ردّها معجزا للنبي عليه السلام، وكرامة لعلي رضي الله عنه، وقد صحّحَ الحديثَ بذلك الطحاوي والقاضي عياض وحسبك بهما إمامين في العلم ولا التفات مع ذلك إلى من جعله موضوعا إذ ا لإثبات مقدّم[1679] **وردها ليوشع إنما ثبت عندنا من أخبار الآحاد، إذ لا وثوق لنا بما أخبر به أهل الكتاب.** فحينئذ الذي ثبت ليوشع النبي، قد ثبت لواحد من أصحاب محمد عليه السلام "[1680]

أثر سوء استعمال الطوفي للقاعدة في النص المذكور

وهو يكمن في التناقض واضطراب المنهج الذي وقع فيه **الطوفي** رحمه الله ساقه إلى ذلك سوء استغلاله لهذه القاعدة أرأيت كيف طعن فيما قاله النصراني في حق يوشع عليه السلام من رد الشمس عليه بقوله "**وردها ليوشع إنما ثبت عندنا بخبر الآحاد**، إذ لا وثوق بما يخبر به أهل الكتاب"[1681] ثم قبل هذه العبارة بقليل أثبت رد الشمس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بحديث آحادي موضوع عند كثير من أهل العلم، ثم قال بعد ذلك "فحينئذ الذي ثبت ليوشع النبي ثبت مثله لواحد من أصحاب محمد عليه السلام "[1682]
كيف ينكر حجية خبر الواحد في العقيدة ثم يستدل بهذا الحديث الذي ليس من أخبار الآحاد فحسب بل هو حديث موضوع عند الكثير كما سبق.
ولا يقول قائل هذا ليس من الأصول لأنّ **الطوفي** رحمه الله إنما

(1678) "الانتصارات" (1/255)
(1679)أثر رد الشمس على عليّ رضي الله عنه أخرجه وصححه الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (20/8-9) والقاضي عياض في "الشفا" (1/185) ؛ **وابن حجر** في "الفتح" (6/222-221) .
وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في "الموضوعات" وابن تيمية في "منهاج السنة" (4/186-195) ؛ وابن كثير في "البداية والنهاية" (1/323) **وابن القيم** في "المنار المنيف" (ص : 68) ؛ وا لألباني في "سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (1/395-401).
(1680) "الانتصارات" (1/258).
(1681) "الانتصارات" (1/258)
(1682) "المصدر السابق"

أراد بذلك إثبات نبوة النبي صلى اللّه عليه وسلم وهل هناك أصل أعظم من إثبات نبوته عليه السلام،
ولأنه إنما أراد معارضة النصراني فيما ذكر عن يوشع النبي عليه السلام هذا من ناحية.
ومن ناحية أخرى، كيف ينكر على النصراني التمسك "بالآحادي" في إثبات معتقده، ويتمسك هو به بل بما هو على شفا جرف هار من الوضع تلك إذاً قسمة ضيزى.
ثمّ هذه القصة – قصّة يوشع بن نون - ثابتة في كتبنا[1683] فلم يُصِرُّ الطوفي على الطعن فيها مع أنها في الصحاح من كتبنا وإن كانت آحادية. ولعل هذا من ضمن أسباب عدم التفاته إليها وإن كانت في الكتب الصحيحة عندنا، لأنه كما سبق مرارا يقول بأنّ أخبار الآحاد "توجب العمل لا العلم ، فلا يثبت بها أصل ، ولا يقدح بها في أصل ، وإنما يقدح في الشرائع ما تثبت بمثله الشرائع" وهكذا واللّه المستعان.
وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

***

[1683] القصة موجودة في "صحيح البخارى"و نصها: "غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: "إلى أن قال: "فغزا فدنا من القرية صلاة العصر، أو قريبا منها فقال للشمس إنك مأمورة ، وأنا مأمور؛ اللّهم احبسها علينا فحبست حتى فتح عليهم "صحيح البخاري": "كتاب فرض الخمس باب: "قول النبي صلى اللّه عليه وسلم، أحلت لكم الغنائم (3714/7)، رقم: [3124] وجاء التصرح بأنه يوشع عليه السلام فعن أبي هريرة مرفوعاً: "إن الشمس لم تجبس على بشر إلا ليوشع..." إلخ المسند (65/14).

الخاتمة

وتشتمل على:

- الآثار الطيبة للقواعد الصحيحة في الرد على النصارى
- الآثار السيئة للقواعد الفاسدة في الرد على النصارى
- نتائج
- توصيات

الآثار الطيبة والسيئة للقواعد الصحيحة و القواعد الفاسدة في الرد على النصارى

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له سبحانه على ما أنعم ويسر ووفق من إنجاز هذا البحث.
من خلال الرحلة الطويلة التي استغرقت ثلاث سنوات في هذا البحث تبين لي الآثار الطيبة للقواعد الصحيحة في الرد على النصارى، والآثار السيئة للقواعد الفاسدة في الرد عليهم منها:

أولا:
الآثار الطيبة للقواعد الصحيحة في الرد على النصارى
هناك آثار كثيرة طيبة للقواعد الصحيحة في الرد على النصارى منها ما يأتي:

1. إن الرد المبني عليها يكون رداً مقنعاً لا يملك معه النصراني إلا التسليم أو المكابرة
2. الثبات وعدم الاضطراب في منهج الرد
3. نسف شبهات النصارى بأيسر الطرق
4. تكوين ملكة في الرد قوية
5. إبراز محاسن الإسلام ونقاء عقيدته وسماحة شرائه.

ثانيا:
الآثار السيئة للقواعد الفاسدة في الرد على النصارى
هناك آثار كثيرة سيئة للقواعد الفاسدة في الرد على النصارى منها ما يأتي:

1. الجناية على عقيدة السلف الصالح عليهم رحمة الله
2. الاضطراب وعدم الثبات في المنهج
3. عدم القدرة على المواجهة في حالات كثيرة
4. تمكين النصارى من التطاول على الإسلام وعقيدته وإعطاء فسحة لهم للنيل منه
5. جعل النصراني مبتدعا يوم دخوله في الإسلام فيما لو منّ الله عليه بالإسلام بموجب تلك القاعدة الفاسدة.

نتائج وتوصيات

أولا:

النتائج:

من خلال دراسة مادة هذا البحث توصلت إلى نتائج كثيرة من أهمها:

1. كثرة الإنتاج العلمي للعلماء المسلمين "المتقدمين" في مجال مقارنة الأديان وأنهم خاضوا هذا الميدان قبل دعاة تأصيله من الغربيين بمئات السنين.
2. قلة استفادة بعض الرادين المعاصرين من كتابات المتقدمين، لعدم تمكنّهم من الاستفادة منها أو لجهلهم بها حتى ظن بعضهم أن الشيخ أحمد ديدات هو أول من وضع حجر الأساس لهذا العلم من المسلمين.
3. أن القدر الواجب في الرد على النصارى لم يحصل حتى الآن فلا تزال الساحة بحاجة ملحة إلى من يقومون بذلك على علم وبصيرة.
4. أكثر كتب "المتقدمين" في الرد على النصارى إنما هي ردود أو جوابات على كتب أو رسائل معينة من قبل النصارى كتبوها تقريرا للنصرانية أو طعنا في الإسلام.
5. أن أكثر من كتب في الرد على النصارى من "المتقدمين" معتزلة وأشاعرة بل لعل المعتزلة أول من صنف في هذا المجال.
6. قلة كتابات أهل السنة في الرد على النصارى قديماً وحديثاً حسب اطلاعي بالمقارنة مع ما كتب أو يكتب غيرهم غيرهم.
7. أحسن كتاب وقفت عليه في الرد على النصارى من حيث التأصيل والتقعيد كتاب "الجواب الصحيح" لمن بدّل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
8. هناك بعض الكتب المهمة في الرد على النصارى لا تزال تحتاج إلى من يوفيها حقها من التحقيق والدراسة والتعليق مثل كتاب " الإعلام" للقرطبي ، وكتاب "مقامع هامات الصلبان" لأبي عبيدة الخزرجي، و "الجواب الفسيح" للألوسي.
9. مدى تأثير صحة أو فساد منهج الإنسان وعقيدته عليه في رده على غير المسلمين.
10. كل رد على النصارى بني على خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة سيصاب بشلل وضعف المناعة غالبا.
11. بناء الرد على النصارى على خلاف عقيدة السلف يؤدي إلى أثار سيئة كثيرة (وقد سبق ذكر شيء منها)

12. أن مجال مقارنة الأديان اليوم يحتاج إلى مزيد من الدراسات الجادة من قبل علماء المسلمين.
13. بعض من يقوم بالرد على النصارى في هذا العصر ينطلق من منطلق الحماسة المتوقدة، أو الغيرة المجردة، أو الترف الثقافي لذلك تفتقد ردود كثير منهم الصبغة العلمية فيتكلمون بلا علم ولا عدل بل يحشونها بسباب وتهويلات لا يعجز عنها أحد، وهذا لا ينبغي.
14. كثير من الرادين المعاصرين يهتمون بالرد على النصارى في دينهم أكثر من الدفاع عن الإسلام ولعل ذلك مما جعل جوابات بعضهم عن إيرادات النصارى على الإسلام غير مقنعة إطلاقا.
15. اقتصار بعض الباحثين في النصرانية على الكتب القديمة وهذا لا ينبغي.
16. اعتماد كثير من الباحثين في الأديان على المراجع الثانوية وهذا لا ينبغي ولعل ذلك راجع إلى عدم توفر المراجع الأصلية لديهم، أو قلة معرفتهم باللغة التي تم تأليفها بها.
17. كثير من أساليب الرد على النصارى أهملت الآن وتم الاقتصار على طرف منها والتي قد تكون أقل تأثيرا وفعالية من بعض الأساليب المهملة.
18. بعض من يقوم بالرد على النصارى وبالأخص المتأخرين منهم لا يهتمون بالكتاب والسنة فلا يحفظونهما حفظا جيداً بل كثيراً ما ترى بعضهم لا يستطيع أن يتلو الآية القرآنية بالعربية إلا بالإنجليزية أو يحيل إلى رقم الآية والسورة، كما أن كثيراً منهم لا ينطلقون منهما ولعل ذلك راجع إلى جهلهم بهما أو الفساد في منهج الاستدلال فيرون أن العقل وحجته أولى بالتقديم على النصوص الشرعية. كلا!
19. تأثّر بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام بالنصارى بل وكثير من عامة المسلمين.
20. عدم تطابق أو وجود كثير من النصوص التي يستشهد بها العلماء المسلمون المتقدمون وخاصة في إثبات نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في النسخ الموجودة للكتاب المقدس الآن مع أن بعضهم بين أنه نقل تلك النصوص مباشرة من كتبهم دون واسطة. ولا شك أن هذا مما يؤكد على شدة تحريف النصارى

لكتبهم وأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.

21. مدى عدم معقولية دين النصارى ووهاء أسه وفساد عقيدته
22. عظم ما يكنه النصارى للإسلام والمسلمين من الشر والحقد و العداوة السافرة.
23. إن النصرانية المعاصرة لا تتفق مع الإسلام في شيء، والاتفاق المتوهم بينهما إنما

هو في الأسماء لا في المسميات على خلاف ما يظن أو يزعم البعض وخاصة دعاة التقريب بين الأديان من أن هناك قواسم مشتركة بين الديانتين، بل كثيرا ما يجازفون فيقولون "الديانتين السماويتين" أو نحن والنصارى نؤمن بإله واحد، وباليوم الآخر وبالرسل وما إلى ذلك، من الكلام الساذج السطحي الذي لا يثبت أمام التحقيق والبحث العلمي والواقع من خير الشهداء على ذلك.

ثانيا:

التوصيات:

وهي كثيرة من أهمها:

1. إعطاء هذا الجانب "التخصص في الأديان" وخاصة النصرانية الأ همية التي يستحقها في الجامعات الإسلامية ولدى الباحثين المسلمين.
2. يجب على المشتغلين في الرد على النصارى أن يصححوا عقائدهم إن لم يكونوا على عقيدة السلف، لمصلحة أنفسهم في الدنيا والآخرة أولا ، ثم لمصلحة الرد ثانيا؛ لأنهم بدون ذلك قد يفسدون أكثر مما يصلحون
3. على كل من يشتغل بالرد على النصارى ويعرف من نفسه أنه يعاني من الفقر المعرفي في العلوم الشرعية أن يتدارك ذلك بسرعة.
4. كل من يكتب أو يرد على النصارى ينبغي أن يعرف لغتين من ثلاث؛ العربية مع الإنجليزية أو الفرنسية.
5. ينبغي السعي الحثيث في إنتاج كوادر أكفاء يستجمعون الشروط الأ ساسية بل والتكميلية في الرد على النصارى ليقوموا بهذه العملية على وجهها. وأن يتفرغ بعض المشائخ وطلبة العلم الشرعي لهذا التخصص العلمي الخطير "مقارنة الأديان" والنصرانية على وجه أخص.
6. الاعتناء بدراسة الأديان على ضوء الكتاب والسنة والانطلاق من

منطلقهما

7. تأسيس موقع إسلامي سلفي العقيدة والمنهج على شبكة الإنترنت بلغات متعددة تتخصص في هذا الجانب.
8. تدريس الأديان تدريسا مبنيا على النقد والمقارنة بشيء من العمق، لا سردا تاريخيا مجرداً.
9. دراسة الفرق المنتسبة إلى الإسلام من خلال تأثرها بالنصارى، مع عقد مقارانات على نطاق واسع بينها وبينها ليتضح على شكل واضح مدى تأثرها بها وهذا وحده قد يكفي أحيانا في الرد على تلك الفرق الهالكة.
10. متابعة كل جديد يتعلق بالنصارى والنصرانية وإعداد البحوث و الرسائل على ضوءها لا كما يفعل البعض من الاعتماد شبه كلي على كتب تقادم عهدها أو معلومات اتنهى مفعولها أو كاد.
11. ينبغي للباحثين في الأديان أن يستفيدوا من آلاف المواقع المتخصصة في الأديان الموجدة على شبكة الإنترنت.
12. ينبغي أن يستفيد الرادون المعاصرون بجهود السابقين من علماء المسلمين وخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية والجعفري وابن حزم ورحمت الله الهندي رحمهم الله.
13. ينبغي على الرادين على النصارى أن يُعملوا جميع الأساليب في الرد مع مراعاة الظروف والأشخاص لا أن يقتصروا على أسلوب واحد مع كل أحد.
14. يجب وضع ضوابط مقننة للمناظرات العلنية التي يقوم بها كثير من الرادين على النصارى على وجه تكون إيجابياتها خير وأكثر من سلبياتها.
15. ينبغي أن يعتني كل طالب بهذه المادة في خاصة نفسه- وخاصة الط لاب الذين يعيشون مع النصارى في بلدانهم- ويقتني فيه من الكتب ما يعينه على معرفة حقيقة النصرانية وبقية الديانات المنحرفة الأ خرى، وكيفية الرد عليها
16. ينبغي للعلماء المختصين الأكفاء في هذا المجال أن يسعوا إلى إخراج أجزاء متينة مختصرة في كل ما اشتملت عليه الديانة النصرانية من عقائد وشرائع وشعائر، يدرسون فيها تلك الأمور دراسة علمية موضوعية مقارنة بالإسلام ويكون كل جزء في حدود عشرين إلى ثلاثين صفحة، ثم يقام بترجمته إلى بعض اللغات العالمية مثل الإ نجليزية والفرنسية، إحقاقا للحق وإبطالا للباطل، وبذلك يكونون قد أسهموا مساهمة فعّالة، ونصحوا الله ورسوله وجميع الأمة على الوجه

المطلوب منهم.

17. أن مجال مقارنة الأديان مجال خصب بالموضوعات الصالحة للماجستير والدكتوراه، فأوصي من يجد في نفسه رغبة وكفاءة أن يسجل في هذا الميدان فإن البحث فيه ماتع جداً، والناس بحاجة إليه، والموضوعات فيه بلا حدود.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يتقبل منا حسناتنا ويتجاوز عن سيئاتنا وأن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم.

وصلى الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الفهارس العلمية

فهرس الآيات القرآنية:

سورة النساء :

سورة المائدة :

حُنَقَاءَ الآية

فهرس الأحاديث

طرف الحديث

الصفحة

فهرس الآثار

فهرس الفرق

فهرس المصطلحات

فهرس الأعلام

المجموعة الأولى: الأعلام المسلمون

المجموعة الثانية: الأعلام غير المسلمين

فهرس البلدان

فهرس القواعد

	ذاك إلى المجاز	
14.	تخصيص بعض العام بالذكر إذا كان له سبب التخصيص لم يدل على أن ما سوى المذكور يخالفه	16, 383, 474, 475, 479, 480, 482, 482, 483
15.	الحق حق صدقه الناس أو كذبوه	300
16.	حكم أحد الشيئين حكم مثله	16, 413
17.	حكم الشيء حكم مثله	247, 288, 290, 298, 303, 306, 383, 413, 415, 416, 419, 421, 426, 427, 428, 429, 439, 442, 443, 446, 447, 451, 452, 453, 454, 455, 456, 456, 457, 458, 460, 461, 462, 463, 464, 465, 467, 469, 470, 471, 472, 473, 479, 529
18.	دين النصار مبني على غير المنقول ومعاندة المعقول	14, 289, 297, 301, 306, 308, 319, 322, 323, 325, 335, 336
19.	العلم بما يلزم الخصم وما لا يلزمه ينبغى أن يكون مقدما على مناظرته	183
20.	فساد اللازم يدل على فساد الملزوم	249
21	القرآن يؤخذ كله	19, 497, 531,

.		532, 533, 535, 536, 537, 538, 540, 541, 544, 564,
22.	الكتب السابقة على ما هي عليه الآن مما لا تقوم به حجة على المسلمين	18, 497, 547
23.	كتب النصارى لا تقوم بها الحجة	554, 556, 560, 561
24.	كل دعوة إلى الحق تستلزم الدعوة إلى نبذ ضده من الباطل	105
25.	كل سؤال انقلب على سائله فهو باطل من أصله	302, 304
26.	كل شيئين اتحدا صارا شيئا ثالثا	15, 273, 299, 303, 383, 399, 400, 403, 404, 414
27.	كل من صح قصده في هداية الخلق سلك معهم ما هو أقرب بهدايتهم	157
28.	لا تزر وازرة وزر أخرى	288
29.	لا تستقل العقول بمعرفة الشرائع	300
327	لا يتعارض قط معقول صريح مع منقول صحيح	335
31.	لا يجادل النصارى إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم	288
32.	لا يستقيم للنصارى في الاتحاد مثال	303, 401
33.	لا يصح احتجاج النصارى بشيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم	303, 305
34.	لا يصح احتجاج النصارى بشيء من القرآن، ما داموا نصارى	17, 497, 506, 566
35	لا يصدق النصارى ولا يكذبون فيما	17, 288, 291,

.	يحتمل الصدق والكذب	497, 498, 500, 504
36.	لا يكون من لم تبشر به الأنبياء نبيا	301
37.	لو لم يكن محمد صادقا لكان المسيح كاذبا	16، 383، 484، 485، 488، 490، 491، 496
38.	ما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الأمر	15، 288، 297، 300، 383، 394، 396
39.	ما سب الله أحد ما سب النصار رب العالمين	14، 295، 358، 364، 365، 366، 370
40.	ما علم أنه ممتنع في صريح العقل لم يجز أن يخبر به رسول	18، 497، 565، 568،
41.	ما غلا في الدين غال ما غلت فيه النصارى	309
42.	ما قام الدليل على صحته البرهان فهو حجة قاطعة على من خالفه وعلى من وافقه	301
43.	ما من آية جاء بها المسيح عليه السلام إلا وعند غيره من الأنبياء مثلها وأعظم منها	309
44.	ما من مطعن من مطاعن أعداء الأنبياء يطعن به على محمد صلى الله عليه وسلم إلا ويمكن توجيه ذلك الطعن وأعظم منه في موسى وعيسى	244, 529
45.	المتشابه يرد إلى المحكم	51, 291, 298
46.	المثلان اللذان يسد أحدهما مسد الآخر يجب لأحدهما ما يجب عليه ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ويجوز عليه ما	15, 304, 383, 408, 411, 412

	يجوز عليه.	
47.	مصادر النصارى لا تقوم بها حجة	290، 298
48.	يمتنع التصديق بالفرع مع القدح في الأصل	19، 497، 569، 571
49.	يمتنع مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم القول بصدق غيره من الأنبياء	244، 397

قائمة المصادر والمراجع:

المجموعة الأولى:

كتب عامة

القرآن الكريم
مصحف المدينة المنورة، طبعة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

أحكام القرآن
لابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله المتوفى (543)
راجعه : محمد عبد القادر عطا
طبعة : دار الفكر
الطبعة الأولى 1408 ـ 1989
***

أحكام القرآن الكريم
للشيخ محمد بن صالح العثيمين
جمعه : أبي خالد عبد الكريم بن صالح المقرن
طبعة : دار طويق
الطبعة الأولى 1415
***

آداب البحث والمناظرة
للشيخ محمد الأمين الشنقيطي
طبعة : مكتبة ابن تيمية و مكتبة العلم
***

أسد الغابة في معرفة الصحابة
لابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري المتوفى

(630)
طبعة : دار الفكر
***
الأشباه والنظائر
لابن نجيم زين العابدين بن إبراهيم المتوفى (970)
طبعة : إدارة القرآن والمعارف الإسلامية
***
الأشباه والنظائر
للسكبي ؛ تاج الدين بن عبد الوهاب بن علي المتوفى (771)
حققه الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد عوض
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة الأولى 1411 ـ1991
***
الأشباه والنظائر في قواعد فروع فقه الشافعية
للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى (911)
حققه مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز
طبعة : مكتبة نزار مصطفى الباز
الطبعة الثانية 1418 ـ 1997
***
الأشباه والنظائر في النحو
للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى (911)
حققه الدكتور عبد العال سالم مكرم
طبعة مؤسسة الرسالة
الطبعة الأولى 1406 ـ 1987
***
أمالي ابن الشجري
العلوي ، هبة الله علي بن محمد بن حمزة الحسني المتوفى

(542)
حققه الدكتور محمود محمد الطناجي
طبعة مكتبة الخانجي بالقاهرة
الطبعة الأولى 1413 ـ 1992
***
أصول الشاشي
للشاشي ؛ أحمد بن محمد أبو علي المتوفى (344)
طبعة دار الكتاب العربي بيروت لبنان
الطبعة 1402ـ1982
***
أضواء البيان
للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني
طبعة مطبعة المدني
الطبعة 1384 ـ1965
***
الأعياد وأثرها على المسلمين
للدكتور سليمان بن سالم السحيمي
الطبعة الأولى 1422 ـ2002
***
الأمثال
أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى (338)
حققه الدكتور عبد المجيد قطامش
طبعة دار المأمون للتراث
الطبعة الأولى 1400ـ1980
***
أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق)
للقرافي أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي
طبعة عالم الكتب
***
الإحكام في أصول الأحكام
أبو محمد علي بن أحمد ابن حزم المتوفى (456)
طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت
الطبعة الأولى 1400ـ1980

تقديم الأستاذ الدكتور إحسان عباس
***

إرشاد الساري
أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المتوفى (923)
طبعة دار الفكر

الاستيعاب في معرفة الأصحاب
لابن عبد البر النمري أبو عمر يوسف بن عبيد ابن محمد
حققه علي محمد البجاوي
طبعة دار الجيل
الطبعة الأولى 1412ـ1992
***

الإسرائيليات في التفسير
تأليف: د/محمد حسين الذهبي، الطبعة 1415-1995
***

إغاثة اللهفان

لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى (751)

حققه محمد عفيفي

طبعة : المكتب الإسلامي ، مكتبة الخساني

الطبعة الثانية
***

إعلام الموقعين عن رب العالمين

لابن قيم الجوزية محمد ابن أبي بكر المتوفى (751)
طبعة : دار الجيل
الطبعة 1973
***

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم المتوفى (728)
حققه الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل
طبعة : مكتبة الرشد
الطبعة الثانية 1411ـ1991
***

الإكليل في استنباط التنزيل
للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى (911)
راجعه وصححه الغماري أبو الفضل عبد اللّه محمد الصديق
طبعة : دار الكتاب العربي بالقاهرة
***
بحر العلوم (تفسير السمرقندي)
للسمرقندي أبو الليث نصر بن محمد المتوفى (375)
حققه الشيخ علي محمد ، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الدكتور زكريا عبد المجيد
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة الأولى 1413 ـ1993
***
بدائع الفوائد
لأبي عبد اللّه محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن قيم الجوزية المتوفى (851)
طبعة : دار الكتاب العربي
***
البداية والنهاية
للحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي المتوفى (774)
حققه عبد اللّه بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
طبعة هجر للطباعة والنشر
الطبعة الأولى 1418 ـ1997
***
تاج العروس
للزبيدي ، السيد محمد مرتضى الحسيني
حققه إبراهيم الترزي
طبعة دار إحياء التراث العربي
***
تاج اللغة وصحاح العربية (الصحاح)
للجوهري ، إسماعيل بن حماد
حققه أحمد عبد الغفور عطار

طبعة : دار العلم الملايين
الطبعة الثانية 1399ـ1979
***

تاريخ بغداد (أو مدينة السلام)
تأليف : الحافظ أبي بكر بن أحمد بن علي الخطيب البغدادي
طبعة : دار الكتاب العربي
***

تاريخ مدينة دمشق
تأليف : ابن عساكر الامام الحافظ أبو القاسم علي ين الحسن بن هبة اللّه الشافعي
تحقيق : محب الدين أبو سعيد عمر بن العمروي
طبعة : دار الفكر
***

تأويل مختلف الحديث
للإمام أبو عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى (276)
حققه محمد محي الدين الأصفر
طبعة : المكتب الإسلامي ، دار الإشراق
الطبعة الأولى 1409 ـ1989
***

تثبيت دلائل النبوة
لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمداني المتوفى (415)
حققه الدكتور عبد الكريم عثمان
طبعة دار العربية بيروت لبنان
***

التحرير
لكمال ابن همام الإسكندري ابن همام
طبعة دار اكتب العلمية
بيانات : المطبوع مع تيسير التحرير لأمير بادشاه
***

تحفة المودود
لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية
حققه فواز أحمد زمرلي
طبعة :دار الكتاب العربي

الطبعة الأولى
***
تفسير القرآن
للسمعاني ، أبو المفر منصور بن محمد التميمي المروزي
حققه أبو بلال غنيم بن عباس غنيم
طبعة : دار الوطن
الطبعة الأولى 1418 ـ 1997
***
تفسير القرآن العظيم
للرازي بن أبي حاتم الحافظ عبد الرحمن بن محمد المتوفى (327)
حققه أسعد محمد الطيب
طبعة : مكتبة نزار مصطفى الباز
الطبعة الأولى 1417 ـ1997
***
تفسير القرآن العظيم
لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي المتوفى (774)
حققه سامي محمد السلامة
طبعة : دار طيبة
الطبعة الأولى 1418ـ 1997
***
التفسير الصحيح (موسوعة الصحيح المسبور في التفسير بـ المأثور)
للدكتور حكمت بشير ياسين
طبعة : دار المآثر المدينة النبوية
الطبعة الأولى 1420ـ1999
***
التقريب لحد المنطق
لابن حزم الأندلسي
حققه الدكتور إحسان عباس
طبعة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بيانات أخرى : ضمن مجموعة من رسائل ابن حزم المجلد الرابع

***

تقييد العلم

للخطيب البغدادي ، الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت

حققه يوسف العش

طبعة : دار إحياء السنة النبوية

الطبعة الثانية 1974

***

تلخيص كتاب الموضوعات

للذهبي شمس الدين محمد بن أحمد

حققه أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد

طبعة : مكتبة الرشد ، شركة الرياضة

الطبعة الأولى 1419 ـ 1998

***

التمهيد في تخريج الفروع على الأصول

للأسنوي

***

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

لابن عبد البر النمري الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي

حققه سعيد أحمد أعراب

***

تهذيب اللغة

للأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد المتوفى (370)

حققه يعقوب عبد النبي

طبعة : الوعد المصرية للتأليف والترجمة

***

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

للسعدي ، عبد الرحمن بن ناصر

حققه عبد الرحمن بن معلا اللويحق

طبعة : مؤسسة الرسالة

الطبعة الأولى
***
تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد
للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المتوفى (1233)
***
جامع بيان العلم وفضله
لابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله المتوفى (463)
حققه أبو الأشبال الزهري
طبعة : دار ابن الجوزي
الطبعة الرابعة 1419ـ1998
***
جامع البيان عن تأويل آي القرآن
للطبري ، محمد بن جعفر بن جرير المتوفى (310)
حققه محمود شاكر و أحمد محمد شاكر
طبعة : دار المعارف
الطبعة الثانية
***
جامع الترمذي
لأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي المتوفى (279)
اعتنى به : فريق بيت الأفكار الدولية
***
جامع التفسير من كتب الأحاديث

أشرف في إخراجه : خالد بن عبد القادر آل عترة
طبعة : دار طيبة
الطبعة الأولى 1421
***
جامع العلوم والحكم
لابن رجب الحنبلي الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين المتوفى (795)
حققه شعيب الأرنؤوط و إبراهيم باجس
طبعة : مؤسسة الرسالة

الطبعة السادسة 1415 ـ 1995
***
الجامع لأحكام القرآن
للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري
طبعة : دار الحديث
الطبعة الأولى 1414ـ1994
***
الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي
لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
***

دائرة معارف القرن العشرين
لمحمد فريد وجدي
طبعة : دار المعرفة
الطبعة الثانية 1971
***
درء تعارض العقل والنقل
لشيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم المتوفى (728)
حققه : محمد رشاد سالم
***
الدر المنثور في التفسير بالمأثور
للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المتوفى (911)
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة الأولى 1411 ـ 1990
***
دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)
لأحمد نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول
طبعة : دار الكتب العلمية
بيات أخرى : عرب عباراته الفارسية : حسن هاني فحص
***
دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة
للبيهقي ، أبو بكر بن الحسين المتوفى (458)
تعليق وتوثيق : الدكتور عبد المعطي قلعجي
طبعة : دار الكتب العلمية بيروت لبنان
الطبعة الأولى 1405 ـ 1985
***

الديباج المهذب في معرفة أعيان المذهب
تأليف: ابن فرحون، تحقيق محمد أبو النور ، طبعة دار التراث
***
ديوان البوصيري
لشرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري
حققه : محمد سيد كيلاني
طبعة : مصطفى البابي الحلني وأولاده بمصر
الطبعة الثانية
ذيل طبقات الحنابلة
لابن رجب الحنبلي

***
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني
للألوسي شهاب الدين السيد محمود المتوفى (1270)
طبعة : إدارة الطباعة المنبرية و دار إحياء التراث العربي
***
الردود
لبكر بن عبد الله أبو زيد
طبعة : دار العاصمة
الطبعة الأولى 1414
***
الرسالة
للشافعي محمد بن إدريس المتوفى (204)
حققه : أحمد محمد شاكر
***
الروح
لابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
طبعة : دار الرشد
***

زاد المسير في علم التفسير
لابن الجوزي الإمام جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي القرشي

البغدادي المتوفى (597)
طبعة : المكتب الإسلامي
الطبعة الرابعة 1407 ـ 1987
***
زاد المعاد في هدي خير العباد
لابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
حققه : شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط
طبعة : مؤسسة الرسالة و مكتبة المنار الإسلامي
***
سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام
لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني
حققه : محمد صجي حسن حلاف
طبعة : دار ابن الجوزي
الطبعة الأولى : محرم 1418 ـ 1997
***
سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها
للألباني محمد ناصر الدين
طبعة : مكتبة المعارف
الطبعة : الأولى 1417 ـ 1996
***
سلسلة الأحاديث الضعيفة
للألباني محمد ناصر الدين
طبعة : مكتبة المعارف
الطبعة : الأولى 1422 ـ 2002
***
سنن أبي داود
للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث المتوفى (275)
طبعة : نشر وتوزيع : محمد علي السيد
بيانات أخرى : إعداد وتعليق : عزت عبيد الدعاس
***
سنن ابن ماجه
لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني المتوفى (273)
اعتنى به : فريق بيت الأفكار الدولية
***
سنن الدارمي
للدارمي الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي

حققه : فواز أحمد زمرلي   و   خالد السبع العلى
***
سنن النسائي
لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (215 ـ 303)
حققه : مكتب تحقيق التراث الإسلامي
طبعة : دار المعرفة بيروت لبنان
الطبعة : الأولى 1411 ـ 1991
***
السيرة النبوية
لعبد الملك بن هشام المعافري المعروف بابن هشام المتوفى (218)
حققه : الشيخ محمد علي قطب   و   الشيخ محمد الدالي بلطة
طبعة : المكتبة العصرية ، صيدا بيروت
الطبعة : الأولى 1431 ـ 2001
***
شرح السنة
للبغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء المتوفى (510)
حققه : شعيب الأرنؤوط   و   محمد زهير الشاويش
طبعة : الكتب الإسلامي
الطبعة الأولى 1390 ـ 1971
***
شرح الفصيح
للزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر
حققه : إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي
طبعة : 1417
***
شرح الكوكب المنير
لابن النجار محمد بن أحمد الفتوحي المتوفى (972)
حققه : الدكتور محمد الزحيلي   و   الدكتور نزيه حماد
طبعة : مكتبة العبيكان
الطبعة : 1413ـ 1993
***
شرح كتاب الفقه الأكبر
للملا علي القاري الحنفي
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة : الأولى 1404 ـ 1984

***
شرح مختصر الروضة
للطوفي نجم الدين سليمان بن عبد القوي المتوفى (716)
حققه : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
طبعة : مؤسسة الرسالة
الطبعة : الأولى 1410 ـ 1990
***
شرح مشكل الآثار
للطحاوي أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة
حققه : شعيب الأرنؤوط
طبعة : مؤسسة الرسالة
الطبعة : الأولى 1415 ـ 1994
***
الشفا بتعريف حقوق المصطفى
للقاضي عياض أبو الفضل عباس بن موسى بن عياض المتوفى (544)
حققه : علي محمد البجاوي
طبعة : دار الكتاب العربي
الطبعة : 1404 ـ 1984
***
صحيح ابن خزيمة
لابن خزيمة النيسابوري الإمام أبو بكر بن إسحاق السلمي
حققه : الدكتور محمد مصطفى الأعظمي
طبعة : المكتب الإسلامي
الطبعة : 1400 ـ 1980
***
صحيح سنن أبي داود
للألباني ، محمد ناصر الدين
طبعة : مؤسسة غراس
الطبعة : الأولى 1423 ـ 2002
***
صحيح مسلم
للإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
حققه : الشيخ خليل مأمون شيحا
طبعة : دار المعرفة بيروت لبنان
الطبعة : الثانية 1416 ـ 1995

بيانات أخرى : متن الصحيح الذي معه المنهاج شرح صحيح مسلم بن حجاج للنووي
***
الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
حققه : الدكتور علي بن محمد الدخيل الله
طبعة : دار العاصمة
الطبعة : الثانية 1418 ـ 1998
***
طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين
للدكتور يعقوب بن عبد الوهاب البا حسين
طبعة : مكتبة الرشد
الطبعة : الأولى 1421 ـ 2001
***
الطبقات الكبرى
لابن سعد
طبعة : دار صادر بيروت
***
طريق الوصول إلى العلم المأمون لمعرفة القواعد والضوابط والأ صول
للسعدي الشيخ عبد الرحمن بن ناصر
طبعة : مركز صالح بن صالح الثقافي
الطبعة : 1412ـ1992
بيانات أخرى : ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن

بن ناصر السعدي
***
عصمة الأنبياء
للرازي فخر الدين محمد بن عمر المتوفى (606)
طبعة : مطابع الأمل الحديثة
***
عيون الأخبار
لابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري المتوفى (276)
طبعة : دار الكتاب العربي
***
عيون المناظرات
لأبو علي عمر السكوني المتوفى (717)
حققه : سعد غراب
طبعة : من منشورات الجامعة التونسية 1976
***
العقد الفريد
ابن عبد ربه أحمد بن محمد الأندلسي المتوفى (328)
حققه مفيد محمد قميصة
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة : الثانية 1407 ـ 1987
***
فتح الباري لشرح صحيح البخاري
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى (852)
طبعة : دار الفكر
الطبعة 1411ـ 1990
***
فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير
للشوكاني محمد بن علي بن محمد
وثقه وعلق عليه : سعيد محمد اللحام
طبعة : دار الفكر
***
فتوح مصر وأخبارها
لابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المتوفى (257)
حققه : محمد صبيح
طبعة : مكتبة ابن تيمية
***

في ظلال القرآن
سيد قطب
طبعة : دار الشروق
الطبعة : الشرعية العاشرة 1402 ـ1982
***
الفروق في اللغة
لأبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله المتوفى حوالي (395)
طبعة : دار الآفاق الجديدة
الطبعة : الثانية 1979
***
الفصل في الملل والأهواء والنحل
لابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد
طبعة : دار المعرفة
***
الفوائد
لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى (752)
***
قواطع الأدلة في أصول الفقه
للسمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمد المتوفى (489)
حققه : الدكتور عبد اللّه بن حافظ الحكمي
الطبعة : الأولى
***
قواعد الفقه الإسلامي
لابن رجب الحنبلي
***
القاموس المحيط
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة
طبعة : مؤسسة الرسالة
الطبعة : الثانية 1407 ـ 1987
***

القواعد الفقهية
للدكتور محمد يعقوب البا حسين
طبعة : مكتبة الرشد   شركة الرياض
الطبعة : الأولى
***
القواعد الفقهية
للدكتور علي أحمد الندوي
طبعة : دار القلم
الطبعة : الثانية 1412 ـ 1991
***
القواعد الفقهية المستخرجة من كتاب إعلام الموقعين
لعبد المجيد جمعة الجزائري
***
القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة
لمحمد بن عبد الله بن عابد الصواط
طبعة : دار البيان الحديثة
الطبعة : الأولى 1422 ـ2001
***
القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى
للشيخ محمد الصالح العثيمين
خرج أحاديثه وعلق عليه : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود
طبعة : أضواء السلف   و   أضواء المجتمع
الطبعة : 1416 ـ 1996
***
كتاب الأضداد
للأنباري محمد بن القاسم
حققه : محمد أبو الفضل إبراهيم
طبعة : المكتبة العصرية
الطبعة : 1411ـ 1991
***

كتاب التعريفات
للجرجاني الشريف علي بن محمد
طبعة : دار الكتب العلمية
***
كتاب سيبويه
لسيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان
حققه : عبد السلام محمد هارون
طبعة : عالم الكتب
الطبعة : الثانية 1403 ـ 1983
***
كتاب الفقيه والمتفقه
للخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المتوفى (462)
حققه : عادل بن يوسف العرازي
طبعة : دار ابن الجوزي
الطبعة : الأولى 1417 ـ1996
***
كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج
لأبو الوليد الباجي المتوفى (474)
حققه : عبد المجيد تركي
طبعة : دار الغرب الإسلامي
الطبعة : الثانية
***
كتاب الموضوعات من الأحاديث المرفوعات
لابن الجوزي الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي
حققه : نور الدين بن شكري بن علي بوبا
طبعة : أضواء السلف   مكتبة التعديم
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1997
***
كشاف القناع عن متن الاقتناع
للبهوتي منصور بن يونس بن إدريس
حققه : مكتبة النصر الحديثة
***
الكافية في الجدل
لإمام الحرمين الجويني
***

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل
للزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمر المتوفى (538)
حققه : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي محمد معوض ، د/ فتحي عبد الرحمن أحمد حجازي
طبعة : مكتبة العبيكان
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1998
***
الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)
للثعلبي أحمد أبو إسحاق المتوفى (428)
حققه : محمد بن محمد عاشور
طبعة : دار إحياء التراث العربي
الطبعة : الأولى 1422 ـ 2002
***
الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)
للكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني المتوفى 1094هـ
مقابلة : د/عدنان بن دروش ، ومحمد البصري
الطبعة : الثانية
طبعة : مؤسسة الرسالة
***
لسان العرب
لابن منظور ، محمد بن مكرم الإفريقي المصري المتوفى (711)
اعتناء وتصحيح : أمين محمد عبد الوهاب و محمد الصادق العبيدي
الطبعة : الثانية 1417 ـ 1997
طبعة : دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي
***
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
للهيثمي الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر المتوفى (807)
طبعة : دار الكتاب
الطبعة : الثانية 1967

***

مجموع فتاوى ومقالات متنوعة
للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز
جمع وترتيب وإشراف : د/ محمد بن سعد الشويعر
طبعة : دار القلم
الطبعة : الأولى
***
مجموع الفتاوى
لشيخ الإسلام ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم المتوفى (728)
جمعه : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم
***
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة
لمحمد حميد الله
طبعة : دار النفائس
الطبعة : الخامسة 1405ـ1985
***
مختار الصحاح
للرازي ، الإمام محمد بن أبي بكر المتوفى (760)
حققه : لجنة من علماء العربية
الطبعة : 1401 ـ 1981
مطبعة : دار الفكر
***
مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة
لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
اختصار : محمد الموصلي
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة : الأولى 1405 ـ 1985
***
محاسن التأويل
لمحمد جمال الدين القاسمي المتوفى 1332هـ
حققه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي
الطبعة : الثانية 1398 ـ 1978
طبعة : دار الفكر بيروت
***



مدارج السالكين (بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)
لابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
راجعه : لجنة من العلماء
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة : الأولى
***
مذكرة الشنقيطي
للشيخ محمد الأمين بن المختار الشنقيطي
***
مسند أبي يعلى
لأبي يعلى الموصلي الحافظ أحمد بن علي التميمي المتوفى (307)
حققه : حسن سليم أسد
طبعة : دار المأمون للتراث
الطبعة : الأولى 1406 ـ 1986
***
مسند الإمام أحمد بن حنبل
للإمام أحمد بن حنبل المتوفى (241)
حققه : شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد
طبعة : مؤسسة الرسالة
الطبعة : الأولى 1418ـ 1998
***
مشكلة الغلو في الدين في العصر الحاضر
لعبد الرحمن معلا اللويحق
الطبعة : الأولى
***
مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)
لبرهان الدين البقاعي المتوفى (885)
حققه : عبد الرحمن الوكيل
***
معالم التنزيل (تفسير البغوي)
للبغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود المتوفى (516)

حققه : محمد عبد الله النمر و عثمان ضميرية و سليمان مسلم الحرش
طبعة : دار طيبة
الطبعة : 1411
***

معاني القرآن وإعرابه
للزجاج ، أبو إسماعيل إبراهيم بن المسري المتوفى (311)
حققه : عبد الجليل عبده شلبي
طبعة : عالم الكتب
الطبعة : الأولى 1408 ـ 1988
***

معجم البلدان
للحموي ، الإمام شهاب الدين ياقوت بن عبد الله
الطبعة : 1397 ـ 1977
طبعة : دار صادر بيروت
***

معجم لغة الفقهاء (عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي)
وضعه : أد. محمد رواس
طبعة : دار النفائس
الطبعة : ا.لأولى 1416 ـ 1996
***

معجم مقاييس اللغة
لابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى(395)
حققه : عبد السلام محمد هارون
الطبعة : 1399هـ
طبعة : دار الفكر
***

معجم المناهي اللفظية
لبكر بن عبد الله أبو زيد
الطبعة : الثالثة 1417 ـ 1996
مطبعة : دار العاصمة
***

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير تفسير الفخر الرازي)
للرازي ، فخر الدين محمد بن عمر المتوفى (604)
طبعة : دار الفكر
الطبعة : الأولى 1401 ـ 1981
***
مفتاح دار السعادة
لابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر
طبعة : دار عفان
الطبعة : الأولى
ضبط نصه وعلق عليه : علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي
راجعه: بكر بن عبد الله أبو زيد
***

مفردات ألفاظ القرآن
للعلامة الراغب الأصبهاني
حققه : صفوان عدنان داوودي
طبعة : دار القلم و الدار الشامية
الطبعة : الأولى 1412ـ1992
***
مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية
للدكتور محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1998
طبعة : دار الهجرة
***
منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية
لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
حققه : الدكتور محمد رشاد سالم
الطبعة : الأولى 1406 ـ 1986
***
منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد
للدكتور عثمان علي حسن
الطبعة : الأولى 1420 ـ 1999
طبعة : دار اشبيليا
***
موسوعة القواعد الفقهية
جمع وترتيب وبيان : الشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد البرنو أبو الحارث الغزي الأستاذ المشارك بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
طبعة : مكتبة دار التوبة و دار ابن حزم
الطبعة : 1416هـ
***
المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
تأليف : القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المتوفى(546)
تحقيق : المجلس العلمي بفاس
الطبعة : 1403 ـ 1982

طبعة : مطابع فضالة
***

المحكم و المحيط الأعظم في اللغة
لابن سيده ، علي بن إسماعيل المتوفى (458)
حققه : محمد علي النجار
طبعة : المكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز
الطبعة : الأولى 1393 ـ 1973
****

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
لمحمد فؤاد عبد الباقي
طبعة : دار الحديث ـ القاهرة
الطبعة : الثانية 1408 ـ 1988
***

المعجم الوسيط
مجمع اللغة العربية
قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار
طبعة : المكتبة الإسلامية
***

الملل والنحل
للشهرستاني ، الإمام أبو الفتح محمد عبد الكريم المتوفى (584)
صححه و علق عليه : الأستاذ أحمد فهمي محمد
طبعة : دار الكتب العلمية
***

المنار المنيف في الصحيح والضعيف
لابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
حققه : أحمد عبد الشافي
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة : 1408 ـ 1988
***

المنثور في القواعد
لبدر الدين محمد بهادر الزركشي الشافعي المتوفى (794)
حققه : الدكتور تيسير فائق أحمد محمود

***
المنجد في اللغة و الأعلام
طبعة : دار الشرق
الطبعة : الثامنة والعشرون
***
المغني
لابن قدامة ، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي المتوفى (620)
حققه : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي و الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو
طبعة : دار عالم الكتب
الطبعة : الثالثة 1417 ـ 1997
***
المنهاج (شرح صحيح مسلم بن الحجاج)
للنووي ، الإمام محي الدين بن شرف المتوفى (676)
حققه : الشيخ خليل مأمون شيحا
طبعة : دار المعرفة
الطبعة : الثانية 1415 ـ 1995
***
المنهج المنتخب
للإمام المنجور أحمد بن علي المنجور المتوفى (995)
حققه : محمد الشيخ محمد الأمين
طبعة : دار عبد الله الشنقيطي
***
الموافقات في أصول الشريعة
للشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي المتوفى (790)
ضبط وتعليق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان
الطبعة : الأولى 1417 ـ 1997
طبعة : دار عفان
***
الموسوعة العربية العالمية
نشر : مؤسسة أعمال الموسوعة

الطبعة : الثانية 1999
***
الموسوعة العربية الميسرة
إشراف : محمد شفيق غربال
طبعة : دار نهضة لبنان
الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة
***
نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام
لسارة بنت عبد المحسن بن عبد الله بن جلوى آل سعود
طبعة : دار المنارة
الطبعة : الأولى 1411 ـ 1991
***
نظم الدرر في تناسب الآيات والسور
للبقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر المتوفى (885)
طبعة : دار الكتاب الإسلامي
الطبعة : الثانية 1413 ـ 1992
***
النهاية في غريب الحديث و الأثر
لابن الأثير مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المتوفى (606)
حققه : محمود محمد الطناجي
طبعة : المكتبة الإسلامية
***
الواضح في أصول الفقه
لابن عقيل أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي المتوفى (513)
حققه : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي
طبعة : مؤسسة الرسالة
الطبعة : الأولى 1420ـ1999
***
الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية
للدكتور محمد صدقي بن أحمد البرنو
طبعة : مؤسسة الرسالة

الطبعة : الرابعة 1416 ـ 1996
***

المجموعة الثانية

كتب الأديان والرد على النصارى

الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة
للقرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي
طبعة : دار الكتب العلمية
الطبعة الأولى
***
الأسفار المقدسة في الأديان السابقة قبل الإسلام
للدكتور علي عبد الواحد وافي
طبعة : دار نهضة مصر
***
الأسفار المقدسة قبل الإسلام
للدكتور صابر طعيمة
طبعة : عالم الكتب
الطبعة الأولى 1406 ـ 1985
***
أضواء على المسيحية
متولي يوسف شلبي
طبعة الدار الكويتية
الطبعة الثانية 1393 ـ1973
***
الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام
للإمام القرطبي ، محمد بن أحمد
حققه : الدكتور أحمد حجاز السقا
طبعة : دار التراث العربي
***
إظهار الحق
لرحمت الله بن حب الرحمن الهندي العثماني
حققه الدكتور أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي
طبعة دار الوطن و دار أولي النهى
***

الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية
للطوفي ، سليمان بن عبد القوي المتوفى (716)
حققه الدكتور سالم بن محمد القرني
طبعة : مكتبة العبيكان
الطبعة الأولى 1419 ـ 1999
***
الإنجيل والصليب
للدكتور عبد الأحد داود الآشوري
***
بحوث في مقارنة الأديان
للدكتور عبد الله الشرقاوي
طبعة : دار الفكر العربي
***
بين الإسلام والمسيحية
للخزرجي ، أبو عبيدة الخزرجي المتوفى (582)
حققه الدكتور محمد شامة
طبعة مكتبة وهبة
***
تاريخ الحروب الصليبية
لوليم رئيس أساقفة صور
نقله إلى العربية وقدم له : الدكتور سهيل زكار
طبعة : دار الفكر
الطبعة : الأولى 1410 ـ 1990
***
تحفة الأريب
للميورقي ، أبو محمد عبد الله الترجمان
حققه عمر وفيق الداعوق
طبعة دار البشائر الإسلامية
الطبعة الأولى
***

تخجيل من حرف التوراة والإنجيل
للجعفري أبو البقاء صالح بن الحسين
حققه الدكتور محمود عبد الرحمن قدح
طبعة : مكتبة العبيكان
الطبعة الأولى
***
التنصير في الأدبيات العربية
للدكتور علي إبراهيم النملة
الطبعة : 1415 ـ 1994
***
التوراة والإنجيل و القرآن والعلم
لموريس بوكاي
ترجمة : الشيخ حسن خالد
طبعة : المكتب الإسلامي
الطبعة الثالثة 1411 ـ1990
***
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
لشيخ الإسلام ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية
حققه : علي بن حسن بن ناصر و د/ عبد العزيز إبراهيم العسكر و د/حمدان بن محمد الحمدان
طبعة : دار العاصمة
الطبعة : الثانية
***
الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح
للإمام الآلوسي البغدادي
حققه : الدكتور أحمد حجازي السقا
طبعة : دار البيان العربي
الطبعة : الأولى
***
حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى وأثرها على العالم الإسلامي
لأحمد محمد زايد
طبعة : دار المعالي

الطبعة : الأولى 1420 ـ2000
***

الحوار الإسلامي المسيحي
لبسام داود عجك
طبعة : دار قتيبة
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1998
***

الحروب الصليبية في المشرق والمغرب
لمحمد العمروسي
طبعة : دار الغرب الإسلامي بيروت
الطبعة : الثانية 1982
***

دراسات في الأديان (اليهودية والنصرانية)
للدكتور سعود بن عبد العزيز الخلف
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1997
مطبعة : أضواء السلف
***

دعوة التقريب بين الأديان
للدكتور أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي
طبعة : دار ابن الجوزي
الطبعة : الأولى
***
الرائية الكبرى
للنبهاني الشيخ يوسف بن إسماعيل
***
رسالة راهب فرنسا وجواب القاضي أبي الوليد الباجي عليها
حققه : الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي
طبعة : دار الصحوة
الطبعة : 1406 ـ 1986
***
الرد الجميل على ألوهية عيسى بصريح الإنجيل
للغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد
طبعة : المكتبة العصرية
الطبعة : الأولى 1420 ـ 1999
***

الرد على النصارى
للإمام القاسم إبراهيم الرسي المتوفى (246)
حققه : الإمام ضفي عبد اللّه
الطبعة : الأولى 1420 ـ 2000
طبعة : دار الآفاق العربية
***
الرد على النصارى
للجعفري ، أبو البقاء صالح بن الحسين
حققه : د/محمد محمد حسانين
الطبعة : الأولى 1409 ـ 1988
طبعة : دار التوفيق النموذجية
***
السنة القويم في تفسير أسفار العهد القديم
للقس وليم مارش
طبعة : مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت
الطبعة : 1973
***
العقائد الوثنية في الديانة النصرانية
لمحمد طاهر التنير و محمد المجذوب
طبعة : دار الشواف
***
الغزو الصليبي والعالم الإسلامي
للدكتور علي عبد الحليم محمود
طبعة : شركة مكتبات عكاظ
الطبعة : الثانية 1402 ـ 1982
***
الفارق بين المخلوق والخالق
لعبد الرحمن باجه جي زاده
تحقيق : عصام فارس الخرستاني
الطبعة : الأولى 1419 ـ 1998
طبعة : دار عمار
***
فتاوى وأحكام في نبي الله عيسى عليه السلام

أجاب عنها : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين
اعتنى بها : علي بن عبد الله عبد الله العماري
الطبعة : الأولى 1420 ـ 1999
***
قاموس الكتاب المقدس
طبعة : دار الكتاب المقدس
****
كشاف النقاب عن دين النصارى أهل الكتاب
لمرقت بنت كامل عبد الله
***
الكنز الجليل في تفسير الإنجيل
للدكتور وليم إدي
طبعة : مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت
***
مجموعة الشرع الكنسي
جمعها وترجمها ونسقها : الأرشد ريت حنانيا إلياس كساب
***

محاضرات في النصرانية
للإمام محمد أبو زهرة
طبعة : دار الفكر العربي
***
محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى
للبروفور عبد الأحد داود
ترجمة : محمد فاروق الزين
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1997
طبعة : مكتبة العبيكان
***
المختار في الرد على النصارى
للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر
حققه : د/محمد عبد الله الشرقاوي
الطبعة : الأولى 1411 ـ 1991
طبعة : دار الجيل و مكتبة الزهراء
***
مسلمو أهل الكتاب وأثرهم في الدفاع عن القضايا القرآنية
للدكتور : محمد بن عبد الله السحيم
طبعة : دار الفرقان
الطبعة : الأولى 1417
***
المسيحية
للدكتور أحمد شلبي
الطبعة : العاشرة 1998

طبعة : مكتبة النهضة المصرية
***
المسيح في مصادر العقائد المسيحية
لمهندس أحمد عبد الوهاب
طبعة : مكتبة وهبة
الطبعة : الأولى 1398 ـ 1978
***
مصادر النصرانية
لعبد الرزاق عبد المجيد ألارو
طبعة : لم تطبع بعد
بيانات أخرى : رسالة ماجستير
***
المعتقدات الدينية لدى الغرب
للدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن
طبعة : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
الطبعة : الأولى 1421 ـ 2001
***
المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب و الفرق و الطوائف والنحل في العالم
منذ فجر الإسلام حتى العصر الحالي
تعريب وتصنيف وتقديم : الأستاذ الدكتور سهيل زكار
طبعة : دار الكتب العربي دمشق
الطبعة : الأولى 1418 ـ 1997
***
مناظرة في الرد على النصارى
لفخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر المتوفى (606)
للدكتور : عبد المجيد النجار
طبعة : دار الغرب الإسلامي
الطبعة : 1986
***
المناظرة الكبرى (بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القس

فندر
حققه : الدكتور محمد عبد القادر خليل
الطبعة : الثانية 1410 ـ 1990
***
منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب
للشيخ عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن معمر
حققه : د/ محمد بن عبد الله بن حمد السكاكر
***
منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل
للدكتورة عزية علي طه
الطبعة : الثانية 1417 ـ 1996
***
موقف ابن تيمية من النصرانية
للدكتورة : مريم عبد الرحمن عبد الله زامل
الطبعة : 1417 ـ 1997
طبعة : مطبعة جامعة أم القرى
***
موقف السلام من كتب اليهود و النصارى
***
النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام
للمهندس أحمد عبد الوهاب
طبعة : مكتبة وهبة
الطبعة : 1400 ـ 1979
***
النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير
للدكتور محمد عثمان صالح
طبعة : مكتبة ابن القيم المدينة المنورة
الطبعة : الأولى 1410 ـ 1989
***
نظام الأسرة بين المسيحية والإسلام
للدكتور محمود عبد السميع شعلان
الطبعة : الأولى 1403 ـ 1983
مطبعة : دار العلم
***
هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى

لابن قيم الجوزية أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المتوفى (751)
حققه : الدكتور محمد أحمد الحاج
طبعة : دار القلم
الطبعة : الأولى 1416 ـ 1996
***
هل الكتاب المقدس كلام الله
لأحمد ديدات
ترجمة وتحقيق : الشيخ إبراهيم خليل أحمد
طبعة :دار المنار
الطبعة : الأولى 1410 ـ 1989
***
اليهودية
للدكتور أحمد شلبي
طبعة : مكتبة النهضة المصرية
الطبعة الثانية 1988
***

فهرس الموضوعات